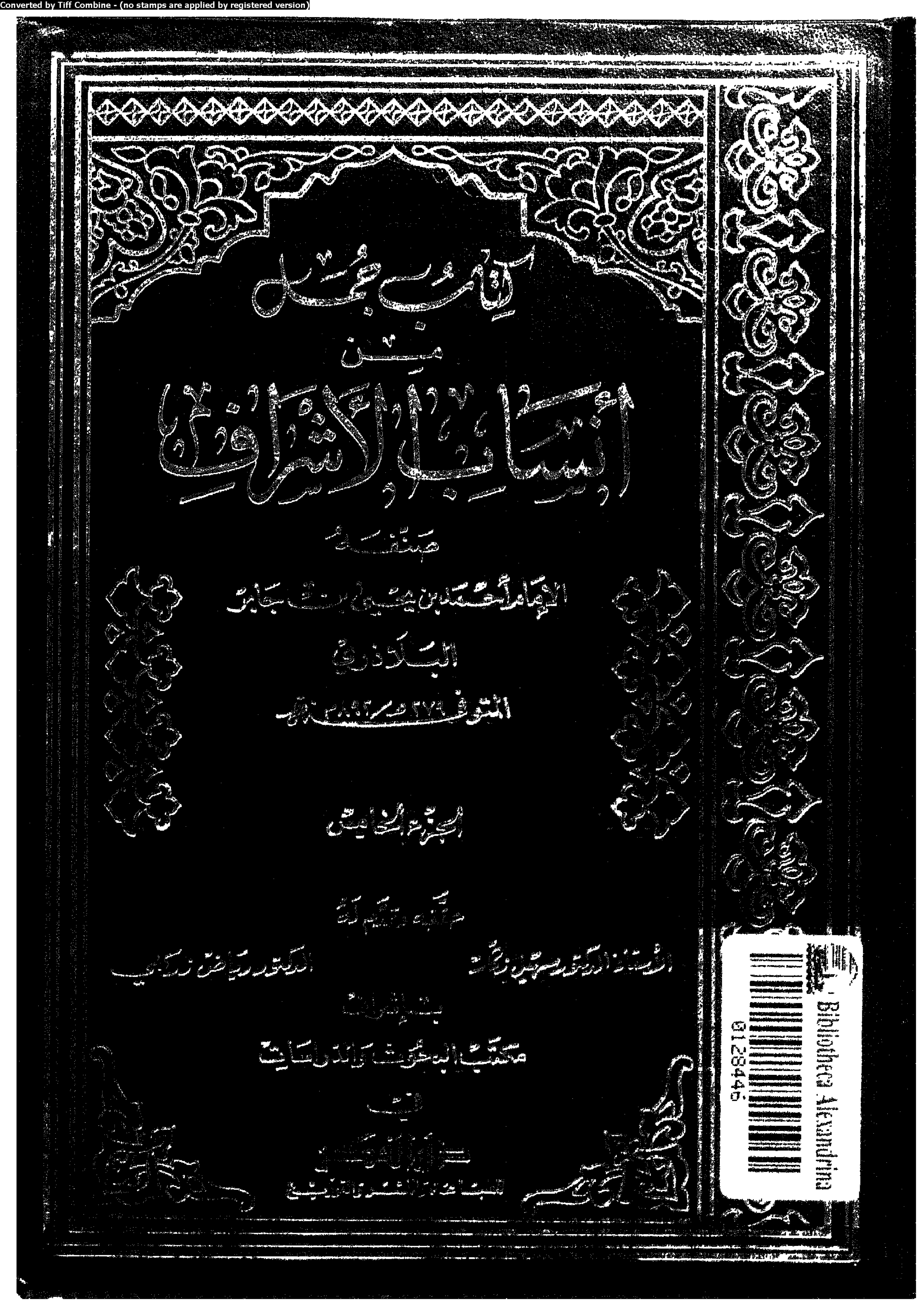

كتاب جمل
من
أنساب الأشراف
صنعه
الإمام أحمد بن يحيى بن جابر
البلاذري
المتوفى ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م
الجزء الخامس
حققه وقدم له
الأستاذ الدكتور سهيل زكار
الدكتور رياض زركلي
بإشراف
مكتب البحوث والدراسات
في
دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
Bibliotheca Alexandrina
0128446





كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م

الجزء الخامس

نسب بني عبد شمس بن عبد مناف

حقّقه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار — الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ/١٩٩٦ م

الطبعة الاولى

دار الفكر

بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦١١٨٣٧٨٩٨

دولي: ٠٠٩٦١١٨٦٠٩٦٢ - دولي وفاكس: ٤٧٨٢٣٠٨ - ٢١٢ - ٠٠١

الجزء الخامس

نسب بني عبد شمس بن عبد مناف

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب بني عبد شمس بن عبد مناف

وولد عبد مَناف بن قُصَيّ أيضاً عبد شمس ، وبه كان يكنى ، وأمّه عاتكة بنت مُرّة أُمّ هاشم ، فولد عبد شمس بن عبد مناف أُميّة الأكبر ، وحَبيبَ بن عبد شمس وبه كان يكنى ، وأُمهما تعجز بنت عُبيد بن رُؤاس بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة وآسمها أيضاً عاتكة ، وإيّاها عنى ابن هَمّام السَلولي بقوله :

فجالَتْ بِنا ثُمَّ قُلْتُ آعْطِفي بِنا يا صَفِيٌّ ويا عاتِكا

يعني بصَفيّة بنت حَزْن بن بُجَيْر الهِلاليّة أمّ أبي سفيان بن حَرْب بن أُميّة ، وهي عمّة لُبابة بنت الحارث أمّ عبدالله بن عبّاس بن عبد المطلب ؛ وربيعةَ بن عبد شمس ، وأمّه آمنة بنت وَهْب بن عُمير بن نَصْر بن قُعَيْن بن الحارث بن ثَعْلبة بن دُودان بن أَسد بن خُزَيْمة ؛ وأميّةَ الأصغر ، وعبدَ أُميّة ، ونَوْفلَ بن عبد شمس ، وأمّ هؤلاء الثلاثة عَبْلَة بنت عُبَيْد بن جاذِل من بني تميم بن مُرّ ثمّ من البراجِم ؛ فأُميّة الأصغر وعبد أُمية ونوفل يُدْعون العَبَلات بها يُعرفون ، فبنو أُميّة الأصغر بمكّة ، وبنو عبد أميّة ونَوْفَل بالشام ؛ وعبدَ

العُزّى بن عبد شمس ، وأمّه فاطمة من حِذْجِنَة الأَزْد ؛ وعبدَالله الأَعرج بن عبد شمس ، وأمّه عَمْرَة كِنْديّة ، وبالحِيرة قوم من العِباد يُقال لهم بنو الغُمَيْنَى يدّعون أنّهم من بني عبد الله الأعرج بن عبد شمس وذلك زُور وباطل . وكان لعبد شمس مِن تَعْجز أُمَيْمة ، تزوّجها حارثة بن الأوقص السُلَمي ثمّ خلف عليها عمرو بن ثَعْلبة الكِناني ؛ وكان له من آمنة بنت وَهْب الأَسديّة سُبيعة ، تزوّجها مسعود بن مُعتِّب ؛ وكانت له رُقيّة ، وأمها عَمْرَة بنت كَرِب الكِندية تزوّجها أبو الصلْت بن ربيعة الثَقَفي .

فولد أمية الأكبر حَرْبَ بن أميّة ويكنى أبا عمرو ، وأبا حرب درج ، وسفيانَ ، وأبا سفيان وآسمه عَنْبَسَة لا عَقِبَ له ؛ وعمروَ بن أميّة ، لا عقبَ له ، وأمّهم أَمة بنت أبي هَمهَمَة من ولد الحارث بن فِهْر ؛ وأبا عمرو بن أميّة وأمّه من لَخْم ؛ والعاصَ ، وأبا العاص ، وكان حليماً ، قال له قومه : آهجُ بني أَسد بن عبد العُزّى فقال :

أنَّ أُعــادي مَــعْــشَــراً	كـانوا لنـا حِصْناً حَصينـاً
خُــلِقــوا مـعَ الجَـوزاءِ إِذ	خُلِقــوا ووالِــدُهم أَبــونــا
أبْـلِــغ لــديــكَ بـنـي أُمَـ	ــيَّـة آيـةً نُصحـاً مـبينـا
أنّــا خُـلِقْنــا مُـصْـلِحِيـ	ـنَ ومــا خُلِقْنا مُفْسِـدينا

والعِيصَ درج ، وأبا العيص ، وقال غير الكلبيّ : ولد العُوَيْصَ أيضاً درج ، وهم الأعْياصُ الذين يقول فيهم فَضالة بن شَريك الأَسَدي :

مِنَ الأَعياصِ أو مِن آلِ حربٍ	أَغـرُّ كَغُرَّةِ الفَـرَس الجـوادِ

وأمّ الأعياص آمنة بنت أبان بن كُلَيْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة ، ولها يقول النابغة الجَعْدي[1] :

وشاركْنا قُرَيْشاً في تُقاها وفي أَنْسابِها شِرْكَ العِنانِ
بما وَلَدَتْ نِساءُ بَني هلالٍ وما وَلَدتْ نِساءُ بَني أَبانِ

وكانت أمّ سفيان بن حَرْب وعبدِالله بن العبّاس هِلاليّتَيْن .

قال ابن الكلبي : فالعَنابِس من بني أُميّة : حرب وأبو حَرْب وسفيان وأبو سفيان وآسمه عَنْبَسَة ، والعَنْبَس الأسد ؛ وقال غيره : صَبَروا على الحرب فسُمّوا العنابس .

وكان حَرْب شريفاً وكان ينادم عبد المطّلب ، ثمّ جري بينهما كلامٌ فتنافرا فَنُفِّرَ عليه عبد المطّلب ، وزعم رجل من أهل المدينة : أنّ حَرْباً لما مات كانت نساءُ قريش تبكيه في كلّ مأتمٍ ويقلن وَاحَرْباه واحَرْباه ، فمكثن بذلك حيناً ، ثم إنّ آمرأة أُصيبت بابنها فجعلن النساء يقلن : وَاحَرباه ، فقالت : وما أصنع بحربٍ ؟ بل وَاحَرَباه ، فقلن : وَاحَربَاه ، من الحَرَب ، والله أعلم .

وقد كتبنا ما كان بين عبد المطّلب وحَرْب فيما تقدّم مشروحاً ، وقال الشاعر في حَرْب وأبي عمرو ابنَيْ أُميّة :

إمّا سَأَلْتَ من آهْلِ مَكّة ماجِداً فآسْأَلْ أَبا عَمْرٍو وحَرْبَ الفاضِلا
أَعْطى وقَدْ بَخِلَ الجَوادُ بمالِهِ هَوْجَاء تَحْسِبُها مَهاةً خاذِلا
أَخَوانِ مِثْلُ أبيهِما لِلْمُعْتَفي قَدْ أَحْرَزا مَجْداً قَديماً كامِلا

---

١ ـ ديوان النابغة الجعدي ص ١١٧ .

وقال ابن الكلبي : اختطّ القُرَيَّةَ وهي في حَرّة بني سُلَيم مِرْداسُ بن أبي عامر ، قال : وقال أبو السائب : ابتاع حَرْب ومِرْداس القُرَيّة من خُوَيْلِد بن مُطْحَل الهُذَلي ، وقال أبيّ : اختطّها مِرْداس وكُلَيْب بن عَهْمَة الظّفَري من بني سُلَيْم فلم يكن عندهما نفقة فجعلا لحَرْب ثُلثَها على أن يُنفق عليها فقال مِرْداس :

إنّي ٱنتَجبْتُ لَها حَرْباً وإخْوَتَهُ   وكانَ حَرْبٌ لِما قَدْ عالَنا آسِ
إنّي أُقدِّمُ قَبْلَ الأمْرِ حُجَّتَهُ   كَيْما يُقالَ وَلِيُّ الأمْرِ مِرْداسُ

ومات حَرْب ومِرْداس فغلب على القُرَيَّة كُليب بن عَهْمَة فقال عَبّاس بن مِرْداس :

أَكُلَيْبُ ما لكَ كلَّ يَوْمٍ ظالِماً   والظُلْمُ أَنكَدُ وَجْهُهُ مَلْعُونُ
قد كان قَومُك يَحْسبونَكَ سيِّداً   وإخـالُ أنّـك سيِّدٌ مَفْتـونُ
إن القُـرَيَّة قـد تَبَّـين أمْـرُهـا   إنْ كانَ يَنْفَعُ عِنْدَكَ التَبْيينُ

فولد حرب بن أمية أبا سفيان بن حرب ، واسمه صَخْر ، والفارِعةَ ، أمّها صَفيّة بنت حَزْن بن بُجَيْر بن الهُزَم الهِلالي ؛ وعمرو بن حرب ، وأمَّ جَميل بنت حرب ، هي حَمَّالةُ الحطبِ ، أمّها فاخِتة بنت عامر بن مُعتِّب الثقفي ؛ وأُمَيْمةَ ، وأمَّ الحَكَم ، وفاختةَ ، لأمّهاتٍ شتّى ؛ والحارثَ ، أمّه يمانّية ، فدرج عمرو والحارث ؛ وكانت الفارعة عند شَيْبة بن ربيعة بن عبد شمس ثم خلف عليها الأسود بن المطلب بن أَسَد بن عبد العُزّى ، وكانت أمُّ جميل عند أبي لَهَب بن عبد المطّلب ؛ وكانت فاختة عند جثّامة اللَّيْثي ثم تزوّجها عُتْبة بن غَزْوان من ولد مازِن بن منصور أخي سُلَيم بن منصور ، وكان لحرب الضَهيْاء ؛ تزوّجها بِشْر بن عبد الملك السَكوني .

فولد أبو سفيان صَخرُ بن حَرْب : معاويةَ ، وعُتْبَةَ بن أبي سفيان ، وكان يُضعّف ، وشهد الجَمَل مع عائشة رضي الله عنها وهرب ، فحمله عِصْمة بن أُبَيْر من تَيْم الرِباب حتى أتى المدينة ، ثم ولاه معاوية مِصْر ، وقال جَرير :

وَفَى ابْنُ أُبَيْرٍ والرِماحُ شوارعٌ   لآل أبي العاصي وَفاءً مُشَهَّرا
ولابْنِ أبي سُفْيانَ عُتْبَةَ بَعْدَما   رأى المَوْتَ قد أنحى عَلَيْهِ فَعَسْكَرا[1]

وجُويريةَ ، تزوّجها السائب بن أبي حُبَيْش بن المطّلب بن أسَد بن عبد العُزى ثم عبدالله بن الحارث بن أميّة الأصغر ؛ وأمَّ الحَكَم ، تزوّجها عبدالله بن عثمان الثَقَفي فولدت له عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم ، ولّاه معاوية الكوفة وولّاه الجزيرة والمَوْصِل ومصر ، وأمّهم جميعاً هِنْد بنت عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مَناف ؛ وحنظلةَ بن أبي سفيان ، قُتل يوم بَدْر كافراً ؛ وأمَّ حَبيبة ، واسمها رَملة الكُبْرى ، وهي زوج رسول الله ﷺ وقد كتبنا خبرها في الأزواج ، وآمنة ، تزوّجها حُوَيْطِب بن عبد العزّى العامريّ من قريش ، ثم صَفْوان بن أميّة الجُمَحي ، ثم المُغيرة بن شُعْبة الثقفي ، أمّهم صَفيّة بنت أبي العاص بن أُميّة ؛ وعمروَ بن أبي سفيان ، أُسر يوم بَدْر فأُطلق بِرجلٍ من المسلمين أسره المشركون فأطلقوه ، ولا عَقبَ له ؛ وهِنداً ، تزوّجها الحارث بن نَوْفل بن الحارث بن عبد المطّلب ، وصَخرةَ ، أمّهم أمّ عمرو بنت أبي عمرو بن أميّة ؛ وعَنْبَسةَ بن أبي سفيان ، ومحمّداً ، أمّهما عاتِكة بنت أبي أُزَيْهِر الدَوْسي ؛ ومحمد بن أبي سفيان القائل :

---

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

أُؤَمِّلُ هِنْداً أنْ يَموتَ ابن عامرٍ ورَمْلَةَ يَوماً أن يُطَلِّقَها عمرو

يعنى رَمْلَةَ بنت معاوية وهِنْد بنت معاوية ، ويعني عمرو بن عثمان بن عفّان ، وكانت لعثمان بن محمد بن أبي سفيان ابنة عند الوليد بن يزيد بن عبد الملك فولدت له عثمان بايع له بالعَهْد ، وكانت هِند بنت معاوية عند عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ؛ ويزيدَ الخيْرَ بن أبي سفيان ، أمّه من كِنانة ، ولّاه أبو بكر بن أبي قُحافة بعضَ الشام ولا عَقِبَ له ؛ ورَمْلَةَ الصُغْرى ، أمّها أُمَيْمة بنت الأشْيَم الكِنانيّة ، تزوّجها سعيد بن عثمان بن عفّان ثم عمرو بن سعيد الأشدق بن سعيد بن العاص ؛ ومَيْمونةَ ، أمّها شَمْسة ، هِلاليّة .

وقال الكلبي وغيره : كان أبو سفيان قائدَ قريش في حروبها للنبيّ ﷺ ثم أسلم ، وقد ورد رسول الله ﷺ مكّة قبل أن يدخلها ويفتحها ، وولّاه رسول الله ﷺ نَجْران فقُبض وهو عليها .

وقال أبو اليقظان : ولّاه رسول الله ﷺ صدقات الطائف .

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحارب قال : كانت هند بنت عُتْبة قبل أبي سفيان عند حَفْص بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ثم خلف عليها الفاكه بن المُغيرة فقتلته بنو كِنانة بالغُمَيْصاء[1] في الجاهليّة ، ويقال : بل تزوجها الفاكه بن حَفْص ثم خطبها أبو سفيان وسُهَيْل بن عمرو فأخبرها أبوها بذلك وقال : خطبَكِ من قومكِ كُفُؤان كريمان ، فقالت : صِفْهما لي ، فقال : أحدهما سهيل بن عمرو وهو مُوسرٌ سخيّ سيّد مُفَوّض يحكّم في ماله ، والآخر أبو سفيان بن حرب وهو شريف سّيد حازم ، قالت : الحازم

١ ـ الغميصاء : موضع في بادية العرب قرب مكة . معجم البلدان .

أحبّهما إليّ ، فتزوّجها أبو سفيان فولدت له معاوية ، وعُتْبة ، وأمّ الحَكَم ؛ ويقال إنه قال لها : قد خطَبكِ رجلان ، أمّا أحدهما فَخِضَمٌّ[1] تخالين به غَفْلَةً لِلينه ، ليس بالغُضُبَّة الغَلِق ولا المِغْيار النَزِق ، وأمّا الآخر ففي الحَسَب الحَسيب والرأي الأَريب ، شديد الغَيْرة سريع الطِّيرة ، مكرم للكريمة حَسَن الصُحبْة ، وكِيدُ العَهْدِ ، فاختارته .

حدثنا المدائني قال : مرّ حَمْزة بن عبد المطّلب على نفر من بني مخزوم فلاحاه رجل منهم ، فذكر المخزومي نساءً من نساء بني عبد مَناف فضربه حمزة فقتله ، وأتى أبا سفيان فأخبره ، فأتى أبو سفيان بني مخزوم فعرض عليهم ثلاث ديات بصاحبهم فلم يقبلوها ، فانصرف عنهم يومَه ، فلما كان من الغد جاؤوا يطلبون الديات الثلاث ، فقال أبو سفيان : القوم يأْبَون أنْ يعطوا أكثر من ديَتين ، فأبوا ورجعوا ، فلما كان الغد جاؤوا يطلبون الديَتْين فقال : إنّ القوم أبوا أنْ يعطوا إلّا ديةً واحدة ، فأبوا ورجعوا ، فلما كان الغد عادوا فطلبوا الدية فقال أبو سفيان : إنَّ القوم قد أبو الدية ، وهذا قتيل لا دية له ، فطُلّ دَمُه .

المدائني قال : أتى أبو سفيان عمر بن الخطاب فسأله شيئاً فقال : أتسألني وأنت حميتٌ[2] ينطف ؟

المدائني عن محمد بن الحجّاج عن عبد الملك بن عُمَير قال : أقبل أبو سفيان من الشام ومعه هِند ومعاوية على حمار ، فلما دنوا من مكة لقيهم

---

١ - المخضم : الموسع عليه في الدنيا . القاموس .

٢ - في هامش الأصل : الحميت : الزق الذي لا شعر عليه . ينطف : يقطر .

رسول الله ﷺ ، فقال أبو سفيان لمعاوية : آنْزل يركب محمد ، فقالت هِنْد : أينزل ابني لهذا الصابىء ؟! قال : نعم إنه خير منكِ ومنّي ومن ابنك ، فقال رسول الله ﷺ : أَسْلِم يا أبا سفيان ، وأنت يا هند فأَسْلِمي ، فإنّي أَضَنُّ بكما عن النار .

قال : وأُصيبت عينُ أبي سفيان مع رسول الله ﷺ بالطائف فقال له رسول الله ﷺ : إنّ لك بها عيناً في الجنّة ؛ وعمي قبل أن يموت .

قال : ولطم أبو جهْل فاطمةَ بنت رسول الله ﷺ ، فرأت أبا سفيان فشكت إليه ، فرجع معها إليه وقالَ : آلطِميه قبحه الله ، فلطمتْه ، فقال : أدركتْكم المنافيّةُ يا أبا سفيان . وأخبرتْ فاطمةُ رسولَ الله ﷺ بما كان من أبي جَهْل ومن أبي سفيان فقال : اللّهمّ لا تنسَها لأبي سفيان .

المدائني عن عبد الرحمن بن معاوية عن اسماعيل بن أميّة قال : أفاض النبيّ ﷺ وعن يمينه أبو سفيان وعن يساره الحارث بن هشام ، وبين يديه يزيد ومعاوية ابنا أبي سفيان على فرسَيْن .

وقالوا : لما حجَّ أبو بكر رضي الله عنه حجَّ معه أبو سفيان ، فكلّمه أبو سفيان فرفع أبو بكر صوته ، فقال أبو قُحافة لأبي بكر : يا بُنيّ آخفِضْ صوتك عند ابن حرب ، فقَال أبو بكر : إنَّ الله قد هدم بالإسلام بيوتاً ، وبيت أبي سفيان ممّا هدم ، وبنَى بالإسلام بيوتاً مهدومة في الجاهليّة ، وبيتك ممّا بناه .

قالوا : واستعدى رجلٌ من بني مخزوم عمرَ بن الخطّاب على أبي سفيان وقال : ظلمني في حَدٍّ فحجّ عمر ووقف على الحدّ ، فقال لأبي سفيان : ضَع العلامة هاهنا ، فقال : والله لا أفعل ، فقال عمر : والله لتفعلنَّ ، فأبى

فضربه بالدِرّة حتى حوله ، فاستقبل أبو سفيان القِبلة ثم قال : الحمد لله الذي لم يُمِتْني حتى أدخَلَ قلبي من الإسلام ما ذَلّلني لعمر بن الخطّاب ، فكأنَّ عمرَ تذمَّمَ ممّا فعل بأبي سفيان ، رضي الله عنهما .

المدائني عن جُوَيْرية بن أسماء أن أبا سفيان نازع عمر في أرض فنادى أبو سفيان يا لقُصيّ ، فخفقه عمر بالدِرّة وقال : أتدعو بدَعْوى الجاهليّة ؟! فقالت هِنْد : يا عمر أتضربُ ابن حرب ؟! أما لَرُبّما رُمْتَ ذلك منه فاقشعرّت بطون البَطْحاءِ ، فقال عمر : الحمد لله الذي أبدلنا بذلك اليوم خيراً منه .

حدثني العُمَري عن الهيثم عن يونس بن يزيد الأَيْلي عن الزهري قال : لما هلك عمر وجد عثمان في بيت المال ألفَ دينار قد كُتب عليها : عُزل ليزيد بن أبي سفيان ، فقال لأبي سفيان : اَقِبضْها ، فأبى وقال : لو رآها عمر واجبةً لي لبعث بها إليَّ .

وحُدثت عن مالك بن أَنس قال : رأى معاوية عمر بن الخطّاب يحبس الناس فبعث إليه من الشام بأَدْهَم[1] ، أو أداهم ، وبعث معه بدنانير وقال للرسول : آدفع ذلك إلى أبي سفيان حتى يتولّى إيصاله إلى أمير المؤمنين ، فأوصل الأدهم ، أو الأداهم ، واختزل الدنانير ، فسأله عمر عنها فقال : إنّي احتجتُ إليها فقضيت منها دَيْناً وأنفقت الباقي ، فقال عمر : ضَعوا رِجْلَ أبي سفيان في الأدهم ، فوُضِع فيه حتى أتى بالدنانير ، فبلغ معاويةَ ذلك فقال : والله لو أنّه الخطّاب لَفَعَل به مثل ما فعل بأبي سفيان .

١ - بهامش الأصل : الأدهم : القيد .

حدثني العُمري عن الهيثم بن عدي عن ابن جُرَيْج عن عِكْرِمة قال حدثنا ابن عبّاس قال : دخلتُ على أبي سفيان بن حرب وهو يتغدّى ، فذكرتُ له حاجتي ثم قلتُ : فما منعكَ من أنْ تدعوني إلى غَداك ؟ فقال : إنّما وضع الطعام ليؤكل ، فإن كانت بك إليه حاجة فكُلْ .

المدائني قال : قال رسول الله ﷺ لعِكْرِمة بن أبي جَهْل : «أقاتلتَني وأنت تعلم أني رسول الله» ؟ قال : لا ، وقال لأبي سفيان مثل ذلك فقال : علمتُ أنك صَدوق لا تكذب ، وإنّما قاتلناك لأنّك تعلم حالي في قريش ، وجئت بأمرٍ لا يبقى معه شرَف ، فقاتلناك حَمِيَّةً وكَراهةً لأنْ تُذهب شرَفي .

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحارب قال : أَذِن رسول الله ﷺ يوماً وأبطأ الإذن لأبي سفيان ، فلما دخل قال : يا رسول الله ما كِدتَ تأذن لي حتى تأذن لِحجارة الجَلْهَتَيْنْ ، فقال رسول الله ﷺ : «يا أبا سفيان كُلُّ الصيدِ في جنب الفَراء» ، والفراء حمار الوَحْش .

المدائني قال: أناخ رجل من أهل اليَمَن ناقته بالحَزْوَرة[1] وقال: لا ينحَرها إلاّ أعزّ أهل الوادي ، فقال عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس لأبي سفيان : أنت أعزّ أهل الوادي ، فقال أبو سفيان : من تكن عَمَّه يا أبا الوليد يكن أعزّ أهل الوادي .

المدائني عن عليّ بن مجاهد عن عَنْبَسة بن سعيد عن اسماعيل بن أميّة عن جابر بن عبد الله قال ، قال رسول الله ﷺ لأبي سفيان : «يا أبا سفيان :

١ ـ كانت الحزورة سوق مكة . معجم البلدان .

أَلَم يتمم الله هذا الأمر وأنت كاره» ؟ قال : بلى يا رسول الله ، فداك أبي وأميّ ، فما هاجتك بحمد الله جُمَّاءُ[1] ولا ذات قَرْن .

قالوا : قدم أبو سفيان من الشام ، والنبيّ ﷺ يدعو سِرًّا ، ومع أبي سفيان بضاعة للنبيّ ﷺ ، فلم يسأله عنها ، فتعرّض له أبو سفيان فقال : يا بن عبد الله أَما تريد بضاعتك لا أراك تذكرها ، قال : «يا أبا سفيان إنه لا بدّ من أن يكون فيها رِبْح أو وضيعة ، وأي ذلك كان فأنت مؤدٍّ فيه الأمانة إن شاء الله» .

وقال الهَيْثم بن عديّ : كان أبو سفيان تحت راية ابنه بالشام ، فخفِيت الأصوات وأبو سفيان يقول : يا نَصْر الله آقترب .

حدثني بكر بن الهَيْثم عن عبد الرزّاق عن مَعْمر عن الزهري عن سعيد بن المُسيَّب أنّ النبيّ ﷺ جعل أبا سفيان على السَبْي يوم حُنَيْن .

المدائني قال : لما تُوفّي أبو بكر وولي عمر ولّى يزيد بن أبي سفيان بعد وفاة أبي عُبيدة بن الجراح الشام ، فقدم معاوية من الشام على عمر وقد حجّ عمر ، فدخل عليه معاوية فقال له عمر : متى قدمت؟ قال : الآن ، وبدأتُ بك ، قال : فأْتِ أبَويْك وآبدأْ بهند ، فانصرف معاوية فبدأ بهند فقالت له : يا بُني إنّه والله قلّ ما ولدت حرةٌ مثلك ، وقد استنهضكم هذا الرجل فآعملوا بما يوافقه واجتنبوا ما يكرهه ؛ وقال له أبو سفيان : إنّ هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقوا وتأخّرنا ، فرفعهم سبقُهم وقصَّر بنا تخلُّفنا ، وصاروا قادةً وصرنا أتباعاً ، وقد ولَّوكم جسيماً من أمرهم فلا تخالفوهم ، وإنّك تجري إلى أمدٍ لم تبلغه وستبلغه .

١ ـ الجماء : بلا قرون .

قالوا : ومشي معاوية بمكة مع عمر يوماً ، وعمر راكب ، فقلن نسوة من قريش : ابن حَنْتَمة راكب وابن هند راجل .

قال المدائني عن مسلمة : شخص أبو سفيان إلى معاوية وهو على الشام بعد يزيد أخيه ومعه عُتْبَة وعَنْبَسَة ، فكتبت هند إليه : قد قدم عليك أبوك وأخواك ، فآحمل أباك على فرس وأُعطه أربعة آلاف درهم ، واحملْ عُتْبة على بَغل وأعطِه ألفَيْ درهم واحملْ عنبسة على حمار وأُعطه ألف درهم ، ففعل ، فقال أبو سفيان : أَشهد أن هذا عن رأي هند .

المدائني عن مَسْلَمة قال : قُبض رسول الله ﷺ وأبو سفيان على صدقة نجران فقال : من قام بالأمر ؟ قالوا : أبو بكر ، قال : أبو الفصيل ؟! إنّي لأرى أمراً لا يسكّنه إلّا الدم .

المدائني عن مجاهد عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن أبي أُمامة قال : أعطى رسول الله ﷺ سائلاً فأثنى وشكر فقال رسول الله ﷺ : «لكن أبو سفيان لو أُعطي لم يُثن ولم يشكر» .

حدثني عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم التّيْمي قال : أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب مائةً من الإبل ، وأعطى عيينة بن حصن مائة من الإبل ، وأعطى الأَقرع بن حابس مائة من الإبل ، فقال رجل : أعطى هؤلاء وترك جُعَيّلاً ، فقال : «أُعطي هؤلاء لأتألف قلوبهم وأَكِلُ جعيلاً إلى ما جعل الله عنده» .

وروى هشام بن محمد الكلبي عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم أن أبا سفيان دخل على عثمان وهو مكفوف ، ثم خرج من عنده وهو يقول : تلقّفوها يا بني أميّة تلقف الكرة فما الأمر على ما يقولون .

حدثني أبو صالح الفَرّاء عن الحجاج بن محمد عن ابن جريج عن أبي مُلَيْكة قال : لما ارتدت العرب قال أبو سفيان : يا لغالب ، الدين العتيق .

وروي عن هشام بن حسان عن ابن سيرين قال ، قال أبو سفيان حين قُبض رسول الله ﷺ : تلقفوها الآن تلقف الكرة فما من جنة ولا نار .

قالوا : وحجب عثمان أبا سفيان فقيل له : حجبك أمير المؤمنين ، فقال : لا عَدِمْتُ مِن قومي مَن إذا شاء حَجَبَ .

وقال الواقدي : مات أبو سفيان بن حرب بالمدينة سنة ثلاثين قبل قتل عثمان بخمس سنين وهو ابن ثلاث وتسعين ، وُلد قبل الفيل بعشر سنين ، وكان حكيم بن حِزام أسنّ منه بثلاث سنين .

وقال غير الواقدي : مات سنة إحدى وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، ويقال : انه مات سنة ثلاث وثلاثين .



وأما معاوية بن أبي سفيان

ويكنى أبا عبد الرحمن فأسلم في الفتح ، وقال : لقد دخل الإسلامُ قلبي ، ولكن أبويَّ كانا يقولان لئن أسلمت لنمنعنَّك القوت . وولّاه عمر الشام بعد أخيه يزيد ، وولّاه عثمان الشام في خلافته فلما قتل أظهر الطلب بدمه ، وقد كتبنا خبر محاربته عليّاً حين طلب قتَلَة عثمان وصُلْحَه الحسن .

وحدثني المدائني عن سُحَيْم بن حفص قال : أتى رجل من الأنصار معاوية فقال له : إنّ لي سنّاً وسابقة وقرابة ، فقال : أما السن فبينة الأثر عليك ، وأما سابقتك فقد عرفناها ، فما القرابة ؟ قال : ولدتني وولدتك فلانة ، فقال : صدقت ، وأنشد :

قَبَحَ الإلهُ عداوةً لا تُتَّقى وقَرَابةً يُدْلَى بها لا تَنْفَعُ

ووصله .

المدائني عن ابن جُعدُبة قال : قدم معاوية المدينة حاجاً فأتاه سَعْية بن غريض فقال له : أسألك بالحق الذي كان بين أبي سفيان وبين أبي إلّا نزلت عندي ، فأتاه ، فلما حضر الغداء جاء الطبيب فجعل يقول : كُلْ ذا ودَعْ ذا

حتى أُتي بحَيْس ، فقال ابن غريض : هذا أَقِط جُهينة وسمن مُزَينة وتمر ناعِمة ، فقال : طيبات جمعن من شتّى ، وأكل .

قالوا : واستعمل معاوية النعمان بن بشير على الكوفة فكتب اليه معاوية يأمره أن يلحقَ لأهل الكوفة في أعطياتهم زيادة عشرة دنانير عشرة دنانير فكان ينفذ بعضاً ويردّ بعضاً ويقول : أنا قُفْلٌ مفتاحه بالشام ، وكان يكثر تلاوة القرآن على المنبر ويقول : إن فقد تموني لم تجدوا أحداً يحدثكم عن رسول الله ﷺ . ثم جاؤوا بكتب من معاوية فعَمَّهم بالزيادة ، فقال ابن هَمَّام السلولي :

أَفاطِمَ قد طال التَدَلُّلُ والمَطْلُ ... أجِدَّكِ لا صُرْمٌ جَلِيٌّ ولا وَصْلُ
زِيـادتَنَـا نُعمَـانُ لا تَحْبِسَنَّـهـا ... تَقِ الله فينا والكتابَ الذي تَتْلو
فإنَّكَ قد حُمِّلْتَ فينا أَمانَةً ... وقد عَجَزَتْ عنها الصلادِمَةُ البُزْلُ
فلا تكُ باب الشَرِّ تُحْسِنُ فَتْحَهُ ... علينا وبابُ الخَيرِ أَنْت له قُفْلُ
وقد نِلْتَ سُلْطاناً عظيماً فلا تَكُنْ ... لِغَيْرِكَ جَمّاتُ النَدَى ولكَ البُخْلُ
وأَنت امْرُؤٌ حُلْوُ اللِسانِ بَليغُهُ ... فما بالُهُ عند الزيادةِ لا يحلو
وقَبْلَكَ ما كانَتْ علينا أَئمَّةٌ ... يهمُّهُمُ تَقْويمُنا وهُمُ عُصْلُ
يَذُمّونَ دُنْيانا وهُمْ يَرْضَعونها ... أَفاويقَ حتَّى ما لنا مِنْهُمُ سَجْلُ
إذا نطقوا بالقَوْلِ قالوا فأَحسنوا ... ولكِنَّ حُسْنَ القَوْلِ خالَفَهُ الفِعْلُ
أَيُنْفَذُ ما زيدوا وَتُمْحَى زِيادتي ... فما إنْ دَمي [إنْ] ساغ هذا لَكُمْ بَسْلُ
أَبى لي كتابُ الله والدينُ والتُقَى ... وبالشام إنْ حَكَّمْتَهُ الحَكَمُ العَدْلُ

أُريـدُ أمـيرَ المُؤمنـينَ فـإنَّـهُ   على كلِّ أنحاءِ الرجالِ له الفَضْلُ
مُهاجِرَةُ الأقوامِ يَرْجونَ فَضْلَهُ   وهُلّاكُ أعْرابٍ أضَرَّ بها المَحْلُ[1]

المدائني قال : كتب معاوية إلى زياد : إنّ حولك مضر وربيعة واليمن ، فأمّا مضر فوَلِّهِم الأعمال واحمل بعضَهم على رقاب بعض ، وأمّا ربيعة فأكْرِمْ أشرافهم فإنَّ أتباعهم منقادون لهم ، وأما اليمن فأكْرِمْهم في العلانية وتَجافَ عنهم في السرّ .

وقال هشام بن عمار : سأل بعض قريش معاوية شيئاً فأعطاه إيّاه ، ثم سأله شيئاً آخر فأعطاه ، ثم سأله ثالثاً فمنعه ، فلم يزل ملحاً عليه حتى أعطاه ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين إنَّ الضَجور تُحْلَبُ العُلْبَةَ ، فقال معاوية : نعم وربما زبنت[2] الحالب وكسرتْ أنفه .

المدائني عن أبي عاصم الزيادي قال : ذكر النساء عند معاوية فقال من أراد النجابة فعلية بالمشرق ، ومن أراد الخدمة فعلية بالمغرب . ومن أراد اللذاذة فعلية بالبربر ، قيل فالمولَّدات ؟ قال : إذا شبعت إحداهنّ فليس همّتها الا التشرُّف .

المدائني عن عبد الملك بن مسلم قال : قدم مالك بن هُبيرة بن خالد بن مسلم بن الحارث بن المِخْصَف السكوني على معاوية فقال له : كيف رأيت قومي بالحجاز ؟ قال : رأيت ابن عمر فرأيته رجل نفسِه ، ورأيت الحسن بن عليّ فرأيته ظاهر الجهال طاهر القلب ، ورأيت عبد الله بن

---

١ ـ في رواية ثانية «المحل» [من حاشية الأصل] .
٢ ـ زبن : دفع . القاموس .

مطيع العَدَوي فرأيت سفيهاً يريد أن يُعَدَّ فقيهاً ورأيت ابن الزبير فرأيت رجلاً تكفيه واحدة[1] فيُصَيِّرها عشراً وهو يحاول أمراً ليس من أهله ، قال معاوية : فمن سيد قومك ؟ قال : من سوَّدْتَه يا أمير المؤمنين ، قال : فأنت سيّدهم ، قال : فقرِّب مجلسي وآقض حاجتي وآلقني ببِشْر حسن .

وقال هشام بن عمار : قال معاوية لعمرو بن العاص رضي الله عنهما : من أَبلغ الناس ؟ قال ؛ أَتركُهم للفضول ، قال : فمن أصبر الناس ؟ قال : أَردُّهم لهواه برأيه ، قال : فمن أسخاهم ؟ قال : من بذل دنياه لدينه ، قال : فمن أشجع الناس ؟ قال : من ردّ جهله بحِلْمه ، قال : فمن أعلم الناس ؟ قال : من آثر دينه ، قال : صدقت .

المدائني قال ، قال الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب لمعاوية : أنا أكرم أم أنت ؟ قال معاوية : أنا قال : فأنا أكرم مَن يبقى بعدك ، فقال معاوية :

أَتَرْجو أَنْ أَموتَ وأَنت حَيٌّ ولستُ بمَيِّتٍ حَتَّى تَمـوتـا

المدائني وابن الكلبي قالا: قال معاوية لابن الكوّاء اليشكُري : نشدتك الله كيف تَعلَمني ؟ فقال : أما إذ نشدتني الله فإني أعلمك واسع الدنيا ضيّق الآخرة ، قريب الرِّشا بعيد المدى ، تجعل الظلمة نوراً والنور ظلمة .

حدثنا هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم قال ، قال : معاوية : أُعنت على علي بكتماني سرّي ونشره أَسراره ، وبطاعة أهل الشام لي ومعصية أصحابه له ، وبذلي مالي وإمساكه إيّاه .

---

١ ـ أي كلمة واحدة (من هامش الأصل) .

المدائني عن مسلمة قال : قال عبد الرحمن بن حسان وقد قدم على معاوية وقد طال مُقامه ببابه :

طال لَيْلي وبِتُّ جِدَّ حَزينٍ ومَلِلْتُ الثَّواءَ في جَيْرونِ[1]

ولذاك اغْتَرَبْتُ بالشامِ حتَّى ظَنَّ أهلي مُرَجَّماتِ الظنون

المدائني عن أبي عبد الرحمن بن المبارك قال : شَبَّب عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاري بأخت معاوية ، فغضب يزيد فقال لمعاوية : يا أمير المؤمنين اقتل عبد الرحمن بن حسّان ، قال : ولم يا بني ؟ قال : لأنّه شبّب بعمتي ، قال : وما قال ؟ قال : قال :

طالَ لَيْلي وبِتُّ كالمَحْزونِ ومَلِلْتُ الثَّواءَ في جَيْرونِ

قال : وما علينا يا بني من طول ليله وحزنه أبعده الله ، قال : إنّه يقول :

ولِذاكَ اغْتَرَبْتُ بِالشامِ حتَّى ظَنَّ أَهْلي مُرَجَّماتِ الظُنونِ

قال : وما علينا من ظنّ أهله ؟ قال : إنّه يقول :

هِيَ زَهْراءُ مِثْلُ لُؤلُؤةِ الغَوّاصِ ميزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنونِ

قال : صدق يا بني إنّها لَمِن جوهر مكنون ، قال : وإنّه يقول :

وإذا ما نَسَبْتَها لَمْ تَجِدْها في سَناءٍ مِنَ المَكارِمِ دونِ

قال : صدق وهي بحمد الله كذاك ، قال : إنّه يقول :

ثُمّ خاصَرْتُها إلى القُبَّةِ الخَضْـ ـراءِ[2] تَمْشي في مَرْمَرٍ مَسْنونِ

١ ـ يقع باب جيرون على مقربة من باب النوفرة الذي هو الباب الرئيسي لجامع بني أمية في جهة الشرق .

٢ ـ قصر الخضراء : دار الخلافة بدمشق إلى الجنوب من مسجد بني أمية .

قال : ولا كلّ هذا ، ثم ضحك وقال : ما قال أيضاً ؟ قال : قال :

قُبَّةٍ مِنْ مَراجِلٍ ضَرَبوها عِنْدَ حَدِّ الشِتاءِ في قَيْطونِ[1]

عَنْ يَساري إذا دَخَلْتُ مِنَ البا بِ وإنْ كُنْتُ خارِجاً عَنْ يَميني

تُجْعَلُ النَدّ والألُوَّة والعُو دَ صِلاءً لها على الكانونِ

وقِبابٍ قد أُشْرِجَتْ وبُيوتٍ نَطَّفوها بِالآسِ والزَرْجونِ

قال : يا بُنيّ لا يجبُ القتل في هذا ، والعقوبةُ دون القتل تُغْريه فيزيد في قوله ، ولكنّا نكفّه بالتجاوز والصلة ، فوصله وصرفه .

المدائني وغيره قالوا ، قال معاوية : ثلاث من السُؤْدَد : الصَلَعُ واندحاق البطن وتَرْك الإفراط في الغَيْرة .

حدثني التَوَّزي النحوي عن الأصْمَعي قال : خرج معاوية إلى مال له بمكة ، ومعه عبد الله بن صفوان بن أميّة الجمحي ، وكان معاوية قد غرس في ذلك المال غروساً وزرع ، فقال له : يا بن صفوان كيف ترى ؟ قال : أرى أنَّ الله يقول ﴿بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾[2] وقد زرعتَ فيه كأنّك تريد الخلاف فقال معاوية : متى قرأتَ هذه الآية يا بن صفوان ؟ قال : أمّا أنا فقد أحرقتُ قلبكَ بها فلا عليك أنْ تعلمَ متى قرأتُها .

حدثني العُمَري عن الهيثم بن عَديّ عن شيخ من حِمْير قال ، قال عمرو بن العاص لمعاوية : والله ما تقاتل عليًّا ولا يقاتلك ليدخل الجنة

---

١ - في معجم البلدان قيطون : بلدة بإفريقية بينها وبين قفصة ثلاث مراحل . ولا وجه له هنا إلا إذا كان اسما دمشقياً اندثر .

٢ - سورة ابراهيم - الآية : ٣٧ .

أَغْلَبُكما لصاحبه ، وما تَقَاتلانِ إلاّ على الدنيا ، فأَطْعِمْنا ممّا تأكل لِنناضلَ عنكَ نِضالَ مَن يريدُ الأكل .

المدائني قال : قدم عبد الله بن جعفر على معاوية فأنزله معه في قصره ، فدخل عليه معاوية يوما وبُدَيْح يُسْمعه :

إنَّك ما أَعْلَمْكَ ذو مَلَّـةٍ يُذْهِلُكَ الأَدْنَى عَنِ الأبْعَـدِ

وعبد الله يتخلّج ، فقال : ما هذا ؟ قال : أَرْيحيّةٌ تعتريني عند الطَرَب .

المدائني قال : قال معاوية للأحنف : أتراني نسيتُ قولك حسن بأبي حَسَن، ورضاك بأنْ تُذْبَحَ قريشٌ بالبصرة كما تُذْبَح الحِيران[1]؟! ولكنّي أستصلحك وقومَك ، فقد كفيتُك ما قِبَلي فاكفني ما قِبَلك ، فكان الأحنف يقول : لقد كلّمني معاوية بكلام ما بعده نَغَلٌ ولا دَغَلٌ .

قال ، وقال الأحنف لمعاوية : والله ما أتيناك يا أمير المؤمنين لتهدينا من ضلالة ، ولا لتغنينا من عَيْلة ، ولا لتمنعنا من ذلّة ، ولكن للسمّع وللطاعة .

حدثني العُمَري عن الهيثم بن عَديّ عن مجالد عن الشَعْبي أنّ معاوية قال : آستعينوا على الحوائج بالكتمان فإنّ كلَّ ذي نِعْمَةٍ محسود .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يزيد بن عِياض قال : قال معاوية : الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذتُ فلي ، وما تركتُه للناس فبالفضل منّي فقال صَعْصَعَة بن صوحان : ما أنت وأقصى الأُمّة في ذلك إلاّ سواءٌ ، ولكن مَن مَلَكَ استأثر ، فغضب معاوية وقال : لهممتُ ، قال صَعْصَعَة : ما كلّ مَن هَمّ فَعَلَ ، قال : ومَن يحول بيني وبين ذلك ، قال :

١ ـ الحيران : الذي لم يهتد إلى سبيله ، وسيرد هذا الخبر في ج ١٢ «الخيذان» .

الذي ﴿يحول بين المرء وقلبه﴾[1] ، وخرج وهو يقول بيت الشمّاخ :

أريـدوني إرادَتَكُـم فـإنّـي وحَذْفَـةَ كالشَّـجا تحـتَ الوريـدِ[2]

المدائني عن مَسْلَمَة وغيره قالوا : أغلظ رجل لمعاوية وأسرف فحلُم عنه فقيل : أتحلمُ عن هذا ؟! فقال : إنّي لا أحولُ بين الناس وألْسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين مُلْكنا .

المدائني عن علي بن مالك قال : لا أضع لساني حيث يكفيني مالي ، ولا أضع سَوْطي حيث يكفيني لساني ، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، فإذا لم أجدْ من السيف بُدّاً ركبتُه .

المدائني قال : قال معاوية لعبد الرحمن بن الحارث بن أميّة الأصغر ، وقد كُفّ بَصَره : كيف أصبحتَ ؟ قال : أصبحتُ وقد ذهب خيري وبقي شرّي ، قال : هذا من مُقَدّمات أفاعِيكَ ، ووصله .

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه قال ، قال معاوية لدَغْفَل النَّسّابة : ابْغِني رجلاً عالماً يكون معك أفرُّ مِنه إليك ومنك إليه ، ولْيكن كتُوماً فإنَّ الرجل إذا أنسَ بالرجل ووثق به ألْقى إليه عُجَرَه وبُجَرَه .

المدائني عن سعيد بن أبي سعيد قال : اغلظ أبو الجَهْم بن حُذَيْفة العَدَوي لمعاوية وقال : أراحنا الله منك يا معاوية ، فقال : وَيْحك إلى مَنْ : إلى بني زُهْرة فما عندهم نصر ولا فضل ، أم الى بني مخزوم فوالله لو نالوا من

---

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٢٤ .

٢ ـ ليس في ديوان الشماخ المطبوع ، وحذفة اسم فرس خالد بن جعفر الكلابي انظر البيت بشيء من الخلاف في نسب الخيل لابن الكلبي ـ ط بيروت ١٩٨٧ ص ٤٥ ـ ٤٦ .

الأمر شيئاً ما كلّموكم كِبْراً ، أم الى بني هاشم فوالله لو نالوها لاستأثروا عليكم ، وإنّا على ما فينا لنُعْطي السائل ونجود بالنائل ، ولا تزال العرب غُلْبَ الرقابِ ما رأوا أشياخنا على المنابر .

حدثني رجل من ولد عمر بن الخطّاب عن أبيه قال ، قال أبو الجَهْم : أمرَ لي معاوية بمائة ألف درهم فذممْتُه وقلت : أراحنا الله منك ، فلمّا ولي يزيد أعطاني خمسين ألف درهم ، ثم أتيتُ ابن الزبير فأعطاني ألفاً فقلت : أبقاك الله فإنّا لا نزال بخير ما بقيتَ ، فقيل لي : أتدعو لابن الزبير بالبقاء ولم تدعُ به لمعاوية ولا يزيد ؟ فقلت : أخشى والله أن لا يأتي بعده إلّا خنزير .

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحارب قال : حجّ معاوية فلمّا كان بالأبواء خرج يستقري مياه كنانة حتى صار الى عجوز عَشَمَة[1] فقال لها : مِمَّن أنت ؟ قالت : من الذي يقول لهم الشاعر :

هُمْ مَنَعوا جَيْشَ الأحابيشِ عَنْوَةً وَهُمْ نَهْنَهوا عَنّا غُواةَ بَني بَكْرِ

فقال معاوية : كوني دُيليَّةً ، قالت : فإنّي دُيلية ، قال : أَعندك قرىً ؟ قالت : عندي خبز خمير وحَيْس فطير ولبن ثمير وماءٌ نمير ، فأناخ ، وجعل يأخذ الفِلْذة من الخبز بمثلها من الحيس فيغمسه في اللبن ثم قال : حاجتك ، قالت : حوائج الحيّ ، فأمر فنودي فيهم ، فأتاه أعراب فرفعوا حوائجهم فقضاها لهم ، وامتنعت العجوز أنْ تأخذ شيئاً لنفسها وقالت : أآخذ لِقرايَ ثمناً ؟

---

١ ـ العشمة : اليابس هزالا . القاموس .

المدائني عن مسلمة قال : مات عمرو بن العاص بمصر ، فقال معاوية حين أتاه خبر موته لامرأته ابنة قَرَظَة : قد مات رجل كان الأمرُ بمصر أُمْرَهُ ، هلك عمرو وأتتْكِ قَبَاطيٌّ مصر .

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي سُكَين قال : قال معاوية لعبد الرحمن بن الحَكَم بن أبي العاص : إنّك قد لهجت بالشِعر فإيّاك والتشبيب بالنساء فتعرّ الشريفة ، وإيّاك والهجاء فإنّك تهجّن به كريماً أو تستثير لئيماً ، وإيّاك والمدح فإنّه طُعْمة الدنيء الوقاح ، ولكن افخرْ بمفاخر قومك وقُلْ من الأمثال السائرة ما تزين به نفسك وتدلّ على صحة عقلك وتؤدّب به غيرك .

المدائني عن حمّاد قال : نظر معاوية الى النخّار[1] في عَباءَة فَآزدَراه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن العباءَة لا تكلّمك إنّما يكلّمك من فيها .

المدائني عن شُعْبة عن قَتادة قال ، قال معاوية : أي الناس أفصح ؟ فقال له رجل ممّن حضره : قومك من قريش ، ارتفعوا عن لُكْنة أهل العِراق وكَسْكَسَة بكر وكَشْكَشَة أسد ، قال : فمّن أنت ؟ قال : من جَرْم .

حدثني المدائني عن عبدالله بن فائد وسُحيم بن حفص قالا : كتب معاوية إلى المُغيرة بن شُعْبة : أَظْهِرْ شَتْمَ عليّ وتنقّصه ، فكتب إليه : ما أُحبُّ لكَ يا أمير المؤمنين أنْ كُلّما عتبتَ تنقّصتَ ، وكلّما غضبتَ ضربتَ ، ليس بينك وبين ذلك حاجز من حِلْمك ولا تجاوُز بعَفْوك .

عبدالله بن صالح عن عبدالله بن المبارك عن هشام بن عروة قال : كتبتْ عائشة إلى معاوية : آتق الله فإنّك إذا اتّقيتَه كفاك الناس ، وإذا اتّقيتَ الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاً .

---

١ ـ النخار العذري النسابة .

المدائني عن أبي سليمان العَنْبَري قال : قال معاوية لأبي هوذة بن شَمّاس الباهلي : لقد هممتُ أنْ أحملَ جمعاً من باهلة في سفينة ثم أغرقهم ، قال : إذاً لا نرضى بعدّتهم من بني أميّة ، فقال : آسكتْ أيّها الغراب الأبقع[١] ، قال : إنّ الغرابَ ربّما درج إلى الرَخَمَة حتى ينقر دِماغها ويقتلع عينْيها ، فقال يزيد : آقتله يا أمير المؤمنين ، قال : مَهْ ؛ ثم إنّ معاوية وجّهه بعد في سريّة فقُتل ، فقال معاوية ليزيد : يا بُنَيّ هذا أُخْفَى .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه قال : دخل سعد بن أبي وقّاص على معاوية فقال : السلام عليك أيّها الملك ، فضحك معاوية وقال : ما كان عليك يا أبا اسحاق رحمك الله لو قلتَ أمير المؤمنين ، فقال : أتقولها جَذلانَ ضاحكاً ؟! والله ما أحبُّ أنّي وليتُها بما وليتَها به .

المدائني عن سُحَيم قال : قال معاوية : لو وُزنتُ بالدنيا لرجحتُ بها ، ولكنّي وُزنت بالآخرة فرجحتْ بي .

المدائني قال : قال معاوية : مَن كَتَمَ سرَّه كان الخِيارُ له ، ومن أفشاه كان الخيارُ عليه .

حدثني منصور بن أبي مُزاحم عن شُعيب بن صفوان قال : قدم ابن أبي عتيق[٢] على معاوية فتعذّر عليه الوصول إليه ، فقال عبدالله بن جعفر : يا أمير المؤمنين أمثل ابن أبي عتيق في سِنّه وموضعه لم تصله في بلده حتى جاءت به الحاجة إليك ؟!

---

١ ـ قال له هذا لأنه كان به برص .

٢ ـ عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وكان الصديق يسمى عتيقاً لجماله .

فقال : عَزّ والله عليّ ، لو علمتُ بمكانه لكنتُ إلى صلته أسرع من الماء إلى قَراره ، ثم أعطاه مالاً وقضى حوائجه .

وقال هشام بن عمّار : قال معاوية لعمرو بن العاص : مَن للعراق ؟ قال : رجل رفيق لا يهمطهم[1] في الجباية ولا يعنف عليهم في الرعاية ، يحلب فيهم حَلْب الشاة العَزوز ، يعني الضيّقة الإحليل .

المدائني قال ، قال معاوية : إنّي لأرفعَ نفسي عن أنْ يكون ذنب أعظم مِن عَفوي ، وجهل أكبر من حِلمي ، وعَوْرة لا أواريها بستري ، وإساءة أكبر من إحساني .

وحدّثني هشام بن عمّار عن أبيه قال ، قال معاوية : أنا أعرف أغْلى شيءٍ في السوق وأرخصه ، أعلم أنّ الجيّد رخيص والرديء غالٍ .

قالوا : وقدم زياد على معاوية فقال مُضْحِك لمعاوية : ألا أُمازح زياداً ؟ قال : شأنك ، فقال : يا أبا المغيرة أيسُرُّكَ أنّكَ من الحُور العِين ، فقال ; مَهْ ، كلُّ ما دُخلتْ به الجنّة فحسنٌ ، ويقال : إنّ زياداً آفتدى جوابه بعشرة آلاف درهم .

عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة قال : قال معاوية لزُرْعة بن ضَمْرة الهِلالي : ما أنزلك بين هذين الجُفَّين ؟ قال : إنّ لنا ولهم مَثَلاً يا أمير المؤمنين ، نحن كالأير ، أير شديد صادَف اسْكَتَيْن خَوّارتَين ، فقال معاوية : لا يلبثان حتى يَمَصّا ماءه ويُليِنا منه ما اشتدّ واسبطرّ[2] .

---

١ ـ همط : ظلم . القاموس .

٢ ـ اسبطر : اضطجع وامتد . القاموس .

وقال معاوية للأحنف : يا أبا بَحْر ما المرّوة ؟ قال : الفِقه في الدين والعَفاف وبِرّ الوالدَيْنْ ، فقال معاوية : هو ذاك .

حدثني هشام بن عمّار عن الوليد قال : بلغني أنّ معاوية قال : العِيال أرضة المال ، يذهب المال ويبقى العيال ، وما في الأرض تبذير إلّا إلى جانبه حقٌّ مضاع .

وقال هشام:حدثني شيخ لنا قال ، قال معاوية ليزيد : يا بُنيّ اتخذ المعروف عند ذوي الأحساب لتستميل به مودّتهم وتعظم به في أعينهم وتكفّ به عنك عاديتهم ، وإيّاك والمنع فإنّه مفسدة للمروّة وإزراء بالشريف .

المدائني قال : دخل أبو الأَسْوَد الدُولي على معاوية فإنّه ليحدّثه إذ حَبَقَ ، فقال : يا أمير المؤمنين أنا عائذ بالله وبسِتْرك ، ثم خرج ودخل عمرو بن العاص فحدّثه ، وبلغ ذلك أبا الأسود فأتاه فقال : يا معاوية إنّ الذي كان منّي قد كان مثله منك ومن أبيك ، وإنّ مَن لم يُؤْتَمَن على ضَرْطة لجَديرٌ ألّا يُؤْتَمَن على أمر الأمّة .

المدائني قال : سمع معاوية غِناء سائب خاثر عند يزيد بن معاوية فلمّا أصبح قال : مَن كان جليسك في ليلتك يا بُنيّ ؟ قال : سائب خاثر ، قال : فأَخْثِرْ له فما رأيتُ بنشيده بأساً .

قالوا : وأدخل عبدالله بن جعفر سائباً أو بُدَيحاً على معاوية ، فأخذ بحَلْقة باب البيت وجعل يوقّع بها ويغنّي معاوية ، ومعاوية يحّرك رِجله ، فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إنّ الكريم طَروب .

وحدّثني الزُبير بن بكّار عن عمّه مُصعب بن عبدالله قال : كان معاوية يفضّل مُزَيْنة في الشعر ، ويقول : كان أشعر أهل الجاهليّة زهير وابنه بعده ، وأشعر أهل الإسلام مَعْن بن أَوْس المُزَني .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن ابن كُناسة قال : دخلت لَيْلَى الأخيليّة على معاوية فوصلها وأمر فأُدخلت على نسائه فوهبن لها ثم قال : أخبريني عن مُضَر ، فقالت : قريش سادُتها وقادتها وتميم كاهلها وقيس فرسانها وخطاطيفها .

المدائني عن مَسْلَمَة قال : وفد زياد على معاوية فحدا به الحادي :

قد عَلِمَتْهُ الضُمَّرُ الجِيادُ إنّ الأميرَ بَعْدَهُ زِيادُ

فبلغ ذلك معاويةَ فغضب ولم يذكر لزياد شيئاً منه ، فقال يوماً لحُضَيْن بن المُنْذر الرقاشي بحضرة زياد : يا أبا ساسان إنّ لك رأياً وعقلاً ، فما فرّق أمر هذه الأمّة حتى سُفكت دماؤها واختلف مَلَأُها وسفِهتْ أحلامها ؟ فقال : قتلُ أمير المؤمنين عثمان ، فقال : صدقت ، والخلافةُ لا تصلحُ لمنافقٍ ولا ذي دُعابة - يعرّض بعليّ وأنَّ زياداً كان من أعوانه - ففطن زياد فقال : راجزٌ رجز بشيءٍ لم يكن عن أمري ولقد زجرتُه ونهرتُه ، فقبل ذلك معاوية .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزِناد عن أبيه قال : لما صار معاوية بالأَبْواء في حِجّته اطّلع في بئر فأصابته اللقْوة ، فقال : إنّ المؤمن لبعَرض خير ، إمّا ابتُلي فأُجرَ ، إمّا عوفيَ فشكر ، وإمّا عوقبَ بذنب فمُحّص ، ولئن ابتُليتُ لقد ابتُلي الصالحون ، ولئن مرض عضوٌ منّي فما أُحْصي صحيحي ، ولمّا عوفيتُ أكثر ، وإنّي اليوم ابن بضع وسبعين سنة ،

ومالي على ربيّ أكثر مما أعطاني ، فرحم الله عبداً دعا لي بالعافية ، فقال له مروان : جزعتَ يا أمير المؤمنين ، قال : يا مروان إنّي قد رَقَقْتُ وذكرت ما كنت عنه عَزوفاً ، وقد ابتليتُ في أحسني ، وخفت أنْ يكون عُقوبةً من ربّي ، ولولا هوايَ في يزيد لأبصرتُ رُشْدي .

المدائني عن محمد بن الحَكَم عن أبيه أنّ معاوية أوصى بنصفِ ماله أنْ يُرَدّ إلى بيتِ المال ، كأنّه أراد أنْ يطيبَ له الباقي لأنّ عمر قاسم عمّاله .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة قال : قيل لعبدالله بن العبّاس إنّ الوليد بن عُقْبة يقول : ما رأيتُ أحداً أحقّ بما هو فيه من معاوية ، فقال : إذا لم يقل الوليد هذا فمنَ يقوله .

المدائني قال ، قال معاوية للنَخّار العُذْري : أيّ العرب أكرمُ بعد قريش ؟ فقال : بيت زُرارة بن عُدْس ، قال : فأيّهم أشجع ؟ قال عَبسيٌّ طالبك بذَحْلٍ أو طالبتَه ، قال : فأيّهم أفصح ؟ قال أُسديٌّ وصف سَحاباً وغَيْثاً ، قال : فأيّهم أفرس ؟ قال : رجل من بني عامر يلعب على فرسه لَعب الصبيّ على زحاليف الرَمْل ، قال : فأيّهم أدهى ؟ قال : أُرَيْمِص[1] من ثقيف مارستَه في أمر ومارسك .

المدائني عن أبي عاصم الزيادي قال : قال معاوية لمروان : مَن ترى للعراق ؟ قال : من لا يُفَحّج الحَلوب قبل الدِرَّة ، ولا يُدْني العُلْبة حتى يمسَح الضَرّة .

---

١ ـ يقال رمصت العين وهو البياض الذي تقطعه العين ويجتمع في زوايا الأجفان . النهاية . لابن الأثير .

المدائني عن سفيان بن عُيَيْنة قال : كتب معاوية إلى عائشة رضي الله عنها أن عِظيني ولا تُطيلي ، فكتبتْ إليه : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «مَن التمس رضا الناس بسُخط الله وكله الله إليهم حتى يعود حامدُه ذامّاً . ومَن التمس رضا الله بسُخْط الناس كفاه الله إيّاهم» .

حدثني هشام بن عمّار قال : لما حجَّ معاوية مرَّ بالمدينة فأتى سقيفةَ بني ساعدة فقال : مارِسْ بعَوْد أو دَعْ[1] إنْ كانَ أبو بكر هاهنا لَعَلَى أعظمِ الخَطَر .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم الفِهري قال : قال معاوية لعمرو : أيّنا أدهى ؟ قال : أمّا في البديهية فأنا ، وأمّا في الأناة فأنت ، قال معاوية : أصْغِ إليَّ أسارّك بشيءٍ ، فأدنى عمرو رأسه وكانا خِلْوَيْن يَتسايّران ، فقال معاوية : غلبتُكَ أيّها الداهية هل هاهنا أحد أسارّك دونه .

حدثني هشام بن عمّار عن أبيه عن أشياخهم قالوا : قال معاوية على منبر دمشق : ما أحدٌ ترك تقوى الله إلاّ عاد حامدُه ذامّاً .

وكتب معاوية إلى زياد يشكو قَرابته ، فكتب إليه : عليك بالموالي فإنّهم أنصر وأغفر وأشكر .

المدائني عن سُحيم بن حَفْص قال : قال معاوية : لو أنّ النجوم تساقطت لسقط قمرها في حجور بني يَرْبوع .

وقالوا : قدم الأحنف والمنذر بن الجارود الشام ، فرشا المنذر حاجبَ معاوية بأربعة آلاف درهم على أن يُدخله قبل الأحنف ، فدخل المنذر قبل

---

١ ـ هو في مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٣٢٠ ـ المثل ١٧٢٧ ـ «زاحم بعود أو دع» أي لا تستعن إلا بأهل السن والتجربة في الأمور ، وأراد زاحم بكذا أو دع المزاحمة .

الأحنف ، فقال معاوية للحاجب : كيف قدّمت منذراً على الأحنف ؟! فحدّثه الحديث ، فضحك معاوية وقال : لا تَعُدْ .

المدائني عن سُحيم قال : قال معاوية : مَن أكرم الناس أباً وأمّاً وجدّاً وجدّة وعمّاً وخالاً وخالة ؟ فقال صَعْصَعة بن صُوحان ، ويقال عبد الله بن عَجْلان : هذا الجالس بين يديك ، يعني الحسن بن عليّ ، جدّه رسول الله ، وجدّته خَديجة بنت خُويلد الطاهرة ، وأبوه عليّ بن أبي طالب ، وأمّه فاطمة بنت رسول الله ، وعمّه جعفر بن أبي طالب ، وعمّته أمّ هانىء بنت أبي طالب ، وخاله القاسم ابن رسول الله ، وخالته زَيْنب بنت رسول الله .

المدائني عن فُلَيح بن سليمان قال : وفد عمرو بن العاص على معاوية ومعه قوم من أهل حِمْص فأمرهم إذا دخلوا أن يقفوا ولا يسلموا بالخِلافة ، فلما دخلوا قالوا : السلام عليك يا رسول الله ، وتتابعوا على ذلك ، فضحك معاوية وقال : اغربوا وزجرهم ، فلمّا خرجوا قال لهم عمرو : نهيتُكم عن أن تسلّموا بالخلافة فسلّمتم بالنبّوة ؟! عليكم لعنة الله .

المدائني عن جُوَيرية بن أسماء أنّ بُسْر بن أبي أرطاة نال من عليّ عند معاوية ، وزيد بن عمر بن الخطّاب حاضر ، فعَلاهُ بعصاً فشجّه ، فقال معاوية : عمدتَ إلى شيخ قريش وسيّد أهل الشام فضربتَه ، ثم أقبل على بُسْر فقال : شتمتَ عليّاً وهو جدّه ، وهو أيضاً ابن الفاروق أفكنتَ ترى أنه يصبر لك ؟ قال : وأمّ زيد بن عمر أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب ؛ ثم إن معاوية أرضاهما جميعاً وأصلح بينهما .

المدائني عن سعيد بن المبارك وعَوانة قالا : قال معاوية : [معروف] زماننا مُنْكَرُ زمانٍ قد مضى ، [ومنكره] معروف زمان قد بقي .

المدائني قال : لما قدم أبو موسى للحكومة دسّ معاوية رجلاً إلى عمرو ليعرف رأيه وعَزْمه ، فأتاه الرجل فكلّمه بما أراد مّما أمره معاوية ، فعضّ عمرو على إبْهامه ولم يُجبه ، فأتى الرجل معاوية فأخبره فقال : قاتله الله أعْلَمَك أنّك تَفُرّ قارحاً[1] .

المدائني عن عَوانة قال : قال معاوية : أشدّ العرب طعاناً عن نسائهم بنو ضَبّة ، وأشدّ العرب بأساً بنو الحارث بن كَعْب ، كانوا يَغْزون ولا يُغْزون .

المدائني عن عَوانة قال : قدم صَعْصَعة بن صُوحان على معاوية فقال : قدمتَ خير مَقْدَم قدمت أرض المَحْشَر، فقال صعصعة: إنّ خير المَقْدم لِـمَن قدم على الله آمِناً يوم القيامة ، وأمّا أرضُ المحشرِ فليس ينفع الكافرَ قُرْبُ المحشر ولا يضرُّ المؤمن بُعْدُه .

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : قال معاوية لصَعْصَعة : يا أهل العراق قلّدتم أمركم غلاماً من النَخع ، يعني إبراهيم بن الأشتر ، فقال : لو كان معك لقلّدتَه أمرك ، إنّه شُجاع نجيح نصيح يعلم ما يأتي ويذر ، وما رأينا بعد أبيه مثله .

المدائني عن سُحَيم بن حَفْص قال : أتى معاويةَ رجلٌ فسأله بالرَّحِم ، فقال معاوية : ذكرتَني رحماً بعيدة ، فقال : يا أمير المؤمنين إنّ الرَحِم شُنة إنْ بللتَها ابتلّتْ وإنْ تركتَها تقصّفتْ ، قال له : سَلْ ، قال : مائة ناقة مُتبع ومائة شاة رُبّى[2] ، فأمر له بذلك .

---

١ ـ القارح من ذي الحافر بمنزلة البازل من الابل . القاموس .
٢ ـ شاه ربى : شاه يتبعها وليدها .

حدثني هشام بن عمّار عن الوليد بن مسلم قال : بلغني أنّ معاوية صارع رجلاً على عهد رسول الله ﷺ فصرعه ، فقال : «وأوَما علمتم أنّ معاوية رجلٌ لا يصارعُ أحداً إلّا صرعه» .

وقال الواقدي : كان معاوية يُغري بين سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة وبين مروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أميّة ، فكتب إلى سعيد وهو على المدينة يأمره بهدم دار مروان فلم يفعل ، فأعاد عليه فلم يفعل ، فلما ولي مروان المدينة كتب إليه بهدم دار سعيد ، فأرسل الفَعَلة وركب مروان ليهدمها ، فقال له سعيد : يا أبا عبد الملك أتهدم داري ؟! قال : كتب أمير المؤمنين إليّ في هدمها ، فبعث سعيد فجاء بكتب معاوية إليه في هدم دار مروان ، فقال مروان : يا أبا عثمان كتبَ إليك بهذه الكتب فلم تُعلمني ؟! قال : ما كنتُ لأُمَرِّرَ عليك عيشك ، وإنّما أراد أنْ يُغري بيننا ، فقال مروان : فِداك أبي وأميّ فإنّك أكرمنا ريشاً وعقباً ، وأمسك عن هدم داره .

المدائني قال : قدم معاوية المدينة وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليل فركب إليه معاوية في الناس ، فقال رجل من قريش لسائب خاثر : مُطْرِفي للك إنْ غنّيتَ ومشيت بين أيديهم ، وقيل : انّ ذلك كان في وليمة ، فغنّى .

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضحى وأَسْيافُنا يَقْطُرْنَ مِن نَجْدَةٍ دَما[1]

١ ـ ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٣٥ .

فنصت معاوية حتى فرغ ، وأخذ سائب المطْرَف . وقُتل سائب يوم الحّرة .

المدائني قال: كتب معاوية إلى قيس بن سعد بن عُبادة حين أبى المَصير إليه ، وكان مع الحسن بن عليّ عليهما السلام : يا يهوديّ بن اليهودي إنّما أنت عبد من عبيدنا ، فكتب إليه : يا وَثَن يا بن الوَثَن دخلتم في الإسلام كارهين وخرجتم منه طائعين .

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : قال معاوية لأُسامة بن زيد : رحم الله أمّ أيْمَن كأنّي أنظر إلى ساقَيْها وكأنّهما ظُنْبوبا نعامة خرجاء ، فقال : هي والله خيرٌ من أمّك وأكرم ، فقال معاوية : وأكرم أيضاً ؟ قال : نعم ، قال الله عزوجل ﴿إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أتْقاكُمْ﴾[1] .

المدائني عن مَسْلمة بن مُحارب قال : كان سُليم مولى زياد من الدُهاة فساير معاوية ومعاوية على ناقه وسُليم على جمل قراسي[2] فعلا معاوية ، فقال : يا سُليم آنزلْ عن بعيرك ، فنزل وركبه معاوية ، ثم قال : يا سُليم تزعم أنّك من الدُهاة وقد غبنتُك ، فقال : يا أمير المؤمنين لو خرجتُ لك من كلّ ما أملك بتحويلي إيّاك عن مركبك وركوبي إيّاه كنتُ قد غبنتُك .

قال عمر بن بُكَير : أُنْشِدَ معاوية :

لا يُبْعِدِ الله جيراناً لنا فُقدوا ماتوا لِوَقْتِ مَناياهُمْ فقد بَعُدوا
قَبْرٌ بِمِصْرَ وقَبْرٌ بالحجاز وقبـ ـرٌ بالعراقِ منايا بينهمْ بَدَدُ

---

١ ـ سورة الحجرات ـ الآية : ١٣ .
٢ ـ القراسي : الضخم الشديد من الابل . القاموس .

كانتْ لهمْ هِمَمٌ فَرَّقْنَ بَيْنَهُمُ إذا المَقاريفُ عن أَمْثالِها قَعَدوا
فهُمْ رهائِنُ لِلأَجداثِ ليس لَهُمْ مِنَ العَوائِدِ إلاّ الهَامَةُ الغَرَدُ

فقال معاوية : من كَرَم الحيّ بَدَدُ قبورهم .

المدائني قال : قال معاوية لعبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب : لقد هممتُ بأنْ أولّيك الكوفة غير مرّة فما منعني من ذلك إلاّ أنّي قلت : أوليّه فيقول أنا ابن زيد بن الخطّاب أحد أبناء المهاجرين البَدْريّين وعمّي ، الفاروق أمير المؤمنين ، وأنا أحقّ بالأمر من معاوية ، قال : لو ولّيتَني لقلتُ ذلك ، وأنا أقوله الآن ، فضحك معاوية .

وحدثني أبو مسعود عن ابن دأب قال : نظر معاوية إلى عمر بن سعد بن أبي وقّاص فقال : ما أحد أودُّ أنّ هِنْداً ولدته غير هذا وعبدالله بن جعفر .

المدائني قال : قدم صَعْصَعة بن صُوحان على معاوية قال : نحن أهل البيضاوَيْن[1] لم يُتعبّد فيهما قطُّ غير الله ، ولم يُضْرب فيهما بناقوس ، ولا كانت فيهما بِيعة ولا كنيسة .

المدائني قال : قال عمرو بن العاص لمعاوية : غلبتْك امرأتُك ، فقال : إنّهنّ يغلبن الكرام ، ويغلبهنّ اللئام .

المدائني قال : ذُكر الأشتر النّخَعي عند معاوية ، فقال رجل من النخع للذي ذكره : اسكتْ فإنّ موته أذلّ أهلَ العراق ، وإنّ حياته أذلّتْ أهل الشام ، فسكت معاوية ولم يقل شيئاً .

---

١ ـ لعله أراد أولاً البيضاء وهي أرض ذات نخل ومياه دون ثاج والبحرين ، وثانياً البيضاء وهي قريات برملة بالقطيف فيها نخل . المشترك وضعاً والمفترق صقعا لياقوت الحموي .

المدائني قال : قال رجل لمعاوية : يا أمير المؤمنين البِرّ أهْون أم الفُجور ؟ فقال : هما يتنازعانك ، يروح عليك أحدهما ويغدو الآخر ، فأهْونهما ما لم يغالب عليه هَواك ونفسك .

المدائني عن عَوانة وغيره قال : قال معاوية : يرحم الله أمير المؤمنين عثمان لو كان قَتَل الطعّانين عليه لكان ذلك خيراً له ، فما الذي يقول قائلهم ؟ فقال أبو الأسود : يقول قائلهم : أَنكرْنا مُنكَراً فقتيلنا شهيدٌ وحَيُّنا ثائرٌ ؛ فسكت معاوية .

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : تمضمض معاوية يوماً فسقطت ثَنِيَّتُه فاسترجع ، وشكا ذلك إلى البراء بن عازب فقال : والله ما يسُرنا أنّها كانت بغيرك لعظَم الأجر لك ، وما بلغ رجلٌ مَبْلَغك من السنّ إلا زايلَه بعضُ ما كان مشتدّاً منه .

المدائني عن الوقّاصي قال : قدم المِسْوَر بن مَخْرَمة على معاوية فقال له : بلغني أنّك تنتقصني ، فماذا نقمتَ فيه عليّ ؟ هل تعلم أنّي أقاتل عدوّ المسلمين وأُجبي فيئهم وأُعْنى بأمورهم ، وأصل وافدهم ؟ فقال : اللهمّ نعم ، قال : فنشدتُك الله أَتُذْنِب ؟ قال : نعم ، قال : فما جعلك أحقّ برجاء المَغْفِرة منّي : قال : غفر الله لك يا أمير المؤمنين .

المدائني عن أبي محمد القرشي قال : ذُكر عند معاوية قول حُذيفة بن اليَمان : إنّي لم أشرك في دم عثمان فقال : بلى لقد شَرِك في دمه ، فقال عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يَغُوث : الرجل كان أعلم بنفسه ، قال معاوية : وأنت أيضاً قد شركتَ في دمه بطعنك عليه وخِذْلانك له ، فقال : إنّي كنت

أنهى عثمان عمّا قيل فيه وكنتَ تأمره به ، فلما اشتدّ الأمر والتقتْ حَلْقتا البطان كتب إليك يستنصرك ، فابطأت عنه حتى قُتل .

المدائني عن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال : كان عامل معاوية على المصر من الأمصار إذا أراد أن يكتب إلى معاوية نادى مُناديه : مَن يكتب إلى أمير المؤمنين ؟ فكتب إليه زِرّ بن حُبَيش ، ويقال أيْمَن بن خُرَيم ، كتاباً لطيفاً ورمى به في الكتب وكان فيه :

إذا الرجال وَلَـدَتْ أَوْلادُها وجَعَلَتْ أسْقـامُهـا تَعْتـادُهـا
فَهْيَ زُروعٌ قد دَنا حِصادُها

فقال معاوية : ليت شِعْري مَن ذا الذي نعى اليّ نفسي ، لقد أبلغ في موعظتي .

حدثني عليّ بن المغيرة الأَثْرَم عن الأصمعي قال : استأذن رجل من ولد الحُصين بن حُمام المُرّي على معاوية فقال : إئذَنوا لابن آبي الضَيْم ، ثم قال لآذنه : إنْ جاء رجل من ولد حصينٍ أو من ولد خِداش بن زُهير فاستأذنْ له وإلاّ فآغرب .

وحدثني عبدالله بن صالح قال:سمعت عَبْثَر بن القاسم يقول : قال معاوية : رَبُّ المعروف أفضل من ابتدائه .

المدائني قال : قال معاوية : ما شيء أعجبُ إليّ من غيظ أتجرّعه أرجو بذلك ثواب الله .

المدائني قال : قال معاوية لابن الزبير : ألا تعجب من الحسن وتثاقله عنّي ؟ فقال ابن الزبير : مثلك ومثل الحَسن كما قال الشاعر :

أُجامِلُ أَقْواماً حَياء وقد أرى قُلوبَهُمْ تأْرَى[1] عَلَيَّ مِراضُها

فقال معاوية : والله ما جامل ولقد أعلن ، قال : بلى والله لقد جامل ، ولو شاء أنْ يُطلق عليك عِقال حربٍ زَبون لَفعل ، فقال : أراك يا بن الزبير تجول في ضلالتك ، أما والله لو ظفر بك لَقتلَك كما قتل أبوه أباك أو لَغرَّبك ونفاك .

المدائني عن مَسْلمة قال : قال معاوية : ازدحام الكلام في السمع مضلّة للفَهم .

المدائني عن عليّ بن سُليم قال : قال معاوية : رجلان إنْ ماتا فكأنهما لم يموتا ، ورجل إنْ مات مات ، أنا إنْ متُّ فخليفتي ابني يزيد ، وسعيد بن العاص إن مات فخليفته عمرو بن سعيد ، وابن عمر إنْ مات مات ، فقال مروان : أما ذكر ابني عبد الملك فوالله ما أحبّ أنّ لي بآبني آبنَيْهما .

حدثني عليّ بن المُغيرة عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال : وفد المُغيرة بن عبدالله الرياحي على معاوية في وفد بني تميم فقال المُغيرة : يا أمير المؤمنين وَلِّني خُراسان ، فقال : ما هجا ما لا هجا[2] له ، قال : فشرطة البصرة ، قال : لا يمكن ، قال : فآحمِلْني على بغلة وأعطني قطيفة ، فقال : أمّا هذا فنعم ، فوهب له بغلة وقطيفة خَزٍّ ، فلامه أصحابهُ فقال : أمّا أنا فقد أخذت شيئاً وأنتم لم تأخذوا .

---

١ ـ الإرة : النار نفسها أو موضعها ، أو استعارها وشدتها ، وأرت القدر تأرى أريا : لزق بأسفلها شبه الجلبة السوداء من الاحتراق . القاموس .

٢ ـ الهجا : الشكل والقدر . القاموس .

المدائني عن حَفْص بن عمر بن مَيْمون قال : بعث معاوية إلى عبدالله بن عمر بمال فدعا بصحيفة دَيْنه فقضى ما فيها ، ثم دعا بصحيفة العيال فأعطاهم ، ثم أمر بصدقة فتصدّق بها ، وقسم في أصحابه قطعة من المال ، وبعث إلى عبدالله بن الزبير بمال فدعا بصندوق فوضعه فيه ، فأخبر معاويةَ رسولُه بفِعْلهما فقال : هكذا هما لو وليا .

المدائني عن جُوَيْرية قال : زار حسّان بن ثابت في الجاهليّة جَبَلة بن الأَيْهَم الغسّاني بِجِلّق فجفاه يوماً أو يومين ، ثم لقيه جَبَلة متنكّراً فقال له : من أنت ؟ قال : حسّان بن ثابت ، قال : ما تقول في هذا الذي قدمتَ عليه ؟ قال : لو أعلم أنّي أصدق في ذمّه لذممتُه ، ولكّني أسكت فلا أذمّ ولا أحمد ، قال : فآرجعْ ؛ ثم وصله وقال : لا يأتيك منّي تحيّة إلّا ومعها صلة ، فلمّا ظهر الإسلام ولحق جَبَلة بالروم بعث معاوية رجلاً يفدي مَن في أيدي الروم من أُسارى المسلمين ، فرآه جَبَلة فسأله عن حسّان فأعلمه أنّه باقٍ وأنّه خلّفه عند معاوية ، فقال : أَقرئْه السلام وأَعطه هذه الخمسمائة الدينار ، فقدم الرجل على معاوية وحسّان عنده ، فقال له : جَبَلة يُقْرِئك السلام يا حسّان ، قال : هات ما معك ، قال : ما معي شيء ، قال معاوية : أَعطه ، فأعطاه الدنانير ، فقال معاوية : إنّ هذا لَعَهْد كريم .

المدائني قال : قال معاوية حين مات عُتْبة أخوه : لولا أنّ الدنيا بُنيتْ على نسيان الأَحبّة لَظننتُ أنّي لا أنسى أخي عُتْبة أبداً .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : ولّى معاوية عَنْبَسة بن أبي سفيان ، وأمّه ابنة أبي أُزَيْهِر ، الطائفَ ، ثم عزله وولّى الطائف عُتْبة بن أبي سفيان ، وأمّه هِنْد بنت عُتْبة ، فقال له عنبسة : يا أمير المؤمنين والله

ما نزعتَني عن ضعف ولا خيانة فقال معاوية : إنّ عتبةَ ابنُ هند ، فولَّى عنبسة وهو يقول :

كُنّا لِحَرْبٍ صالحاً ذاتُ بَيْننا جميعاً فَأَمْسَتْ فَرَّقَتْ بَيْنَنا هِنْدُ
فإنْ تَكُ هِنْدٌ لم تَلِدْني فإنَّني لِبَيْضاءَ يَنْميها غَطارِفَةٌ مُجْـدُ
أبوها أبو الأَضْيافِ في كُلِّ شَتْوَةٍ ومأوى ضِعافٍ قد أَضَرَّ بها الجَهْدُ

المدائني عن سُحيم بن حَفْص قال : قال معاوية : إذا ذهب أصحاب رسول الله ﷺ ذهب الورع ، وإذا ذهب مَن بقي من أهل الجاهلية ذهب الحلم .

حدثني هشام بن عمّار حدثنا صدقة عن يزيد بن واقد قال : قال معاوية : أفضلُ ما أُعطيَه الرجل العقل والحِلم ، فإن ذُكّر ذَكر ، وإنْ أُعطي شكر ، وإن ابتُلي صبَر ، وإنْ غضب كظم ، وإن قدر غفر ، وإنْ أساءَ استغفر ، وإنْ وُعظ ازدجر .

المدائني عن مَسْلمة وغيره قالوا : قال معاوية لعمرو بن العاص : ما بلغ من دَهْيك ؟ قال : لم أدخل في أمر قطّ إلاّ خرجت منه ، قال مساوية : لكنّي لم أدخل في أمر قطّ فأردتُ الخروج منه .

المدائني عن أبي محمد العَبْدي قال : أكل صَعْصَعة بن صُوحان مع معاوية فتناول شيئاً من بين يديه ، فقال له : لقد أبعدتَ النُجعة ، قال : مَن أجدبَ انتجع .

المدائني قال : قال معاوية لمعاوية بن حُديج : ما جّرأك على قتل محمد بن أبي بكر ؟ قال : الذي جرَّأك على قتل حُجْر بن عَديّ[1] ، أفَتقتل حلماءنا وتلومنا على قتل سفهائكم ؟!

حدثني العُمري عن الهيثم عن ابن عيَّاش قال : دخل مالك بن هُبيرة السَّكونيّ على معاوية ، فلمّا طلع قال لعمرو بن العاص : يا أبا عبدالله ما أحبّ أنّ هذا من قريش ، قال : وما يهولك منه ؟ قال : أُقسم بالله لو كان منهم لأهمّتْك نفسك وما خلوتَ بمصر ، فلمّا دنا سلّم وجلس ، قال : وخدرتْ رِجله فمدّها فقال له معاوية: يا أبا سعيد وددتُ أنّ لي جارية لها مثل ساقَيْك ، قال : في مثل عَجيزتك يا أمير المؤمنين ، قال : حَبْجة بلَبْجة والبادىء أظلم [2] ، فلمّا نهض قال معاوية لعمرو : إن الله قد أحسن بك إذ جعل هذا من كندة .

حدثنا محمد بن سعد عن عفّان عن سليمان بن المُغيرة عن حُمَيد بن هِلال عن أبي بُرْدة بن أبي موسى قال : دخلتُ على معاوية حين أصابتْه قَرْحته فقال : هلُمَّ يا بن أخي فانظر إليها ، فنظرت إليها وقد سُبرت فقلتُ : ليس عليك يا أمير المؤمنين بأس ، ودخل يزيد فقال له : إنْ وليتَ من أمر المسلمين شيئاً فآستوصِ بهذا فإن أباه كان أخاً لي وخليلاً ، غير أنّي رأيت في القتال غير رأيه .

---

١ ـ معاوية بن حديج وحجر بن عدي ـ كلاهما من كندة ، وكان حجر من أصحاب الإمام علي ، اعتقله زياد بن أبيه وبعث به مع عدد من أصحابه إلى دمشق ، فأمر معاوية بقتلهم بمرج عذراء قبل دخولهم دمشق .

٢ ـ في أمثال أبي عبيد ص ١٣٨ «هذه بتلك ، فهل جزيتك» .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن شَريك قال : كتبت عائشة إلى معاوية في قتل حُجْر أو غير ذلك : أمّا بعد فلا يَغُرّنّك يا معاوية حلمُ الله عنك فيزيدك ذلك استدراجاً ، فإنه بالمِرْصاد ، وإنّما يَعْجَلُ مَن يَخافُ الفَوْت .

حدثني العُمري عن الهيثم بن عدي عن عَوانة عن عبدالملك بن عُمير قال : سأل قَبيصة بن جابر معاويةَ عن قريش فقال : أمّا سيّدها غير مُدافَع فسعيد بن العاص ، وأمّا رجلها فمروان مع غَلَقٍ فيه وَحَدٍّ ، وأمّا فتاها نائلاً وتوسُّعاً فعبدالله بن عامر بن كُريز ، وأمّا أكرمها أباً وأمّاً وجدّاً وجدّة وعمّاً وعمّة وخالاً وخالة فالحسن ، وأمّا رجل نفسه فعبدالله بن عمر ، وأمّا من يَرِد مع دَواهي السِباع ويروغ رَوَغان الثَعْلب فعبدالله بن الزبير ، وأمّا سيّد الناس جميعاً فمن يقعد هذا المَقْعَد بَعْدي ، قال : فأخبرْني عن نفسك ، قال : قد علمتْ قريش أنّي أشدّها ثَبات قَدَمَيْن في بُعْثُط[1] البَطْحاء .

المدائني عن عوانة قال : تغدّى مع معاوية يوماً عبيدالله بن أبي بَكْرة ومعه ابنه بَشير أو غيره من ولده فأكثر من الأكل ، وكان معاوية أكولاً نَهِماً ، فلحظه معاوية ، فلمّا خرج ابن عبيدالله لامه أبوه على ما صنع ، ثم عاد ابن أبي بكرة من الغد وليس ابنه معه ، فقال معاوية : ما فعل ابنك التِلْقامةُ ؟ قال : اشتكى ، قال : قد علمتُ أنّ أكْله سيُورثُه داءً .

المدائني عن أبي أيّوب بن عبدالله قال : كان معاوية يحسد الناسَ على النكاحِ ، فقال لرجل من جلسائه من كَلْب ، وكان شيخاً كبيراً ، كيف أنت

---

١ ـ البعثط : سرة الوادي . القاموس .

والنساء ؟ قال : ما أشاء أن أفعل إلّا فعلتُ ، فجفاه وحرمه صِلته ، فدسّ الكلبيُّ امرأته الى ابنة قَرَظَة امرأة معاوية فشكت وقالت : ما أنا وهو في اللِحاف الاّ بمنزلة امرأتَيْن ، ودخل معاوية على ابنة قرظة فقال : مَن المرأة التي عندك ؟ قالت : امرأة فلان الكلبي ، قال : وما قالت ؟ قالت : شكت حالَها وكِبَر زوجها وأنّه لا ينال منها شيئاً ولا يقدر عليه ، فقال : ما كذا يزعم ؛ فأرسل إليه وتوارت امرأته عند النساء ، فقال له معاوية : يا فلان كيف قُوّتك على الجماع ؟ فقال : ما أشاء أن أفعل إلّا فعلتُ ، فقالت امرأته : كذب يا أمير المؤمنين ، فقال الشيخ : أَقِلْني هذه الكذبة ، فضحك معاوية وقال : أنا أبو عبدالرحمن ، وأُمره فانصرف ، وعاد إلى ما كان عليه من بِرّه وصلته .

قالوا : وقدم على معاوية روميّ لم يُرَ قطّ أطول منه ، فدعا معاوية قيسَ بن سعد بن عُبادة فطاله ، فقال معاوية لقيس : أُعطه سراويلك ، فلبسها الرومي فكادت تبلغ عنقه ، فقال : آتركها عليه ، فتركها ، وأمر معاوية لقيس بِسراويل من سَراويلاته فوجده قصيراً عليه فقال : إنما أمرت لي بتُبّان ، يعيّره بذلك ، فقال معاوية :

أَمّا قُرَيْشٌ فأشياخٌ مُسَـرْوَلَةٌ والیَثْرِبيّون أُصْحابُ التَبابِـينِ

فقال قيس :

تِلْكَ اليهودُ التي تَعنَى بِقَرْيَتِنا أُضحت قُرَيْشُ هُمُ أَهل السَخاخين[1]

---

١ ـ في الهامش : «جمع سخينة» والسخينة طعام حار يتخذ من دقيق وسمن ، وقيل دقيق وتمر ، وكانت قريش تكثر من أكلها ، فعيرت بها حتى سموا سخينة . النهاية لابن الأثير .

المدائني عن جُوَيْرية بن أسماء قال : قدم أبو موسى على معاوية فدخل عليه في بُرْنُس أسود ، فلمّا خرج من عنده قال : قدم الشيخ لأُولّيه ووالله لا ولّيتُه .

المدائني عن محمّد بن مروان العِجْلي عن حبيب بن الشهيد قال : قال معاوية لعبدالله بن عامر : يا أبا عبدالرحمن لا يزال يكون بينك وبين مروان الشيء فتقهره وتستعليه وتظفر به ، فقال ابن عامر : إنّه يجدني عِضّا ، فقال معاوية : إنّك لو لقيتَ رجلاً عرفّك نفسك ، قال : فَكُنْ أنت ذلك الرجل يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية : أنا ابن هِنْد ، قال ابن عامر : أنا ابن أُم حَكيم ، قال معاوية : ارتفعت جدّاً ، قال ابن عامر : وانخفضتَ يا أمير المؤمنين . قال : أمّ عبدالله بن عامر دِجاجة بنت [أسماء بن][1] الصَلْت وأُم أبيه أَرْوى بنت كُريز وأمّها أمّ حَكيم البيضاء بنت عبدالمطلب .

المدائني عن أبي اسحاق التميمي قال : كتب معاوية إلى عمرو بن العاص والمُغيرة بن شُعْبة في القدوم ، فقدم عمرو من مصر والمغيرة من الكوفة ، فقال عمرو للمغيرة بن شعبة : ما جَمَعَنا إلاّ ليعزلنا ، فإذا دخلتَ عليه فآشكُ الضعْف وآستأذنْه في إتيان المدينة أو الطائف ، فإني سأسأله إتيان مكّة أو المدينة ، فسيقع في قلبه أنّا إنّما نريد إفساد الناس عليه ، ففعل المغيرة ذلك ، ثم دخل عمرو فسأله أن يأذن له في إتيان مكّة أو المدينة فقال : قد تواطأتما على أمرٍ وإنّكما لتريدان شرّاً فآرجعا الى عملكما .

المدائني قال : نظر معاوية إلى فتيان من بني عبد مناف فتمثّل :

---

١ - زيد ما بين الحاصرتين من أسد الغابة لابن الأثير .

بنو الحربِ لم تَقْعُدْ بِهِم أُمَّهاتُهُمْ   وآباؤُهُمْ آباءُ صِدْقٍ فأَنْجَبوا

ونظر إلى فتيان من بني أسد بن عبدالعُزّى بن قُصيّ فقال :

شَرِبْنَ حَتّى نَفِــدَ القَلِيبُ   أَكَلْنَ خَمْضاً فالوجُوهُ شِيبُ

المدائني عن سعيد بن عامر الخَزْرَجي عن عُبادة بن نُسَيّ قال : خطب معاوية فقال : إنّي كزَرْع مستحصَد ، وقد طالت إمرتي عليكم حتى مللتُكم ومللتموني ، وتمنّيتُ فراقكم وتمنّيتم فراقي ، ولن يأتيكم بعدي إلاّ مَن أنا خيرٌ منه كما أنَّ مَن كان قبلي كان خيراً منّي ، وقد قيل : من أحبَّ لِقاء الله أحبَّ الله لقاءَه ؛ اللّهم إنّي أحببتُ لِقاءك فأَحِبّ لقائي وبارِكْ لي فيه .

حدثنا هشام بن عَمّار حدثنا اسماعيل بن عَيّاش عن صَفْوان بن عمرو عن الأزهر بن عبدالله الهَوْزَني [1] عن أبي عامر الهَوْزني قال: حججنا مع معاوية ، فلمّا قدمنا مكّة أُخبر برجل قاصٍّ يقصّ على أهل مكّة ، وكان مولى لبني مخزوم ، فقال له معاوية : أُمرتَ بالقصص ؟ فقال : لا ، قال : فما حملك على أنْ تقصّ بغير إذْن ؟ قال : إنّما ننشر علماً علّمناه الله ، قال : لو كنتُ تقدّمت إليك لقطعتُ طابقاً منك .

المدائني عن سُحيم بن حَفْص قال : خطب ربيعة بن غِسْل ـ وذلك الثبْتُ ، ويقال عِسْل ـ اليربوعي إلى معاوية فقال معاوية : آسقوه سَويقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين أَعِنّي في بناء داري بآثْنَيْ عشر ألف جِذْع ، قال : وكم دارك ؟ قال : فَرْسخان في فَرْسَخَيْن أو أكثر ، قال : فدارك بالبصرة أم

---

١ ـ بالأصل : «الهروي» وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه ، انظر توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ـ ط . بيروت ١٩٩٣ ج ٢ ص ٣٥٥ .

البصرة في دارك ؟! قال : فدخل رجل من ولده على ابن هُبَيْرة فقال : أنا الذي خطب أبي إلى معاوية ، قال : فزّوجه معاوية ؟ قال : لا ، قال : فما صنع شيئاً ؛ ثم قال لسلم بن قُتَيبة : مَن هذا ؟ قال : ابن أحمق قومه ، قال : وان الحُمْق لبيّن فيه أيضاً .

المدائني قال : ذكر مروان يوماً لمعاوية كثرةَ عددِ آل أبي العاص وقلّة عدد آل حَرْب ، فتمثّل معاوية :

تُفاخرني بكثرتها قُرَيطٌ وقَبْلَكَ طالَتِ الحَجَلَ الصقورُ
فإنْ أكُ في عِدادِكُمُ قَليلاً فإنّي في عَدُوّكُمْ كَثيرُ
بُغاث الطيرِ أكْثَرُها فِراخاً وأُمُّ الصّقْرِ مِقلاتٌ نَزورُ

وحدثني عبدالله بن صالح عن هشام بن محمد قال : زوّج معاوية ابنته رَمْلة من عمرو بن عثمان بن عفّان ، فسمعتْ مروان بن الحكم يقول له وقد عاده : إنّما ولي معاوية الخلافة بذِكْر أبيك ، فما يمنعك من النهوض لطلب حقّك ، فنحن أكثر من آل حَرْب عدَداً ، مِنّا فلان وفلان ؛ وحجّ عمرو بن عثمان وخرجت إلى أبيها فقال لها : مالك ، أطلّقك زوجك ؟ قالت : الكلب أضَنُّ بشَحْمته ، وحدّثته حديثَ مروان واستكثاره آل أبي العاص واستقلاله آل حرب ، فكتب معاوية إلى مروان :

أواضِعَ رِجْلٍ فوق رِجْلٍ يَعُدُّنا كَعَدِّ الحَصا ما إن يزالُ يُكاثِرُ
وأُمُّكُمُ تزجي تُؤاماً لِبَعْلها وأم أخيكُمْ نَزْرَةُ الوُلْدِ عاقِرُ

المدائني عَن مَسْلَمة قال : لمّا بلغ معاويةَ موت زياد قال :

وأفْرِدْتُ سهماً في الكِنانَةِ واحداً سَيُرْمى به أو يَكْسِرُ السّهْمَ كاسِرُهْ

المدائني عن عَوانة وابن جُعْدُبة قالا : قال معاوية لابن عبّاس : إنّ عثمانَ أصاب من هذه الدنيا وأصابت منه ، وإنّها قد مالت بي ومِلْتُ بها ، فما ترى يا أبا عبّاس ؟ فقال : إنّ الدنيا قد أمكنتْك فهي في يدك ولك دَرُّها ، وإنّ الآخرة ممكنة لك إنْ أردتَها ، ولَمَا نقصك من دنياك وزادك في آخرتك خيرٌ لك ممّا نقصك مِن آخرتك وزادك في دنياك .

المدائني عن جُوَيْرية قال : قال معاوية لعمرو بن العاص ، وعمرو عنده بدمشق : قد جاشت الروم ، وهرب عامل من عُمّالنا ، وخرج أهل السِجْن ، قال : فلا يكبرنَّ عليك ذلك ، أمّا الروم فأرْضِهِم بشيء تَرُدُّهُم به عنك ، وأمّا أهل السجن فإنّما خرجوا حُفاة عُراة فابعث في طلبهم تُؤْتَ بهم ، وأمّا عاملك فأظهر أنّك قد تركت له ما عليه فإنّه سيرجع فإذا رجع فطالبْه ، قال : ففعل معاوية ذلك .

المدائني عن غسان بن عبد الحَميد عن جعفر بن عبدالرحمن بن المِسْوَر ابن مَخْرَمة عن أبيه [عن جدّه المسور] قال : دخلتُ على معاوية فقلت : السلام عليك أيّها الملك ، فقال : قد علمت أحسن ما قلتَ فكيف طَعْنُك على الأمراء ؟ فلم أدعْ شيئاً إلاّ بَكَّتُه به ، فقال : يا مِسْوَر إنّا غير متبرّئين من الذنوب ونرجو رحمة الله ؛ إنّي لعلى شريعة يقين يقبل الله معها الحُسنى ويتجاوز عن السَّوْآى ، ولو خُيّرت بين الله وما سِواه لاخترتُه ، ثم قضى حوائجه .

المدائني عن محمد بن الحجّاج عن عبدالملك بن عُمَيْر انّ أبا موسى الأشعري عبدالله بن قيس دخل على معاوية فقال : السلام عليك أيّها الأمير ، فضحك معاوية وقال : بايْع يا أبا موسى ، وبسط يده ، فقال أبو

موسى : أُبايع علينا ولنا ، فقبض معاوية يدَه وانصرف أبو موسى ، فقالَ له ابن عِضاه الأشعري : ياأبا موسى إنّك رأيت رجالاً من قريش يقولون لمعاوية فيحلم عنهم ، ففعلتَ كما فعلوا ، وإنّه يهونُ على معاوية أن يقتلك فيؤدّب بك غيرَك ، فإنّي سمعته يقول : إنّ السلطان يضحك ضحك الصبيّ ويصول صَولة الأسد ؛ فراح أبو موسى إلى معاوية فسلَّم عليه بالخلافة وقال : ما أنكرتَ من تسليمي عليك بالإمرة فقد كنّا نقولها لعمر بن الخطّاب فيراها وغيرَها سواءً ، وما أنكرتَ من قولي أُبايعك علينا ولنا ؟ علينا الوَفاء بها ولنا أجرُها ، فتبسّم معاوية وقال : بايعْ أبا موسى فلَعمري ما أخرجتَها حتى زمّتَها وخطمتَها ، ولئن كنتَ قد قلتَ خيراً لقد أُردتَ شرّاً .

المدائني عن أبي عبدالله الحَنفي عن رجل قال : قال عبدالله بن العبّاس : ما رأيتُ أحداً كان أحقَّ بالملك من معاوية ، لله دَرُّه إنْ كان لحليماً وإنْ كان الناس لينزلون منه بأرجاء وادٍ خَصِبٍ، لم يكن بالضَّيّق الليّق المتصعّب الحصوص ، يعني الذي يُحاصّ في كلّ شيء .

المدائني عن شِهاب بن عبدالله عن يزيد بن سُويد قال : أذن معاوية للأحنف ثم لمحمد بن الأشعث بن قيس ، فجلس محمد فوق الأحنف ، فقال معاوية: إنّي لم آذن له قبلك لتكونَ دونه إليّ ، وقد فعلتَ فِعل مَن أحسَّ مِن نفسه بذُلّ ، إنّا كما نملك أُموركم نملك تأديبكم ، فأَريدوا منّا ما نريد بكم فإنّه أبقى لكم ، فقال محمد : إنّا لم نأتِك ليُقصى مكانُنا منك ، ولم نعدم الأدب فنحتاج إلى تأديبك ، فخُذْ منّا عَفْونا تستوجب مَودّتنا ، وإنّا عنك لفي غِنىً وسعَةٍ ، ثم خرج .

المدائني عن مُبارك بن سلاّم عن مجالد قال : قال معاوية لسعيد بن العاص : كم ولدك ؟ فذكر عشرة أو أكثر ، فقال معاوية : ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِنَاثاً ويَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[1] فقال سعيد : ويؤتي الملك مَن يشاء وينزع الملك ممّن يشاء[2] .

المدائني عن غسّان بن عبدالحَميد عن جعفر بن عبدالرحمن بن المِسوَر عن أبيه قال : قدم معاوية المدينة فخطبهم فقال : إنّي رمتُ سيرة أبي بكر وعمر فلم أُطقها ، فسلكتُ طريقةً لكم فيها حَظّ ونفع ، على بعض الأثرة ، فآرضوا بما أتاكم منّي وإنْ قَلّ ، فإنّ الخير إذا تتابع وإنْ قلَّ أغنى ، وإنّ السُخط يكدّر المعيشة ، ولستُ بباسطٍ يدي إلاّ إلى من بسط يده ، فأمّا القولُ يستشفي به ذو غِمْر فهو دَبْرَ أُذني وتحت قَدَمي حَتى يَرومَ العَوْجاء .

حدثني عبدالله بن صالح عن أبي بكر بن عَيّاش قال : حُدثّت عن الشّعْبي أنّ عمر بن الخطّاب ذكر معاوية فقال : آحذروا آدم قريش وابن كريمها فإنّه لا ينام الاّ على الرِضا ويضحك عند الغَضَب ، ويتناول ما فوقه مِن تحته .

المدائني عن أبي قُحافة عن أبي قُرَّة مولى عبّاد بن زياد قال : دخل أعرابي المسجدَ ومعاويةَ يخطب فقال : أيّها المتكلّم آسكتْ أُنشُدْ جَمَلي ، فسكت معاوية ، فقال الأعرابي : أيّها الناس مَن دعا الى جَمَلٍ عليه قتب ، فردّد القول مِراراً ، فقال معاوية : أيّها الأعرابي حَلّه حِلْيةً سِوَى القتب فلعلّ القتب قد ضاع ، ثمّ مضى في خطبته .

---

١ ـ سورة الشورى ـ الآية : ٤٩ .

٢ ـ انظر سورة آل عمران ـ الآية : ٢٦ .

المدائني عن غَسّان بن عبدالحَميد عن جعفر بن عبدالرحمن بن مِسْور قال : قدم عبدالله بن عبّاس على معاوية وافداً فأمر ابنه يزيد أن يَأتيَه مسلّماً فأتى يزيد ابن عبّاس فرحَّب به ابن عبّاس وحدّثه ، فلمّا خرج قال ابن عبّاس : إذا ذهب بنو حرب ذهب حُلماء الناس .

قالوا : دخل عبدالله بن الحارث بن أميّة الأصغر على معاوية وكان بَذيئاً ، فجرى بينه وبين معاوية كلام ، فقال عبدالله : والله لقد شججتُ أخاك حنظلة فما أُعطيتُم عَقْلاً ولا سألتم فِدىً ، قال معاوية : إنّك هربت إلى أخوالك بالطائف ، فقال : إنّي إذا مال أحدُ شِقّيَّ عدلْته بالآخر .

المدائني عن عبد ربّه بن نافع عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : مرض معاوية فحسر عن ذراعَيْهِ وكأنّهما عَسيبان [1] ثمّ قال : هل الدنيا إلّا ما جرّبنا وذُقْنا ، ولوددتُ أنّي لم أعمّر فيكم فوق ثلاث حتى ألحق بربّي ، فقال له رجل عنده : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : بما شاء الله أن يقضي لي ، فقد علم أنّي لم أهوَ ما كره .

المدائني قال : دخل على معاويةَ عَديُّ بن حاتم فقال ابن الزبير وهو حاضر : إن عند هذا الأعور جواباً ، فأحركه ؟ قال : نعم ، فقال : يا عَديّ أين ذهبتْ عينك ؟ قال : يوم قُتل أبوك هارباً وضُربتَ أنت على قفاك مُوليّاً ، وأنا يومئذ مع الحقّ وأنت مع الباطل .

المدائني عن الفَضْل بن سليمان عن سعيد بن عبدالعزيز التَنوخي عن أبيه عن حَبيب بن مَسْلمة الفِهْري قال : ركب معاوية وأنا معه ، فبينا نحن

١ ـ العسيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها . القاموس .

نسير إذ طلع رجل باذّ الهيئة فلم أره أكبرَ معاويةَ ولا آكترث له ، وأعظمه معاوية إعظاماً شديداً ثم قال : أجئتَ زائراً أم طالب حاجة ؟ فقال : لم آتِ لشيء من ذلك ولكني جئتُ مجاهداً وأرجع زاهداً ، فمضى معاوية عنه ، فقلتُ : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : عُقْبة بن عامر الجُهَني ، قلتُ : ما أدري ما أراد بقوله أخْيراً أم شرّاً ، قال : دَعْه فلعَمْري لئن كان أراد الشر إنّ الشرَّ عائد بالسوء على أهله ، قلتُ : سبحان الله ما ولدتْ قرشيّة قرشيّاً أذلَّ منك ، فقال : يا حَبيب أحلُم عنهم ويجتمعون خيرٌ أم أجهلُ ويتفرّقون ؟ قال : قلتُ : بل تحلم ويجتمعون ، قال : آمضِ فما ولدتْ قرشيّة قرشيّاً له مثلُ قلبي ، قال : قلتُ : إنّي لأخاف أن يكون ما تصنع ذُلّاً ، قال : وكيف وقد قاتلتُ عليّاً فصبرت على مُناوأته ؛ وبعضهم يروي هذا عن الضحّاك بن قيس .

حدثني عمر بن بُكَير عن هشام بن الكلبي عن عَوانة قال : قال معاوية : يا معشر بني أميّة إنّ محمداً لم يدعْ من المجد شيئاً إلّا حازه لأهله ، وقد أُعِنْتم عليهم بِخَلَّتَيْنِ : في ألسِنتهم ذَرَب وفي العرب أنَف ، وهم محدودون ، فأوْسِعوا الناسَ حِلْماً فوالله إنّي لألقى الرجلَ أعلمُ أنّ في نفسه عليّ شيئاً فأستثيره فيثور عليّ بما يجد في قلبه ، فيوسعني شَتْماً وأُوسعه حِلْماً ، ثمّ ألقاه بعد ذلك أخاً أستنجده فيُنجدني .

حدثنا حَفْص بن عمر عن الهيثم بن عَديّ عن اسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه قال : بينا رجل يخاطب مُعاويةَ إذ قال : والله يا معاوية لتَستقيمنّ أو لنقوّمنّ صَعَرك [1] ، قال : ومَن أنت رحمك الله ؟

---

١ ـ صعر خده تصعيراً : أماله عن النظر إلى الناس تهاونا من كبر . القاموس .

قال : أنا فلان بن فلان الحِمْيري ، قال : وما كان عليك لو كان كلامك ألينَ من هذا ؟ فلمّا ولّى قال يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين لو نكّلتَ بهذا تأدب به غيرُه فقال : يا بُنيّ لَرُبَّ غَيْظٍ قد تحطَّم بين جوانح أبيك لم يكن وَبالُه إلاّ على مَن جناه .

وقال ابن أمّ الحَكَم ليزيد : خالي من قريش وخالك من كلب فجِئْني بخال مثل خالي ، فشكاه يزيد إلى معاوية فقال معاوية : قلْ له هاتِ أباً مثل خالك .

حدثني عبدالله بن صالح قال : بلغنا أنّ معاوية قال : أحبّ الناس إليّ أشدّهم تحبيباً لي إلى الناس .

المدائني عن أبي اسماعيل الهمداني عن مُجالد عن الشعبي قال : قال على رضي الله تعالى عنه : لا تمنّوا موتَ معاوية فإنّكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها .

قال العُتبْي : وقع بين هُدْبة بن خَشْرَم العُذري وبين آخر من عُذرة كلام عند معاوية ، فقال العُذري : إنّه لا يقال في مجلس أمير المؤمنين الكذب ، فقال هُدْبة : إنّه لا مجلس يدخله من الكذب أكثر ممّا يدخل مجلس أمير المؤمنين ، ولكنّ فيه عزّاً نيل بالصّدْق ، يعني الإسلام .

أبو الحسن المدائني عن عَلْقمة عن الفَضْل بن سُويد قال : قال عبدالملك : ما رأيت أكرم من معاوية ، خرج حاجبه يوماً فلم يَرَ في المسجد غيري فرجع ، ثم خرج معاوية فقُمْتُ إليه ، فتوكّأ عليّ حتى خرجَ من المسجد ، ثم أجرى الخيل فسُبق في الثُنْيان ، فلمّا كان بعد ذلك غدوتُ إليه وخرج فصنع بي كما صنع أوّلاً ، ثم أجرى الخيلَ فسُبق في الربْعان ، ثم أتيتُه

يوماً ثالثاً وخرج الحاجب فاستترت منه مخافةَ أن يتشاءَم بي فقال لحاجبه : آطلبْهُ ، فرآني ، فأتيتُ معاوية فتوكّأ عليّ ثم قال : أجْرِ القُرَّح ، فَسَبَقَ ، فقال : يا بن مروان ، هكذا القُرَّح تُسْبق لها القُرّح ، هاتِ حاجتك ، فما سألتُ حاجةً إلاّ أمر بها فعُجّلتْ .

المدائني عن النضر بن اسحاق عن بَشير بن عبيدالله بن أبي بَكْرة قال : قال معاوية لآذنه : ابْغني قوماً يتحدّثون عندي ويحدّثوني ، فأدخل إليه أربعةً من سُلَيم فيهم نَصْر بن الحجّاج ، فقال معاوية : أتدرون لِمَ دعوتُكم ؟ فقال نَصْر: دعوتَنا لأمرٍ حَزَبَ ونازلةٍ نزلتْ فأردتَ أهلَ النصيحة والرأي، قال: ما كان بحمدالله إلاّ خير ولا جاءنا إلاّ ما نحبّ ، قال : فدعوتَنا لأنك روأتَ [1] فقلتَ ما تركتُ رَحِماً إلاّ وصلتُها وزيّدتها إلاّ رَحِم هذا الحيّ من سُليم ، فدعوتَنا للصِلة وقضاء الحقّ ، قال : إنّكم لذلك لأهْل وما لذلك دعوتُكم ، قالوا : فدعوتَنا لأمر عَراك فأردتَ أن نحدّثك ليذهب غَمّك ، فإن أردتَ حديث الجاهليّة وأيّام العرب وأنسابها فنحن بنوها ، وإن أردت حديثَ الإسلام فنحن أهله ، قرأنا كتاب الله وفَقهنا في الدين ، وإن أردت علم العَجَم فقد غزوناهم ولنا بأمورهم علم ، قال : فأطرق معاوية طويلاً ثم قال : أنا خيرُ قريش لها حيّاً وميتاً ، قال نَصر : ذاك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، هداها الله به من الضلالة ، وبصّرها بعد الحَيْرة ، وأعزّها بعد الذِلّة ، وأغناها من الفَقْر ، وجمع لها به الحُسْنَيَيْنْ الخلافة في الدنيا وحُسن الثواب في الآخرة ، وأورثها كتاب الله فصرتم به علينا أربابا ، ولكن إن

---

١ ـ روأ في الأمر : نظر فيه وتعقبه ، ولم يعجل بجواب . القاموس .

شئتَ أخبرناك أنّك شرّ قريش لها حَيّاً وميتاً ، قال : وكيف ؟ قال : لانتْ لها أكنافك ، وانثنتْ لها أعطافك ، وجادت لها كفّك ، وعودتَها بحِلْمك عادةً لا يحملها لها مَن بعدك ، فأطْغيْتَ بَرّها وأكفرتَ فاجرها ، فكأنّي بهم إذا فقدوا ما عوّدتَهم قد ثاروا إلى القنا فعقدوا فيها خُمرهم ، فأصبحوا مصرّعين شائلةً أرجلهم بأفواه السِكَك ، فقام معاوية وخرجوا ، فدعا آذنه فقال : والله ما استرحتُ من هؤلاء إلى مستراحٍ ، وَيُحك أردتُ قوماً يحدّثوني حديثاً سهلاً فجئتَني بشيطان .

ويروى أنّ معاوية قال لسَعْد مولاه : إنّ جُلسائي قد ثقلوا عليّ ونازعوني الكلام فأُدخِل إليّ غيرهم ، فأدخل إليه أبا الأعور السُّلَمي ورجلا آخر ، فجرى بينه وبين معاوية ما نُسب إلى نَصْر بن الحجّاج ، قالوا : فلمّا قال أبو الأعور : وأضحوا شائلة أرجلهم بأفواه السِكك ، قال معاوية : وأبو الأعور فيهم ، فقال : أَغَضبتَ يا معاوية أن صدقتُك ؟ ذلك إلى الله فإن شاء كنتُ فيهم .

المدائني عن سُحيم بن حَفْص قال : كانت لعبدالله بن الزبير أرض إلى جانب أرضٍ لمعاوية ، فاقتتل غلمان معاوية وغلمان آبن الزبير : فكتب ابن الزبير : إلى معاوية بن أبي سفيان ، أمّا بعد فقد غلبتَنا بحُمْرانك وسودانك ، ولو قد التقتْ حَلْقتا البِطان واستوتْ بنا وبك الأقدام علمتَ مِنْ عبدِالله أنّ سودانك وحمرانك لا يُغْنون عنك شيئاً ، فقرأ معاوية الكتاب ثم رمى به إلى ابنه يزيد فقال : ما عندك ؟ قال : تبعث إليه مَن يقتله فتستريح من حُمقه وعُجبه ، قال : يا بُنيّ له بنون وعشيرة تمنعه ، إن بعثتُ بمائة رجل وأعطيتُ كلّ رجل ألفاً بلغ ذلك مائة ألف ، ولا أدري على مَن تكون

الدَبْرة ، فإن غُلبوا بعثتُ ألفاً وأعطيتُهم ألف ألف ، ولكنّي أكتب إليه ، فكتب إليه : من عبدالله معاوية أمير المؤمنين إلى عبدالله بن الزبير ، أمّا بعد فقد جاءَني كتابك تذكر أنّا غلبناك بحمراننا وسوداننا وأنّه إن التقتْ حلْقتا البِطان واستوتْ بنا وبك الأقدام علمنا أنّ حمراننا وسوداننا لا يُغنون عنّا شيئاً ، وإنّ أمير المؤمنين قد وهب لك ذلك المال بحمرانه وسودانه فخُذْه خِضْرا نضرا والسلام . فكتب إليه عبدالله بن الزبير : لعبدالله معاوية أمير المؤمنين من عبدالله بن الزبير ، أمّا بعد ، فقد غلبتَنا بحِلْمك وجُدتَ لنا بمالك ، فجزاك الله يا أمير المؤمنين خير جزاء ، فلمّا أتى معاويةَ الكتابُ قال ليزيد : يا بُنَيّ أَهذا خير أم ما أردت ؟

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يزيد بن عِياض قال : قال معاوية لأبي الجَهْم بن حُذَيفة : أيما أسنّ أنا أم أنت ؟ فقال أبو الجَهْم : والله إنّي لأذكر دخول أمّك على زوجها ، قال : أيّ أزواجها ؟ فوالله إنْ كانت لكريمة المَناكح ، فإيّاك يا أبا الجَهْم والإقدام بعدي على السلطان بمثل هذا ، فإنّما أمر السلطان كاللعب وصَوْلته كصولة الأسد ، فاحذر أن يؤمَر بك فيُوْتى على نفسك .

وحدثني العُمري عن الهيثم عن ابن عَيّاش عن أبي الهيثم الرحبي عن ابن عِضاه الأشعري قال : دخل أبو الجَهْم على معاوية فأجلسه معه على سريره وأكرمه ثم قال له : أيّما أسنّ أنا أم أنت ؟ قال : لقد أكلتُ في عُرس أمّك قبل أن يتزوّج أبوك ، فقال : لقد كانت تستكرمُ الأزواجَ ، ففي عُرس أيّ أزواجها أكلتَ ؟ قال : في عُرس حَفْص بن المغيرة ، قال : ذاك سيّد

قومه ، ثم قال : إيّاك والسلطان فإنّه يغضب غضب الصبيان ويصول صَولةَ الأسد .

أبو الحسن المدائني عن أبي عبد الرحمن العجلاني عن سعيد بن عبد الرحمن قال : دخل قومٌ من الأنصار على معاوية فقال لهم : يا معشر الأنصار ، قريش لكم خير منكم لها ، فإن يك ذلك لقَتلَى أُحدُ فقد نلتم يوم بدر مثلهم ، وإن يكن لِلأَثَرة فوالله ما تركتم لنا إلى صلتكم سبيلاً ، لقد خذلتم عثمان يوم الدار وقتلتم أنصاره يوم الجمل وصَلِيتم بالأمر يوم صفّين ؛ فتكلم قيس بن سعد فقال : أما ما قلت من أنّ قريشاً خير لنا منّا لهم فإن يفعلوا فقد أسكناهم الدار وقاسمناهم الأموال وبذلنا لهم الدماء ودفعنا عنهم الأعداء ، وأنت زعمت سيّد قريش فهل لنا عندك جزاء ؟ وأمّا قولك إن يكن ذلك لقتلى أحد فإنّ قتيلنا شهيد وحيّنا ثائر ، وأمّا ذكرك الأَثَرة فإن رسول الله ﷺ أمرنا بالصبر عليها ، وأمّا خِذلان عثمان فإنّ الأمر في عثمان كان الأَجْفَلَى[1] ، وأمّا قتلُ أنصاره يوم الجمل فما لا نعتذر منه وبوُدّك أنّ الجميع آصطلموا ، وأمّا قولك إنّا صَلِينا بالأمر يوم صِفّين فإنّا كنّا مع رجل لم نأْلُه خيراً ؛ ثم قاموا فخرجوا ، فقال معاوية : لله دَرّهم فوالله ما فرغ كلامه حتى ضاق المجلس عليَّ وما كان فيكم رجل يجيبه ؛ ثم ترضّاهم ووصلهم .

المدائني عن أبي عبد الرحمن العجلاني عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان قال : دخل قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري مع رهط من الأنصار على معاوية فقال معاوية : يا معشر الأنصار بماذا تطلبون ما قِبَلي ؟ والله لقد

---

١ ـ الأجفلي : الجماعة من كل شيء . القاموس .

كنتم قليلاً معي كثيراً عليّ ، ولقد فللتم حدّي يوم صِفّين حتى رأيتُ المنايا تَلَظّى في أسنّتكم ، وهجوتموني بأشدّ مِن وَخْز الأشافي[1] ، حتى إذا أقام الله ما حاولتم مَيْله قلتم ارْعَ فينا وصيّةَ رسول الله ﷺ ، هَيْهاتِ هَيْهاتِ يأبى الحَقينُ العِذرة ، فقال قيس بن سعد : إنّا نطلب ما عندك بالإسلام الكافي به الله فَقْدَ ما سِواه لا بما تَمُتُّ به إليك الأحزاب ، وأمّا عَداوتنا لك فلو شئتَ كففتَها عنك ، وأمّا هِجاؤنا إيّاك فقولٌ يزول باطله ويثبت حقّه ، وأمّا استقامة الأمر لك فعلى كُرْهٍ كان منّا ، وأمّا فلّنا حَدَّكَ يوم صِفّين فإنّا كنّا مع رجل نرى طاعته لله طاعةً ، وأمّا وصيّة رسول الله ﷺ بنا فإنّ مَن آمن به رَعاها بعده ، وأما قولك يأبى الحقين العِذرة فليس دون الله يد تحجزك ، فشأنَك يا معاوية ، فقال معاوية : سَوْءَةً ، ارفعوا حوائجكم ، فرفعوها فقضاها .

المدائني عن مَسْلمة بن مُحارب قال : هجَا عُقَيبة الأَسَدي أبا بُرْدة بن أبي موسى فقال :

أَنت امرؤٌ في الأَشْعَرينَ مُقابَلٌ وبالبيتِ والبَطْحاءِ أَنت غريبُ
وما كُنْتُ من حُدّاثِ أُمّك بالضحى ولا مَن يُزَكّيها بِظَهْرِ مَغيبِ

فشخص أبو بُرْدة إلى معاوية فشكا عُقيبة ، فقال معاوية : لم يهجُك ، قال:أنت بالبطحاء غريب وقد صدق ، وجعلك مقابلاً في قومك وأنّه لم يكن من حُدّاث أمك ، وقد قال لي أشدَّ ممّا قال لك :

---

١ ـ الإشفى : المثقب والسراد يخرز به . القاموس .

أكلتُمْ أرْضَنـا فَجَـرذْتُمُـوهـا فهل من قائِمٍ أو من حصيدِ
فَهَبْهـا أُمَّةً هَلَكَتْ ضَيـاعـاً يزيدُ يَسـوسُها وأبـو يزيـدِ

فهلُمّ نَدْعو الله عليه .

المدائني عن جُوَيرية بن أسماء عن مُسافع بن شَيْبة قال : حجَّ معاوية فلمّا كان عند الرَّدْم[1] أخذ الحسين بخِطام ناقته فأناخ به راحلته ، ثم سارّه طويلاً ثم انصرف ، وزجر معاوية راحلته وسار ، فقال عمرو بن عثمان بن عفّان : يُنيخ بك الحسين وتكفُّ عنه وهو ابن أبي طالب وتسرّعه على ما تعلم ، فقال معاوية : دَعْني مِن عليّ فوالله ما فارقني حتى خشيتُ أن يقتلني ، ولو قتلني ما أفلحتم ، وإنّ لكم من بني هاشم ليوماً عصيباً .

حدثني الحِرمازي عن جُهيم بن حسّان قال : أخبرتْ رَملةُ بنتُ معاويةَ امرأةُ عمرو بن عثمان أباها بقول قاله مروان لزوجها فكتب إليه : يا مروان سمعتُ رسول الله ﷺ وسلّم يقول : «إذا بلغ ولد الحَكَم ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دُوَلاً ودين الله دَخَلاً وعِباد الله خَوَلاً» ، فكتب إليه مروان : فإنّي أبو عشرة وأخو عشرة وعمّ عشرة والسلام .

المدائني عن محمد الثَقَفي قال : دعا معاوية بجارية له خُراسانية فخلا بها ، وعرضت له وصيفةٌ مولّدة فترك الخُراسانيةَ وخلا بالوصيفة فنال منها وخرج ، فقال للخراسانية : ما اسم الأسد بالفارسية ؟ فقالت : كَفْتار ، فخرج وهو يقول : أنا الكَفْتار ، فقيل له : يا أمير المؤمنين أتدري ما الكَفْتار ؟ قال : نعم الأسد ، قالوا : لا ولكنّه الضّبُع العرجاء ، فقال : ما لها لله دَرُّها ما أسرعَ ما أدركتْ بثأرها .

١ - ردم بني جمح بمكة . معجم البلدان .

العُمَري عن الهيثم عن عَوانة قال : قال عبد الرحمن بن حسّان :

ألا أَبْلِغْ معاويةَ بنَ حَـرْبٍ فقد أَبْلَغْتُمُ الحَنَقَ الصدورا
تَقـونَ بنا نُفـوسَكُمُ المنـايـا عَسَتْ بِكُمُ الدّوائرُ أن تدورا
بِحَرْبٍ لا يُرَى القُرَشيُّ فيها ولا الثَّقَفِيُّ إلاّ مُسْتَجـيرا

فبلغ معاوية الشعر فقال : لَئن استجار القرشيُّ إنّه لأسوأ الحالات .

المدائني عن عامر بن الأسود قال : وفد الزّعْل بن مَنان على معاوية فقال : لقد كنتُ أحب أن أراك قبل أن تموت ، فقال معاوية : أو تنعى إليّ نفسي ، بك الوَجبة ، وضحك .

حدثني هشام بن عمّار حدثنا الوليد بن مسلم عن مروان بن جَناح قال : قال عمرو بن العاص وذكر معاوية وهو بمصر : انّ إمامكم لَمِمّن سهّل الله خليقته ، وقوّم طريقته ، وأحسن صِيغَته ، فَمن كانت النِعْمة تُبْطره إنّها لتذلّله وتوقّره .

وحدثني هشام عن صَدَقة القرشي قال : قال يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين ما أدري أتخدع الناس أم يتخادعون لك ؟ فقال : مَن تخادع لك ليخدعك فقد خدعته .

المدائني عن عَوانة قال : قال معاوية : ما شيء أحبّ إليّ من عين خرّارة في أرض خوّارة ، فقال عمرو بن العاص : ما شيء أحبّ إليّ من أن أبيتَ عَروساً بعَقيلة من عَقائل العرب ، فقال وَرْدان مولى عمرو : ما شيء أحبّ إليّ من الإفضال على الإخوان ، فقال معاوية : أنا أُولى بهذا منك ، قال : قد ملكتَ فافعلْ .

المدائني عن عبد الحميد ، عن جابر بن يزيد أنّ عمرو بن العاص قال وهو عند معاوية : ما بقي من لذّتي إلا الحديث وأن يأتيني من ضَيْعتي ما أحب ، فقال معاوية : وأنا والله كذلك ، فقال ورْدان : مَا بقي في الدنيا شيء أحبّ إليّ من حديث حسن أسمعه ، أو أن يأتيني رجل في حاجة قد عَيَّ بها وضاق ذَرْعه فأُفرّج كُرْبته وأقضي حاجته ، فأنال بذلك ذِكْراً في الدنيا وأجرْاً في الآخرة ، فقال معاوية : أين كنّا عن هذه يا عمرو ؟ قال وَرْدان : أنتما والله أقدر على ذلك منّي .

حدثني العُمري عن الهيثم عن ابن عَيّاش عن [أبي الهيثم] الرحبي قال : قال معاوية ليزيد : ما ألقى الله بشيء أعظم في نفسي من استخلافك .

حدثني عبيد الله القواريري حدثنا يحيى بن سعيد عن عِمْران بن حُدَير قال : سألتُ أبا مِجْلَز عن بيع المصاحف قال : انّما بيعتْ في زمن معاوية ، قلت : فأكتبها ؟ قال : استعملْ يدك بما شئتَ .

المدائني عن مَسْلمة وغيره قالوا : كتب عمرو بن العاص إلى معاوية يسأله أن يولّي عبدالله ابنه مِصْرَ بعده ، فقال معاوية : أراد أبو عبدالله أن يكتّ[1] فهدر .

وروي عن عمرو بن العاص انّه قال : ما رأيت معاوية قطّ متّكئاً واضعاً إحدى رجلَيْه على الأخرى كاسراً عينه يقول لَمن يكلّمه:إيهِ إلاّ رحمتُ الذي يكلّمه .

١ - يكت : يلقى السر في أذنه رفيقه .

المدائني عن مَسْلمة قال : قال عبد الملك بن مروان : ما رأيتُ مثلَ ابن هِنْد في حِلْمه وكرمه ، وما رحمتُ أحداً قطّ رحْمتي لرجل رأيت ابن هِنْد قد احتبج[1] على يده اليُسْرى ثمّ قال : يا هذا قُلْ .

المدائني قال : اشترى معاوية من حُوَيْطِب بن عبد العُزّى داره بخمسة وأربعين ألف دينار ، فهنّأه قوم فقال : وما خمسة وأربعون ألف دينار بالحجاز مع سبعة من العِيال .

المدائني قال : قال معاوية لرجل من قريش : ما المُرُوّة ؟ قال : إطعام الطعام وضَرْب الهام ، ثم قال لرجل من ثَقيف : ما المروّة ؟ فقال : تَقْوى الله وإصلاح المال ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فقال : أمّا قول القرشي فهو الفُتُوّة ، وأمّا الثَقَفي فأصاب في قوله تقوى الله ولم يصنع بعد ذلك شيئاً ، ولكّن المروّة أن تُعطي مَن حَرَمك وتعفوا عمّن ظلمك وتسلّط الحقوق على مالك .

وقال معاوية لصَعْصَعة بن صوحان : ما المروّة ؟ قال : الصبر على النوائب والصمْت حتّى يُحتاج إلى الكلام .

وزعموا أنّ معاوية قال للحسين بن علي : ما المُروّة ؟ فقال : فِقْه الرجل في دينه وإصلاحه معاشه وحُسن مخالقته للناس ، قال : فما النَجْدة ؟ قال : الذبّ عن الجار والإقدام على الكريهة ، قال : فما الجود ؟ قال : التبرّع بالإفضال والإعطاء قبل السُؤال والإطعام عند الإمحال ، فقال معاوية : أشهد بالله لقد صدقتَ .

---

١ ـ أحبج : قرب وأشرف حتى رئي ، والعروق شخصت ودرت . القاموس .

المدائني عن أبي اليقظان وغيره قالوا : وفد إلى معاويةَ الأحنف وجارية بن قُدامة والحُتات بن يزيد المُجاشعي فقال معاوية لجارية : أأنت الساعي مع عليّ والمُوقد النار في نُصْرَته ؟ فقال جارية : يا معاوية دَعْ عنك علياً وذكره ، فوالله ما أبغضناه مُذ أحببناه ، ولا غششناه مُذ نصحناه ، قال : ويحك يا جارية ما كان أَهْونك على أهلك إذ سمّوك جارية ، فقال : أنت كنت أهْون على أهلك إذ سمُّوك معاوية ، فقال معاوية : اسكتْ لا أمّ لك ، قال : أمٌّ لم تلدْني ، إن قوائم السيوف التي لقيناك بها بصِفّين لفي أيدينا ، قال : إنّك لتوعدني ، قال : إنّك لم تملِكنا قَسْراً ولم تفتحنا عَنْوَةً ولكنّا أعطينا عهوداً ومَواثيق ، فإن وفيتَ لنا وفينا ، وإن نزعتَ إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالاً أنجاداً وأذْرُعاً شِداداً وأسِنّة حِداداً ، فإن بسطتَ لنا فِتْراً من غَدْر دَلَفنا إليك بِباعٍ من خَتْر ، فقال له معاوية : اسكتْ فلا أكثر الله في الناس أمثالك ، فقال : قُلْ معروفاً يا أمير المؤمنين فقد بلونا قريشاً فوجدناك اليوم أَوْراها زنْداً وأكثرها زُبْداً وأحسنها رِفْداً ، فارْعَنا رُوَيدا ، فإنَّ شرّ الرِّعاء الحُطَمَة[1] .

المدائني عن عامر بن عبدالله عن أبي الزناد قال : قال معاوية لرجل من سَبَأ : ما كان أجهلَ قومَكَ حين ملّكوا عليهم امرأة ثم قالوا ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنَا﴾[2] فقال : قومك أجهل من قومي حين قالوا ورسول الله يدعوهم :

---

١ ـ الحطمة : ما تكسر من اليبس . القاموس ، وانظر المثل في أمثال أبي عبيد ص ٣٠٢ .
٢ ـ سورة سبأ ـ الآية : ١٩ .

﴿إنْ كانَ هذا هُوَ الحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائتِنا بِعَذابٍ أَليمٍ﴾[1] .

المدائني قال ، قال معاوية يوماً للحسين : يا حسين ، فقال ابن الزبير : يا أبا عبدالله أيّاك يعني ، فقال معاوية : يا بن الزبير أتُريد أن تغريه بي إذْ سمَّيتُه وكَنَيتَه ؟! أما والله ما أولِعَ شيخُ قومٍ قطّ بالرتاج والباب إلاّ مات بينهما .

حدثني عبيدالله بن مُعاذ عن أبيه عن شُعبة قال : أراد معاوية أن يَدَّعي جُنادة بن أبي أميّة الأَزْدي[2] ، فقال عبدالله بن عمرو بن العاص : سمعت النبي ﷺ يقول : «لا يريح ريحَ الجنّة مَن ادّعى إلى غير أبيه» ، فقال جُنادة : أنا سهمك في كِنانتك ، فأمّا الدعوة فلا .

حدثنا العُمري عن الهيثم بن عَديّ حدثني ابن زَغْبان عن أبي المخارق قال : كنتُ أحمل كتبَ كاتب معاوية وأدخل بها معه إليه ، فدخلتُ ذاتَ يوم فكأنّه أعجبه منّي ما يُعجب الملك من خادمه فقال لي : ويحك مَن أنت ؟ قلتُ : أنا زياد مولى عبدالله بن أُذَيْنة الحارثي ، قال : صاحبنا بِصِفّين ؟ قلتُ : نعم يرحمه الله ، ثم أقبل على كاتبه فقال : عليك أبداً بصاحبك الأوّل فإنّك تلقاه على مودّة واحدة ، وإن طال العهد وشَطّت الدار ، وإياك وكلَّ مستحدثٍ فإنّه يستطرفُ قوماً ويميلُ مع كلِّ ريح .

أبو الحسن المدائني عن المغيرة بن عطيّة قال : خرج معاوية من دمشق هارباً من الطاعون ، فلما كفَّ الطاعون رجع إليها ، فبينا هو يسير وقد قرب

---

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٣٢ .

٢ ـ بهامش الأصل : الأرحبي .

من الغوطة وقيس بن ثَوْر الكِندي وابن زِمْل السَّكْسَكي يُسايرانه أقبل همّام بن قَبيصة النُمَيري فأراد أن يدخل بين معاوية وبينهما ، فقال معاوية : ألا أُخبركم عن صَدْرنا ؟ قالوا : بلى ، قال : إن الله بعث رسول الله ﷺ فكان فَضْله لا يوصف ولا يُبَلغ حتى توفّاه الله إليه ، ثم ولي أبو بكر فلم يُرِدِ الدنيا ولم تُرِدْه ، ثم ولي عمر فأرادتْه الدنيا ولم يُرِدْها ، ثم ولي عثمان فأرادتْه الدنيا وأرادها حتى قُتل ، ثم صار الأمر إليّ فوالله ما بلغ مِن حُسن عملي ما يكون مثل سَيِّء عثمان الذي قُتل عليه . ثم بكى ، فقال همّام بن قَبيصة : ما بُكاؤك من أمر أنت مقيمٌ عليه لا تنزع عنه ؟! فلم يكلّمه معاوية ومضى حتى أشرف على الغوطة فقال : أيّ بستان رجلٍ ، فقال همّام : يا معاوية ملكتَ الشرق والغرب فلم تكتفِ بذلك حتى أردتَ أن تأخذ أموالنا ، لا أشبع الله بطنك . فضحك معاوية ثم حرك دابّته فقال : حتى نُمَير تُحاقّني في الغوطة .

المدائني عن علي بن سُليم قال : قال عبدالله بن همّام السَلولي :

فـإنْ تأتـوا بِبَـرَّةَ أَوْ بِهِنْـدٍ نُبـايِعْهـا أميـرَةَ مُؤمِنينـا
وكُلّ بَنِيكَ نَرْضاهُمْ جَميعـاً وإنْ شِئْتُم فعَمُّهُمُ البَـطينا
إذا ما ماتَ كِسْرَى قام كِسْرَى نَعُـدُّ ثَـلاثَـةً مُتَنـاسِقينـا
أيا لَهْفَا لَوَ انَّ لنا رِجالاً ولكِنّـا نَعـود كَـما عُنينـا
إذاً لَضُـرِبْتُمُ حتّى تَعـودوا بِمَكَّـةَ تَلْعَقونَ بِهـا السخينا
حُشينا الغَيْظَ حتّى لَوْ سُقينا دِمـاءَ بَني أُمَيَّةَ مـا رَوينـا
لَقد ضاعَتْ رعِيَّتُكُمْ وأَنْتُمْ تَصيـدونَ الأَرانِبَ غـافِلينـا

فقال معاوية : ما ترك ابن هَمّام شيئاً ، عيّرنا بالسخينة وذكّرنا أمَّهاتنا وتهدّدنا وذكر أنّه لو شرب دماءنا ما اشتفى، اللّهمّ اكفِناه .

المدائني عن عبد العزيز بن عِمْران قال : قال معاوية لعبد الرحمن [بن الحَكم] بن أبي العاص أخي مروان بن الحَكَم يا أبا مُطَرِّف ألا أعرض عليك خيلا ؟ قال : بلى ، فعرض عليه أفراساً فقال : هذا سابح وهذا أجشّ وهذا هَزيم ، فقال معاوية : إنّ صاحبها لا يشبّب بكَنّاتِهِ ولا يُتَّهَمُ برِيبة ، أراد عبد الرحمن قول النجاشي لمعاوية :

ونَجّى ابْنَ حَرْبٍ سابحٌ ذو عُلالَةٍ   أَجَشُّ هَزيمٌ والرِّمــاحُ دَوانِ

فعيّره بالفرار يوم صفّين ، وأراد معاوية تشبيبَ عبد الرحمن بأمرأَتَيْ أخيه مروان بن الحَكَم أمِّ أبان بنت عثمان وقُطَيّةَ بنت بِشْر بن عامر بن مُلاعب الأسنّة .

قُطَيَّةُ كَالدينارِ أُحسِنَ نَقْشُهُ   وأُمُّ أبــانٍ كالشَّرابِ المُبَــرَّدِ

المدائني عن مَسْلمة بن مُحارب عن حرب بن خالد بن يزيد قال : أراد معاوية عزل مروان بن الحَكَم عن المدينة ، فبلغ ذلك مروان فقدم على معاوية ، فلم يأذن له وقال : لا آذن له إلاّ مع جماعة الناس ، فقال : ما شاء الله ! وتَهدَّده، فبلغ معاويةَ قولُهُ فأذن له وتعوذّ من شرّه ، فدخل فقال : يا أمير المؤمنين عَلامَ تعزلني ؟ فوالله لقد أمرّناك فما عزلناك ، ووصلناك فما قطعناك ، ولا حرمناك مُذ أعطيناك ، فقال معاوية : أعزلك لثلاث لو لم تكن إلا واحدة منهنّ لوجب أن تُقتلع اقتلاع الصَّمْغة ، قال : وما هنّ ؟ قال : أتيتّني وعبدالله بن عامر في يدي وقد أقرّ لي بألف ألف درهم فانتزعته منّي ، واستصرختْك ابنتي على زوجها فلم تُصرخها ، ورأيتُ أنّك قد ذهبت في

السماء عالياً فأردتُ أن أضع منك ، قال : يا أمير المؤمنين أمّا ابن عامر فقرابته منّي ومنك سواءٌ ، فلستُ بأحقّ به منك ، فإن تطبْ نفسُك بما عليه وإلاّ فإنّي ضامن لك ما أقرَّبه ، وأمّا ابنتك فإنّ أخت زوجها عمرو بن عثمان عندي ، وأنا أُغيرها وأُمضّها فلم أكن لأنهى عمراً عن شيء أصنع مثله بأخته ، وأمّا ذهابي في السماء ، فأنا ابن عمّك وشرفي شرفك وزَيني زينك ، قال : صدقتَ أبا عبد الملك ، فارجعْ إلى عملك وأزِرْني رَمْلة ابنتي ، فرجع مروان إلى المدينة وحمل رَمْلة إلى معاوية ، فقال : يا بُنَيّة كيف رضاك عن عن عمرو بن عثمان زوجك ؟ قالت : والله ما يزال بنو أبي العاص يتكثّرون علينا بعددهم حتى لوددتُ أنّ ابنيَّ هذَيْن منهم في البحر ، قال : يا بُنيّة إن هذا منك كبير ، ولنحنُ كنّا أشقى بُمناوأة الرجل مِن أن تكوني رجلاً .

حدثني عبدالله بن صالح عن يحيى بن يَمان عن سفيان قال : ذكر الأعمش معاوية فقال : لقد كان مستصغراً لعظيم ما يُجبَهُ به من القول الغليظ مغتفراً له إذا قيل له يا أمير المؤمنين .

حدثني محمد بن سعد الواقدي عن محمد بن راشد عن مكحول قال : قال معاوية : ما من عدوّ إلا وأنا أقدر على مداراته واستصلاحه ، إلاّ عدوّ نِعْمة وحاسدها ، لا يُرضيه منّي إلاّ زَوالُ نِعْمتي ، فلا أرضاه الله أبداً .

المدائني عن عبدالله بن فائد وغيره قال : أراد معاوية ابتياع ضَيْعة من بعض اليهود ، وذُكرتْ له ، فبعث إلى صاحبها فأُتي به ، وهو شارب نبيذ ، فلمّا رآه معاوية طمع في غَبْنه ، فقال له : بِعْني ضَيْعتك ، فضحك اليهودي

وقال : ليس هذا وقتَ بيعٍ ولا شراء ، ولكن إن شئتَ غنّيتُك صوتاً ، فضحك معاوية وقال : اللّهمَ أخزهِ فما أشد عُقْدته وأثبتَ عُكْدته[1] !

المدائني عن علي بن مُجاهد عن هشام بن عروة قال : سأل عبدالله بن الزبير معاويةَ حوائجَ فمنعه فقال : يا أمير المؤمنين ، أو يا معاوية ، إنّي لخليق أن أخرج فأقعد على طريق الشام فلا أشتم لك عِرْضاً ولا أقصب لك حَسَباً ، ولكنّي أسدل عِمامتي بين يديّ ذِراعاً وخلْفي ذِراعاً ، وأذكر سيرة أبي بكر وعمر ، فيقال هذا ابن حَواريّ رسول الله ﷺ ، فقال معاوية : كفى بذلك ، وقضى حوائجه .

المدائني قال : طلب عبدالله بن الزبير الإذن على معاوية هو وعمرو بن الزبير ، وكانت أمّ عبدالله بن الزبير أسماء بنت أبي بكر ، وأمّ عمرو بنت خالد بن سعيد بن العاص ، فقال سعيد بن العاص : يا أمير المؤمنين آئذنْ لعمرو أوّلاً ، فقال معاوية : دَعْني من ولادتكم له ، فما هما عندي إلا كَجَنْبَيْ شاة لا أُبالي أيّهما وُضع على النار أولاً .

حدثني أبو مسعود عن ابن الكلبي عن عوانة قال : دخل الضحّاك بن قيس الفِهْريّ على معاوية وعنده أبو الجَهْم بن حُذَيفة ، فقال أبو الجَهْم : يا أبا أُنيس كيف ترى الدّهْر؟ قال : هو كما قال الأسَدي :

أبى الخُلْدَ أنَّ الدّهْرَ أفنتْ صُروفُهُ ... رِجالاً كِراماً من لُؤَيّ بنِ غالِبِ
فَلا تأمَنَنَّ الدّهر إنّي رَأَيْتُهُ ... تَناوَلَ كسرى مُجْدِباً في الكتائِبِ
فلَم تُنْجِهِ مل الموتِ حَزْمٌ وحيلةٌ ... وقد كان مُحتالاً كثيرَ التَجارِبِ

---

١ ـ العكدة : العصعص والقوة . القاموس .

فقال أبو الجهم ـ وكان شريراً : كأنّك أردتَ أميرَ المؤمنين بهذا ، قال : كِلَيْكما أردتُ ، فقال معاوية : كلّنا يجري إلى غايةٍ وهو بالغُها .

المدائني عن بكر بن الأسود عن سعيد بن عمرو بن سعيد قال : قال عبد الرحمن بن الحكم لمعاوية : والله يا معاوية لو لم تجدْ إلّا الزَّنْج لتكثّرتَ بهم علينا قِلّةً وذِلّةً ، كأنا لسنا بني أبيك ؟! فأقبل معاوية على مروان فقال : ألا تُغْني عنّا أخاك هذا الخليع ! فقال مروان : قد علمتَ يا أمير المؤمنين أنّه لا يُطاق ، فقال معاوية : والله لولا حِلْمي لعلمتَ أنّه يُطاق .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : استأذن نافع بن جُبَير بن مطعم على معاوية فمنعه الحاجب ، فكسر أنفه ومعاوية ينظر ، فلمّا دخل عليه قال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : وما يمنعني من ذلك وأنا بالمكان الذي أنا به من أمير المؤمنين ؟ فقال له أبوه : وَيْحك ، ألا قلتَ وأنا بالمكان الذي أنا به من عبد مناف بن قُصيَ ؟!

المدائني عن أبي محمد القرشي عن أبي حَرْب بن أبي الأسود الدُولي قال : وجّه معاوية رَوْح بن زِنْباع الجُذامي إلى بعض الملوك في صُلْح جرى بينه وبينه ليكتب بينهما كتاباً ، فلمّا قدم رَوْح على الملك تشدَّد في الشرط فقال له الملك : ما هذا التشدّد ، وقد بلغني أنّك من صَعاليك العرب ، وأنّك تريد الركوب إلى صاحبك فتستعير الدوابّ ، وأنّك لستَ تبصر أمرك ولا تقصد لما فيه الحَظّ لك ، فأَصِبْ من هذا المال وآعملْ لنفسك ، فأعطاه عشرين ألف دينار ، ولينّ له الشرط ، فلمّا قدم على معاوية نظر في الشرط فقال : وَيحك ما عملت إلّا له عليّ ، ولقد خُنْتَني وغششتَني ، والله لأُعاقبنّك عقوبةً أجعلك فيها نَكالاً لَمن بعدك ، خُذاه ، فقال رَوْح ، أنشدك الله يا أمير

المؤمنين أن تُبْدي منّي خسيسة أنت رفعتها ، أو تهدم منّي رُكنا أنت بنيتَه ، أو تنقض لي مريرة[1] أنت أبرمتَها ، وأن تُشمِت بي عدوّا أنت وَقَمْتَه وكَبَتَّه ، ليأْتِ حِلْمك على جهلي ، وعفْوك على ذنبي ، وإحسانك على إساءتي ، فرقّ له معاوية رضي الله عنه وقال : خَلّوه :

* إذا الله سَنَّى حلَّ عَقْدٍ تَيَسَّرا *

المدائني عن علي بن مجاهد عن عبد الأعلى بن مَيْمون بن مِهْران عن أبيه أنّ معاوية قال لعمرو بن العاص رضي الله عنهما : أحبّ أن تصفح لي عن الوَهْط[2] ، ضيعتِك ، فقال : يا أمير المؤمنين أحبّ أن تُعْرِضَ لي عنها ، قال : لا ، فأبى عمرو أن يفعل ، فقال معاوية : مثلك يا عمرو كمثل ثَوْر في روضة ، إنْ تُرِك رتع ، وإن هيج نطح ، فقال عمرو : ومثلك يا أمير المؤمنين مثل بعير في روضة يُصيب مِن أخلاط الشجر فيها ، فرأى شجرة على صخرة زلّاء ، فرغب عمّا هو فيه وتعاطَى الشجرة فتكسّر .

المدائني عن علي بن سُليم التميمي قال : قال معاوية لقيس بن سعد بن عُبادة : والله يا قيس لقد كنتُ أكره أن تنجلي هذه الغُمّة وتنكشف هذه الهَبْوة[3] وأنت حيّ ، فقال قيس : وأنا والله يا معاوية قد كنت أكره أن تنجلي وأنت أمير المؤمنين .

---

١ ـ المريرة : قوة الخلق وشدته .

٢ ـ الوهط : بستان ومال كان لعمرو بن العاص بالطائف على ثلاثة أميال من وج ، كان يعرش على ألف ألف خشبة ، شراء كل خشبة درهم . القاموس .

٣ ـ الهبوة : الغبره . القاموس .

المدائني عن عبدالله بن سَلام عن عبد الملك بن نوفل عن محمد بن كعب قال : تنازع عبدالله بن الزبير ومروان بن الحكم فمال معاوية مع مروان ، فقال ابن الزبير : يا معاوية إنّ لنا حقّاً وحُرْمة وطاعة ، ما أطعتَ الله نُطِعْك ، إنّا يا معاوية لا نَدَع مروان يركبنا في جماهير قريش بمَشاقِصِه ، ويضرب صَفاتهم بمَعاوِله ، ولولا مكانك كان أُخفَّ على رِقابنا من فَراشة ، وأُذلَّ في أنفسنا من خَشاشة ، ولئن ملك أُعِنَّة خيل تنقاد له ليركبنّ منك طَبَقاً تخافه ، فقال معاوية : إن يطلب الأمر فقد يطمع فيه مَن هو دونه ، وإن يتركه يتركه لِمَن هو فوقه ، وما أراكم يا معشر قريش بمنتهين حتى يبعثَ الله عليكم مَن لا يعطف على أحد منكم بقرابة ، ولا يذكركم في مُلِمّة ، يسومكم الخَسْف ويوردكم التَلَف ، قال ابن الزبير : إذاً والله يا معاوية نُطْلِق عِقال الحرب بكَتائب تَمور كرجْل الجَراد ، لها دَوِيّ كدويّ الريح ، تتبع غِطريفاً من قريش لم تكن أمّه براعية ثَلّة[1] ، فقال معاوية : أنا ابن هِنْد ، أطلقتُ عِقال الحرب ، وأكلتُ عَبيط[2] السَّنام ، وشربتُ عُنْفُوان المَكْرَع ، فليس للآكل بعدي إلاّ الفِلذة ، ولا للشارب إلاّ الرَّنْق[3] ، فقال ابن الزبير : رُبّ آكل عَبيط سَيغصّ ، وشارب صَفْوٍ سيشرق ويقال قال : رُبّ آكل عَبيطٍ سيُقَدّ ، والقُداد حرّ في الصدر .

---

١ - الثلة : جماعة الغنم أوالكثيرة منها ، أومن الضأن خاصة . القاموس .

٢ - عبط الذبيحة يعبطها : نحرها من غير علة وهي سمينة فتية ، ولحم عبيط : طري القاموس .

٣ - رنق الماء : كدر . القاموس .

المدائني عن حفص بن عمر عن معاوية بن عمرو عن ابن سيرين قال : دخل معاوية البيت الحرام ومعه عبد الله بن الزبير ، فكلّمه ابن الزبير في حاجة للحسين بن علي فأباها معاوية ، فأخذ ابن الزبير بيده فغمزها ، فقال له معاوية : خلّني وَيْحك ، قال : لا والله أوْ تقضي حاجة الحسين وإلا كسرتُها ، قال : فإنّي أفعل ، فخلّى يده ، ثم قال : يا أمير المؤمنين أكنتَ ترى أنّني أكسر يدك ؟ قال : وما يؤمنني ذلك منك ؟

حدثني العُمري عن الهيْثم بن عَدي قال حدثني ابن عَيّاش عن [أبي] الهيثم الرحبي ، قال : دخل ابن الزبير على معاوية وهو خالٍ ، فأخذ يده فغمزها غمزة شديدة تأوّه لها معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين ما يؤمنك أن أقتلك ؟ قال : لستَ من قَتّالي الملوك ، إنّما يصيد كل طائر قدره ، قال : يا أمير المؤمنين إنّي قد استجفيتُك ، قال : ولِمَ ؟ فسأله حوائج فقضاها .

وقد قيل : إنّ معاوية خرج من مكّة ليلاً مستخفياً ، وبلغ ابن الزبير خروجُه فلحقه وسايره ساعة ، ثم قال : لو شئتُ يا أمير المؤمنين لقتلتُك مُذ الليلة ، قال : كَلّا لستَ من قَتّالي الملوك ، إنّما يصيد كلّ طائر قدره .

قال الهيثم بن عَدّي : أراد معاوية أن يأخذ أرضاً لعمرو بن العاص فكتب اليه عمرو بشعر [هجي به] خُفاف بن نُدْبَة :

أبا خُراشَةَ إما كُنْتَ ذا نَفَرٍ ... فَإنَّ قَوْمِيَ لَمْ تأكُلْهُمُ الضَّبعُ[1]
وكُلُّ قَوْمِكَ يَخْشَى منكَ بائِقَةٍ ... فانْظُرْ قَليلاً وأَبْصِرْها بِمَنْ تَقَعُ
فالسّلْمُ تأخُذُ منها ما رَضيتَ به ... والحَرْبُ يَكْفيكَ مِنْ أنفاسِها الجُرَعُ

١ ـ الضَّبُع : السنة المجدبة . القاموس .

المدائني عن أبي عبد الرحمن العجلاني قال : قال معاوية يوماً وهو في جماعة من أهل بيته : مَن يكفيني ابن الزبير ، فوالله ما أردتُ أمرا إلاّ عانَد فيه ، ولا تكلّمت في شيء إلاّ اعترض في قولي ، وهو بعدُ غلام من غلمان قريش ، إلا أنّه غير معروف بالأفن[1] وإن كان حديث السنّ ، فقال عمرو بن العاص : ضمنت لك يا أمير المؤمنين أن أُلين عَريكتَه ، وأُذهب نَخْوته ، وأُخرس لسانه ، وأُعدمه بيانه ، حتى أَدعه أَلْينَ من خَميرة مُرَيَّثة ، وأذلّ من نَقَدة [2] على أن ترفدني وتقضي حوائجي ، قال : نعم ؛ وجاء ابن الزبير وقد بلغه الخبر ، فَنَكتَ عمرو بن العاص في الأرض ثم قال :

إنّي لَنارٌ ما يُرامُ آصْطِلاؤها لَدَى كُلِّ أَمْرٍ مُعْضِلٍ مُتَفَاقِمِ

فقال ابن الزبير مجيباً له :

وإنّي لَبَحرٌ ما يُسامَى عُبابُهُ متى يَلْقَ بَحْري حَرَّ نارِكَ تَخْمَدِ

فقال عمرو : مهلاً يا بن الزبير فإنّك لا تزال متجلبباً جلابيب التيه ، مؤتزراً بوصائل التهكّم ، تَعاطَى الأَقْورينَ ولستَ من قريش في لُباب حَسَبها ولا مؤنق جوهرها ، فقال ابن الزبير : أمّا ما ذكرت من تجلببي جلابيب التيه وائتزاري بوصائل التهكّم فمعاذَ الله من ذلك ، لقد عرف مَن عرفني أنّ الأُبّهة ليستْ من شأني ، وإنّك لأنت المتوّه في وادي الضلالة ، المستشعر جَخائف[3] الكِبْر ، اللابس للسُّبَّةِ ، المُتَجَرْثِم جراثيم البطالة ، الساهي عن كلّ مروءة وخير ، وأيْم الله لتنتهينّ عن تناولك القُلَل الشامخة والذُّرَى الباسقة

---

١ ـ المأفون : الضعيف الرأي والعقل ، والمتمدح بما ليس عنده . القاموس .
٢ ـ النقد جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه . مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٢٨٤ .
٣ ـ الجخيف : الطيش ، والروع ، والتكبر ، والافتخار بما ليس عنده . القاموس .

أو لأرمينّك بلسانٍ صارم من أريب مُراجِم ، يلدَغك بحُسبان ، فإنّك ذو خَدْع ومكر ، قتّاتٌ عَيّابٌ مُغْتابٌ ، تُقلّب لسانك في قريش كتقليب المَحالة ، ووالله لتَدَعَنَّ وقيعَتك في الرجال أو لأسِمَنّك بِسِمَة تَدَعك شَناراً وتُكسبك عاراً ، فقال عمرو : كلا يا بن الزبير لقد أحْكَمَتْني التجارب ، وجرّستني الدُهور ، وعرفتُ نظائر الأمور ، وحلبتُ الزمان أشطره ، ورضعتُ أفاويقه ، فأغرق سَهْمي نزعاً ، ولم تُعرف لي نَبْوة في شدة ، ولا جهالة عند الحدّة ، ولقد ضربتُ أمور الباطل بذَرِب الحقّ حتى أقمتُ مَيلها ، وثقّفتُها بعد آعوجاجها . فقال ابن الزبير : لقد قرب غوْرك ، وضاق صدرك ، فآنتفخ سَحْرك ، والتوى عليك أمرك ، فأمّا ما ذكرتَ من تعاطيَّ ما أتَعاطاه فإنّي آمرؤ سَما بي إلى ذلك ما لا تَصولُ بمِثلِهِ : أنفي حَمِيّ ، وحسبي زكيّ ، وقلبي ذكيّ ، وأمري سديد ، ورأيي رشيد ، ولقد قعد بك عن ذلك ضعف جَنانك ، وصغير همّتك ، وأمّا ذمّك نسبي وحسبي فقد حضرني وإيّاك النظراء الأكفاء العلماء بي وبك وأنشد :

تَعالَوْا فإنّ العِلْمَ عندَ ذَوي النُّهَى مِنَ الناسِ كالبَلْقاءِ بادٍ حُجولُها
نُنافِرْكُمُ بِالحَقِّ حَتّى تَبَيَّنوا على أيّنا تُلْقي الفُروعَ أُصولُها[1]

فقال معاوية ومن حضر : أنْصَفَك ، فقال ابن الزبير : أما والله لأغِصّنّك بريقك ، ولألَيّننّ أخدعيْك ، ولأقيمنّ صعَر خدَّيك ، ولأبيّننّ للناس كهامة لسانك ، يا معشرَ قريش أأنا في نفسي خير أم هو ، قالوا : أنت : قال : فأبي خير أم أبوه ، قالوا : اللهمّ أبوك حواريّ رسول الله ، قال :

---

١ ـ ديوان الأعشى ـ ط . دار صادر ، بيروت ص ١٣٤ .

أفأمّي خير أم أمّه ؟ قالوا : أمّك والله أسماء بنت الصدّيق ، قال : أفجدّتي خير أم جدّته ؟ قالوا : جدّتك صفيّة عمّة محمد ﷺ ، قال : فظفر به ابن الزبير فأنشد :

قَضَتِ الغَطارِفُ مِنْ قُرَيْشٍ بَيْنَنا فاصْبِرْ على رَغْمٍ لِفَصْلِ قَضائِها

وإذا جَرَيْتَ فلا تُجارِ مُهَذَّباً بَذَّ الجيادَ لدى احتِفالِ جِرائِها

ثم قال : والله يا عمرو لو أنّ الذي أمرك بهذا إيّايَ واجَهَ ، لقصرتُ من سامي طَرْفه ، ولجرجرتُ الغيظ في صدره ، فوالله ما استغاث بكهف ولا لجأ إلى وَزَر ، يعني معاوية . فلما خرج ابن الزبير قال معاوية لعمرو : والله لقد علاك بخصومته . وفلج عليك بحُجّته ، وما زدتَ على أن فضحتَنا ونفسك ، فقال : يا أمير المؤمنين عجلَ عليّ بالمقالة ، فقطعتم عليّ الشهادة ، فقال معاوية : لله أبوك أفأردتَ أن نبْهَتَه لك ؟!

المدائني قال : قدم الزعل السُّلَمي من الأزد على معاوية فقال : الحمدلله الذي لم يُمتْك حتى رأيتُك ، فقال : بك الوَجبة ، أتنعاني إلى نفسي لا أمّ لك ؟! وابنه سفيان بن الزعل كان على شرطة عبد الملك بن المهلّب ، وعبد الملك يومئذ خليفة الحَكَم بن أيّوب .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن اسماعيل بن عَيّاش قال : قدمتْ رَمْلة بنت معاوية على أبيها فقال : أطلّقَك عمرو ؟ فقالت : لا ، فقال : ليْتَه فعل ، وكانت هِنْد بنت معاوية عند ابن عامر ، فقال عبد الرحمن بن الحَكَم :

أيَرْجو ابنُ هِنْدٍ أنْ يَموتَ ابْنُ عامِرٍ ورَمْلة يَوْماً أَنْ يُطَلِّقَها عَمرُو

وحُدثتُ عن عيسى بن يزيد الكِناني قال : كان بين الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط وعمرو بن العاص لحاء بين يدي معاوية ، فقصبه عمرو ، فقال له الوليد : اسكتْ يا عبد السلطان وأخا الشيطان ، يا منزوع الحَياء وطَوْع النساء، يا ألأم أهل بيته وأذلّ عشيرته، لقد بلغ بك اللُؤم الغاية القُصْوى المُذلّة لأهلها في الآخرة والأولى ، فمنعتَ الحقوق ولزمت العُقوق ومارَيْت أهل الفضل ، فقال عمرو : إنّك لتعلم أنّي مُرّ المَذاقة وأن ليس لك بي طاقة ، وأنّي حيّة الوادي ، وداهية الأعادي ، لا أتبع الأفياء ولا أنتمي إلى غير الآباء ، أحمي الذِمار في المِضْمار ، غير هَيوبة للوعيد ولا فَروقة رِعْديد ، أُطعم الطعام وأضرب الهام ، أَفَبالبُخْل تعيّرني وإيّاه حالفتَ وعليه جُبلتَ ؟! فقال معاوية : أقسمتُ لما سكتّما ، ثم أنشد :

وَليدُ إذا ما كُنْتَ في القَوْمِ جالِساً فَهُنْ وَلْيَكُنْ مِنْكَ الوَقارُ على بالِ
ولا يأتِيَنَّ الدهرَ مِنْ فيكَ مَنْطِقٌ بلا نَظَرٍ قد كان منك وإعْمالِ
لِرَأْيِكَ فيهِ ، خَوْفَ ما ليس راجِعاً فما كُلُّ مَنْ تَلْقَى ابنُ عَمٍّ ولا خالِ

قال لي هشام بن عَمّار : نظرتُ في أحاديث معاوية عندكم فوجدتُ أكثرها مصنوعاً ، وذكر هذا الحديث .

حدثني العُمري عن الهيثم عن يعقوب بن داود عن يزيد بن بِشْر عن همّام بن قَبيصة وعن ابن عَيّاش عن [أبي] الهَيْثم الرحبي قالا : كان عند عبدالله بن معاوية امرأة من بني مخزوم فأغارها ، فشكتْ فعله إلى أخيها ، فقال لمعاوية : إنّ عبدالله يُسيء إلى أختي ، ولولا مكانك لعدلتُه عن طريقته ، فقال معاوية : أما والله إنّي لأقْنى العِرْنين ، أصمع[1] الكَعْبَين ،

١ ـ أصمع الكعبين : لطيف الكعبين .

أحذّ القدمَين ، أعزّ قرشيّ في الجاهليّة ، ولم يزدْني الإسلام إلا عِزّاً ، فقال المخزومي : لم أردْ هذا يا أمير المؤمنين ، فدعا بعبدالله فقال : أَحْسِنْ إلى امرأتك .

المدائني عن مَسْلمة بن مُحارب قال : كان معاوية مُعجباً بجارية له ، فدخل عليه يزيد يوماً وهي جالسة على السرير ، ومعاوية على الأرض ، وفي يدها قضيب تَلْويه على رأسه ، فقال يزيد : أوَهذا أيضاً ؟! وهمّ بها ، فبادرت فدخلت بيتاً ، فقال معاوية : ويحكِ شُدّي لِزاز الباب دونه ، وأراد يزيد دفعَ الباب فنهاه معاوية ، ثم قال : مَن يعذرنا مِن هذا ، يدخل علينا ويضرب جوارينا ، ارجعْ يابُنيّ فإنّ الجواري لُعَبٌ ، والرجل في بيته مع أهله بمنزلة الصبيّ ، فاستحيا يزيد وخرج .

المدائني عن يعقوب بن عمر قال : قال ابن الزبير لمعاوية : والله لقد قاتلتُ عليّاً لحُبّ عثمان فلم تجزني ، فقال معاوية : قاتلتَ عليّاً مع أبيك فغلبكما بشماله ، ووالله أنْ لولا بُغضك عليّاً لجَرُرتَ بِرجْلٍ مع الضبع ، فقال ابن الزبير : إنّا قد أعطيناك عهداً سنفي لك به ، ولكن سيعلم من بعدك ، فقال معاوية : أما إنّي لا أخافك إلاّ على نفسك ، وكأنّي بك قد تورّطتَ في الحِبالة فعلقتك الأُنْشوطة ، فليتني عندك فاستشليتُك منها ، ولبئس المَوْلى أنت في تلك الساعة .

المدائني عن محمد بن علي بن الحَكَم قال : حضر ناجذ بن سَمُره وواثلة بن الأسْقع الكِناني باب معاوية فقال معاوية لآذنه ، وهو أبو أيّوب يزيد مولاه : ايذنْ لِناجذ ، فأذن له ، فمنعه واثلة ، وواثلة أحد بني لَيث بن بكر بن عبد مناة بن كِنانة، وناجذ أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كِنانة،

فدخل الآذن فأعلم معاوية ، فأمره أن يُدخلهما معاً ، فقال واثلة : يا أمير المؤمنين لِمَ أذنتَ لهذا قبلي ولي صحبة برسول الله ﷺ ولي السنّ عليه ؟ قال معاوية : إنّي وجدت بَرْد أسنانك بين ثَدْيَيّ ، ووجدتُ كفّ هذا تدفع ذلك البَرْد ، يعني يوم الفِجار الذي كان بسبب البَرّاض ، وهو يوم نَخلة ، فقال : يا معاوية أبثأر الجاهليّة تطالبني ؟! أفلا آخذتَ الذي قال :

أَغَرَّكَ أَنْ كانَتْ لِبَطْنِكَ عُكْنَةٌ وأَنَّكَ مَكْفِيٌّ بِمَكَّةَ طاعِمُ[1]

فقال معاوية :

إذا جاءَكَ البَكْرِيُّ يَحْمِلُ قُصْبَهُ فقُلْ قُصْبُ كَلْبٍ صادَهُ وهو نائمُ

فقال واثلة :

فما مَنَعَ العَيْرُ الضَّروطُ ذِمَارَهُ ولا مَنَعَتْ مَخْزاةَ والِدِها هِنْدُ[2]

فقال معاوية : سَوْءة أجهلتَنا وأجهلناكَ ، وأسأنا إليك ولنا المقدرة عليك ، ارفعْ إلينا حوائجك ، فقضاها ووصله .

المدائني عن اسحاق بن أيّوب قال : شهد أعرابيّ عند معاوية بشهادة فقال : كذبتَ ، قال : الكاذب والله المتزمّل في ثيابكَ ، فقال معاوية : هذا جَزاء مَن عجل .

حدثني هشام بن عمّار قال : قال معاوية : خير الصنائع ما أبقى ذِكراً حسناً ، وخير الجود ما لم يعدّ سرفاً ، وخير السلطان ما لم يورث صاحبه كِبْراً ، ورَبُّ المعروف أفضل من ابتدائه .

---

١ ـ هذا البيت لخداش بن زهير ، وهو من شعراء قيس المجيدين في الجاهلية . الشعر والشعراء ص ٤٠٩ .

٢ ـ البيت لحسان . ديوانه ج ١ ص ٣٦٢ .

المدائني عن مَسْلَمة قال : قال معاوية يوماً : ما أعجب الأشياءِ ؟ فقال يزيد ابنه : أعجب الأشياء هذا السحاب الراكد بين السماء والأرض لا يدعَمه شيء من تحته ولا هو مَنوط بشيء مِن فوقه ، وقال الضحّاك بن قيس : أعجب الأشياء إكْداء العاقل وحظّ الجاهل ، وقال سعيد بن العاص : أعجب الأشياءِ ما لم يُرَ مثله ، وقال عمرو بن العاص : أعجب الأشياء غَلَبة مَن لا حقّ له ذا الحقّ على حقّه ، فقال معاوية : أعجب من ذلك إعطاء مَن لا حقّ له ما ليس له بحقّ مِن غير غلبة . وإنّما عرّض عمرو بمعاوية وعرّض معاوية بعمرو في أمر مِصْر .

المدائني عن ابن المُبارَك عن هشام بن عوف أنّ مروان نازع ابن الزبير ، فكان هوى معاوية مع مروان ، فقال ابن الزبير : يا أمير المؤمنين إنّ لك حقّا وطاعة ، ولنا بَسْطة وحُرْمة ، فأَطِع الله نُطِعك ، فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية خالق ، ولا طاعة لكَ علينا إلاّ في حق الله ، ولا تُطرِقْ إطراق الأُفْعُوان في أصول السّخْبَر[1] فإنّه أقرّ صَامتٌ .

المدائني عن مَسْلمة بن مُحارب عن حَرْب بن خالد قال : كان عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم ينازع يزيد بن معاوية كثيراً ، فقال معاوية لأبي خِداش بن عُتْبة بن أبي لَهَب : إنّ عبد الرحمن لا يزال يتعرَّضُ ليزيد ، فتعرّضْ له أنت حتّى يسمع يزيد ما يجري بينكما ، ولكَ عشرة آلاف درهم ، فقال : عجِّلْها ، فحُملتْ إليه ، ثم التقيا عند معاوية فقال أبو خِداش : يا أمير المؤمنين أَعْدِني على عبد الرحمن فإنّه قتل مولى لي بالكوفة ، فقال عبد

١ ـ السخبر : شجر يشبه الإذخر . القاموس . انظر جمهرة الأمثال للعسكري ج ٢ ص ١٢٦ .

الرحمن : كذبت يا بن المتبوب التابّ ، فقال أبو خداش : يا بن تَمَدُّر[1] ، يا بن البَريح يا بن أمّ قِدْح ، فقال معاوية : حسبك رحمكَ الله ، عليّ دية مولاك ؛ فخرج أبو خداش ثم رجع فقال لمعاوية : أُعطِني عشرة آلاف درهم أُخرى وإلا أعلمتُه أنّك أمرتني بالكلام ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ، ثم قال له : فسّرْ ليزيدَ ما قلتَ لعبد الرحمن ، قال : هنَّ أمّهات له حَبَشيات ، وقد ذكرهنّ ابن الكَلْبية الثّقفي فقال :

ثَلاثٌ قد وَلَدْنَك مِن حُبوشٍ إذا تَسْمو جَذَبْنَكَ بِالزِّمام
تَمَدُّرُ والبَريحُ وأُمُّ قِدْحٍ ومَحْلوبٌ يُعَدُّ مِنَ آل حامِ

المدائني عن الأسود بن شيبان ، حدثني أبو نَوْفَل عن موسى بن عبيدة أنّ معاوية حجّ فدخل البيت الحرام وأرسل إلى عبدالله بن عمر ، وبلغ ابن الزبير ذلك فجاء فحرّك الباب ، فقال معاوية : لا تفتحوا له ، ثم جاء ابن عمر ففتح له ودخل ، فقال معاوية : يا أبا عبد الرحمن أين صلّى النبي ﷺ حيث دخل البيت ؟ فذكر السارية اليسرى ، ثم دخل ابن الزبير بعد خروج ابن عمر فقال : يا معاوية أما هو إلّا عبدالله بن عمر ؟! قال : نعم يا بن الزبير ، أمّا عُرَى الأمور التي هي عُراها فلها قوم سواك ، وفيما دون تلك أمور يُستعان بك فيها ، فقال ابن الزبير : والله يا معاوية لقد علمتَ أنّي أَعلَمُ من الذي سألت ، ولكنّك حسود فحسدتّني ، قال : يا أبا بكر لو شئتَ قلتَ أحسن من هذا القول .

المدائني عن اسحاق بن أيّوب عن خالد بن عَجْلان قال : قال عبدالله بن الزبير لمعاوية : لقد أعظَم الناسُ ولادة صفيّة إيّانا حتى كأنه لم

---

١ ـ سيوضح بعد قليل من هي تمدر ، والبريح ، وقدح .

تلدْنا حُرّة غيرها ، فقال معاوية : هي والله أُدنَتْك من الظِلّ ولولا ذلك كنت ضاحياً ، ويحك هل ولدك مثلها أو تجدُ مثلها إلا أختها أو عمّتها ، فقال ابن الزبير : والله يا معاوية إنّها وبني أبيها مع قولك لرَضْفةٌ بين جنبَيْك يوشك أن تطلع على قلبك ، فقال معاوية : إنّ بيننا وبين ذلك زماناً وهم الرديف .

المدائني عن علي بن سُحيم قال : خطب معاوية فقال : الحمدلله الذي أدالنا على عدوّنا وردّ علينا زماننا ، فقال رجل من أهل الشام : أما والله ما ذاك لكرامتك على الله يا معاوية ، فقال عمرو بن العاص للشامي : ما أنت والكلام ، وأنت من حُثالة أهل الشام وسُقّاطهم وسِفْلَتهم ، فقال الشامي : يا عمرو ما عدوْتَ صِفَتك ، فقال معاوية :

إنّي أرَى الحِلْمَ مَحْموداً مَغَبَّتُهُ والجَهْلُ أَرْدى مِنَ الأقوامِ أقْواما

حدثني العُمري عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي أنّ معاوية بعث إلى رجل من الأنصار بخمسمائة دينار فاستقلّها ، وأقسم على ابنه أن يأتيَ معاوية فيضرب بها وجهه ، فانطلق حتى دخل على معاوية ، فلمّا رآه قال : ما جاء بك يا بن أخي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ لأبي طَيْرة وفيه حِدّة ، وقد قال لي كَيْت وكَيْت ، وعَزْمه الشيخ على ما قد علمتَ ، فوضع معاوية يده على وجهه وقال : افعلْ ما أمرك به أبوك وارفقْ بعمّك ، فرمى الدنانير ، وأمر معاوية للأنصاري بألف دينار ، وبلغ الخبر يزيد فدخل على معاوية مُغضَباً وقال : لقد أفرطتَ في الحِلْم حتى خِفْت أن يُعدّ ذلك منك ضعفاً وجبناً ، فقال : أي بُنيّ إنّه لا يكون مع الحلم ندامة ولا مَذمّة ، فامضِ لشأنك .

وحدثني هشام بن عمّار عن الوليد قال : بلغنا أنّ يزيد بن معاوية ضرب غلاماً له ، فقال له معاوية : يا بُني كيف طوّعت لك نفسك ضربَ مَن لا يستطيع امتناعاً منك ؟!

المدائني عن أبي زكريّا العجلاني قال : دخل عبدالله بن العَجْلان أخو يَعْمَر بن العَجْلان الزُّرَقي على معاوية فشكا عمراً فقال : يا أمير المؤمنين إنّ ابن العاص بمِصرْ ينبعق منه كلامٌ لَهُو أشدُّ من وَخْز الأشافيّ ، لا يَرْعَوي عن إسَاءة ، ولا يرجو الله في عاقبة ، فقال معاوية : يا أبا سعيد إنّ عمراً رجل حديد ، فاحملْ له قوله فإنّه يفيء إلى خير ، فقال : اكففْه يا أمير المؤمنين فإنّه راعٍ ونحن رعيّة ، ورُبّما ساق السيءُ الرَّعيِ الثَلّةَ إلى مَجْزِرها ، قال معاوية : أجل ثم تُفلت ، قال عبدالله : ذاك إذا كنتَ أنت الجازر ، فأمّا اذا كان الجازر مَن قد كدّحتْه السَّنة الحمراء فمِن أنيابه تُفلت ؟ فقال معاوية : أو يخالَفُ أمري وتُهْمَط[1] رعيّتي ؟ إنّي إذاً لغافل مُضيع ، ألِي تقول هذا يا عبدالله ؟! ثم تمثّل :

أَلَمْ تَكُ قَدْ جَرَّبْتَني قَبْلَ هذِهِ وَعَضَّكَ مِنّي حَدُّ نابٍ ومِخْلَبُ

قال : فحلماً يا أمير المؤمنين وصَفحاً ، فضحك ثمّ قال : ذاك لك ، وتقدّم إلى عمرو في أمره .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن الكلبي عن عَوانة عن أبيه قال : قال سعد بن أبي وقّاص لمعاوية في كلام جرى : قاتلتَ عليّاً وقد علمت أنّه أحقّ بالأمر منك ، فقال معاوية : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأنّ رسول الله ﷺ

---

١ ـ همط : ظلم وخبط ، وأخذ بغير نقد ، ولم يبال ما قال . القاموس .

يقول : «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهمّ والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه» ، ولِفضله في نفسه وسابقته ، قال : فما كنتَ قطّ أصغر في عيني منك الآن ، قال سعد : ولِمَ ؟ قال : لتركِكَ نصرته وقعودك عنه وقد علمتَ هذا من أمره .

المدائني عن عبدالله بن سَلام قال : كتب معاوية إلى مروان «والله لفلان أهون عليّ من ذرّة ، أو كلب من الحَرّة» ثم قال للكاتب : امْحُ الحرة واكتب «من كلب من الكلاب» .

المدائني عن عامر بن الأسود قال ، قال عمرو بن العاص لمعاوية : رأيتك في منامي وقد ألجمك العَرَق وأنت تحاسَب ، فقال معاوية : فما رأيتَ ثَمّ دنانير مِصر ؟

المدائني عن جعفر بن سليمان الضُّبَعي عن مالك بن دينار قال : قال عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب لمعاوية ، وَلّني ، فقال : لام ألِف .

المدائني عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : لمّا بايع معاوية ليزيد قال رجل : أعوذ بالله من شرّ معاوية ، فقال معاوية : تعوَّذْ بالله من شرّ نفسك فشرُّها أضرّ عليك ، وبايعْ رحمك الله فإن الله جعل في الكثرة خيراً كثيراً .

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحارب قال : مرض معاوية فأرجف به مَصْقَلة بن هُبيرة الشَّيْباني وساعده قوم على ذلك ، ثم تماثل معاوية وهم يُرجفون به ، فحمل زياد مَصْقلة إلى معاوية وكتب إليه : إنّ مَصْقلة كان يجمع مُرّاقاً من مُرّاق أهل العراق فيُرجفون بأمير المؤمنين ، وقد حملتُه إليك يا أمير المؤمنين لترى فيه رأيك ، ويرى عافية الله بأمير المؤمنين ، فلمّا قدم

بمَصْقلة جلس معاوية للناس ، فلمّا دخل مَصْقلة عليه قال له معاوية : آدنُ ، فدنا ، فأخذ معاوية بيده فجذبه فسقط مَصْقلة، فقال معاوية للناس :

أَبْقَى الحوادث من خليـ ـلِكَ مِثْلَ جَنْدَلَةِ المَراجِمْ
قــد رامَني الأَقْــوامُ قَبْـ ـلَكَ فـآمْتَنَعْتُ مِنَ المَظالِمْ

فقال مَصْقلة : قد أبقى الله منك يا أمير المؤمنين ما هو أعظم من ذلك : حِلْماً يزينك ، وكَلأً ومَرعىً لأوليائك ، وسَمّاً ناقعاً لأعدائك ، فمن يرومك وكان أبوك سيّد أهل الجاهليّة، وأنت في الإسلام أمير المؤمنين، فقال له : قمْ ، وأمر بصِلته وأذن له ، فآنصرف إلى الكوفة فقيل له : كيف تركتَ معاوية ؟ فقال : زعمتم أنّه لِما به ، والله لغمز يدي غَمْزة فكاد يحطمها ، وجبذني جَبْذة فكاد يكسر منّي عَظْماً .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم الفِهْري عن زياد بن حُدَيْر أنّ معاوية قال لرجل : هل تذكر أبا سفيان ؟ فقال : نعم أذكره وقد تزّوج هِنْداً ، فأطعمنا في أوّل يوم لحم جَزور وسقانا خمراً ، وفي اليوم الثاني لحم غنم وسقانا نبيذ زبيب ، وفي اليوم الثالث لحم طير وسقانا نبيذ عَسَل ، وإن كانت لذات أزواج ، فقال معاوية : كِرامٍ[1] .

المدائني عن عبد الحَميد الأشجّ عن خالد بن سعيد قال : خرج عبد الملك ومعه نافع بن جُبير بن مُطعم ، فوقف على راهب ، فذكر الراهب معاوية فأطراه ، فقال عبد الملك لنافع : لشدّ ما أطرى هذا الراهب ابنَ

١ ـ في هامش الأصل : بلغ العرض بأصل ثالث ، ولله كل حمد .

هِنْد ، فقال نافع : إنّ معاوية كان لذلك أهلاً ، أصمتَه الحِلْم وأنطقه العلم ، بجأْش رَبيط ، وكَفّ نديّة .

المدائني قال : دخل معاوية المدينة فتلقّاه بعض سودانها فقال : والله لكأنَّ وجهك وجه هِند ، قال : وأين رأيتها ؟ قال : في مأْتم سَوْدة بنت زَمْعة ، فقال معاوية : إنْ كانت لَكريمةَ المَحْيا والمَمات .

قال ابن دأب : خرج نابغة بني جَعْدة إلى صفّين مع علي ، فساق به يوماً فقال :

قــد عَلِمَ المِصْرانِ والعِراقُ أَنّ عَلِيّــاً فَحْلُهــا العُتــاقُ
أَبْيَضُ جَحْجـاحٌ[1] لَـهُ رِواقُ إِنّ الأُلَى جارَوْك لا أُفاقوا
لَكُمْ سِياقٌ ولَهُمْ سياقُ[2]

فلمّا قدم معاوية الكوفة قام النابغة بين يديه فقال :

أَلم تَأْتِ أَهْلَ المَشْرِقَيْنِ رِسالتي وإنّي نَصيحٌ لا يَبيتُ عَلَى عَتْبِ
هَلَكْتُمْ وكان الشرُّ آخِرَ عَهْدِكُمْ لَئِنْ لم تَداركْكُمْ حُلومُ بني حَرْبِ[3]

وكان مروان قد أخذ أهل النابغة وماله ، فدخل على معاوية فأنشده :

مَنْ راكِبٌ يأْتي آبْنَ هِنْدٍ بحاجَتي ومَرْوانَ والأَنْباءُ تَنْمي وتُجْلَبُ
فإن تأْخُذوا أَهْلي ومالي بِظِنَّةٍ فإِنّي إذا ما ريمَ ظُلْمِيَ أَغْضَبُ[4]

١ ـ الجحجاج : السيد .
٢ ـ ديوان النابغة الجعدي ص ١٩٢ مع فوارق .
٣ ـ ديوان النابغة الجعدي ص ٢١٤ .
٤ ـ ديوان النابغة ص ٧ ـ ٨ .

فقال معاوية لمروان : ما تقول ؟ قال : لا نردّ عليه ، فقال معاوية : وما أهونَ عليك أن ينجحر هذا في غارٍ فيقطع عرضي بشعر ترويه العرب ، فردّ عليه ماله وأهله .

المدائني عن أبي عبد الرحمن بن اسماعيل بن هشام قال : قال ابن الزبير : لله دَرّ معاوية إن كان ليتخادع لنا وإنّه لأدهَى العرب ، مع حلم لا يُنادَى وليدُهُ ، وإنْ كان ليتضاعف لنا وهو أنجد العرب ، فكان كما قالت النادبة :

ألا يـا عَيْنُ فـآبْكيـهِ ألا كُـلُّ النُهَى فيـهِ

ولَوددتُ أنّه بقي لنا ما بقي أبو قُبَيْس .

المدائني قال : قال عبدالله بن فائد : كانوا يذكرون عبد الملك ومعاوية فيقولون : معاوية أحلم وعبد الملك أحزم .

المدائني عن عَوانة عن أبيه أنّ ابن عبّاس قال : لله دَرّ ابن هِند وَلِينَا عشرين سنة فما آذانا على ظهر منبر ولا بساطٍ ، صيانةً منه لعِرضه وأعراضنا ، ولقد كان يُحسن صِلتنا ويقضي حوائجنا .

المدائني عن اسحاق بن أيّوب ومَسْلَمة بن مُحارب قالا : قدم رجل ممّن كان في الصائفة على معاوية ، فسأله معاوية عن الناس وحالهم ، فبينا هو يحدّثه إذْ حبق الرجل فحصِر وسكت ، فقال معاوية : خذ أيّها الرجل في حديثك فما سمعتها من أحد أكثر ممّا سمعتُها من نفسي .

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحارب قال : قال زياد : لم يغلبني معاوية بالسياسة إلاّ في رجل من بني تميم استعملته فكسر الخراج ولحق به فآمنه ، فكتبتُ اليه : إنّ في هذا مَفْسَدةً للعمّال وحملاً على سوء الأدب ، فآبعثْ به

إليّ ، فكتب إليّ معاوية : إنّه لا يصلح أنْ أسوس وتسوس الناس سياسةً واحدة ، إنّا إنْ نشتدّ جميعاً نُهلك الناس ونُحْرجهم ، وإنْ نَلِنْ جميعا نُبْطِرْهُم ، ولكن تلين وأشتدّ وتشتدّ وألين ، فإذا خاف أحدهم وجد باباً فدخله .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود حدثنا عبدالله بن نُمَيْر حدثنا مجالد عن الشعبي عن زياد قال : ما غلبني أمير المؤمنين معاوية إلا بواحدة ، استعملتُ فلاناً فكسر الخراج وهرب إلى معاوية ، فكتبت اليه : إنّ هذا أدب سوء لمن قِبَلي ، فكتب إليّ : إنّه لا ينبغي لي ولك أن نسوس الناس سياسة واحدة ، فنلين جميعاً نمرج الناس في العصبيّة ، وأنْ لا نشتد جميعاً فنحمل الناس على المَهالك ، ولكن تكون أنت للغلظة والشدّة ، وأكون أنا للّين والرأفة ، أو قال : للرَحْمة .

المدائني عن اسحاق بن أيّوب عن خليد بن عَجْلان قال : دخل سعد بن أبي وقّاص على معاوية فقال له : يا معاوية أراك مُعجَباً بما أنت فيه ، والله ما أحب أنّي نلت ما أنت فيه وأنّي هرقت مِحْجَمةً من دم ، قال : ولكنّني وابن عمّك قد هرقنا محجمة ومحجمة ومحاجم .

حدثني العمري عن لَقيط المحاربي عن أشياخ من الزهريين قالوا : لمّا دخل سعد بن أبي وقّاص الشام في ولاية معاوية ، بعث معاوية قوماً ينعون عثمان ويلعنون قَتَلته ومَن خذله وقعد عن نصرته ، فقال سعد : هذا عمل الفاسق معاوية ، فأتاه فدخل عليه فقال : يا معاوية قد سمعتُ قول هؤلاء الذين دسستَهم ، أفمن نهى عثمان عمّا فعله ثم كفّ عنه واعتزله خيرٌ أم مَن

أمر عثمان بما فعله ثم خذله وخذّل عنه ؟ فقال معاوية : ما أراك أبا اسحاق رحمك الله إلا محتاجاً إلى عطائك ، فقد حُرمتَه مُذ ولينا ، فأمر له بذلك .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزِناد عن أبيه قال : ولي معاوية فلم يزل أمره مستقيماً ، ولم تزل الأموال عليه دارّة ، فاستمال القلوبَ بالبذْل والإعطاء ، وكان يقول : البَذْل يقوم مقام العَدْل .

المدائني عن أزهر عن ابن عَوْن عن مولىً لأبي أيّوب الأنصاري أنّ أبا أيّوب قدم على معاوية فجلس معه على سريره ، فقال له : يا أبا أيّوب مَن قتل صاحب الفرس الأشقر الذي كان يجول ؟ قال : أنا قتلته يومَ كُنْتَ أنت وأبوك على الجمل الأحمر تحملان لواء المشركين .

المدائني عن ابراهيم بن محمد قال : قال معاوية : لو كانت بيني وبين الناس شَعْرة ما انقطعتْ ، قيل : وكيف يا أمير المؤمنين ؟ قال : إن جبذوها أرسلتُها ، وإن خلّوها جبذُتها .

ورُوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّه قال : قد علمتُ بما كان معاوية يغلب الناس ، كان إذا طاروا وقع وإذا وقعوا طار ، وإذا قعدوا قام وإذا قاموا قعد .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عَوانة عن أبيه قال : أغزى معاوية الناس في سنة خمسين وعليهم سفيان بن عَوْف ، وأمر يزيد بالغزو فتثاقل واعتلّ فأمسك عنه ، وأصاب الناس في غزاتهم جوع وأمراض ، فأنشأ يزيد يقول :

ما إنْ أُبالي بِما لاقَتْ جُموعُهُم بِالقَرْقَذونَةِ[1] مِنْ جوعٍ ومِن مومٍ[2]
إذا آتَّكَأْتُ عَلى الأَنماطِ في غُرَفٍ بِدَيْرِ مُرّانَ[3] عِنْدي أُمُّ كُلْثومِ

وأمّ كلثوم امرأته ، وهي بنت عبدالله بن عامر بن كُرَيْز ، فبلغ معاويةَ شعُره ، فأقسم عليه ليلحقنّ بسفيان في أرض الروم ليُصيبه ما أصاب الناس ولو مات ، فلحق به في فُرسِ أَنْطاكِية وبَعْلَبَكّ وجماعةٍ أنهضهم معه ، فبلغ بالناس الخَليج ، وضرب بسيفه باب الذهب وهزم الروم ، وخرج وسفيان بالناس .

حدثني العمري عن الهيثم قال : ولّى معاوية روح بن زِنْباع بَعْلَبَك فرجم امرأة ورجلاً ، فقال الشاعر :

إنَّ الجُذامِيَّ رَوْحاً في إقامَتِهِ حَدَّ الإلهِ لَمَعْذورٌ وإنْ عَجِلا
لَو كانَ رَفَّهَ عن حَسْناءَ ناعِمَةٍ وعَنْ أخي غَزَلٍ لَمْ يُحْسِنِ الغَزَلا

فبلغ الشعرُ معاوية فكتب إلى رَوْح : لا تعجَلنّ بإقامة حدّ حتى تَثَبَّتَ في أمره ، فتكون إقامتك إيّاه بإقرار ظاهرٍ ، أو بأربعة شهداء مستورين .

حدثني العمري عن الهيثم بن عَدّي عن يعقوب بن داود قال : خطب معاوية فقال : إنّ عمر ولاّني ما ولاّني من الشام ثم عثمان بعده ، فوالله ما غششت ولا استأثرت ، ثم ولاّني الله الأمر فأحسنت وأسأت ، فقام اليه رجل فقال : يا معاوية بل استأثرتَ وأسأتَ ولم تُحسن ولم تُنصف ، فقال له

---

١ ـ لم أقف لقرقذونة على ذكر لدى ياقوت ، وعنده بدلاً عنها «الطوانة» وكذلك عند البكري في معجم ما استعجم .
٢ ـ الموم : البرسام ، وأشد الجدري . القاموس .
٣ ـ كان موقع دير مران عند خانق الربوة خارج دمشق .

معاوية : آجلسْ فما أنت والكلام ؟! والله لكأنّي أنظر إلى بيتك بفَخّ[1] تهفو الريح بجوانبه، بفنائه تيسٌ وبَهْمَة وأعنز، دَرُّهنّ نَزْر يُحلَبْن في مثل محارةٍ أُلقاها الموج ، فقال : يا معاوية رأيتَ ذلك في شرّ زمان ، وكان تحت ما رأيتَ حسبٌ كريم غير دَنِس ، فهل رأيْتني قتلتُ مسلماً وانتهكتُ محرماً ؟ قال : وأين أنت حتى أراك وأنت لا تبرز إلّا في خمار ، وأيّ مسلم تقوى عليه حتى تقتله ، آجلسْ لا جلست ، قال : لا أجلس ولكنّي سأذهب عنك إلى أبعد أرض وأسحقها ، وقام الرجل فولّى ، فقال معاوية : ردّوه ، فردوه فقال : أستغفر الله ، أما لقد رأيتُك أتيتَ رسول الله ﷺ فسلّمتَ عليه فرّد عليك ، وأهديت إليه فقبل منك ، وأسلمت فحسن إسلامُك ، ولقد غلظ عليك منّا القول ، فآذكْر حاجتك فإنّي أعطيك حتى ترضى .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم قال : خطب معاوية الناس فذكر تولية عمر أيّاه ثم قال : فوالله ما خنت ولا كذبت ، ثم وليت هذا الأمر فتقدّمت وتأخّرت ، وأصبت وأخطأت ، وأحسنت وأسأت ، فقام اليه رجل من كِنانة يقال له سَلَمة[2] فردّ قوله ، فقال له : وما أنت وذاك ؟! كأنّي أنظر إلى حِفْش بيتك مربوطاً بطُنُب منه تيسٌ ، وبطنب بَهْمة ، والريح تخفق به كأنّه جناح نسر ، ولك أعنز تحتلب في مِثل قُواره حافر عَيْرٍ ، قال : رأيتَ ذلك في زمن علينا لا لنا ، أما والله إنّ حَشْوُهُ لَحَسَب غير دَنِس ؛ ثم ذكر باقي الحديث .

---

١ ـ فخ : واد بمكة . معجم البلدان .

٢ ـ هو سلمة بن الخطل العرجي : انظر العقد لابن عبدربه ـ ط . القاهرة ١٩٥٣ ج ٤ ص ١٠٠

المدائني عن عبد الرحمن الأنصاري قال : قدم قوم من قريش على معاوية وفيهم عبدالله بن جعفر وعبدالله بن صَفْوان بن أُميّة الجُمَحي وعبدالله بن الزبير ، فوصلهم وفضّل عبدالله بن جعفر عليهم ، أعطاه ألف ألف درهم ، فقال عبدالله بن صَفْوان : يا معاوية إنّما صغُرت أُمورُنا عندك لأنّا لم نقاتلك كما قاتلك غيرُنا ، ولو كنّا فعلنا كنّا كابن جعفر ، فقال معاوية : إنّي أعطيكم فتكونون إمّا رجلاً مُعِدّاً بما أعطيه لحربي ، وإما مضَمّاً[1] له مع بُخْل به ، وإنّ عبدالله يُعطي أكثر ممّا يأخذ ، ثم لا يلبث أن يَلْزمه من الدَّين بتوسعه أكثر ممّا نعطيه ، فخرج ابن صَفْوان وهو يقول : إنّ معاوية ليحرمنا حتى نيأس ويعطينا حتى نطمع .

المدائني عن مَسْلمة قال : أراد المغيرة أن يبلو ما عند معاوية ، فكتب إليه يسأله أن يأذن له في إتيان الحجاز أو المصير اليه ، فكتب إليه معاوية : إن شئتَ فَأْتِ الحجاز وإن شئت فصِرْ الينا ، فإنّك كما قال الأوّل :

اخْتَرْ لِنَفْسِكَ ما بدا لك راشِداً ... وَدَعِ ٱلخِداعَ فقد كَفَاكَ الأوّلُ

فكتب إليه المغيرة :

إنَّ الذي يَرْجو سِقاطِكَ والذي ... سَمَكَ السَّماءَ مَكانَها لَمُضَلَّلُ

أَجَعَلْتَ ما أُلْقي إلَيْكَ خديعَةً ... حاشا الإلهِ وتَرْكُ ظَنِّكَ أَجْمَلُ

المدائني عن علي بن سُليم قال : قال عمرو بن العاص في مجلس معاوية : آحمدوا الله يا معشر قريش الذي جعل واليَ أمركم معاوية ، مَن يُغضي على القَذَى ، ويتصامّ عن العَوْراء ، ويجُرُّ ذَيله على الخدائع ، فقال

١ - أي جامعاً له ، فالضم قبض شيء إلي شيء . القاموس .

عبدالله بن صَفْوان : لو لم يكن كذلك لَمَشَينا إليه الضَّراءَ ودَبَبْنا له الخَمَرَ ، وقلبنا له ظَهْر المِجَنّ ، ورجونا أن يقوم بأمرنا مَن لا يعطيك مال مِصْر ، فقال معاوية : يا معشر قريش حتى متى لا تُنصفون من أنفسكم ؟ فقال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : يا أمير المؤمنين إنّ عمراً وذَويه أفسدوك علينا وأفسدونا عليك ، لو أغضيتَ عن هذه ، فقال معاوية : إنّ عمراً لي ناصح ، فقال عبد الرحمن : فأطعمّنا مِصْر كما أطعمتَه ثم خُذْنا بمثل نصيحته ، إنّا رأيناك تضرب عَوامّ قريش بأياديك في خواصّها ، كأنك ترى أنّ كِرامَها جَازُوْكَ عن لئامها ، ولَعَمْرُ الله إنك لتُفرغ من وعاءٍ ضخم في إناءٍ فَعْم[1] ، وكأنّك بالحرب قد حُلّ عليك عِقالُها ثم لا يُنْظر إليك ، فقال معاوية : يا بن أخي ما أحْوَجَ أهلك إليكَ ؛ ثم قال معاوية :

أَغَرَّ رِجالاً مِنْ قُرَيْشٍ تتايعوا[2] على سَفَهٍ مِنِّي الحَيا والتَكَرُّمُ

المدائني عن مَسْلَمة قال : قال قوم من قريش : ما نظنّ معاوية أغضبَه شيء قط ، فقال بعضهم : بلى إذا ذُكر[3] من أمّه غضب ، فقال مالك بن أسماء المُنَى القرشي ـ وهي أمّه ، وإنّما قيل لها المُنى لجمالها ـ: والله لأغضبنّه إن جعلتم لي جُعْلاً ، فجعلوا له جعلاً رضي به ، فأتى معاويةَ وقد حضر الموسم فقال له في جماعة : يا أمير المؤمنين ما أشبه عينيك بعيني أمّك ، قال : تانِكَ عينان طال ما أعجبتا أبا سفيان ، انظْر يا بن أخي إلى ما أُعطيت من الجُعْل

١ ـ أفعم الاناء : ملأه . القاموس .
٢ ـ التتايع : ركوب الأمر على خلاف الناس والتهافت ، والاسراع في الشر ، واللجاجة . القاموس .
٣ ـ في رواية أخرى «ذكرت أمه» (من هامش الأصل) .

فخُذْه ، ولا تتّخذْنا مَتْجراً ، ثم دعا معاوية مولاه سعداً فقال له : أعددْ لأسماء المُنَى دِيَةَ ابنها فإنّي قد أقتلته[1] فرجع مالك فأخذ جُعْله ، فقال له رجل : لك ضِعْفا جُعْلك إن أتيتَ عمرو بن الزبير فقلتَ له كما قلتَ لمعاوية، وكان عمرو ذا نَخْوة وكِبْر ، فأتاه فقال له : ما أشبهك بأمّك يا عمرو ، فأمر به فضُرب حتى مات ، فبعث معاوية بديته إلى أمّه وقال :

ألا قُلْ لأسْماءِ المُنَى أُمّ مالكٍ ... فإنّي لَعَمْرُ الله أقتَلْتُ مالِكا

المدائني عن ابن جُعْدُبة قال : ذكروا عند معاوية قول حُذيفة : إنّي لم أشركْ في دم عثمان ، فقال معاوية : بلى والله لقد شرك فيه ، فقال عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث : الرجل كان أعلم بنفسه ، فقال معاوية : وأنت قد شركتَ في دمه ، قال : كلا والله ، ولكني كنت أنهاه عمّا قيل فيه ، وكنتَ تأمره به ، فلمّا صعب الأمر عليه استغاث بك ، فأبطأت عنه حتى قُتل .

المدائني عن مَسْلَمة قال : أوفد زياد عبيدَ الله بن كعب النُّميري إلى معاوية فقال معاوية : أخبرْني عن زياد ، قال : يستعمل على الجُرْأة والأمانة دون الهوى والمُحاباة ، ويعاقب فلا يعدو بالذنب قدره ، ويسمر ويحبّ السَمَر ليستجمّ بحديث الليل تدبير النهار، قال: أحسنَ، إنّ التثقيل على القلب مضرّة بالرأي ، فكيف رأيه في حقوق الناس ؟ قال : يأخذ ما له عَفْواً ويُعطي ما عليه عَفْواً ، قال : فكيف عطاياه ؟ قال : يُعطي حتى يُقال جواد ويمنع حتى يُقال بَخيل ، قال معاوية : إنّ العَدْل ضَيِّقٌ وفي البَذْل عِوَض من

---

١ ـ في هامش الأصل : أقتلته : أي عرضته للقتل .

العَدل ، فكيف الشفاعة عنده ؟ قال : ليس فيها بمَطْمَع ، ما أراد من خير جعله لك أو له .

المدائني قال : قال رجل من قريش لمعاوية : يا معاوية لا تباعدنّ منّا ما قرّب الله ، ولا تصغّرنّ ما عظّم ، ولا تقطعنّ منّا ما أمر الله به أن يوصل ، فقال معاوية : يرحمك الله ، والله ما صغّرتُ منكم شيئاً إلا بما أنزلتموه بأنفسكم ، وما باعدت منكم إلاّ ما تباعدتم به منّي ، ولا قطعتُ إلاّ ما بدأتم بقطعه ، هذا مروان بن الحَكَم ، وسعيد بن العاص ، وعبدالله بن عامر ، وعمرو بن العاص شرّفتُهم بالمنابر ، وولّيتُهم مَعالي الأمور ، ثم لا تزال تأتيني منهم هنة كراغِيَة البَكْر[1] .

المدائني عن علي بن سُليم قال : قال ابن الزبير : يا معاوية إذا استعتَبْناك من أمر فأعتِبْناه منه ، ولا تحملْنا على ما نكره ، فإنّك إن لم تحتملْ رجال قريش عابوك وخذلوك وقاتلوك ، وإذا هممتَ لنا بخير فهَنِّئْناه قبل المسألة ، فإنّك إذا ألجأْتَنا إلى المسألة أخذتَ ثمن عطيّتك ، فقال معاوية : والله ما استعتبتموني من أمر قطّ إلا وجدتموني قد استعتبتُكم من أعظم منه ، وأمّا إعطائي إيّاكم قبل المسألة فمَن سألنا أعطيناه ومَن استغنى عنّا وكلناه إلى غِناه ، وأحبُّكم إلينا السائل ، فاعترفوا بذنوبكم ، فقال عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنه : ما لنا إليك ذنب فنعتذر منه ، وإنّ خيرك علينا لقليل فقال معاوية متمثّلاً :

---

١ ـ اشارة إلى قوم صالح الذين رغا فوقهم البكر (ولد الناقة) .

إذا العَفْوُ لم يَنْفَعْ ولم يَشْكُرِ امْرُؤٌ وجاشَتْ صُدورٌ مِنْكُمُ حَشْوُها الغِمْر
فكَيْفَ أُداوي دَاءَكُمْ ودَواؤُكُمْ يَكونُ لَكُمْ داءً فقد عَسُرَ الأمرُ[١]

المدائني عن جُوَيْرية بن أسماء قال : ذكر معاوية يوماً الوليد بن عُقْبة فتنقّصه أُسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه وقال : إنّه يرى أنّه أحقّ بما أنت فيه منك لمكانه من عثمان ، أخيه لأمّه ، فلم يجبه معاوية رضي الله تعالى عنه ، وبلغ الوليدَ فدخل عليه فقال : يا معاوية إذا دَبّت الرجالُ إليك فينا بالباطل فلا تقبل منهم ما لا تعرفنا به ، وخذْ منّا عفو طاعتنا ، ولاتجشّمْنا ما لا نريد ، فقال معاوية رضي الله تعالى عنه : إنّي لا أقبل فيكم إلا ما أعرفكم به ، وكلّ ذنب عنكم موضوع ما خلا القَدْحَ في هذا المُلْك .

وحدثني أبو مسعود عن عَوانة قال : دخل عدّي بن حاتم الطائي على معاوية فقال له ابن الزبير : يا أبا طريف متى ذهبتْ عينُك ؟ قال : يوم فرّ أبوك وقُتل خالك - يعني طلحة لأنّه من بني تَيْم - وضُربتَ على قفاك ، وأنا مع الحقّ وأنت مع الباطل ، فقال معاوية : ما بقي مِنْ حُبّك لعلي ؟ قال : هو على ما كان وكلّما ذُكر زاد ، فقال معاوية : يا أبا طَريف ما نريد بذكرك له إلا خلافه ، قال : إنّ القلوبَ إذاً بيدك يا معاوية ، فقال معاوية : إنّ طيّئاً كانوا لا يحجّون البيت ولا يعظّمون حُرمته ، فقال عديّ : كنّا كما قلتَ إذ كان البيت لا ينفع حجّة ولا يضرّ تركه ، فأمّا إذ نفع وضرّ تركه فإنّا نغلب الناس عليه ، وكانت طيء وخَثْعَم لا يحجّون فكانوا يُدْعـون الأفجران .

١ - في عيون الأخبار - لابن قتيبة - ط . دار الكتب المصرية ، ج ٣ ص ١٥٩ - ١٦٠ : «وقال معاوية بن أبي سفيان يعاتب قريشاً» .

المدائني عن عبدالله بن عبد الرحمن الهَمْداني قال : دخل أبو الطُّفيل عامر بن واثلة على معاوية فقال له معاوية : يا أبا الطفيل أنت مِن قَتَلة عثمان ؟ قال : لا ولكنّي ممّن حضره فلم ينصره ، قال : وما منعك من نصره ؟ قال : منعني أنّ المهاجرين والأنصار لم ينصروه ، ولا رأيت أحداً نصره ، قال : أوَما طَلَبي بدمه نصرةٌ له ؟ فضحك أبو الطفيل وقال : يا معاوية أنت وعثمان كما قال الشاعر :

لا أُلْفِيَنَّكَ بَعْدَ المَوْتِ تَنْدُبُني   وفي حَياتِيَ ما زَوَّدْتَني زادي

فقال معاوية : يا أبا الطُّفيل فما بقي من وَجْدك بعلي ؟ قال : وجد العجوز المِقْلاةِ والشيخ الرَّقوب ، قال : فكيف كان حبّك له ؟ قال : حبّ أمّ موسى لموسى ، وأشكو إلى الله التقصير .

المدائني عن عامر بن حَفْص أنّ الأحنف بن قيس وجارية بن قُدامة والجَوْن بن قَتادة العَبْشمي والحُتات بن يزيد المُجاشِعي وفدوا على معاوية ، فوصلهم وفضّل الأحنف وجارية ، أعطاهما مائة ألف ، وكان الأحنف بن قيس وجارية علويّين وكان الحُتات مع عائشة يوم الجمل : فقال : يا أمير المؤمنين فضّلتَ مَن كان عليك على مَن كان لك ، قال : إنّي اشتريت دِينهم ، قال : ومنّي فاشتَرِ دِيني ، فأَلحَقَه بهما ، فعرضتْ له عِلّة مات منها قبل قَبْضه صلته ، فحبس معاوية المال ، فقال الفرزدق :

أبوكَ وعَمّي يا مُعاوِيَ أَوْرَثا   تُراثاً فَيَحْتازُ التّراثَ أَقارِبُه
فما بالُ ميراثِ الحُتاتِ حَبَسْتَهُ   وميراثُ حَرْبٍ جامِدٌ لك ذائبُهْ
ولو كان إذ كُنّا ولِلْكَفِّ بسْطَةٌ   لصمَّمَ عَضْبٌ فيكَ ماضٍ ضَرائبُهْ
فلو كان هذا الأمرُ في جاهِلِيَّةٍ   عَلِمْتَ مَنِ المَوْلَى القَليلُ حلائِبُهْ

ولو كان في دينٍ سوى ذا عَرَفْتُمُ لنا حَقَّنا أو غَصَّ بالماءِ شارِبُهْ
وكم من أَبٍ لي يا مُعاوِيَ لم يَزَلْ أَغَرَّ يُباري الريحَ مذ طَرَّ شارِبُهْ
نَمَتْهُ فُروعُ المالِكَيْنِ ولم يَكُنْ أبوكَ الذي من عبدِ شَمْسٍ يُخاطِبُهْ
تَراهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَدَى جَواداً مَنيعَ الجارِ جزْلاً مَواهِبُهْ[1]

فأُنشد معاويةُ الشعرَ ، فلمّا بلغ إلى قوله : «وَلَمْ يَكُنْ أَبوكَ الذي مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ يُخاطِبُه» قال : صدق والله ، ما كان قَدْرَهُ أن يخاطبه أبي .

وزعموا أنّ الفرزدق كان باع جملاً وصرَّ ثمنه ، فعيّره رجل بصرّه وقال : لو كنتَ كريماً ما صررتَ هذا الصرّ ، فرمى بالدراهم ونثرها حتى انتهبها الناس، وبلغ ذلك زياداً فقال: هذا أحمق يضري الناس بالنَهْب، فطلبه فلم يوجَد وبلغه هذا الشعر فقال : مَن صاحبه ؟ فقيل : الذي نثر الدراهم ، فجدّ في طلبه ، فكان يهرب من البصرة إلى الكوفة ، ومن الكوفة إلى البصرة ، وذلك أنّ زياداً كان يأتي هذه مرّة وهذه مرّة .

وكان المنصور أمير المؤمنين إذا ذُكر شعر الفرزدق في معاوية قال : قبح الله معاوية ورأيه ، ما كان هذا لحلمٍ وما كان إلاّ ضُعْفاً .

المدائني قال : قال ابن أمّ الحَكَم ليزيد بن معاوية : خالي من قريش وخالك من كلب ، فشكاه يزيد إلى معاوية ، فقال معاوية : قل له فجِئْني بأَبٍ مثل خالك .

ولّما مات سعيد بن العاص قال معاوية لعمرو بن سعيد : إلى مَن أوصى بك أبوك ؟ قال : أوصى إليَّ ولم يُوصِ بي ، فقال : إنّـه الأشدق .

١ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٥ مع فوارق .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة ـ وذكره المدائني عن جُوَيْرية ـ أنّ عمرو بن العاص قال لعبدالله بن عبّاس : يا بني هاشم ، أما والله لقد تقلّدتم من دم عثمان كفَرَم[1] الإماء العوارك ، وأطعتم فُسّاق أهل العراق في عيبه ، وأجزرتموه مُرّاق أهل مِصْر ، وآويتم قَتَلَتَه ، وإنّما نظر الناس إلى قريش ، ونظرت قريش إلى بني عبد مناف ، ونظر بنو عبد مناف إلى بني هاشم ، فقال ابن عبّاس لمعاوية : ما تكلّم عمرو إلا عن رأيك ، وإنّ أحقَّ الناس أن لا يتكلّم في قتل عثمان لأنتما ، أمّا أنت يا معاوية فزيَّنْتَ له ما صنع ، حتى إذا حُصِرَ طلب نصرك ، فأبطأت وتثاقلت وأحببت قتله ، وتربّصت لتنال ما نلت ، وأما أنت يا عمرو فأضرمت المدينة عليه ناراً ، ثم هربت إلى فلسطين ، فأقبلت تحرّض عليه الوارد والصادر ، فلمّا بلغك قتله دعتك عَداوة علي إلى أن لحقت بمعاوية ، فبِعْتَ دينك منه بمصر ، فقال معاوية : حسبك يرحمك الله ، عَرَّضَني لك ونفسَه فلا جُزي خيراً .

المدائني عن عبدالله بن المبارَك قال : أراد عمرو بن العاص معاويةَ على أن يكتب له مِصرٍ طُعْمة ويبايعه ، فقال معاوية : إنّي لا أحب أن يقول الناس إنّك إنّما بايعتني على تأمير لك وشَكْم[2] ، فقال له مروان : أبا عبدالله إنّ هذا ليس بيوم مسألة ، وقد تدانت الأمور بك فلا تُدبِرنّ بعد إقبالها ، فقال عمرو : يا مروان قدمت على معاوية وأمره زلِقٌ دَحْضٌ منفرج انفراج القَتَب ، فما برحتُ أُبْرِمُهُ قوّة بعد قوّة حتى تركته على مثل دائرة الفَلَكَة ،

١ ـ الفرم : دواء تتضيق به المرأة . القاموس .
٢ ـ الشكم : الجزاء والعطاء . القاموس .

ولعمر الله إن تركته والشُّبَهَ المُشْكِلات لتهننّ قواه حتى يُدبر عنه ما قد تدانى منه ، فقال مروان : إن يكن الله قد سهَّل بك أمراً ، فمثلك سهّل الله به الوَعْر وأعان به على حُسن العاقبة ، فقاربه فإنه مؤاتيك ، ثم قال لمعاوية : أيّها الرجل إنّ الأمور قد لَزِم بعضها بعضاً ، فاكمشْ أمرك ، واكتبْ له بما أراد ، فليس مثل عمرو يُبخَل عليه بالجزيل يطلبه ، فكتب له ؛ وقال معاوية للكاتب : اكتبْ لا يَنْقُضُ شرطٌ طاعةً ، فقال عمرو : لا ولكن اكتب ولا تنقض طاعةٌ شرطاً .

فلمّا قُتل محمّد بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما بمِصْر ، غلب عمرو عليها ، واستقامت الأمور لمعاوية ، فلم يحملْ عمرو إليه منها شيئاً ، فكان أهل معاوية يسألونه أن يكتب إلى عمرو في هدايا مِصْر فيقول : عمرو جَموحٌ طَموح مَنوع ، فاعفوني من الكتاب إليه واكتبوا أنتم ، فكانوا يكتبون إليه فلا يبعث إليهم بشيء ، فقالوا لمعاوية : اعزلْه ، فقال : أمّا عزله فلا ، ولكنّي أروّعه بالقدوم فإنّه شبيه بالعزل له ، فكتب إليه فقدم ، فقال معاوية : يا عمرو بلغني أنّك تقوم على منبر مِصْر فتذكر بلاءك بصِفّين ، فإن كان ذلك لله فأجرك عليه ، وإن كان للدنيا فقد أعظمنا مكافأتك ، فهل علمت أنّك قد نقضت شرطك لردّك كتبي ؟ قال : ما رددت لك كتاباً أعلم أنّه منك ، ولكنّه كانت تأتيني كتب على لسانك ؛ فأمّا قيامي على المنبر فلم أرِدْ به مَنّاً عليك ، وأمّا قولك إني أعظمتُ مكافأتك بمِصْر فعليها بايعتك ، قال : انصرفْ إلى رحلك ، فانصرف ثم عاد إليه من الغد ، فقال : يا أمير المؤمنين لم أزلْ أقدح في غارب خير بمصر حتى رجعت إليك ، وقد رأيت أن أحضِرك ما قدمت به لترى فيه رأيك ، فقال معاوية : أمسكْ عليك مالك ،

واعلم أنّك اذا دُعيت إلى مأْدُبَة قوم ـ أو قال مائدة قوم ـ فقد عدَّك أهلها ممّن يأكل ، فإن شئت فكلْ وإن شئت فجُع ، وما أعطيتك مِصْر إلا لأنفعك ، فارجعْ إلى عملك .

المدائني عن أبي زكرياء العجلاني عن عِكْرمة بن خالد قال: قدم معاوية المدينة يريد الحجّ ، فلقيه الحسين عليه السلام فقال له : يا معاوية قد بلغني ذكرك وذكر ابن النابغة بني هاشم بالعيوب ، فارجعْ إلى نفسك وسلّط الحقّ عليها ، فإنّك تجد أعظم عيوبها أصغر عيب فيك ، لقد تناولتَنا بالعداوة وأطعت فينا عمراً ، فوالله ما قَدُم إيمانه ولا حَدُث نِفاقُه ، والله ما ينظر لك ولا يُبْقي عليك ، فانظرْ لنفسك أو دَعْ .

المدائني عن غسّان بن عبد الحميد عن أبيه أنّ معاوية قال لشَدّاد بن أوْس : قُمْ فآذكر علياً وتنقّصْه ، فقام شَدّاد فقال : الحمد لله الذي افترض طاعته ، وجعل في التقوى رضاه ، على ذلك مضى أوّل الأمة ، وعليه يمضي آخرهم ؛ أيّها الناس إنّ الآخرة وعدٌ صادق ، يحكم فيها ملك قادر ، وإنّ الدنيا أجل حاضر ، يأكل فيها البَرّ والفاجر ، وإنّ السامع المطيع لا حُجّة عليه ، وإنّ السامع العاصي لا حُجّة له ، وإن الله إذا أراد بالناس صَلاحاً عمل[1] عليهم صلحاؤهم ، وقضى بينهم فقاؤهم ، وجعل المال في سُمحائهم ، وإذا أراد بالعباد شرّاً عمل عليهم سفهاؤهم ، وقضى بينهم جهلاؤهم ، وجعل المال عند بُخلائهم ، وإنّ مِنْ صلاح الوُلاة أن تصلح

١ ـ في رواية أخرى «استعمل» (من هامش الأصل) .

قَرابينها[1] ووزراؤها ، نَصَحك يا معاوية مَن أسخطك بالحقّ ، وغشّك مَن أرضاك بالباطل ؛ فكره معاوية أن يجيء بشيء يكرهه فقال : آجلسْ رحمك الله ، وأمر له بمال ، فقال معاوية : أَلستُ من السمحاء ؟ قال : إن كان من مالك دون مال المسلمين ممّا تعهّدتَه عند جمعه مخافةَ تَبِعَته ، تعهّده لك مَن مَحَضَك النُصْح وآثر الحقّ ، وإن كنت أصبتَه اقترافاً وأنفقته إسرافاً فإنّ الله يقول ﴿إنّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ آلشَّيَاطِينِ﴾[2] .

وقال العُتْبي : دخل عبد الرحمن بن شِيحان ، وكان أبوه حليفاً لحَرْب ، على سعيد بن العاص فقال له سعيد : قلتَ :

إنِّي لأَشْرَبُها حتّى تَميلَ بنا كَما تَمايَلَ وَسْنانٌ بِوَسْنانِ

قال : مَعاذَ الله أن أشرب الخمر وأصفها ، ولكنّي الذي أقول :

عَمَدْتُ بِحِلْفي لِلطوالِ ولِلذُّرَى ولَمْ تَلْقَني كَالنِّسْي في مُلْتَقى الحَرْبِ

فقال عمرو بن سعيد لأبيه : ما يمنعك من ضربه مائة سوط ؟ قال ؛ أي بُنَيَّ أَضربُهُ وهو حليف معاوية ؟! فقال معاوية لسعيد : أَمَرَك أُحمقُك أن تَضربَ حليفي ، والله لو ضربتَه مائة سوط لضربتُك مائتَيْن ، ولو قطعت يده لقطعت يَدْيك ، قال غَفْراً يا أمير المؤمنين ، فإنّك ضربت حليفك عمرو بن جَبَلة ، قال : إنّي آكل لَحْمي ولا أُوكله .

المدائني عن جُوَيْريه بن أسماء قال : قال معاوية لشَدّاد بن أَوْس : أنا أفضل أم عليّ ، وأيّنا أحبّ أليك ؟ قال : عليّ أقدم إسلاماً وهِجْرة ، وأكرم بيتاً وعِتْره ، وأقدم لنبي الله نصرة ، وأشدّ إلى الخير سبقاً ، وأشجع نفساً

١ ـ في هامش الأصل «جمع قربان» .
٢ ـ سورة الاسراء ـ الآية : ٢٧ .

وأسلم قلباً ، وأمّا الحبّ فقد مضى عليّ رحمه الله ، وأنت اليوم عند الناس أرجى منه .

المدائني قال : قال معاوية لرجل من اليهود : هل تروي من شعر أبيك شيئاً ؟ قال : أيّ شعره أردت ؟ قال : أبياتاً كانت قريش تستحسنها ، فأنشده :

هل أَضْرِبُ الكَبْشَ في مَلْمومةٍ قُدُماً ... أَمْ هل سَمِعْتَ بِشَرٍّ كانَ لي نُشِرا

أَمْ هل يَلومَنّني قَوْمٌ إذا نَزَلوا ... أَمْ هَلْ يَقولَنَّ يَوْماً قائِلٌ بَسَرا

نَقْريهِم الوَجْهَ ثُمَّ البِشْرُ يَتْبَعُهُ ... لا يُمْنَعُ العُرْفُ مِنّا قَلَّ أَوْ كَثُرا

فقال معاوية : أنا أحقّ بهذا الشعر من أبيك ، فقال اليهودي : لا لعمرو الله لأبي أحقّ بها إذ سبق إليها ، فاستلقى معاوية ووضع ساعده على وجهه ، فقال الوليد بن عُقْبة وعبد الرحمن بن أمّ الحَكَم ، آسكتْ يا بن اليهوديّة ، وشتماه ، فقال : كُفّا عن شتمي وإلّا شتمتُ صاحب السرير ، فرفع معاوية رأسه ضاحكاً ثمّ قال : كُفّا عنه يكفّ عنّي ، ثمّ قال لليهودي : إنّكم أهل بيت تُجيدون صنعة الهَريسة في الجاهليّة ، فكيف صنعتكم لها اليوم ؟ قال : نحن اليوم يا أمير المؤمنين لها أجودُ صنعةً ، قال : فاغْدُ بها عليّ ، وأمر له بأربعة آلاف درهم . فخرج ، فقال الوليد وعبد الرحمن : كذّبك وتأمر له بجائزةٍ ؟! قال : أنتما أجزتماه بما شتمتماه ، فأردت أن أسُلّ سخيمته ؛ وغدا بالهَريسة فأكلها معاوية .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة قال : أغزى معاوية الناس ، فحمل اليمانية في البحر ، وحمل مضر في البرّ ، فقال رجل من صُداء متهدّداً لمعاوية :

يا أيُّها القَومُ الذين تَجَمَّعوا بِعَكَّا أُناسٌ أَنْتُمُ أَمْ أباعِرُ
أَتُتْرَكُ قَيْسٌ تَرْتَعي في بِلادِكُمْ ونَحْنُ نُسامي البَحرَ والبَحرُ زاخِرٌ
فوالله ما أَدْري وإني لَسائِلٌ أَكِنْدَةُ تَحْمي أَصْلَنا أَمْ يُحابِرُ[1]
أَم الغُرُّ مِن حَيَّيْ قُضاعَةَ إنَّهُمْ هُمُ أَصْلُنا لَوْ تَسْتَمِرُّ المَرائرُ
أَما كان في هَمْدانَ حامي حَقيقَةٍ ولا كان في عَكٍّ ولا في الأشاعِرِ

فبلغ معاويةَ الشعرُ فقال : حتّى صُداء تهدّدني ! ويقال إنّ معاوية غرّب قوماً من اليمانية فحملهم في البحر ، فقال شاعرهم هذا الشعر ، وكان يقال ليزيد بن يزيد بن حَرْب بن عُلَة : صُداء .

المدائني عن عَوانة قال : قدم زياد على معاوية ومعه شريك بن تمّام الحارثي ، فقال معاوية : ما هذا الرجل يا أبا المغيرة ؟ فقال شريك : لم أَرَ لك هَفْوَةً قبل هذه ، قال : ما رأيتَ رحمك الله ؟ قال : إنكارك مثلي من رعيّتك ، فقال معاوية : عسى أن تكون معرفتي إيّاك متفرّقة ، أعرف وجهك إذا حضرتَ في الوجوه الحاضرة ، وأعرف اسمَك إذا ذُكرت في الأسماء الكافية ، فلا أعلم أنّ هذا الوجه هو لذلك الاسم ، فما آسمك تجتمع لي معرفتك ؟ قال : أنا شريك بن تمّام الحارثي ، فقال معاوية : الآن عرفتك .

المدائني عن عَوانة قال ، قال معاوية ليزيد : يا بُنَيَّ احفظْ عنّي ما أقول لك : أكرم أهلَ مكّة والمدينة فإنّهم أَصْلك ومنصبك ، ومَن أتاك منهم فأكْرمه ، ومن لم يأتك فآبعثْ إليه بصِلة ، وانظُر أهل العراق فإنّهم أهل طعن على أمرائهم ومَلالَةٍ لهم ، فإن سألوك أن تبدل كلّ يوم أميراً فافعل ،

---

١ ـ بهامش الأصل : «يحابر هو مر بن أد بن مالك» .

وآنظر أهل الشام فليكونوا عَيْبَتَك وحِصْنك ، فمَن رابك أمره فآرمه بهم ، فإذا فرغوا فأقفلْهم فإنّي لا آمن الناس على إفسادهم ، وقد كفاك الله عبد الرحمن بن أبي بكر ، فليس يخالف عليك غير الحسين وابن الزبير ـ فأمّا ابن عمر فقد وقذه الإسلام ـ وأمّا ابن الزبير فخَبٌّ خَدِعٌ ، فإذا هو شخص لك فآلبَدْ له فإنّه ينفسخ على المطاولة ، وأمّا الحسين فلستُ أشكّ في وثوبه ، ثمّ يكفيكه الله بمن قتل أباه وجرح أخاه ؛ إنّ بني أبي طالب مدّوا أعناقهم إلى غايةٍ أبت العربُ أن تعطيهم أيّاها ، وهم محدودون .

حدثني العمري عن الهيثم بن عَديّ عن عوانة قال : هجا عُقيبة بن هُبيرة الأَسَدي عمرو بن قيس الأَسدي فقال :

لَعَمْرُكَ إنَّ اللُّؤم خِدْنٌ وصاحِبٌ لِعَمْرِو بن قَيْسٍ ما دعا الله راغبُ
تراهُ عظيماً ذا رُواءٍ ومَنْظَرٍ وأَجْبَنَ من مَنْزوفٍ[1] ان صاح ناعبُ
شجاعٌ على جيرانِهِ وصديقِهِ وأَجْرأُ منهُ في اللقاءِ الثَّعالبُ

فشكاه إلى معاوية فقال معاوية : قد هجانا بأشدّ من هذا ، فقال :

أَرَى ابنَ أَبي سفيان يُزْجي جِيادَهُ ليغـزو عَلِياً ضِلَّةً وتحـامُقـا
وبئس الفتى في الحَرْبِ يوماً إذا بَدَتْ بَرازِيقُ خيلٍ يتَّبِعْنَ برازقا[2]

فهلمّ ندعو الله عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أَما غير هذا ؟ قال : لا ، وإن شئت هجوته .

---

١ ـ المثل : «إنه لأجبن من المنزوف ضرطاً» . الأمثال لأبي عبيد ص ٣٦٧ .
٢ ـ البرازيق : الجماعات من الناس . القاموس .

حدثنا بعض أصحابنا عن عمر بن بُكَيْر عن الهيثم بن عديّ قال : دخل الحسن بن عليّ على معاوية ، فلمّا أخذ مجلسه قال معاوية : عَجباً لعائشة تزعم أنّي في غير ما أنا أهْلُه ، وأنّ الذي أصبحتُ فيه ليس لي بحقّ ، ما لها ولهذا يغفر الله لها ، إنّما كان ينازعني في هذا الأمر أبوك ، وقد استأثر الله به ، فقال الحسن : أوعَجَبٌ هذا يا معاوية ؟ قال : أيْ والله إنّ هذا لعجب : قال : أفلا أُنبئك بأعجب منه ؟ قال : وما هو ؟ قال : جلوسك في صدر المجلس ، وأنا عند رِجْلَيْك ، فضحك معاوية ثمّ قال : يا بن أخي بلغني أنّ عليك دَيْنًا ، قال : إنّ عليّ دَيْنا ، قال : وكم هو؟ قال : مائة ألف ، قال : فقد أمرنا لك بثلاثمائة ألف ، ثمّ قال : مائة ألف لقضاء دَيْنك ، ومائة ألف تقسمها في أهل بيتك ، ومائة ألف لخاصّة بدنك ، فأقْبض صلتك ؛ فلمّا خرج الحسن قال يزيد : تالله ما رأيت رجلاً استقبلك بما أستقبلك به ، ثمّ أمرت له بثلاثمائة ألف درهم ، فقال : يا بُنيّ إنّ الحقّ حقّهم ، فمَن أتاك منهم فآحث له وآحتفل .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة عن عبد الملك بن عُمير قال : قال قبيصة بن ذؤيب الأسَدي[1] : ما رأيت أحداً قطّ أعلم بالله من عمر بن الخطّاب ، ولا رأيت أحداً أطول بلاءً في الله من عليّ بن أبي طالب ، ولا رأيت أحداً قطّ أعطى من طلحة ، ولا رأيت أحداً قطّ أحملَ لأحدٍ من

---

١ - سيورد البلاذري بعد رواية مشابهة عن قبيصة بن جابر ، وقد ترجم ابن حجر في تهذيب التهذيب لقبيصة بن جابر بن وهب الأسدي ، كما ذكر قبيصة بن ذؤيب لكن الخزاعي ، وكلاهما رويا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة . تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٤٤ - ٣٤٦ .

معاوية لَمَصْقَلة بن هُبَيْرة ، ولا رأيت أحداً قطّ أظهرَ جَلَداً وظَرْفاً من عمرو بن العاص ، ولا رأيت أحداً أيسر لصديق في عداوة العامّة من المغيرة بن شُعْبة ، ولا رأيت أحداً قطّ أخصب رفيقاً ولا أقلّ أذىً لجليسه من زياد .

المدائني عن أبي بكر الهُذلي قال : دخل صَعْصَعَة بن صُوحان على معاوية أوّل ما دخل عليه ، وقد كان يبلغه عنه ما يكره ، فقال له معاوية : ممّن الرجل ؟ قال : من نِزار ، قال : وما نِزار ؟ قال : كان إذا غزا احتوش ، وإذا انصرف انكمش ، وإذا لقي افترش ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالخيل ، ويُغير بالليل ، ويجود بالنَّيْل ، قال : فمن أيّ ربيعة ؟ قال : من ولد أَسَد ، قال : وما أَسد ؟ قال : كان إذا طلب أفضى ، وإذا أدرك أرضى ، وإذا آب أنضى ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من جَديلة ، قال : وما جَديله قال : كان يُطيل النجاد ويُعِدُّ الجياد ويُجيد الجلاد ، قال : فمن أي ولده أنت؟ قال: من ولد دُعْميّ [قال]: وما دُعْميّ؟ [قال]: كان نوراً ساطعاً وشرّاً قاطعاً وخيراً نافعاً ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من ولد أَفْصَى ، قال : وما أفصى ؟ قال : كان ينزل القارات ويُغير الغارات ويحمي الجارات ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من عَبْد القَيْس ، قال : وما عبد القيس؟ [قال]: أبطال ذادةٌ جَحاجِحةٌ سادة صناديد قادة، قال: فمن أيّ ولده أنت؟ قال: من ولد أفْصى، قال: وما أفْصى؟ [قال]: كانت رماحُهم مُشْرعة وقدورهم مُتْرعة وجِفانهم مُشْبعة ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من ولد عمرو ، قال : وما عمرو؟ قال : كانوا يستعملون

السيف ويُكرمون الضيف في الشتاء والصيف ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال: من ولد لُكَيْز، [قال]: وما لُكَيْز ؟ [قال]: كان يباشر القِتال ويعانق الأبطال ويبذّر الأموال ، قال : فمن أيّ ولده أنت : قال : من ولد عِجْل ، [قال]: وما عِجْل؟ [قال]: الليوث الضَراغمة الملوك القَهامة القُروم القَشاعِمة، قال: فمن أيّ ولده أنت؟ قال : من ذُهْل بن عَجْلان، [قال]: وما ذُهْل؟ [قال]: كان يَغْشى الحرب ويُجيد الضرب ويكشف الكَرْب، قال: يا بن صُوحان ما تركت لهذا الحيّ من قريش شيئاً ، قال : تركت لهم أكثره وأكبره ، تركت لهم الوَبَر والمَدرَ والأبيض والأصفر والصَفا والمَشْعَر ، والسرير والمنبر ، والمُلْك إلى المَحْشَر ، قال : يا بن صُوحان لقد كان يسوءني أن أراك خطيباً ، قال : وأنا والله لقد كان يسوءني أن أراك أمير المؤمنين ، فردّه ووصله . قالوا : هو صَعْصَعَة بن صوحان بن حُجْر بن الحارث بن الهِجْرِس بن صبرة بن حِدْرجان بن عِساس بن لَيْث بن حُداد بن ظالم بن ذُهل بن عِجْل بن عمرو بن وَديعة بن لُكَيْز بن أفصَى بن عبد القيس بن أفْصَى بن دُعميّ بن جَديلة بن أسَد بن ربيعة بن نِزار .

المدائني عن عَتّاب بن إبراهيم أنّ معاوية استعمل على الصائفة وقد جاشت الروم عبدَ الرحمن بن خالد بن الوليد وكتب له عهداً ثمّ قال له : ما تصنع بعهدي هذا ؟ قال : أتّخذه إماماً فلا أتجاوزه ، قال : ردّ عليّ عهدي ، فقال : أتعزلني ولم تخبرني ؟ أما والله لو كنّا ببطن مكّة على السَّواء ما فعلت بي هذا ؛ فقال : لو كنّا ببطن مكّة كنتُ معاوية بن أبي سفيان بن حرب ، وكنتَ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكان منزلي بالأبطح ، وكان منزلك بأجيادٍ ، أعلاه مَدَرَةَ وأسفله عَذِرَة . ثمّ بعث إلى سفيان بن

عوف الغامدي فقال له : قد ولّيتك الصائفة وهذا عهدي ، فما أنت صانع به ؟ قال : أتّخذه إماماً ما أمّ الحَزْم ، فإذا خالفه أعملت رأيي ، وبالله التوفيق . قال معاوية : أنت لها ، فلمّا ودّعه قال : هذا والله الذي لا يُدفع عن نُطْق ، ولا يُكفكف من عَجَلةٍ ، ولا يضرب على الأمور ضَرْبَ الجمل الثفال ؛ فغزا بالناس الصائفة ، ثم هلك فاستخلف عبد الرحمن بن مسعدة الفَزَاري وقال له : احرصْ على أن ترجع بالناس سالمين ، فغزا بهم فأصيبوا ورجع منهزماً ، وقد كان الشاعر قال فيه :

أَقِمْ يا بنَ مَسْعودٍ قَناةً قَويمَةً كَما كانَ سُفْيانُ بْنُ عَوْفٍ يُقيمُها
وسُمْ يا بن مَسْعودٍ مَدائنَ قَيْصَرٍ كَما كان سُفْيان بنُ عَوْفٍ يَسومُها

فلمّا قدم على معاوية قال : «أَقِمْ يا بن مسعود» فقال : يا أمير المؤمنين ، قرنتني إلى رجل قلّ أشباهه في حزمه ، فقال معاوية : إنّ من فضلك عندي معرفتك بفضل من هو أفضل منك ، ولكنّك قلتَ هذه أوّلُ ولاياتي ومِحَني فحرصتَ فغررتَ ، والله يغفر لك .

المدائني عن أبي البَخْتَري عن جعفر بن محمّد عن أبيه قال : كتب معاوية إلى عبدالله بن عبّاس : أمّا بعد فإنّكم معشر بني هاشم لستم إلى أحدٍ بالمساءة أسرع منكم إلى أنصار عثمان ، فإنْ يك ذلك لسلطان بني أميّة فقد وليها بنو تَيْم وعَديّ فأظهرتم الطاعة ، وقد وقع من الأمر ما ترى مَعَها كان من وقعة البَصْرة[1] التي لم يَخْفَ عليك ما كان فيها من عظيم المصائب ، وذهاب طلحة والزبير ، وأخذ هذه الحرب منّا ومنكم ، حتّى استوينا فيها ،

١ ـ يعني معركة الجمل .

وقد رجونا غير الذي كان ، وخشينا دون الذي وقع ، ولستم بلاقينا اليوم بأحدّ من حدّكم أمس ، ولا غداً بأحدّ من حدّكم اليوم ، وقد منعنا بما كان منّا الشام ، ومنعتم بما كان منكم العِراق ، فاتّقوا الله في قريش فإنّما بقي من رجالها سبعة نفر : رجلان بالشام ورجلان بالعراق وثلاثة بالحجاز ، فأمّا الذي بالحجاز فسعد بن أبي وقّاص ، وسعيد بن زيد ، وعبدالله بن عمر ، وأمّا اللذان بالشام فأنا وعمرو ، وأمّا اللذان بالعراق فعليّ وأنت ، ومن السبعة رجلان ناصبان ، ورجلان مدبران ، وثلاثة وقوف عنّا وعنك ، وأنت رأس هذا الجمع اليوم ، ولو بايع الناس لك بعد عثمان كنّا إليك أسرع منّا إلى عليّ.والسلام . فلمّا قرأ ابن عبّاس كتابه ضحك ثمّ قال : حتّى متى يخطب إليّ معاوية عقلي وأُجمجمُ له عمّا في نفسي ؟! ثمّ كتب .

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبدالله بن عبّاس إلى معاوية بن أبي سفيان ، أمّا بعد ، فقد أتاني كتابك ، فأمّا ما ذكرت من سُرْعتنا إلى أنصار عثمان بسلطان بني أميّة فقد أدركتَ حاجتك بعثمان ، لقد استنصرك فلم تنصْره حتى صِرْتَ إلى ما صرت إليه، وبيني وبينك في ذلك ابن عمّك الوليد بن عُقْبة وما كتب به إليك، وأمّا طلحة والزبير فإنّهما طلبا المُلْك ونكثا البيعة ، فقاتلناهما على النكْث ، وقاتلناك على البَغْي ، وأما قولك لم يبق من قريش غير سبعة نفر ، فما أكثرَ رجالَها وأحسنَ بقيّتَها بحمد الله ونعمته ، وقد قاتلك من خِيارها مَن قاتلك ، وأمّا إغراؤك إيّاي بتَيم وعَديّ فأبو بكر وعمر خير من عثمان ، كما أنّ عثمان خير منك ، وماذا تَقيس به نفسَك بأبي بكر وعمر ، وأمّا قولك إنّا لَنْ نلقاكم بمثل ما لقيناكم به بالأمس، فقد بقي لك منّا يوم يُنسيك ما قبله،

ويُخيفك ما بعده ، وأمّا قولك إنّه لو بايعني الناس استقمتَ لي ، فقد بايعوا عليّا وهو خير منّي فلم تستقمْ له ، وإنّ الخلافة لا تصلح إلّا لمن كان في الشورى ، ممّن سمّاه عمر ، فما أنت والخلافة يا معاوية ، وأنت طليق الإسلام ، وابن رأس الأحزاب ، وابن آكلة الأكباد ؟! فلمّا أتى معاويةَ كتابُه قرأه على عمرو ، فقال له عمرو : أنت عرضت نفسك لهذا ، فقال : لستُ والله أعودُ لمثلها .

حدثني أبو مسعود عن عليّ بن صالح عن عيسى بن يزيد المدني قال : قالت فاختة بنت قَرَظة امرأة معاوية : يا أمير المؤمنين ، لِمَ تصانع الناسَ وترى أنّهم مُنْصفون منك ، فلَوْ أخذتهم مِن عَلٍ كانوا الأَذلّين وكنتَ لهم قاهراً ، فقال : وَيْحكِ إنّ في العرب بقيّة بَعْدُ ، ولَوْلا ذلك لجعلتُ عاليها سافلها ، فقالت : والله ما بقي أحد إلّا وأنت عليه قادر ، قال : فهل لكِ في أن أُريك بعض ذلك منهم ؟ قالت : نعم ، فأدخلها بيتاً وأسبل عليها سِتْرهُ ، ثمّ أمر حاجبه أن يُدخل عليه رجلاً من أشراف من بالباب ، فأدخل عليه رجلاً من قيس يقال له الحارث ، فقال له معاوية : يا حُوَيْرث ، إيهٍ أنت الذي طعنت في الخلافة وتنقّصت أهلها ؟ والله لقد هممتُ أن أجعلك نكالاً ، فقال : يا معاوية إنّما دعوتني لهذا ؟ والله إنّ ساعدي لشديد ، وإنّ رُمْحي لمديد ، وإنّ سيفي لحديد ، وإنّ جوابي لعتيد ، ولئن لم تأخذْ ما أُعطيت بشُكْر لتُنزَعنّ عمّا نكره بصُغْر ، فقال : أخرجوه عنّي ، فأُخرج ، فقالت فاختة : ما أَجْرَأَ هذا وأقوى قلبَه ؟! فقال معاوية : ما ذاك إلّا لإدلاله بطاعة قومه له ، ثمّ أمر الحاجب فأدخل عليه رجلاً من ربيعة يقال له

جارية ، فقال له معاوية ، إيه يا جُوَيْرية ، أنت الذي بلغني عنك تخبيب[1] للجند وقلّة من الشكر ؟ فقال : وعلامَ نشكر ؟ ما تُعطي إلاّ مُداراةً ولا تحلم إلاّ مصانعةً ، فاجهدَ جَهْدك ، فإنْ ورائي من ربيعة رُكناً شديداً لم تصدأ أدْرُعهم مذ جَلْوها ، ولا كَلّتْ سيوفهم مذ شحذوها ، فقال : أخرجوه ، ثمّ أمر معاوية حاجبه فأدخل إليه رجلاً من أهل اليَمَن يقال له عبدالله ، فقال له : إيه يا عُبَيْد السوء ، ألحقتُك بالأقوام وأطلقتُ لسانك بالكلام ، ثمّ يبلغني عنك ما يبلغني من سوء الإرجاف ؟! لقد هممت أن أُخرجك وأنت عِبرة لأهل الشام ، فقال : أيا معاوية أَلهذا دعوتني ، ثم صغّرت اسمي ولم تنسبْني إلى أبي ؟ وإنّما سُميّت معاوية باسم كلبة عاوت الكلاب ، فاربَعْ على ظَلْعِك فذلك خير لك ، فقال لحاجبه : أخرجْه ، فقالت فاختة : صانع الناس بجَهْدك ، وسُسْهم بِرفقك وحِلْمك ، فأخزى الله مَن لامك .

حدثني أبو حفص السامي قال : بلغنا أن يزيد بن معاوية قال لأبيه : يا أمير المؤمنين متى يكون العلم ضارّا ؟ قال : إذا نقصت القريحة وفُصلت الرواية .

وقال معاوية : إذا لم يكن الهاشمي شجاعاً سخيّاً لم يشبهْ قومه ولم يشبهْ مَن هو منه ؛ وقال : إذا لم يكن الأُموي مصلحاً لماله ، حليماً عند غضبه ، لم يشبهْ من هو منه ، ولَنْ تعدم من الهاشمي لَسَناً أو سخاءً أو شَجاعة ، وربمّا اجتمع ذلك لبعضهم .

المدائني عن أبي إسحاق التميمي قال : سمع معاوية رجلاً يقول :

ومِنْ رَقاشِ ماجِدٌ سَمَيْدعُ يَـأْبَى الذي يَكْـرَهُهُ فيمنـع

---

١ ـ الخب : الخداع والخبث والغش ، والخبب ضرب من العدو والسرعة . القاموس .

فقال معاوية : ذلك منّا ، ذاك ابن الزبير .

المدايني عن سَلّام بن أبي مُطيع عن قَتادة قال : حرم مروان بن الحَكَم ابناً لصُهَيْب عطاءه ، فبلغ ذلك معاويةَ فكتب إليه معاوية : إنّك حفظت على ابن صُهَيْب ما كان من أبيه في أمر عثمان ، ونسيت ما كان من سابقته مع رسول الله ﷺ ، فارددْ عليه عطاءه وأكرمْه وأحسنْ مجاورته ، إن شاء الله .

وقال معاوية لخالد بن معمر : كيف حبّك لعليّ ؟ قال : شديد ، أحبّه لحِلْمه إذا غضب ، وصِدْقه إذا قال ، ووفائه إذا وعد ، وجوده إذا سُئل .

وقال عمرو بن العاص : عُقِم النساء أن يلدن مثل معاوية ، وما استدرّ لمعاوية كلام قطّ فقطعه حتّى يأمر بخير ويُصيب الناس بفضل .

حدثني هشام بن عَمّار عن أبيه أو غيره قال : قدمت رملة بنت معاوية الشام من المدينة ، وكانت عند عمرو بن عثمان بن عفّان ، وكان عمرو لها محبّا إلّا أنّه كان ربما أغارها ، فقال لها : أَطلّقكِ ابن عمّي ؟ فقالت : كلا ، الكلب أضنّ بالشَحْمَة ، قال: ويقال : قالت بشَحْمته .

وقال هشام : كان معاوية يقول : زَيْنُ الشرَف العَفاف .

وقال هشام : أُتي معاوية بصريع فقال ليزيد : أما في أخوالك من يصارع هذا ؟ قال : بلى ، الزَبّان خالي ، فأُتي به فصرعه ، فقال يزيد :

أقولُ لَهُ والعَبْدُ يَكْبو لِوَجْهِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ لقد فَعَلَ الزَبّانُ ما كُنْتُ أعْرِفُ

وقال المدائني : قدم بَحير بن رَيْسان الحِمْيري على معاوية وعنده أبو الأَسْوَد الدُولي فقال :

ألا إنّ خَيْرَ الناسِ بَعْدَ نَبِيّهِمْ وبعـد أَمير المـؤْمنـينَ بَحـيرُ
وإنّي لأَرْجو مِنْ بَحيرٍ وَليدَةً وذاكَ على الحُرِّ الكريمِ يسيرُ[1]

فقال بَحير : بل وليدة ووليدة ، ولو قلتَ ألف دينار لأعطيتُك إيّاها .

وحدثني محمّد بن سعد عن الواقدي قال : توفّي خالد بن الوليد بن المغيرة بحِمْص سنةَ عشرين وأوصى إلى عمر بن الخطّاب وكان عبد الرحمن بن خالد يلي الصوائف فيُبلي ويَحْسن أثره ، فعظم أمره بالشام ، فدسّ إليه معاوية متطبّباً يقال له ابن أُثال ليقتله وجعل له خراج حِمْص ، فسقاه شربة فمات ، فاعترض خالد بن المهاجر بن خالد - ويقال خالد بن عبد الرحمن بن خالد - ابنَ أُثال فضربه بالسيف فقتله ، فرفـع أمره إلى معاوية ، فحبسه أيّاماً وأغْرمَه دِيَتَه ولم يُقِدْه به .

المدائني وغيره قالوا : غزا عبد العزيز بن زُرارة الكِلابي الصائفة مع يزيد بن معاوية فمات وبلغ معاوية ذلك فقال لأبيه : هلك والله فتى العرب ، فقال : ابني أوْهِ ، قال : ابنك ، فآجرك الله ، وأمر فنودي ليعزّي الناس أمير المؤمنين عن عبد العزيز بن زُرارة، فقال زرارة .

فإنْ يَكُنِ المَوْتُ أَوْدَى بـه وأَصْبَحَ مُخُّ الكِلابيِّ ريرا[2]
فكُـلُّ فتىً شـارِبُ كَـأْسَـهُ فـإمّـا صغيـراً وإمّـا كبـيرا

المدائني قال : قال معاوية ذات يوم : إنّ الله بعث رسوله بفضل بيّن فلم يُرِد الدنيا ولم تردْه، وكان بعده أبو بكر وعمر فلم يُرداها ولم تردْهما، ثمّ

---

١ - ديوان أبي الأسود - ط . العراق ص ٢٤٠ ، البيت الثاني فقط أما البيت الأول فيختلف تماماً .

٢ - الرير : الذائب من المخ . القاموس .

كان عثمان فنال منها ونالت منه ، ثمّ آتانا الله هذا الأمر والمال فأعطينا كلَّ ذي جق حقَّه ، وفضل مال كثير عاث فيه أهل معاوية ، فإنْ يغفرِ الله لهم فأهل ذاك هو ، وإن يعذّبهم فأهل ذاك هم .

المدائني قال : قال معاوية لسَعْية بن عريض اليهودي : أنشدْني مرثية أبيك نفسه ، فأنشده :

ياليت شِعْري حين أُنْدَبُ هالِكاً ... ماذا تُـؤَبِّنُني بـه أُنـواحي

ولَقد حَمَلْتُ عنِ العشيرةِ ثِقْلَها ... ولقد أَخَذْتُ الحَقَّ غيْرَ مُلاحِ

إنَّ امْرءاً أَمِنَ الحوادثَ جاهِلاً ... ورجا الخُلودَ كضارِبٍ بِقِداحِ

فقال معاوية : صدق ، وتَغَرْغَرَت عيناه .

وزعموا أنّ معاوية كتب إلى عليّ رضي الله تعالى عنهما : يا أبا الحسن ، إنّ لي فضائل كثيرة ، كان أبي سيّداً في الجاهليّة ، وولّاني عمر في الإسلام ، وأنا صهـر رسول الله ﷺ وخال المؤمنين ، وأحد كُتّاب الوَحْي ، فلمّا قرأ عليّ كتابه قال : أَبالفضائل يفخر عليَّ ابنُ آكلة الأكباد ؟! يا غلام اكتبْ ، فكتب :

مُحَمَّدٌ النَبِيُّ أخي وصِهْري ... وحَمْزَةُ سيِّدُ الشُهَـداءِ عَمّي

وَجَعْفَرٌ الذي يُمْسي ويُضْحي ... يطيرُ معَ المَلائِكَةِ ابنُ أُمّي

وبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكَني وعِرْسي ... مَسوطٌ لَحْمَها بِدَمي ولَحْمي

وسِبْـطا أَحْمَدٍ ولَـدايَ منهـا ... فـأَيُّكُمُ لـه سَهْمٌ كسهمي

سَبَقْتُكُمُ إلى الإسْـلامِ طُرّاً ... غُلاماً قَبْلَ حينِ أوانِ حِلْمي[1]

١ ـ ليست في ديوان الامام علي المطبوع .

فلمّا قرأه معاوية قال : يا غلام مَزّق الكتاب لئلا يقرأه أهل الشام فيميلوا إليه دوني . قالوا : وانتحل السيّد الحميري هذه الأبيات فأدخلها في شعره .

ورحل حُضَينْ بن المُنْذِر إلى معاوية في وفد من أهل العراق ، فتأخر وصوله إليه من بينهم ، فقال :

وكُلُّ صَغيرِ الشأْنِ يسعى مُشَمِّراً إذا فَتَحَ البَوّابُ بابكَ إِصْبَعَا
ويبقى الجَلوسُ الماكثونَ رَزَانَةً حَياءً إلى أَنْ يُفْتَحَ البابُ أَجمعا

فأمر معاوية أن يدخل أَوَّلَ الناس .

وذكروا أنّ معاوية أقبل على بني هاشم فقال : يا بني هاشم إنّ خيري لكم ممنوح ، وبابي مفتوح ، فلا تقطعوا خيري عنكم ، ولا تُغلقوا بابي دونكم ، وقد رأيتُ أمري وأمركم متفاوتاً ، ترون أنّكم أحقّ بما في يدي منّي ، وأنا أرى أنّي أحقّ بِه منكم ، فإذا أعطيتُكم العطيّة فيها قضاء حقوقكم قلتم : أخَذْنا دون حقّنا وقصّر بنا عن قدرنا ، فصرتُ كالمسلوب لا يُحمَد على ما أُخذ منه ، فبئست المنزلة نزلتُ بها منكم ، أُعطي فلا أُشْكَر ، وأمنع فلا أُعذَر ، ونِعْمت المنزلة نزلتم بها منّي : إنصافُ قائلكم ، وإعطاءُ سائلكم ، فقال عبدالله بن عبّاس ، والله ما منحتنا خيرك حتّى طلبناه ، ولا فتحتَ لنا بابك حتّى قرعناه ، ولئن قطعتَ عنّا خيركَ لَلّهُ أوسعُ لنا منك ، ولئن أغلقتَ دوننا بابك لنكفَّنَّ أنفسنا عنك ، فوالله ما أحفيناك في مَسألة ولا سألناك باهِظَةً ، فأمّا هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل من المسلمين ، ولنا في كتاب الله حقّانِ : حقّ الغنيمة وحقّ الفيء ، فالغنيمة ما غلبنا عليه ، والفيء ما اجتبيناه ، فعلى أيِّ وجهٍ خرج ذلك منك أخذناه وحمدنا

الله عليه ، ثمّ لم نُخْلِكَ مِن شُكْرِ خيرٍ جرى على يدك ، ولولا حقُّنا في هذا المال ما أتاك منّا زائرٌ يحمله خُفٌّ ولا حافرٌ ، أكَفاكَ أم أزيدك ؟ فقال معاوية : حسبك يا أبا عبّاس فإنك تَكْوي ولا تغوي ، فقال الفَضْل بن عبّاس بن عُتْبة بن أبي لَهَب :

ألا أبْلِغْ مُعاوِيَةَ بنَ صَخْرٍ فإنَّ المَرْءَ يَعْلَمُ ما يَقولُ
لنا حَقّانِ حَقُّ الخُمْسِ وافٍ وحَقُّ الفَيْءِ جاء به الرسولُ
فكُلُّ عَطِيَّةٍ وَصَلَتْ إلينا وإن سُحِبَتْ لِخَدْعَتِها الذّيولُ
ففي حُكْم القُرَانِ لنا مَزيدٌ على ما كان لا قالٌ وقيلُ
أتَأْخُذُ حَقَّنا وتريدُ حَمْداً له ، هذاكَ تَأْباهُ العُقولُ
فقال له ابْنُ عَبّاسٍ مُجيباً فَلَمْ يَدْرِ ابْنُ هِنْدٍ ما يقولُ
فلا تَهجِ ابْنَ عَبّاسٍ مُجيباً فإنَّ جَوابَهُ جِذْعٌ أصيلُ

حدثني محمّد بن اسماعيل الواسطي عن الفُرات العِجْلي عن أبيه عن قَتادة قال : خطب معاوية بالمدينة فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر عليّاً فنال منه ونسبه إلى قتل عثمان وإيواءِ قَتَلَته ، والحسن بن عليّ تحت المنبر ، فقال بعد أن حمدالله وأثنى عليه : يا أهلَ الشام إنّ معاويةَ يخدعكم بهذا الخاتم الذي من كان في يده جازت كتبه في الآفاق ، وادخر لعِياله الذخائر ، فقام رجل من أهل الشام فأراد أن يقطع على الحسن كلامه فقال : يا حسن قد وصفت لنا معاوية ، فكيف صفتك للخِراءَة ؟ فقال الحسن : يا أُحَيْمق أُبعِد المَمْشى ، وأنفي الأذَى ، وأستنجي باليُسْرى ، فغاظ قوله مَن حضر من أهل المدينة ، واستشاط الحسن ، فلمّا رأى معاوية ذلك نزل عن منبره تخوّفاً أن يأتي الحسن بشيء يكرهه ، وأن يتشارّ الناس ، فأخذ بيد الحسن وأدخله منزله ، ثمّ دعا

بماء وسَويق فجدحه بيده ، ثمّ قال : اشربْ يا بن فاطمة فوالله ما جدحته[١] لأحد قبلك ، فأخذه الحسن فشرب منه الحسن ، ثمّ ناوله معاوية وقال : اشرب يا بن هِنْد فوالله ما ناولك مثلي ، وانّ بين الأمريْن لَبَوْناً بعيداً ، فقال معاوية : أجل والله وما أردتُ بما قلتُ بأساً .

وقال معاويةِ لعقيل : إنّ فيكم ليناً قال : أجل في غير ضُعْف ، وإنّ لنا لعِزا في غير كِبْر ، وأمّا أنتم فإنْ في لينكم غدراً ، وإنّ في كِبْركم كُفْراً ، فقال معاوية : دون هذا يا أبا يزيد ، فقال عَقيل :

لذي الحِلْمِ قَبْلَ اليومِ ماتُقْرَعُ العصا   وما عُلِّمَ الإنْسانُ إلاّ لِيَعْلَما[٢]

فقال معاوية :

وإنَّ سَفاهَ الشيخِ لا حِلْمَ بَعْدَهُ   وإنَّ الفَتَى بعد السَّفاهِ لَيَحْلُمُ[٣]

فقام عَقيل وهو يقول :

إنّ السَفاهَةَ قِدْماً مِنْ خَلائِقِكُمْ   لا قَدَّسَ الله أَخْلاقَ الملاعينِ

العمري عن الهيثَم عن ابن عبّاس قال : قال معاوية : الرأي الثاقب كِهانة ، والحِلْم سؤدد .

المدائني وغيره قالوا : دخل شَريك الحارثي على معاوية ، وكان رجلاً دميماً آدم شديد الأُدْمة شريفاً في قومه ، فلمّا استقرّ به المجلس أراد معاوية أن يضع منه فقال : إنّك لشريك وما لله شريك ، وإنّك لابن الأعور والصحيح

---

١ - جدح السويق : لته . القاموس .

٢ - البيت للمتلمس الضبعي - انظره في ديوانه ، ط . القاهرة ١٩٦٨ ص ٢٦ .

٣ - البيت لزهيربن أبي سلمى في معلقته . شرح المعلقات السبع - ط . دمشق ١٩٨٢ ص ١٢٣ .

خير من الأعور ، وإنَّك لدميم حِنْزَقْرةٌ[1] أسود ، فكيف سوَّدك قومك ؟ فقال شريك : انّك لمعاوية ، وما معاوية إلاّ كَلْبه عاوت فاسْتَعْوت فسميّت معاوية ، وإنّك لابن صَخْر والسَّهْل خير من الصَخْر ، وإنّك لابن حَرْب والسِلْم خير من الحرب ، فكيف صِرْتَ أمير المؤمنين ؟ ثمّ خرج مغضباً وهو يقول :

أَيَشْتِمُني معاويةُ بن صخر　　وسيفي صارِمٌ ومعي لِساني
وحولي من ذوي يَمَنٍ ليوثٌ　　ضَراغِمَةٌ تهشّ إلى الطعان
يُعَيِّر بالدمامةِ مِنْ سفاهٍ　　ورَبّاتُ الحِجالِ هي الغَواني
ذَواتُ الحُسْنِ ، والرئبالُ جَهْمٌ　　شَتيمٌ وَجْهُهُ ماضي الجَنانِ
فلا تَبْسُطْ لِسانَكَ يا بنَ هِنْدٍ　　علينا أَنْ بَلَغْتَ مَدَى الأماني
فإِنْ تَكُ للشقاءِ لنا أَميراً　　فإنّا لا نُقيمُ على الهوان
وإنْ تَكُ من أُميَّةَ في ذُراها　　فإنّي مِنْ بني عبدِ المَدانِ

قالوا : وصعد معاوية المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، فلمّا أراد الكلام قطع عليه غلام من الأنصار قام فقال : يا معاوية ما جعلك وأهلَ بيتك أحقَّ بهذه الأموال منّا ؟ وإنّما أفاءَها الله على المسلمين بسيوفنا ورماحنا ، وما لنا عندك ذنب نعلمه إلاّ أنّا قتلنا خالك وليداً وجّدك عُتْبة وأخاك حنظلة ، فقال معاوية : لا والله يا بن أخي ، ما أنتم قتلتموهم ولكنّ الله قتلهم بملائِكة بعد ملائكة ، على يَدَي بني أبيهم ، وما ذاك بِعارٍ ولا مَنْقَصة ، قال الأنصاري : فأين العار والمنقصة إذاً ؟ قال : صدقتَ ، أَفلك حاجة ؟ قال : نعم لي

١ ـ الحنزقرة : القصير الدميم .

عجوز كبيرة وأخوات عواتق وقد عضّنا الدهر وحلّ بنا الحَدَثان ، فقال له معاوية : خذْ من المال ما استطعت ، وكان مالاً ورد من بعض النواحي ، فحمل الغلام وِقْره ، ومضى معاوية في خطبته حتّى فرغ .

وقال سعيد بن عثمان لمعاوية : ولّيناك فما عزلناك ولا نازعناك ، ووصلناك فما قطعناك ، ثمّ حَلأْتَنا[1] ما نرى كله ، فولّاه خُراسان ، ويقال كتب إلى زياد في توليته .

وحُدِّثت أنّ معاوية خطب الناس يوماً ، فذكر عليّا فتنقّصه ، فقال أبو الدرداء : كذبت يا معاوية ليس هو كما تقول ، فنزل معاوية ، فقال يزيد : أتحتمل هذا كلّه ؟ فقال : إنّه من عُصْبَةٍ عاهدوا الله أن لا يسمعوا كذبة إلّا ردّوها .

المدائني قال : حجّ معاوية فلمّا قرب من المدينة تلقّاه الناس ، وتلقّته الأنصار وأكثرها مُشاةٌ ، فقال : ما منعكم من تلقّيَّ مِن بُعْدٍ كما تلقّاني الناس مِن بُعْدٍ ؟ فقال ابن لسَعْد بن عُبادة يقال له سعيد : منعنا من ذلك قِلّة الظَهْر وخِفّة ذاتِ اليَدْ بإلحاح الزمان علينا وإيثارك بمعروفك غيرَنا ، فقال معاوية كالمُعيِّر لهم : فأين أنتم عن نَواضح المدينة ؟ قالوا : أحرثناها[2] يوم بَدْر ، يومَ قتلنا حنظلة بن أبي سفيان ، فأعرض معاوية عنه وتبسّم وقال : حَبْجَةٌ بِلَبْجَةٍ ، والبادىء أظلم .

---

١ ـ حلأه : طرده ومنعه . القاموس .

٢ ـ في هامش الأصل : أي أهزلناها .

وقال القحذمي : يُروى أنّ رسول الله ﷺ نظر إلى الحَكَم بن أبي العاص فقال : «إذا بلغ ولده ثلاثين[1] كان الأمر لهم» ، فشاجر معاوية مروانَ يوماً فقال : أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعمّ عشرة ، فقال معاوية : لقد أخذتَها من عَيْنٍ صافية .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم الفِهْري قال : قال معاوية يوماً : لقد أكرم الله الخلفاء أفضل الكرامة ، أنقذهم من النار وأوجب لهم الجنّة ، وجعل أنصارهم أهل الشام ، فقال صَعْصَعَة بن صُوحان : تكلّمت فهجرت ، وليس الأمر كما ذكرت ، أنّى يكون خليفةً مَن ضرب الناس قَسْراً ، وخدعهم مكراً ، وساسهم ختراً[2] ؟! فأمّا إطراؤك أهل الشام فلا أعلم أحداً أطوع لمخلوق في معصية خالق منهم ، اشتريتَ أديانهم بالمال ، فإن تُدرّه عليهم يمنعوك وينصروك ، وإن تقطعه عنهم يخذلوك ، فاستبان الغضب في وجه معاوية ثمّ قال : لولا أن القُدْرة تُذْهب الحفيظة ، وأنّ الحِلْم محمود المغَبَّة ، ما عُدْتَ لقولك يا صَعْصَعَة مرّةً بعد مرّة ، ثمّ قال :

عَفَوْتُ عَنْ جَهْلِهِمْ حِلْماً ومَكْرُمَةً   والحِلْمُ عن قُدْرَةٍ من أفضَلِ الكَرَمِ

قالوا : واجتمع ذاتَ يوم عند معاوية وهو بِصفّين عُتْبة بن أبي سفيان ، والوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط وغيرهما ، فقال عُتْبة : إنّ أمرنا وأمر عليّ لعجب ، وذكر مَن قَتَلَ عليٌّ يوم بَدْر منهم ، فقال معاوية : إنْ كان ليَنبغي أن تشجروه بالرماح طَلَباً لثأركم ، فقام الوليد بن عقبة وهو يقول :

---

١ ـ بهامش الأصل «أربعين» .

٢ ـ بالأصل «خبرا» وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه .

يَقولُ لنا مُعاوِيَةُ بنُ حَرْبٍ أما فيكُمْ لِوتْرِكُمْ طَلوبُ
يَشُدُّ على أبي حسنٍ عَليٍّ بأَسْمَرَ لا تُهَجِّنُهُ الكعوبُ
فقُلْتُ له أَتَلْعَبُ يا بنَ هندٍ كأنَّكَ بيْننا رَجُلٌ غريب
أتأْمُرُنا بحَيَّةِ بَطْنِ وادٍ إذا نَكَزَتْ فليس لها طبيب
كأنَّ القَوْمَ لمَّا عاينوهُ خلالَ النَّقْعِ ليس لهم قلوب
لَعَمْرُو أبي مُعاوِيَةَ بنِ حَرْبٍ ورأيُ المرءِ يُخْطِئُ أَوْ يصيب
لقد ناداهُ في الهيجا عليٌّ فأَسْمَعَهُ ولكن لا يجيب

وحدثني هشام قال : قال معاوية : ما غضبي على مَن أملك وأنا قادر عليه ، وما غضبي على من لا أملك ويدي لا تناله[1] .

العُمري عن الهيثم بن عَديّ عن عَوانة وغيره قالوا : قال عليّ بصِفّين : يا معاوية ما قَتْلُكَ الناسَ بيني وبينك ، ابرُزْ لي فإن قتلتَني كان الأمر إليك ، وإن قتلتك كان الأمر إليَّ ، فالتفتَ معاوية إلى عمرو كالمستشير له ، فقال له عمرو : ما أرى الرجل إلاّ مُنْصِفاً ، ولن تَبُلَّ لك بالَّةٌ عند أهل الشام إن لم تبارزْه ، فحقدها عليه وأمسك وعلم أنّه يريد قتله ، فقال :

يا عَمْرُو إنَّكَ قد قَشَرْتَ ليَ العصا بِرِضاكَ لي وسطَ العجاجِ برازي
ما للملوكِ ولِلْبِراز وإنّما حَظُّ المُبارِزِ خَطْفَةٌ من بازِ
ولقد أَعَدْتَ فقُلْتُ مَزْحَةَ مازِحٍ والمَرْءُ يُفْحِمُهُ مَقالُ الهازي

فقال عمرو :

---

١ - في هامش الأصل : بلغ .

مُعاوِيَ إنْ ثَقُلْتَ عنِ البِرازِ لك الخَيْراتُ فانْظُرْ مَنْ تُنازي
ومـا ذنْبي إذا نادى عـليٌّ وكَبْشُ القومِ يدعـو للبراز
أجُبْناً في العجاجةِ يا بْنَ هندٍ وعند السِّلمِ كالتَّيْسِ الحجازي

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحارب قال : قال قَبِيصة بن جابر : ما رأيت رجلاً أقرأ لكتاب الله ولا أشدّ في دين الله من عمر بن الخطاب ، وما رأيت أحداً أسوَد من معاوية ، ولا رجلاً أعْطى لماله في غير ولاية من طلحة بن عبيدالله ، ولا رأيت رجلاً أنصع ظَرْفاً ولا أحضر ، جواباً ولا أكثر صواباً من عمرو بن العاص ، ولا رأيت رجلاً المعرفة عنده أنفع منها عند المغيرة بن شُعبة ، ولا رأيت رجلاً أحلم جليساً ولا أخصب رفيقاً ولا أشبه سريرةً بِعَلانية من زياد .

وقال معاوية لعَديّ بن حاتم ودخل عليه : ما فعل الطَرَفات يا أبا طَريف : طريف ، وطَرَفة ، وطِراف ؟ فقال : قُتلوا يوم صفّين ، قال : ما أنصفك عليّ ، أخرّ بنيه وقدّم بنيك ، قال : لئن فعل فقد قُتلَ وبقيتُ ، قال : قد بقيت قَطْرةٌ من دم عثمان عند قوم ولا بدّ من أن نطلب بها ، قال عَديّ : اغْمُدْ سيفك ، فإنّ السيف إذا سُلَّ سُلّت السيوف ، قال : فالتفت معاوية إلى عمرو فقال له : ضَعْها في قَرْنِكَ فإنّها كلمة حكم .

المدائني عن إسحاق بن أيّوب عن الوليد بن المُغيرة عن حُضَيْن بن المنذر قال : قال لي معاوية : إنّ لك رأياً ، فما فرّق هذه الأمّة وسفك دماءَها وشقّ عصاها وشتّت ملأها ؟ قلت : قَتْل عثمان ، قال : صدقت .

كتب معاوية إلى الحسين

قالوا : وكتب معاوية إلى الحسين بن عليّ رضي الله تعالى عنهم : أمّا بعد ، فقد انتهت إليّ عنك أمور أرغب بك عنها ، فإن كانت حقّا لم أُقارَّكَ عليها ، ولعمري إنّ مَن أعطى صفقة يمينه وعَهْد الله وميثاقه لَحَرِيّ بالوفاء ، وإن كانت باطلاً فأنت أسعد الناس بذلك ، وبحظّ نفسك تبدأ ، وبِعَهْدِ الله توفي ، فلا تحملْني على قطيعتك والإساءة بك ، فإنّي متى أُنكرْك تُنكرني ، ومتى تَكِدْني أكِدْك ، فاتّقِ شقَّ عصا هذه الأمّة وأن يرجعوا على يدك إلى الفتنة ، فقد جرّبتُ الناس وبلوتُهم ، وأبوك كان أفضلَ منك ، وقد كان اجتمع عليه رأي الذين يلوذون بك ، ولا أظنّه يصلح لك منهم ما كان فسد عليه ، فانظر لنفسك ودينك ﴿وَلا يَسْتَخِفَنّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾[1] .

جواب الحسين

فكتب إليه الحسين : أمّا بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر أنّه بلغتك عنّي أمور ترغب عنها ، فإنْ كانت حقاً لم تقارّني عليها ، ولن يَهْدِيَ إلى الحسناتِ ويسدِّد لها إلاّ الله ، فأمّا ما نُمِيَ إليك فإنّما رقّاه المَلاقون المَشّاؤون بالنمائم المفرّقون بين الجميع ، وما أريد حرباً لك ولا خِلافاً عليك ، وأيْم الله لقد تركتُ ذلك وأنا أخاف الله في تركه ، وما أظنُّ الله راضياً عنّي بتَرْك محاكمتك إليه ، ولا عاذِري دون الإعذار إليه فيك وفي أُوْليائك القاسطين المُلْحدين ،

---

١ ـ سورة الروم ـ الآية : ٦٠ .

حِزْبِ الظالمين وأولياء الشياطين ، ألستَ قاتلَ حُجْر بن عَديّ وأصحابه المصلّين العابدين ، الذين يُنكرون الظلم ويستعظمون البدع ، وَلا يَخَافُونَ في الله لَوْمَةَ لائمٍ ، ظُلْماً وعُدواناً ، بعد إعطائهم الأمان بالمواثيق والأيمان المغلَّظة ؟ أَوَلستَ قاتلَ عمرو بن الحَمِق صاحب رسول الله ﷺ الذي أبلته العِبادة وصفّرت لونه وأنحلت جِسْمه ؟! أَوَلست المدّعي زياد بن سُمَيّة المولود على فِراش عُبَيْد عبد ثقيف ، وزعمت أنّه ابن أبيك وقد قال رسول الله ﷺ : «الولد للفِراش وللعاهِرِ الحَجَرُ»[1] ، فتركت سنّة رسول الله ﷺ وخالفت أمره متعمّداً ، واتّبعت هواك مكذّباً ، بغير هُدىً من الله ، ثمّ سَلّطته على العراقَيْن فقطع أيدي المسلمين وسملَ أعْيُنَهم ، وصلبهم على جذوع النخل ، كأنّك لست من الأمّة وكأنّها ليست منك ، وقد قال رسول الله ﷺ : «مَن ألحق بقومٍ نسباً ليس لهم فهو ملعون» ، أَوَلست صاحب الحَضْرَميينْ الذين كتب إليك ابن سُمَيّة أنّهم على دين عليّ، فكتبت إليه: اقتلْ مَن كان على دين عليّ ورأيه ، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك ، ودين عليّ دين محمّد ﷺ الذي كان يضرب عليه أباك ، والذي انتحالُك إيّاه أجلَسك مجلسك هذا ، ولولا هو كان أفضل شَرَفِك تجشّمُ الرِحْلَتَيْن في طلب الخمور ، وقلت : انظرْ لنفسك ودينك والأمّة واتّقِ شقَّ عصا الألفة وأن تَرُدّ الناس إلى الفتنة ، فلا أعلم فتنةً على الأمّة أعظم من ولايتك عليها ، ولا أعلم نَظَراً لنفسي وديني أفضل من جهادك ، فإنْ أفعله فهو قُرْبَة إلى ربّي ، وإن أتركه فذنبٌ أستغفر الله منه في كثير من تقصيري ، وأسأل الله

---

١ ـ انظره في كنز العمال ـ الحديث : ٤٥٢٥ ، ١٥٢٩٩ ، ١٥٣٤٥ ـ ٤٠٦٠٧ .

توفيقي لَأرشد أموري ؛ وأمّا كَيْدُكَ إيّاي فليس يكون على أحدٍ أضرَ منه عليك ، كفعلك بهؤلاء النفر الذين قتلتهم ومثّلت بهم بعد الصُلْح من غير أن يكونوا قاتلوك ولانقضوا عهدك ، إلاّ مخافةَ أمرٍ لَوْ لم تقتلهم مُتَّ قبل أن يفعلوه ، أو ماتوا قبل أن يُدركوه ، فأبشرْ يا معاوية بالقصاص ، وأيقنْ بالحساب ، وآعلم أنّ لله كتاباً لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلاّ أحصاها ، وليس الله بناسٍ لك أخْذَك بالظِنَّة ، وقَتْلك أولياءه على الشُبهة والتُهْمة ، وأخذك الناس بالبيعة لابنك ، غلامٍ سفيه يشرب الشرابَ ، ويلعب بالكلاب ، ولا أعلمك إلاّ خسِرْتَ نفسك ، وأوبقت دينك ، وأكلت أمانتك ، وغششت رعيّتك ، وتبوَّأت مقعدك من النار فـ ﴿بُعْداً لِلْقومِ الظّالمين﴾[1] .

المدائني قال ، قال معاوية لصُحار بن عيّاش العَبْدي : يا أزرَق ، قال : البَازي أزرق ، قال : يا أحمر ، قال : الذهب أحمر ، قال : يا صُحار ما هذه البلاغةُ في عبد القيس ؟ قال : شيء يعتلج في صدورنا فنلفظه كما يلفظ البحر الزَبد ، قال : فما رأس البَلاغة ؟ قال : أن تقول فلا تُخطىء وتعجَل فلا تُبطىء ؛ ثمّ قال : يا أمير المؤمنين ، ومنّا أعقل[2] أهل زمانه ، اشترط على رسول الله ﷺ حين أسلم الجنّة ؛ ومنّا الذي قال له رسول الله ﷺ : «فيك خَصْلتان يحبّهما الله ورسوله الأناة والحِلْم»[3] ؛ ومنّا أزهد أهل زمانه هَرِم بن حَيّان ؛ ومنّا أشجع أهل زمانه حُكَيْم بن جَبَلَة العَبْدي الذي

١ - سورة هود - الآية : ٤٤ .

٢ - بهامش الأصل : هو الجارود [بن بشر بن المعلى] . انظره في الإصابة لابن حجر .

٣ - بهامش الأصل هو الأشج [عبدالله بن عوف بن عبد القيس]، وقيل اسمه المنذر بن عائذ، وقيل عائذ بن الحارث . طبقات ابن سعد ج ١ ص ٣٤١ . طبقات خليفة ط . بيروت ١٩٩٣ ص ١١٧ .

قُطعت رِجلُه فرمى بها قاطعه فقتله ثمّ توسّده ، فقيل له : مَن بك يا أبا نُجيد ؟ فقال : وِسادي ؛ ومنّا أبلغ الناس في زمانه صَعْصَعة بن صُوحان ؛ ومنّا الحارث بن مُرّة ، حمل في غزاةٍ على خمسمائة دابّة ؛ ومنّا عبدالله بن سَوّار خرج في أربعة آلاف إلى ثغر السِنْد ولم يوقدْ أحد في عسكره ناراً لطعام حتّى أتى البلاد ، ورأى في عسكره ناراً فسأل عنها فقيل امرأة ولدت فاتُّخذ لها خبيص ، فأمر أن يُطعم أهل العسكر كلّهم الخبيص ثلاثةَ أيام ، ومنًّا أرمى أهل زمانه عمرو بن مُساوِر النُكْري ؛ ومنّا أيمن الناس في زمانه شِعْرا : المُمَزَّق ، غزا النعمانُ بن المنذر بلاد عبد القيس فسايَرَه وحدّثه وأنشده فأعجبه فكلّمه فيهم فعدل عنهم .

حدثني حَفص بن عمر عن الهيثم بن عديّ عن ابن عَيّاش عن أبي الهيثم الرحبي قال : قال لي عبد الملك بن عُمير وأنا أماشيه عند الباب الصغير بدمشق : مررنا بقبر معاوية فوقف عليه عبد الملك بن مروان فقيل له : لَمَن القبر؟ فقال : لرجل كان والله ما علمتُه يُسْكِته الحِلْم ويُنطقه العِلم ، إذا أعطى أغنى ، وإذا حارب أفنى ، ثمّ عجّل له الدهر ما أخّر لغيره ، إنّا لله ما يصنع الزمان ، هذا قبر معاوية .

حدثني حَفْص عن الهيثم وغيره قالوا : أُتِيَ معاوية بشابّ قد سرق فأمر بقَطْع يده فقال :

يَدي يا أميرَ المُؤْمِنينَ أُعيذُها بِعَفْوِكَ أن تُلْقى مَكاناً يَشينُها
ولا خَيْرَ في الدُنْيا وكانَتْ حَبيبَةً إذا ما شِمالٌ فارَقَتْها يَمينُها
ولَو قد أتى الأَخبْارُ قَوْمي لَقَلَّصَتْ إلَيْكَ المَطايا وَهْيَ خوصٌ عُيُونُها

ودنت أمّه وهي تبكي فقالت : يا أمير المؤمنين ، واحدي اعْفُ عنه ، عفا الله عنك ، فقال : وَيْحكِ إنّ هذا حدٌّ من حدود الله ، فقالت : اجعلْ تَرْكَه يا أمير المؤمنين من ذنوبك التي تستغفر الله منها ، فخلّى سبيله وتصدّق بمائة ألف درهم .

وروى المدائني عن أبي بكر الهُذَلي أنّه قال : وقف عبد الملك بن مروان على قبر معاوية ومعه محمّد بن جُبَيْر بن مُطعِم ، فرأى على القبر ثُمامة[1] تهتزّ ، فقال عبد الملك : يرحمك الله أبا عبد الرحمن . ثمّ قال لابن جُبَيْر : يا أبا سعيد ما كان علمك به ؟ قال : كان والله ممّن يُنْطقه العِلم ويُسكته الحِلْم ، فقال عبد الملك : كذلك كان وولّى وهو يقول :

وما الدَهْرُ والأَيّامُ إلاّ كَما أَرَى رَزيئَةُ مالٍ أَوْ فِراقُ حَبيبِ[2]

المدائني عن مَسْلمة قال : قال رجل من ولد أميّة بن خَلَف الجُمَحي لمعاوية : انّا تركنا الحقّ وعليّ يدعونا إليه ، وبايعناك على ما تعلم ، فلمّا تسهّلت لك الأمور جعلت الدنيا لأربعة : سعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص السهْمي ،ومروان بن الحَكَم، والمغيرة بن شُعْبة، وتركتَنا لا في عِيرٍ ولا في نَفيرٍ، فأطرق معاوية طويلا ثمّ قال : يا بن أخي إنّي ميّلتُ بينَ

---

١ ـ نبات ضعيف له خوص أوشبيه بالخوص ، وربما حشي به وسدّ به خصاص البيوت ، ويظلل به المزاد فيبرد الماء . معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس ـ ط . القاهرة ١٩٦٥ .

٢ ـ نسبه الابشيهي في المستطرف ـ ط . القاهرة (عبد الحميد أحمد حنفي) ج ٢ ص ٦٣ إلى أبي الأسود الدولي ، ولم يرد في ديوانه المطبوع .

معاتبتك وتركك فوجدتُ معاتبتك أبقى لك ، إنّي أراك شديد التقحّم رحب الذِراع بالقول ، ولستَ كلّما شئتَ وجدتَ مَن يحمل لك سَفَهَك .

المدائني عن عيسى بن يزيد قال : قدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان ، فقالت عائشة بنت عثمان بن عفّان : وا أبتاه : وبكت فقال معاوية : ابنة أخي إنّ الناسَ أعطَوْنا طاعةً تحتها حقدٌ ، وأظهرنا لهم حِلْماً تحته غَضَب ، ومع كلِّ إنسان سيفٌ وهو يرى أنصاره ، فإن نَكَثْنا بهم نكثوا بنا ، ولا ندري أعلينا يكونُ أو لنا ، ولأن تكوني ابنةَ عمِّ أمير المؤمنين خيرٌ من أنْ تكوني امرأةً من عُرْض المسلمين .

المدائني عن عُقْبة الأصمّ عن عبدالله بن بُرَيْدة قال : كان معاوية يُؤتَى بالثريدة تكاد تستُر الذي يواكله فيأكل ويدعو إلى طعامه عِدّة بعد عدّة فيأكل معهم جميعاً .

المدائني عن عامر بن الأسود قال : كان معاوية يأكل في اليوم أربع أكْلات آخرهنّ أعضلهنّ وأشدّهنّ ، ويتعشّى فيأكل ثردة عليها بَصَل كثير .

حدثنا أبو صالح الفَرّاء ومحمّد بن حاتم وإسحاق قالوا : حدثنا الحجّاج بن محمّد الأعوَر حدثنا شُعْبة عن أبي حَمْزة قال : سمعت ابن عبّاس يقول : مرّ بي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فاختبأت منه خلف باب، فدعاني فحطأني[1] حَطْأَةً ثم بعثني إلى معاوية؛ فرجعت إليه فقلت: هو يأكل ، ثمّ بعثني إليه فقلت : هو يأكل بعدُ ، فقال النبي ﷺ : «لا أشبع الله بطنه» ؛ قال أبو حَمْزة : فكان معاوية بعد ذلك لا يشبع .

---

١ ـ حطأ : صرع ، ضرب ظهره بيده مبسوطة . القاموس .

المدائني عن أبي أيّوب عن هشام بن حسّان عن ابن سيرين أنّ النبي ﷺ بعث إلى معاوية ليكتب له شيئاً فقال الرسول : هو يأكل ثمّ أعاده فقال : هو يأكل ، فقال : «لا أشبع الله بطنه» .

حدثني مُظَفَّر بن مُرجَّى حدثني هِشام بن عمّار حدثنا عبد العزيز بن السائب عن أبيه عن ابن عمر قال : كنت جالساً عند النبيّ ﷺ فقال : «الآن يطلع علينا من هذا الفَجّ رجلٌ من أهل الجنّة ، فطلع معاوية ، فقلت : هو هذا ؟ قال : نعم هو هذا» .

وحدثني إسحاق وبكر بن الهَيْثَم قالا حدثنا عبد الرَزّاق بن همّام أنبأنا مَعْمَر عن ابن طاوس عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : كنت عند النبيّ ﷺ فقال : «يطلع عليكم من هذا الفَجّ رجلٌ يموت على غير مِلّتي ، قال : وكنت تركتُ أبي قد وُضِعَ له وَضُوء ، فكنت كحابس البَوْل مَخافَةَ أن يجيء ، قال : فطلع معاوية فقال النبيّ ﷺ : هو هذا»[1] .

وحدثني عبدالله بن صالح حدثني يحيى بن آدَم عن شريك عن لَيْث عن طاووس عن عبدالله بن عمرو قال: كنت جالساً عند النبيّ ﷺ فقال: «يطلع عليكم من هذا الفَجّ رجلٌ يموت يومَ يموت على غير مِلتّي ، قال : وكنت تركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أن يطلع ، فطلع معاوية» .

وحدثني مُظَفَّر بن مُرَجَّى حدثنا شَبّابة بن سَوّار حدثنا يوسف بن زياد التميمي عن محمّد بن شُعَيب عن عُقْبة بن رُوَيْم اللخمي قال : دعا رسول

١ ـ لم يرد هذا الحديث في مصنف الامام عبد الرزاق ، وروى الامام عبد الرزاق ما يشبهه عن أنصاري يدخل الجنة . المصنف ـ ط . بيروت ١٩٧٢ ج ١١ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

الله ﷺ لمعاوية فقال : «اللّهمّ آهدِه وآهد به وعلّمْه الكتاب والحساب وقه العَذاب» .

وحدثني أبو بكر الأعْيَن عن شَبّابة في هذا الإسناد بنحوه .

حدثني عليّ بن إبراهيم السَوّاق حدثنا عليّ بن حَيّان حدثنا محمّد بن عبد العزيز بن أبان حدثنا اسماعيل بن عَيّاش عن يحيى بن عبدالله عن أبيه عن أبي هُرَيْرة قال : قال رسول الله ﷺ : «أتاني جِبْريل فقال : يا محمّد ائتمنني الله على وَحْيه وائتمنك وائتمن معاوية بن أبي سفيان» .

وحدثني عليّ بن إبراهيم حدثنا عليّ بن حَيّان حدثنا إسحاق بن وَهْب الواسطي حدثنا عبد الملك بن يزيد الواسطي عن عبد الرحمن بن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال : أهدى جعفر بن أبي طالب لرسول الله ﷺ أربع سَفَرْجَلات فأعطى معاويةَ منهنّ ثلاثاً وقال : «آلقَني بهنّ في الجنّة» .

حدثني عليّ بن إبراهيم عن عليّ بن حَيّان عن أبي داود الطَيالِسي عن حمّاد بن سَلَمَة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هُرَيْرة قال : دخلت على رسول الله ﷺ ومعاوية يصبّ على يَدْيه الماء ، فلما فرغ من وُضوئه أخذ كَفًّا من ماء فضرب به وجه معاوية ثمّ قال : «يا بن أبي سفيان كأنّي بك في الجنّة» .

حدثني عليّ بن إبراهيم حدثنا داود بن عبدالله التِرْمِذي عن حمّاد بن منصور المِنْقَري عن عبدالله بن كثير عن هشام بن عُرْوة عن أبيه عن عائشة قالت : أتيت النبيّ ﷺ في منزل أمّ حبيبة في يومها ، فدقّ معاوية الباب فأذن له فدخل وعلى أُذنه قلم لم يُمَطّ به[1] ، فقال النبي ﷺ : «ما هذا على أُذنك ؟

---

١ ـ في البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٢٠ «لم يخط» .

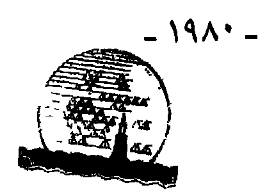
قال : فلم أعددتُه لله ولرسوله ، فقال النبيّ ﷺ : أَما إنّه جزاك الله عن نبيّك خيراً ، والله ما استكتبتك إلّا بَوْحي من السماء» .

حدثنا يوسف بن موسى وأبو موسى إسحاق الفَرْوي قالا: حدثنا جرير بن عبد الحميد حدثنا إسماعيل والأعمش عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا رأيتم معاوية على منبري فآقتلوه» ؛ فتركوا أمره فلم يُفلحوا ولم ينجَحوا .

حدثني خَلَف بن هشام البَزّاز حدثنا أبو عَوانة عن الأعمش عن سالم بن أبي الجَعْد قال ، قال رسول الله ﷺ : «معاوية في تابوت مقفل عليه في جهنّم» .

حدثنا إسحاق بن أبي اسرائيل وأبو صالح الفَرّاء الأنطاكي قالا: حدثنا حجّاج بن محمّد حدثنا حمّاد بن سَلَمَة عن عليّ بن زيد عن أبي نَضْرة عن أبي سعيد الخدْري أنّ رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية ، فقلنا له : لا تسُلّ السيفَ في عهد عمر حتّى تكتب إليه ، قال : إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فآقتلوه» ، قال : ونحن قد سمعناه ولكن لا نفعل حتّى نكتب إلى عمر ، فكتبوا إليه فلم يأتِهم جواب الكتاب حتّى مات .

حدثنا خَلَف حدثنا عبد الوارث بن سعيد بن جُمْهان عن سَفينة مولى أُمّ سَلَمَة أنّ النبيّ ﷺ كان جالساً فمرّ أبو سفيان على بعير ومعه معاوية وأخٌ له ، أحدهما يقود البعير والآخر يسوقه ، فقال رسول الله ﷺ : «لعن الله الحامل والمحمول والقائد والسائق» .



وحدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن عبيد الله بن موسى قال : ذُكر معاوية عند الأعمش فقالوا : كان حليماً ، فقال الأعمش : كيف يكون حليماً وقد قاتل عليّاً وطلب ـ زَعم ـ بدم عثمان مَن لم يقتلْه ، وما هو ودم عثمان ، وغيره كان أولى بعثمان منه ؟!

وحُدثّت عن شَريك عن الأعمش أنّه قال : كيف يُعَدّ معاوية حليماً وقد قاتل عليّ بن أبي طالب ؟

وحدثني الحسين بن عليّ بن الأسود عن يحيى عن عبدالله بن المُبارَك قال : ها هنا قوم يسألون عن فضائل معاوية ، وبحسب معاوية أن يُتْرَك كفافاً .

المدائني عن عبدالله بن فائد عن أبي بكر الهُذَلي قال : قال الحسن : لو سلك معاوية بالناس غيرَ سبيل الاحتمال والبَذْل والمُدارة لاخُتطِف اختطافاً .

وحدثنا يوسف وإسحاق قالا: جرير عن الأعمش عن أبي وائل قال : كنت مع مسروق بالسِلْسِلة فمّرت به سفائن فيها أصنام من صُفْرٍ تماثيل الرجال ، فسألهم عنها فقالوا : بعث بها معاويةُ إلى أرض السِنْد والهِنْد تُباع له ، فقال مسروق : لو أعلمُ أنّهم يقتلونني لغرّقتها ، ولكنّي أخاف أن يعذّبوني ثم يفتنوني ، والله ما أدري أيّ الرجَلْين معاوية ، أرجل قد يئس من الآخرة فهو يتمتعّ من الدنيا أم رجل زيّن له سوء عمله .

وحدثني إبراهيم بن العّلاف البَصْري قال ، سمعت سلاّماً أبا المنذر يقول : قال عاصم بن بَهْدَلة حدثني زِر بن حُبَيْش عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على المنبر فاضربوا عنقه» .

وروى الحَكَم بن ظُهَيْر عن عاصم عن زِرّ عن عبدالله بن مسعود بمثله .

وحدثني الحِرْمازي عن محمّد بن الحسن بن زَبالة قال : سمع الزبير بن خُبَيْب رجلاً من الطالبّيين يقول أُمِصّ معاويةَ ، فقال له الزبير ، وهو أشدّ لمعاوية بُغضاً وعَداوةً من الطالبيّين : أي رحمك الله ليس هكذا يقال ، إنّما يلعنه مَن عاداه أو يكفّره ، فأمّا أن يُمصَّه فلا ، هو يرتفع عن ذلك .

المدائني قال ، قال معاوية لابن عبّاس : ما حالت الفتنة بيني وبين أحدٍ كان أعزّ عليّ فَقْداً وأحبّ إليّ قُرْباً منك ، فالحمد لله الذي قتل عليّاً ، فقال ابن عبّاس : أَوَ غير هذا ، تدع لي ابن عمي وأدع لك ابن عمك ؟ قال : ذاك لك ، ثمّ قال : أخبرني عن أبي سفيان ، قال : اللّهمّ إنّه تجر فأربح وأسلم فأفلح ، وكان رأس الشِرْك حتّى انقضى ، فقال : يا بن عبّاس في علمك ما تَسرّ به جليسك ولَوْلا أن أقارضك الثناء لأخبرتُك عن نفسك .

المدائني قال : لمّا مات المغيرة بن شعبة قال زياد : لم يبقَ للمُعْضِلات إلاّ معاوية ورجلٌ آخر ، يعني نفسه .

وقال هِشام بن عَمّار ، قال معاوية بن حُدَيْج : أتيت عمرو بن العاص وقد ثقل فقلت : كيف تَجِدُك ؟ قال : أجدني أذوب ولا أثوب ، وأجِد نَجْوي أكثر من رُزْئي ، فما بقاءُ الكبير الفاني على هذا ؟ فلمّا مات قال معاوية : مات رُبْع رأي الناس وإرْبهم . وقال المغيرة بن شعبة : ذهب نصف دَهاء قريش ، أراد أن النصف الباقي معاوية ولم يَعُدّ زياداً .

---

١ ـ أي شتمه بقوله : يا ماص بظر أمه . القاموس .

المدائني قال : قال عمرو بن العاص : أنا للبَديهة ، ومعاوية للأناة ، والمغيرة للمُعْضِلات ، وزياد لصغار الأمور وكِبارها .

المدائني قال : لمّا مات المغيرة بن شعبة قال معاوية : لله رأي دُفن مع المغيرة ؛ وقال معاوية حين مات ابن عامر بن كُرَيز : بمن أُباهي بعد ابن عامر ؟ وقال معاوية حين أتاه موت سعيد بن العاص : ما ماتَ مَن ترك مثل عمرو بن سعيد، وقال: قد مات مَن هو أكبر منّي ومَن أنا أكبر منه وأنشد:

إذا سارَ مَنْ خلْفَ آمْرِىء وأَمَامَهُ وأَجْمَعَ يَوْماً رِحْلَة فَهْوَ ظاعِن

حدثني محمّد بن سعد عن الواقدي قال: كانوا يقولون إنّ أبا سفيان بن حَرب رجل شحيح بخيل له مال ، وإنّما سُوِّد لرأيه وعُظّم لماله ، وهلك في أيّام عثمان وله ثمان وثمانون سنة ؛ وكانوا يقولون : إنّ معاوية كان ذا رأي وسخاءٍ .

وقال الواقدي:حدثني أصحابنا عن ابن جُعْدُبَة وغيره قالوا : كان لعبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب أرضٌ إلى جانب أرض لمعاوية ، وكان وكيل معاويةَ بالمدينة النُّضير مولاه ، فعمد إلى أرض عبد الرحمن فضمّها إلى أرض معاوية وقال: هذه لأمير المؤمنين ، فقال عبد الرحمن : عندي البّينة أنّ أبا بكر بن أبي قُحافة قطعها لي مَقْتَلَ أبي باليَمامة ، فقال النضير : هذه قطيعة أمير المؤمنين ، فخاصمه إلى مروان بن الحَكَم فقال : آصطلحا ، وكره أن يجزم القضاء على معاوية ، فأتى عبد الرحمن بن زيد الشام فلمّا صار إلى باب معاوية ألفاه جالساً بالخَضْراء بدمشق ، فقال لأبي يوسف : آستأذنْ لي على أمير المؤمنين ، فاعتلّ عليه ، فرفع صوته فقال : ما لي بُدٌّ من الوصول إليه ، فإنّا إلى أن توصل أرحامُنا وتُثَمَّرَ لنا أموالُنا أحوج منّا إلى أن يؤخذ منّا ما في

أيدينا ، فسمعه معاوية فقال : أدخلْه ، فدخل فسلّم وقال : إنّ وكيلك بالمدينة تعدّى عليَّ ، وعمد إلى ما قطع لي خليفة رسول الله ﷺ وأجازه لي عمر فألجأه إلى أرضك ، وزعم أنّ عنده كتاباً من عثمان بأنّه قطعه لك ، وكيف يقطع لك عثمان حقاً هو لي ؟ فقال معاوية : تركتَ أرضك لم تعمرها حتّى عملتُها ، فلمّا غرستُ فيها خمسة آلاف وَدّية قلتَ : قطيعة أبي بكر ، وقد رُوي عن عمر أنّه بلغه أنّ قوماً يتحجّرون الأرض ثمّ يدعونها عُطُلاً فيجيء آخرون فيزرعونها ، أنّها لَمن زرعها ، فقال : والله ما قلتَ الحقّ يا معاوية فأنصفْني ، فقال : عليٌّ بالقاضي ، وهو فَضالة بن عبيد الأنصاري ثمّ الزُرَقي ، فلم يأته وقال : في بيته يُؤتَى الحَكَم ، فصار معاوية وعبد الرحمن إليه ، فأُلقيت لهما وِسادة وقيل آجلسا عليها ، فتكلّم عبد الرحمن بقوله الأوّل، وتكلّم معاوية بقوله الأوّل، فرأى فَضالة أنّ القولَ قولُ عبد الرحمن والحقَّ معه ، فقضى به ، فقال معاوية : نقبل ما قلت ، أرأيتَ ما غرستُ فيها ؟ قال : يقوَّم ذلك لك ، فإن شاء عبد الرحمن دفع إليك قيمة غِراسك ، وإن شاء ضمَّنك قيمة الأرض . فقال عبد الرحمن : قد أنصفتَ ، فقال فَضالة : يا أمير المؤمنين أَوَ بمثل زيد بن الخطّاب وعمر يُفعل هذا بعَقبهما؟! فقال معاوية: فالغِراسُ له، وما مدّ إليه يده من أرضي فهو له صلةً لرَحِمه ، وكتب له بذلك إلى وكيله وقضى دَيْنه وألحقه في شرَف العطاء وقال : أنت مستحقّ لذلك يا بن أخي الفاروق والشهيد ، وأعطاه مالاً ، فقال فَضالة لمعاوية حين مضى عبد الرحمن : والله لو فعلتَ غير هذا فقدم على أهل مدينة الهجرة وبقيّة الناس فشكاك لكان في ذلك ما لا يحسن

ولا يجمل ، فقال معاوية : جزاك الله على المعاونة على الحقّ خيراً ، وانصرف ابن زيد فأخذ ماله .

حدثني محمّد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : خطب معاوية فقال : أيّها الناس والله لَنَقْل الجبال الراسيات أَيْسَر من اتّباع أبي بكر وعمر في سيرتها ، ولكنّي سالِكٌ بكم طريقاً تقصر عمن تقدّمني ولا يُدركني فيها مَن بعدي .

حدثني الحِرمازي عن جَهْم بن حسّان قال : دخل عبد الرحمن بن سِيحان على سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه فقال له سعيد أأنت القائل :

إنّا لَنَشْرَبُها حَتَّى تَميلَ بنا   كَما تَمايَلَ وَسْنانٌ بِوَسْنانِ

فقال: مَعاذَ الله ولكنّي أقول :

عَمَدْتُ بحِلْفي لِلمَعالي ولِلذُرَى   وَلَمْ تُلْفِني كَالنِّسْيِ في مُلْتَقى الحَرْبِ
إذا ما حَليفُ الذُلِّ أَقْعى مَكانَهُ   ودَبَّ كما يَمْشي الكَسيرُ عَلَى العَتْبِ
وَهَصْتُ[1] الحَصَى لا أَرْهَبُ الذُلَّ قائِماً   إذا أَنا راخَى لي خِناقي بَنو حَرْبِ

فقال له ابنه عمرو الأشدق : اضربْه ، فقال : هذا حليف معاوية ؛ فلمّا لقي سعيد معاوية قال له معاوية : أأمرك أحمقُك أن تَضْرِبَ حليفي ؟! والله لو ضربتَه لضربتُك ، فقال سعيد : اللّهم غَفْراً ، قد ضربتَ حليفك عمرو بن جَبَلَة ، فقال معاوية : إنّي آكل لحمي ولا أُوكله ؛ وكان حليفاً لحَرْب .

---

١ ـ وهص : كسر الشيء الرخو ، وشدة الوطء ، والرمي العنيف . القاموس .

المدائني عن أبي اليقظان قال : قدم[١] سَحْبان وائل الباهلي على معاوية فخطب ببابه ، فقال له : يا سَحْبان أنت السحّ[٢] ، فقال :

لَقَدْ عَلِمَ الوَفْدُ العِراقِيُّ أَنَّني ... إذا قُلْتُ عِنْدَ البابِ أَيُّ خَطيبِ

المدائني عن عبدالله بن أبي سعيد أنّ معاوية قال لجلسائه : أيّكم ينشد قصيدةً أنصفَ فيها صاحبُها ولم يخفّ لقومه ؟ فلم يأتوا بشيء ، فقال : يا غلام هات تلك الرُقعة ، فقرأ عليهم من قصيدةٍ للمُفَضَّل العَبْدي :

بِكُـلِّ قَـرارَةٍ منّـا ومِنْهُمْ ... بَنـانُ فتىً وجُمْجُمَـةٌ فَليقُ

فـأشبعنا الضِبـاعَ وأَشْبَعوهـا ... فَـراحَتْ كُلُّهـا تَئِقٌ تَفـوقُ

قَتَلْنا الفارس الوَضّاحَ مِنْهُمْ ... كـأَنَّ فُروعَ لِمَّتِـهِ العُذوقُ[٣]

وقَـدْ قَتَلوا بِهِ مِنّا غُلاماً ... كَـريماً لَمْ تُخَوِّنْـهُ العُـروقُ

فـأَبْكَيْنـا نِسـاءَهُمُ وأَبْكَـوْا ... نِساءً ما يَسوغُ لَهُنَّ ريقُ[٤]

حدثني محمّد بن مُصَفًّى الحِمْصي عن بَقِيّة بن الوليد قال : بلغنا أنّ عمرو بن سعيد بن العاص وفد على معاوية بعد موت أبيه فقال له : إلى مَن أوصى بك أبوك ؟ قال : أوصى إليَّ ولم يوصِ بي ، قال : فما كانت وصيتّه ؟ قال : أن أقضي دَيْنَه وألاّ يفقد إخوانُهُ منه إلاّ وجهه ، فقال معاوية : انّ ابن سعيد هذا لأشدق .

---

١ ـ في هامش الأصل : «وفد» .
٢ ـ السح : الصب والسيلان . القاموس .
٣ ـ العذوق جمع عذق . والعذق : النخلة بحملها والعنقود من العنب .
٤ ـ قصيدة المفضل والتعريف به في الأصمعيات ـ ط . القاهرة ١٩٥٥ ص ٢٣٠ ـ ٢٣٥ .

حدثنا محمّد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: كان ابن سِيحان المُحاربي شاعراً حُلْو اللسان، وهو على ذلك يقارف الشراب، وكان نديماً للوليد بن عتبة، فخرج يوماً سكران، فدسّ مروان من غلمانه مَن أخذه وكان له عدوّا وللوليد بن عتبة، فلما رأى الوليد أنّ مروان إنما أراد فضيحته ضربه الحد تحسناً عند الناس بذلك، فكتب معاوية إليه: من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عُتْبة أما بعد: فالعَجَبُ مِن ضرْبك ابنَ سِيحان فيما تشرب منه، ما زدتَ على أن أعلمتَ أهل المدينة أنّ شرابك الذي تشربه معه يُوجِب الحد. إذا جاءك كتابي فأبطل الحدَّ عن ابن سِيحان، وأطِفْهُ على حَلَق المسجد، وأعلمْهم أنّ صاحب شُرَطك ظلمه، وأنّ أمير المؤمنين قد أبطل ذلك الظلم عنه؛ أوليس ابن سِيحان الذي يقول:

إنّي آمْرؤ أنْمي إلَى أفْضَلِ الرُبى ... عَديداً إذا آرْفَضَّتْ عَصا المُتخلّفِ
إلى نَضَدٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ كأنَّهُمْ ... هِضابُ أجا أرْكانُها لَمْ تَقَصَّفِ
مَيامينُ يَرْضَوْنَ الكِفايَةَ إنْ كُفُوا ... ويَكْفونَ ما وُلُّوا بِغَيْرِ تَكلُّفِ
غَطارِفَةٌ ساسوا البلادَ فأحْسَنوا ... سِياسَتَها حَتّى أقَرَّتْ لِمُرْدِفِ
فَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ موسِراً يَفْشُ فَضْلُهُ ... ومَنْ يَكُ مِنْهُمْ مُعْسِراً يَتَعَفَّفِ

وأمر له بخمسمائة دينار وإبل وغنم، وكتب إلى مروان يلومه على ما فعل.

وروى جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال: قال معاوية بن أبي سفيان: مَن أولى الناس بهذا الأمر؟ قالوا: أنت، قال: لا ولكن عليّ بن الحسين، أمّه ابنة أبي مُرَّة بن عُرْوَة بن مسعود، وأمّها بنت أبي سفيان، فيه

شَجاعة بني هاشم ، وحلم بني أمية ، ودهاء ثقيف . كذا روي هذا ، والثبت أنّ غير معاوية قال ذلك .

أبو الحسن المدائني قال : كان عمر بن سعد بن أبي وقاص ولي خراج كورة همذان فبقي عليه مال ، فلما وَلّى معاويةُ ابن أمّ الحَكَم الكوفة وقدمها أخذ عمر بذلك المال فقال له : إنّه لاّ سلطان لك عليَّ ، وكان معاوية كتب له كتاباً بأنّه لا سلطان لأحد عليه غيره ، فاجتمعا عند معاوية بَعْدُ وجرى بينهما كلام ، فقال ابن أمّ الحَكَم : أنت الذي ذهبت بمال الله قبلك فقال عمر : اسكتْ ، قال : أنت أحق بالسكوت يا أحمق ، فأنا والله خير منك ، قال : وكيف إنّما تُعْرف بأمّك وتُنْسَب اليها كالبَغل ، يقال له مَن أبوك فيقول أمّي الفرس ، وأنا أُعرَف بأبي وأدْعى له فآسكت يا بن تَمَدُّر، وهي جدّة له سوداء ، فقالت أم الحكم ، وهي من وراء الستر : أيذكر هذا منّي ما يذكر وأنت تسمع ؟! فقال معاوية : مَن شتم الرجال شتموه ، فقال ابن هَمّام السَلولي في ذلك وسأله حاجةً فلم يقضها :

لَعَمْـرُ أبي تَمَـدُّرَ مـا بَنـوهـا بِمَـذْكورينَ إنْ عُـدَّ الفَخارُ
فإنْ تَفْخَرْ بأُمِّكَ مِنْ قُرَيْشٍ فقَدْ يَنْزو على الفَرَسِ الحِمارُ

وحدثني عمر بن شَبّة عن القَحْذمي قال : استعدى عمر بن سعد معاويةَ على ابن أمّ الحَكَم وتظلّم منه في ولايته الكوفة حتّى تشاتما ، فقال عمر : إنّما كانت أمّ الحَكَم مجنونة فلم يرغب فيها رجال قريش ، فزوجها أبو سفيان أباك ، فنادت أمّ الحَكَم : لا وصلتك يا معاوية رَحِمٌ ، فقال : وما أصنع بك ؟ ابنكِ جنى هذا عليك .

قال هشام بن الكلبي والهيثم بن عديّ : كان سبب عزل معاوية ابن أمّ الحَكَم ، وهو عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي ، أنّه قيل لمعاوية : إنّ ابن أختك خطب في يوم جمعة قاعداً ، وإنّ كَعْب بن عُجرة رآه فقال : ألا ترون هذا الأحمق وما فعل ، والله يقول ﴿آنفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قائِماً﴾[1] وإنّه اشتدّ في أمر الخراج حتّى قتل ابن صَلوبا ، وكان صاحب شراب يشرب مع سعد بن هَبّار من ولد أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ ، فقال حارثة بن بَدْر الغُداني فيه :

نَهارُهُ في قضايَا غَيْر عادِلَةٍ ... ولَيْلُهُ في هَوَى سَعْدِ بنِ هَبّار
لا يَسْمَعُ الناسُ أصواتاً لهم خَفِيَتْ ... إلّا دَوِيًّا دَوِيَّ النّحْلِ في الغار
فيُصْبِحُ القَوْمُ أطْلاحاً أَضَرَّ بهمْ ... سيرُ المَطِيِّ وما كانوا بِسُفّارِ
لا يَرْقُدونَ ولا تُغضي عُيُونُهُمُ ... لَيْلَ التِمامِ ولَيْلَ المُدْلِجِ الساري

فبلغ الشعر خاله معاوية ، وقدم أبو بُرْدة بن أبي موسى الأَشعَري على معاوية فقال له : أَيشرب عبد الرحمن ؟ قال : لا ، قال : أَفيسمع الغناء ؟ قال : لا ، قال : فما تنقمون عليه ؟ قال : إنكارُهُ بَيْعةَ يزيد ابن أمير المؤمنين، وظنّه أنّ الفيء له وأنّه أحقّ به، قال معاوية: فما نصنع بأبيات ابن همّام[2] ؟ قال : كذب عليه ، قال : أنشدْني إيّاها إنْ كنتَ ترويها ، فأنشده فقال معاوية : شربها والله الخبيث ، وعزله وولّى النُعمان بن بَشير الأنصاري الكوفة .

١ ـ سورة الجمعة ـ الآية : ١١ .
٢ ـ وكذا والأصوب «فما نصنع بأبيات حارثة بن بدر» .

وقالَ الهيثم : قدم الفرزدق متعرّضا لمعروف ابن أمّ الحَكَم فشرب مع بعض الكوفيّين فأخذه صاحب العَسَس ، فقالوا لابن أمّ الحَكَم : إن الفرزدق في حبسك ، فأمر بإطلاقه وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فقال :

فداكَ مِنَ الأَقْوامِ كُلُّ مُزَنّدٍ قَصيرِ يَدِ السِربالِ مُسْتَرِقِ الشِبْرِ

فأَنّتَ ابنُ بَطْحاوَيْ قُرَيْشٍ وإنْ تَشأْ تَكُنْ مِنْ ثَقيفٍ في أُرومَتِها الكُبْرِ

وأَنْتَ آبْنُ سَوّارِ اليَدَيْنِ إلى العُلَى تَلَقَّتْ بِك الشَمْسُ المُنيرةُ لِلْبَدْرِ[١]

فقيل له : فضّلت أمّه على أبيه ، فقال : إنّها بنت قريع البطحاء أبي سفيان ، و[هو] ابن اخت أمير المؤمنين .

ومدح الفرزدق ابن أمّ الحَكَم فقال :

إلَيْكَ آبْنَ عَبْدِالله حَمَّلْتُ حاجتيَ عَلَى صُبُرِ الأخفاف خوصِ المَدامعِ

نواعِجَ كُلِّفْنَ الذميلَ فَلَمْ تَزَلْ مُقَلِّصَةٍ أَبْصارُها كَالشَراجعِ

وما ساقَها من خَلَّةٍ أَجْحَفَتْ بها إلَيْكَ ولا مِنْ قِلَّةٍ في مُجاشِعِ

ولكِنّها آختارَتْ بِلادَكَ رَغْبَةً عَلَى مَنْ سِواها مِنْ ثَنايا المَطالِعِ[٢]

المدائني قال : خطبت أمّ الحَكَم إلى معاوية ابنته على ابنها فأبى تزويجه فقالت : قد زوّج أبوك أباه ، وأنا خير من ابنتك ، وهو خير من أبيه ، فقال : أنّ أبا سفيان كان سُوقَةً ونحن اليوم ملوك ، وكان أبو سفيان يُحبّ الزبيب والزبيب عندنا كثير ، فقال ابن أمّ الحَكَم : إنّ عليّاً زوّج ابنته ابن أخته ، فقال معاوية : إنّ عليّا زوّج قرشيّاً وأنت ثَقَفي .

---

١ - ديون الفرزدق ج ١ ص ١٩٨ مع فوارق .
٢ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .

قالوا : وكانت لابن الزَّبير الأَسدي[1] منزلة من ابن أمّ الحَكَم ، فقتل قومٌ من بني أَسَد رجلاً من بني عمّ ابن الزَّبير ، فخرج ابنُ أمّ الحَكم وافداً إلى معاوية وابن الزَبير معه ، وكان مع ابنِ أمّ الحَكَم قوم من بني أَسَد ، فكلَّموه في فَتْكة الرجل ، فكلّم ابن أمّ الحَكَم ابن الزَّبير في أن يقبل دِيَتَيْن فأبى ، فغضب عليه ابن أمّ الحَكَم وردَّه عن الوفد وتوعّده ، فاستجار بيزيد بن معاوية ، وكان يزيد يتنقّص ابنَ أمّ الحَكَم ، فقال ابن الزبير :

أَبْلِغْ يَزيدَ آبْنَ الخَليفَةِ أَنَّني ... لَقِيتُ مِنَ الظُلْم الأَغرّ المُحَجّلا
بِأَنَّ ابْنَ عُودٍ قَدْ أناخَ مَطِيَّتي ... بِجَوٍّ[2] لَقَدْ أُثْويتُ مَثْوَى مُضَلَّلا
وقالَ تَعَلَّمْ أَنَّ رَحْلَكَ ماكِثٌ ... بِجَـوٍّ ونادَى وَفْـدَهُ فَتَرَحَّـلا
فلا هُوَ أعْطَى الحَقَّ حينَ سَأَلْتُهُ ... ولا هُوَ إِذْ رَسَّ العَداوَةَ أَجْمَلا
فلَوْلا أَمـيرُ المُؤمِنِينَ ودَفْعُـهُ ... وَراءَك كُنْتَ العاجِـزَ المُتَذَلِّلا
عِياذاً أميرَ المؤمِنينَ فلا أكُنْ ودَفْعُهُ ... طَريدَ ابْنِ عُودٍ أَوْ أَسيراً مُكَبَّلا

وكان عبد الله أبو ابن أمّ الحَكَم دخل بستاناً فأفسد فيه فليم على ذلك ومُنِع من البستان ، فقال : آجعلوني كعُودٍ من عيدان البستان . وقال ابن الكلبي : وكان قد كتب في هَدْم داره وحَبْس أهله فقال :

أَلَسْتَ بِبَغْـلٍ أُمُّـهُ عَـرَبِيَّـةٌ ... أبوهُ حِمارٌ أَدْبَرُ الظَهْرِ يُنْخَسُ
أَتانِيَ من أهلي كتابٌ بأَنَّنا ... حُبِسنْا وَلَمْ يُتْرَكْ مِنَ المالِ مُنْفِسُ
وأَنَّ بِناءَ الدارِ فُضَّ فأَصْبَحَتْ ... أَماليسَ ما فيها لِضَيْفٍ مُعَرَّسُ

١ ـ في هامش الأصل : الزبير ـ بفتح الزاي ـ هذا شاعر مشهور .
٢ ـ جو : هي الطائف .

فلِلّهِ عَينا مَنْ رَأى مِن مُسَيَّرٍ كأسماءَ إذْ تَمْشي قليلاً وتَجْلِسُ
دَعَتْ دَعْوَةً إذْ عَضَّ كَلْبُكَ ساقَها ومِنْ دونها مُسْتَنَّةُ الآل بَسْبَسُ
فلو كان أزْمَانَ الطِعانِ تَركْتَها ذَميماً وقَدْ مارَتْ دِماءٌ وأنْفُسُ
وَصَدّك عَنْها مِنْ خُزَيْمَةَ أُسْرةٌ يَقودُهُم ذو نَخْوَةٍ مُتَغَطْرِسُ
تصاغَرْتَ إذْ جِئْتَ آبْنَ حَرْبٍ ورَهْطَهُ وفي أرْضِنا أنْتَ الهُمامُ القَلَمَّسُ
فَهَلْ يَعْمُرَنَّ الأرْضَ رَدُّكَ رِحْلَتي وأَسْماءُ مَحْروساً عَلَيْها المُخَيَّسُ

فقالت أمّ الحَكَم لمعاوية: أَما تسمع هذا الشاعر يشتمني ويهجوني؟ فقال معاوية: ما شتمكِ ولا هجاكِ ولكنّه مدحك.

وقال ابن الزَّبير:

ألا إنَّ ذُلاًّ أنْ أُقيمَ بِبَلْدةٍ مُؤَمَّرةٌ فيها عَلَيَّ ثَقيفُ
فأَبْلِغْ بَني دودانَ أنّ أخاهُمُ رَهينٌ بأَرْطالِ الحَديدِ رَسوفُ
يَرُدُّ عَلَيْهِ الهَمَّ بابٌ مُضَبَّبٌ وَذو طَنَفٍ دُونَ السَماءِ مُنيفُ

الطَنَف الإفريز ببعض الحائط ويُرْوى «وأجرد من دون» يعني الحائط.

وذو بُرْدَةٍ [...] له عَجْرَفيّةٌ عَنيفٌ وبَوّابُ السُجونِ عَنيفُ

المدائني قال: هجا ابنُ الزَّبير ابن أُمّ الحَكَم، فقال له معاوية: ما دعاك إلى هِجاء ابن أختي؟ قال: إنّه هدم داري، قال: فأنا كنت أبنيها، قال: وأين كنتُ يومئذ منك؟ فآبْنِها الآن وأنا أكفّ عنه، فقال: ومَن يعلم أنّه هدمها؟ قال: عبد الله بن عامر. فسأل عبد الله فقال: ما أدري ولكّني أعطيته أربعين الف درهم فاشترى بها ساجاً.

وقال ابن الزَّبير أيضاً.

أَلا أَبْلِغْ مُعاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ فَقَدْ خَرِبَ السوادُ فلا سَوادَا
وإنَّ جبالَنا خَرِبَتْ وبادَتْ فقد تُرِكَتْ لِحالِبِها جَمادا
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدارِكَ ما لَدَيْنا وتَرْفَعَ عَنْ رَعِيَّتِكَ الفسادا
فإنَّ أمينَكُمْ لا الله يَخْشَى ولا يَنْوي لأُمَّتِكُمْ سَدادا
إذا ما قُلْتَ أَقْصَرَ عَنْ هَواهُ تَمادَى في ضَلالَتِهِ وزادا

وقال المدائني : نازع مروانُ ابنَ عامر ، فقال عبد الرحمن ابن أمّ الحَكَم : أَما تجدُ ريحَ الفَرْث من هذا ؟ فقال ابن عامر ؛ أَمِنّي تجد ريح الفَرْث ؟ أما إنّي لو شئت أن أختنك على الصَفاة التي ختنتُ عليها أخاك لفعلتُ ؛ فغلبه ابن عامر .

حدثني الرفاعي عن عمّه عن ابن عَيّاش الهَمْداني قال : قدم وفد أهل الكوفة على معاوية يشكون ابن أمّ الحَكَم إليه وزعيمهم هانىء بن عُرْوة ، فقال : عليكم لعنة الله من أهل بلدٍ لا ترضون عن أميرٍ ، فقال أبو بُرْدة : قد سمعتم وأنا أعزِله لكم ، فدخلوا على يزيد ، فقال هانىء : ما ننقم على عبد الرحمن أن لا نكون أَحْظَى أهلِ المِصْر عنده ، ولكنا غضبنا لك ، وذلك أنّه أُتي بجام من مها ـ أيْ بلَّورٍ ـ فقال : آرفعوها حتّى نُهْديها إلى يزيد يشرب فيها الخمر بماء بَرَدى ، فقال يزيد : ومَن سمع ذلك ؟ قال أبو بُرْدة : أنا ، وقال غيره : أنا ، فقام يزيد فدخل إلى معاوية فأخبره بقولهم ، فقال هذا أمر مصنوع ، فالله الله في ابن عمتّك ، فقال : ما شاء فليكن ، أَليس قد سمع به الناس ؟ فعزل ابن أمّ الحَكَم وولّى النُعْمان بن بَشير الأنصاري .

وحدثني الرِفاعي عن عمّه عن ابن عَيّاش قال : ولّى معاوية ابن أمّ الحَكَم مِصْرَ فقال له معاوية بن حُدَيْج الكِنْدي : يا بن أخي انّما بعث بك

أهلك ليفكّهوك بها . الحقْ بأهلك ؛ ثمّ إنّ ابن حُدَيْج قدم على معاوية فقالت له أمّ الحَكَم : يا أمير المؤمنين دَعْني اكلّمه قال : لا تفعلي ، قالت : بالقَرابة لما فعَلتَ ، قال : فأنتِ وذاكَ ، فقالت : يا بن حُدَيْج ، لا جزاكَ الله خيراً عن واحدي ، قال ابن حُدَيْج : مَن هذه يا أمير المؤمنين ؟ قال : أمّ الحَكَم بنت أبي سفيان ، قال : آسكتي أيّتها الوَرْهاءُ[1] ، فقد تزوّجتِ فما استكرمتِ ، وولدت فما أنجبت ، فقال معاوية : قد والله نهيتُها فأبت .

محمّد عن الواقدي عن ابن أبي الزِناد أنّ خارجة بن زيد بن ثابت حدّثه أنّ أباه كتب إلى معاوية في آخر كتابه : والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومَغْفِرته .

حدثني محمّد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن أمّ بكر بنت المِسْوَر عن أبيها قال : كتب معاوية إلى مروان وهو على المدينة أن يخطب أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ، وأمّها زَيْنَب بنت عليّ . وأمّها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، على ابنه يزيد ويقضي عن عبد الله دَيْنه ، وكان خمسين ألف دينار ، ويُعطيه عشرة آلاف دينار ، ويُصْدقها أربعمائة ويُكرمها بعشرة آلاف دينار ، فبعث مروان إلى ابن جعفر فأخبره فقال : نعم واستثنى رضاءَ الحسين بن عليّ ، فأتى الحسين فقال له : إنّ الخال والدٌ وأمْرُ هذه الجارية بيدك ، فأشهد عليه الحسين بذلك ، ثمّ قال للجارية : يا بنيّة إنّا لم نُخْرِجْ منّا غريبة قطّ ، أفأمركِ بِيَدي ؟ قالت : نعم ؛ فأخذ بيد القاسم بن محمّد بن جعفر بن أبي طالب فأدخله المسجد ، وبنو هاشم وبنو أميّة وغيرهم

---

١ - ورهاء هنا : حمقاء . القاموس .

مجتمعون ، فحمد مروان الله وأثنى عليه ثمّ قال : انّ أمير المؤمنين قد أحبَّ أن يزيد القرابة لُطْفاً والحقّ عظماً ، وأن يتلافى ما كان بين هذَيْن الحيَّيْن بصِهْرهما ، وعائدة فضله وإحسانه على بني عمّه من بني هاشم ، وقد كان من عبد الله في ابنته ما يحسن فيه رأيه ، وولّى أمرها الحسين خالها ، وليس عند الحسين خلاف أمير المؤمنين ؛ فتكلّم الحسين فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : انّ الإسلام دفع الخسيسةَ وتمّم النقيصة وأذهب اللائمة ، فلا لومَ على مسلم إلاّ في أمر مَأْثَم ؛ وإنّ القرابةَ التي عظّم الله حقّها وأمر برعايَتها ، وأن يَسأَلَ نبيُّهُ الأجْرَ لَهُ بالمودّة لأهلها قرابتُنا أهلَ البيت[1] ، وقد بدا لي أن أزوِّجَ هذه الجاريةَ مَن هو أقرب نسباً وألطف سبباً ، وهو هذا الغلام ، وقد جعلتُ مَهْرها عنه البُغَيْبِغة[2] ؛ فغضب مروان وقال : غَدْراً يا بني هاشم ؟! ثمّ قال لعبد الله بن جعفر : ما هذا بِمُشبِهٍ أيادي أمير المؤمنين عندك ، فقال عبد الله : قد أخبرتك أنّي جعلت إمرها إلى خالها فقال الحسين : رُوَيْدَكَ ، ألا تعلم يا مِسْوَر بن مخرمة أنّ حسين بن عليّ خطب عائشة بنت عثمان ، حتّى إذا كنّا في مثل هذا المجلس ، وقد أشفينا على الفراغ ، وقد ولَّوْكَ يا مروان أمرها قلتَ : قد رأيت أن أزوّجها عبد الله بن الزبير ؟ قال مروان : قد كان ذلك ، قال الحسين : فأنتم أوّل الغَدْر وموضعه ، ثمّ نهض فقال مروان للمِسْوَر : يا أبا عبد الرحمن والله لغيظي على عبد الله بن جعفر أشدّ من غَيْظي على الحسين ، لرأي أمير المؤمنين فيه وأياديه عنده ، ولأنّ الحسين وَغْرُ

---

١ ـ اشارة إلى قوله تعالى في سورة الشورى ـ الآية : ٢٣ ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى﴾ .

٢ ـ هي عين كثيرة النخل ، غزيرة الماء ، وقيل هي قرية بالمدينة . المغانم المطابة .

الصدر علينا وعبد الله سليم الصدر لأمير المؤمنين لصنائعه عنده ، فقال المِسْوَر : لا تحمل على القوم ، فالذي صنعوا أفضل ، وصلوا رحماً ووضعوا كريمتهم حيث أرادوا ، فأمسك مروان[1] .

قال : وحدثني عبد الحميد بن حبيب عن أشياخه قالوا : لمّا أخذ معاوية البيعة ليزيد على أهل الحجاز وقدم الشام قال له : يا بُنَيَّ إنّي قد وطأتُ لك الأمور وأخضعت لك أعناق العرب ، ولم يبق الاّ هؤلاء النفر وهم حسين بن عليّ ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن الزبير ، ولست أتخوّف أن ينازعك في هذا الأمر غيرهم ، فأمّا حسين فإنّ له رحماً ماسّة وحقاً عظيماً وقَرابة بالنبيّ ﷺ ، ولا أظنّ أهلَ العراق تاركيه حتّى يُخرجوه عليك ، فإن قدرتَ عليه فاصفح عنه ، فلو أنّي الذي إليَّ أمره لعَفوتُ عنه ، وأمّا ابن عمر فرجل قد وقذتْه العِبادة وقراءةُ القرآن وتخلّى من الدنيا ، ولا أظنّه يرى قتالك على هذا الأمر ، ولا يريده ما لم يأتِه عفواً ، وأمّا عبد الرحمن فشيخ عَشَمة هامةُ اليوم أو غدٍ وهو مشغول عنك بالنساء ، وأمّا الذي يَجثِم لك جُثومَ الأسد ويُراوغك مراوغةَ الثعلب فإن أمكنتْه فُرصة وثب ، فهو عبدالله بن الزبير ، فإذا فعلها واستمكنت منه فلا تُبْقِ عليه ، قَطِّعْه إرْباً إرْباً إلاّ أنْ يلتمس منك صُلْحاً ، فإن فعل فاقبَلْ منه ، واحقُنْ دماء قومك ما استطعت . ولم يمكثْ إلاّ يسيراً حتّى أتاه موت عبد الرحمن بن أبي بكر فدعا يزيد فبشّره بذلك .

---

١ - بهامش الأصل : يتوله في الأصل الثالث بعد قوله فأمسك مروان : «حدثني محمد بن سعد عن الواقدي أن ابن عباس» .

وحدثني حَفْص بن عمر عن الهيثم بن عَديّ عن عَوانة قال : قال معاوية لابنه في وصيّته : يا بُنَيّ إنّي قد وطأت لك الأشياء ، وأذللت لك الأعداء ، وأخضعت أعناق الناس ببيعتك ، فانظرْ أهلَ مكّة والمدينة فأكرمْهم ، فإنّهم أصلك ومنصبك : مَن ورد عليك منهم فأكرْمه ، ومَن لم يأتك فابعثْ إليه بصلته ، وانظرْ أهل العراق فإنّهم أهلُ طعنٍ على الأمراء ومَلالةٍ لهم ، فإن يسألوك أن تبدل لهم كلَّ يوم عاملاً فافعلْ ، وانظرْ أهل الشام فليكونوا بطانتك وعَيبتك وحصنك ، فمن رابك أمره فارمِه بهم ، فإذا فرغوا فأقفلْهم إليك فإنّي لا آمن الناس على إفسادهم وقد كفاك الله عبد الرحمن بن أبي بكر ، فلست أخافُ عليك إلاّ : حسيناً ، وابنَ عمر ، وابن الزبير، فأمّا حسين فلست أشكّ في وثوبه عليك، فسيكفيكه مَن قتل أباه وجرح أخاه ، إنّ آل أبي طالب قد مدّوا أعناقهم إلى غايةٍ أبت العرب أن تُعطيهم المَقادةَ فيها ، وهم محدودون ، وأمّا ابن عمر فقد وقذه الإسلام وشغله عن منازعتك ، وأمّا ابن الزبير فخبٌّ خَدِعٌ فإذا شخص إليك فالبدْ له فإنّه ينفسخ على المطاولة .

حدثنا هشام بن عَمّار حدثنا عيسى بن يونس عن ابن جُرَيْج عن ابن أبي مُلَيْكة قال : توفّي عبد الرحمن بن أبي بكر بحُبْشيّ ـ وهو على اثني عشر ميلاً من مكّة ـ فحُمل ودُفن بمكّة ، فلمّا قدمت عائشة مكّة من المدينة أتتْ قبره فقالت :

وكُنّا كَندْمانَيْ جَذيمَـةَ حِقْبَةً مِنَ الدَهْرِ حَتّى قيلَ لَن يَتَصَدّعا

قالوا : وتُوفّيت عائشة سنة ثمان وخمسين . وروى بعضهم أنّ عبد الرحمن كان باقياً حتّى مات معاوية ، وذلك باطل .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة وغيره قالوا : لمّا حضرت معاوية الوفاةُ وذلك في سنة ستّين كان يزيد غائباً ، فدعا معاوية الضَحّاكَ بنَ قيس الفِهْري ، وكان على شُرَطه ، ومسلم بن عُقْبة بن رياح بن أسْعَد المُرّي ، فأوصى إليهما فقال : بلّغا يزيد وصيّتي ، وكتب فيها : يا بُنيَّ انظرْ أهل الحجاز فإنهم أصلك فأكرمْ من قدم عليك منهم ، وتَعهّدْ من غاب عنك من وجوههم ، وانظرْ أهل العراق وإن سألوك أن تعزل عنهم في كلّ يوم عاملاً فافعلْ ، فإنّ عَزْل عاملٍ أهون عليك من أن تُشْهَر عليك مائة ألف سيف ، وانظرْ أهل الشام فإنّهم بِطانتك وعَيْبتك فإذا رابك من عدوّ شيءٌ فانتصرْ بهم ثمّ ردّهم إلى بلادهم فإن هم أقاموا في غيرها فسدت أخلاقهم .

حدثني هشام بن عَمّار عن الوليد بن مسلم وغيره قال : جامع معاوية جارية له خراسانيّة ثم حُمّ من يومه فمات من مرضه ذلك .

حدثني هشام بن عَمّار قال : مات معاوية وعامله على مِصْر مَسْلَمة بن مُخَلَّد الأنصاري ، وقد كان ولّى ابن أمّ الحَكَم مِصْر بعد الكوفة .

وحدثني محمّد بن مُصَفّى عن بَقيّة عن الزُبَيْدي عن الزُهْري قال : أعطى رسول الله ﷺ رجلاً فشكر وأثنى، فقال : «لكنّ أبا سفيان أُعْطي فلم يُثْنِ ولم يشكر» ، فبلغَ ذلك معاويةَ فقال : إنّ أبي يرى له حقاً على الكرام .

قالوا : وولّى معاوية رَوْح بن زِنْباع الجُذامي عملاً ، فرجم رجلاً وامرأة فقال الشاعر :

إنّ الجُذاميَّ رَوْحاً في إقامَتِهِ ... حَدَّ الإلهِ لَمَعْذورٌ وَإنْ عَجِلا

فبلغ معاويةَ هذا البيت فقال : أولى الأمور بالتعجيل أُداء حقوق الله .

وحدثني هشام بن عَمّار قال : بلغنا أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه لمّا أتى الشام رأى معاويةَ في موكبٍ يغدو ويروحُ فيه ، فقال له : يا معاوية تروح في موكبٍ وتغدو في مثله ، وبلغني أنّك تُصْبحُ في منزلك وذوو الحاجات ببابك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين إنّا بأرضٍ عدوُّنا قريبٌ منها ، وله علينا عيون ذاكية ، فأردت أن يروا للإسلام عِزّاً ، فقال عمر : انّ هذا لَكَيْد لبيبٍ أو خُدْعة أريبٍ ، فقال معاوية : يا أمير المؤمنين فأمرْني بما شئتَ أنتهِ إليه ، قال : ويحك ما ناظرتُك في أمر أعتبُ فيه عليك إلّا تركتَني منه في أضيق سُبلي حتّى ما أدري أآمرك أم أنهاك .

وقال هشام والمدائني : كان عمر يرى معاوية فيقول : هذا كسْرى العرب .

وحدثني محمّد بن مُصَفًّى الحِمْصي عن أشياخهم أنّ معاوية بنى الخَضْراءَ بدمشق من لبن وطين ، فقدم عليه وفد صاحب الروم فقال لهم : كيف ترون بِنائي هذا ؟ قالوا : ما أحسنه إلّا أنّك تبنيه لنفسك وللعصافير ، يريدون أن العصافير تحفِره وتنقُره ، ولم تبنِه ليبقى لمن بعدك ، فهدمها وبناها بالحجارة .

المدائني قال : شخص سليمان بن قَتَّة مولى بني تَيْم[1] إلى سعيد بن عثمان فلم يصلْه ، فقيل له : إنّه يهجوك فقال : أَوَيهجوني وأنا ابن عثمان بن

---

١ ـ بهامش الأصل «تميم» .

عَفّان ؟! فبلغ ابن قَتَّة قولُهُ فقال : صدق والناس كلّهم بنو آدم ، فمنهم ذهب ومنهم فضّة ومنهم نحاس فسعيد فَلْسُ بني عثمان ؛ وقال :

سَألْتُ قُرَيْشاً عَنْ سَعيدٍ فأَجْمَعوا عَلَيْهِ وقالوا مَعْدِنُ اللُؤْمِ والبُخْلِ
فقُلْتُ لِنَفْسي حينَ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ بَخيلٌ ألا لَيْسَ ابْنُ عُثْمانَ مِنْ شَكْلي
فكَمْ مِنْ فَتىً كَزِّ اليَدَيْنِ مُذَمَّمٍ وكان أَبوهُ عِصْمَةَ الناسِ في المَحْلِ
فأَجْمَعْتُ يَأْساً حينَ أَيْقَنْتُ أنّه بَخيلٌ وقد أَلْقَى عَلى غارِبي رَحْلي[1]
فَوَجَّهْتُ عَنْساً نَحْوَ عمروٍ فأَسْرَعَتْ مُواشِكَةً تَهْوي مُواشَكَةَ الفَحْلِ
إلى ماجِدِ الجَدّيْنِ سَبْطٍ بَنانُهُ إذا سُئِلَ المَعْروفَ يَهْتَزُّ كَالنَصْلِ

يعني عمرو بن سعيد بن العاص ؛ فشكا سعيد حين قدم على معاوية ابنَ قَتَّة ، فقال له : كان ينبغي لك أن تفتدي منه عِرْضك ، وأعطاه عمرو بن سعيد ألف دينار وجارية فقال :

ودونَ سَعيدٍ إنْ أَرادَ ظُلامَتي أَغَرُّ كَريمُ الوالِدَيْنِ نَجيبُ
سَيَمْنَعُني مِنْ خُطَّةِ الضَيْمِ سَيْفُهُ وَرَأْيٌ إذا حارَ الرجالُ صَليبُ

فأعطاه سعيد بن عثمان ألفاً وجارية فقال :

لَقَدْ نالَني سَيْبُ ابْنِ عثمانَ بَعْدَ ما يَئِسْتُ وكانَ المَرْءُ تُرْجَى فَضائِلُهْ
فجادَ كَما جادَ السَحابُ ولَمْ يَكُنْ بكيئاً ولكِنْ غَرَّقتنا نَوافِلُهْ
وإنْ عادَ عُدْنا لِلَذي هُوَ أَهْلُهُ وأَحْظَى عِبادِ الله بالخَيرِ فاعِلُهْ

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه وشَرقي بن القُطامي قالا : ولي معاوية الشام لعمر وعثمان ، فأتاه وهو بالشام بَحْدَل بن

---

١ ـ كتب فوقها بالأصل : «حبلي» .

أُنَيْف بن دُلْجة من وَلَدِ حارثةَ بن جَناب الكَلْبي بابن أخٍ له قد قتل أخاه ، وكان ابنا أخيه هذان خطبا مَيْسون بنت بَحْدَل جميعاً فَزوّج المقتول ، فإنّ رأسه لفي حِجْرها وهي تَفْليه إذ دخل عليه أخوه بصخرة فَلَقَ بها رأسه ، فلمّا أتى معاوية قال له : إنْ شئت قتلتُه لك فذهب ابنا أخيك جميعاً ، وإن شئتَ فالدِيَة ، فقبل الدِيَة .

ووجّه معاوية بعد ذلك رسولاً إلى بهدل بن حسّان بن عَديّ بن جَبَلة بن سَلامة بن عُلَيْم بن جَناب الكلبي ليخطب عليه ابنته ، وكانت بكراً ، فغلط فمضى إلى بَحْدَل بن أُنَيْف فخطب ابنته ، فزوّجه ميسون ، فقال عَمْرو الزُهري من كَلْب يهْجو حسّان بن مالك بن بَحْدَل :

إذا ما انْتَمى حَسّانُ يَوْماً فَقُلْ لَهُ ... بمَيْسون نِلْتَ المَجْدَ لا بِابْنِ بَحْدَلِ
بِخُمْصانَةٍ رَيّا العِظامِ كَأَنَّها ... مِنَ الوَحْشِ مَكْحول المَدامِعِ عَيْطَلِ
ولَوْلا ابْنُ مَيْسونٍ لَما ظَلْتَ عامِلاً ... تَخَمَّطُ أَبْناءَ الأَكارِمِ مِن عَلِ
وما كانَ يَرْجو مالِكٌ أَنْ يَرى ابْنَهُ ... عَلَى مِنْبَرٍ يَقْضِي القَضاءَ بِفَيْصَلِ
أَلا بَهْدَلاً كانوا أَرادوا فضُلِّلَتْ ... إلى بَحْدَلٍ نَفْسُ الرَسولِ المُضَلَّلِ
فشَتّانَ إِنْ قايَسْتَ بَيْنَ ابْنِ بَحْدَلٍ ... وبَيْنَ ابْن ذي الشُّرْطِ الأَغَرِ المُحَجَّلِ

وكان لعَديّ بن جَبَلة بن سَلامة شرط في قومه : لا يدفنوا ميّتاً حتّى يكون هو الذي يخطّ له موضع قبره ، وفيه يقول طُعْمَة بن مَدْفَع الكلبي :

عَشِيَّةَ لا يَرْجو امْرُؤ دَفْنَ أُمِّهِ ... إذا هِيَ ماتَتْ أَوْ يَخُطَّ لَها قَبْرا

وقال المدائني : طلّق معاوية مَيْسون وهي حامل ، وكان زوجها الذي قُتل عنها زامِل بن عبد الأعلى فرماه بعض الأعراب ؛ ولم يقلْ شيئاً ، والصحيح أنّ الذي قتله أخوه .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي السائب قال : كان رأس معاوية كبيراً فقال أبو سفيان : والله ليسودَنَّ ابني هذا قريشاً ، فقالت هِنْد : إنّي لأرجو أن يسود العرب قاطِبَةً .

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن عَوانة قال : بلغ معاويةَ وهو مريض أنّ قريشاً ببابه تتباشر بموته ، فلمّا دخلوا عليه دَعْوا له ، فقال : أتتباشرون بموتي إذا خلوتم وتدعون لي إذا حضرتم ؟! فانتفوا من ذلك واعتذروا ، فقبل منهم ، وقال :

وهَلْ مِنْ خالِدٍ إمّا هَلَكْنا وهَلْ في المَوْتِ يا لَلنّاس عارُ

حدثني هشام بن عمّار قال : أُغمي على معاوية في مرضه ثمّ فتح عينيْه فقال : اتّقوا الله فإنّ مَن اتّقاه وقاه ، ولا وقاء لَمن لم يتّقِ الله .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي السائب قال : لمّا احتُضر معاوية رضي الله تعالى عنه قال :

إنْ تُناقِشْ يَكُنْ نِقاشُك يا رَ بِّ عَذاباً لا طَوْقَ لي بِالعَذابِ
أو تَجاوَزْ فأنْتَ رَبٌّ غَفورُ عَنْ مُسيءٍ ذُنوبُهُ كَالتُّرابِ

حدثني أبو مسعود الكوفي عن أبي عَوانة قال : لما حَضرت معاويةَ الوفاةُ وضع رأسه في حجرْ رَمْلَة ابنته ، فجعلت تُقَلّبه فقال : انّكِ لتقلبينّه حُوَّلا قُلَّباً ، ثمّ تمثّل قول الشاعر :

لا يَبْعَدَنَّ ربيعةُ بْنُ مُكَدَّمٍ وسَقَى الغَوادي قَبْرَهُ بِذَنوبِ

وقال المدائني ، قال معاوية لابنتيْه وهما تقلّبانه في مرضه : قَلّباه حُوَّلا قُلَّباً ، جمع المال مِنْ شُبَّ إلى دُبَّ ، فلَيْتَه لا يدخل النار ، ثمّ تمثّل :

لَقَدْ سَعَيْتُ لَكُمْ سَعْيَ امْرِىءٍ نَصِبٍ وقَدْ كَفَيْتُكُمُ التَّطْوافَ وَالرِّحَلا

المدائني عن بِشْر بن موسى وأبي ظبية الحِمّاني قالا : أُغمي على معاوية في مرضه الذي مات فيه فقالت رَمْلة ابنته ، أو امرأة من أهله ، متمثّلةً بشعر الأشهَب بن رُمَيْلة :

إذا مُتَّ مات الجودُ وانقطَعَ النَدَى مِنَ النّاس ألاّ مِنْ قليلٍ مُصَرَّدِ[1]

ورُدَّتْ أكُفُّ السائلينَ وأمْسكوا مِنَ الدينِ والدُنيا بِخِلْفٍ مُجَدّدِ

ثم أفاق وأُغمي عليه فأنشدت :

لو دامَ شيءٌ لها لَدامَ أبو حَيّانَ لا عاجزٌ ولا وَكَلُ

الحُوَّلُ القُلَّبُ الأريبُ وهَلْ يَدْفَعُ زَوَّ[2] المَنِيّةِ الحِيَلُ

ويقال إنّ معاوية أفاق فأنشد البيتَيْن . وكان معاوية ينشد :

وهَلْ مِنْ خالِدٍ إمّا هَلَكْنا وهَلْ في المَوْتِ يا لَلنّاسِ عارُ

وحُدّثت عن هشام بن عَمّار عن الوليد بن مسلم أنّه قال : جعل معاوية يَهْذي في مرضه ويقول : كم بيننا وبين الغوطة ؟ فقالت ابنته : واحَرْباه ، فأفاق وقال :

إنْ تَنْفِري فقَدْ رأيْتِ مَنْفَرا

المدائني عن عليّ بن مُجاهد عن عبد الأعْلى بن ميمون عن أبيه أنّ معاوية قال في مرضه الذي مات فيه : إنّ رسول الله ﷺ كساني قميصاً فرفعتُه ، وقلّم أظفاره فأخذت قُلامتَها فجعلتُها في قارورةٍ ، فإذا مُتُّ فألبسوني القميص ، واسحقوا تلك القُلامة وذرّوها في عَيْنيَّ ، واجعلوا القميصَ بين جِلْدي وكَفَني فعسى ، ثم تمثّل :

---

١ ـ الصرد : الخالص من كل شيء . القاموس .

٢ ـ الزو : القرينان ، وكل زوج . القاموس .

إذا مُتَّ ماتَ الجودُ وآنْقَطَعَ النَدَى مِنَ الناسِ إلاّ مِنْ قَليلٍ مُصَرَّدِ
ورُدَّتْ أَكُفُّ السائلينَ وأَمْسكوا مِنَ الدينِ والدُنْيا بِخِلْفٍ مُجَدَّدِ

فقالت رَمْلة أو بعض أهله : بل يدفع الله عنك ، فقال :

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَها أَلْفَيْتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَعُ

وحدثني هشام بن عمّار عن عبد الحميد بن حبيب عن الأَوْزاعي عن عبد الأعلى بن ميمون بن مِهْران عن أبيه أنّ معاوية قال في مرضه الذي مات فيه : كنت أُوَضّىءُ رسول الله ﷺ فقال لي : «ألا أكسوك قميصاً» ؟ قلْتُ : بلى بأبي أنت وأمي ، فنزع قميصاً كان عليه فكسانيه ، وقلّم أظفاره فأخذت قُلامتها ، فإذا متُّ فألْبسوني القميص ، وخذوا القُلامة فآجعلوها في عَيْنيَّ ، فعسى الله .

المدائني عن محمّد بن الحَكَم عن أبيه أنّ معاوية أمر برَدّ نصفِ ماله إلى بيت المال كأنّه أراد أن يطيبَ له الباقي ، وقال : إنّ عمر بن الخطّاب قاسم عُمّاله .

المدائني عن أبي زكريا العَجْلاني قال : دخل عمرو بن سعيد الأشدق على معاوية وهو ثقيل ، فقال : كيف أصبحتَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : أصبحتُ صالحاً ، قال : لقد أصبحتْ عينك غائرةً ولونك كاسفاً وأنفك ذابلاً ، فآعهد أيّها الرجل ولا تخدعْ نفسك ، فتمثّل معاوية :

وهَلْ مِنْ خالِدٍ إمّا هَلَكْنا وهَلْ في المَوْتِ يا لَلْناسِ عارُ

فلمّا خرج قال له قائل : ما كنت أُحبّ لك أن تُسمعه هذا الكلام ، فقال عمرو : والله ما أحبّ أنه سبقني بنفسه ولم أُسمعْه ما أسمعتُه من هذا الكلام .

المدائني عن إسحاق بن أيّوب عن خالد بن عَجْلان قال : ثقل معاوية ويزيد بُحّوارين[1] ، فأتاه الرسول بخبره ، فجاء وقد دُفن معاوية ، فلم يدخلْ منزله حتّى أتى قبره ، فترحّم عليه ودعا له ثمّ انصرف إلى منزله وقال :

جاءَ البَريدُ بِقِرْطاسٍ يَخُبُّ بِهِ ... فأَوْجَسَ القَلْبُ مِن قِرْطاسِهِ فَزِعا

قُلْنا لَكَ الوَيْلُ ماذا في كِتابِكُمُ ... قالَ الخَليفَةُ أَمْسَى مُثْبَتاً وَجِعا

فمادَتِ الأَرْضُ أو كادَت تَميدُ بِنا ... كَأَنَّ أَغبَرَ مِنْ أَرْكانه[2] آنْقَلَعا

ثُمّ آنْبَعَثْنا عَلَى خوصٍ مُزَمَّمَةٍ ... نَرْمي الفِجاجَ بِها لا نأْتَلي سِرَعا

وما نُبالي إذا بَلَّغْنَ أَرْحُلَنا ... ما ماتَ مِنْهُنَّ بِالبَيْداءِ أَوْ ظَلَعا

مَنْ لا تَزَلْ نَفْسُهُ تُشْفي عَلَى تَلَفٍ ... تُوشِكْ مَقاديرُ تِلْكَ النَفْسِ أَنْ تَقَعا

لَمّا آنْتَهَيْنا وبابُ الدارِ مُنْصَفِقٌ ... لِصَوْتِ رَمْلَة ريعَ القَلْبُ فَانْصَدَعا

ثُمّ آرعَوَى القَلْبُ شَيْئاً بَعْدَ طَيْرَتِهِ ... والنَفْسُ تَعْلَمُ أَنْ قَدْ أُثْبِتَتْ جَزَعا

أَوْدَى آبنُ هِنْدٍ وأَوْدَى المَجْدُ يَتْبَعُهُ ... كانا جميعاً خليطاً قاطِنَيْنِ مَعا

أَغَرُّ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بِهِ ... لَوْ قارَعَ الناسَ عَنْ أَحْسابِهِم قَرَعا

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة وغيره قالوا: توفّي معاوية للنصف من رَجَب سنة ستّين وله اثنتان وثمانون سنة ؛ فلمّا قَبض صعِد الضحّاك بن قيس الفِهْري المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيّها الناس إنّ معاوية أمير المؤمنين كان عود العرب وحدَّها ونابَها ، قطع الله به الفتنة وجمع به الكلمة ، وملّكه خزائم العِباد وفتح له البلاد ، ألا وإنّه قد

١ ـ حوارين : قرية في هضبة حمص الجنوبية ، تمر بجوارها سكة حمص ـ دمشق . المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري .

٢ ـ بهامش الأصل : «أركانها» .

مات وهذه أكفانه ونحن مُدرجوه فيها ثمّ مُدخلوه قبْره ، ومُخَلّون بينه وبين ربّه ، ثمّ هو الهَرْج إلى يوم القيامة ، فَمن كان يريد أن يشهده فليحضُرْ عند الظهر . قال هشام : وكانت أكفان معاوية في يد الضحّاك وهو يخطب ؛ قال هشام : ويقال إنّ معاوية مات في أوّل رجب سنة ستّين ، وكان عمره سبعاً وسبعين سنة .

أبو الحسن المدائني عن أبي أيّوب عن عمرو بن ميمون قال : خرج الضحّاك حين مات معاوية فقال : إنّ معاوية أمير المؤمنين كان عبداً من عبيد الله أطفأ الله به الفِتَن ، وبسط به الدنيا ، فقد قضى نَحبْه ، ونحن رائحون به مُدْرجاً في أكفانه ، ومُدخلوه في قبره ومُخلّون بينه وبين ربّه وعلمه ، فإنْ شاء الله رحمه وإن شاءَ عاقبه .

حدّثني العُمري عن ابن عَديّ عن ابن عَيّاش قال : كان يزيد بن معاوية حين مات أبوه بحُوّارين ، فقدم وقد دُفن أبوه عند الباب الصغير بدمشق ، فأتى قبره فدعا له ثمّ انصرف فخطب فقال : إنّ معاوية كان عبداً من عبيد الله أنعم عليه ثم قبضه إليه ، وهو خير ممّن بعده ودون مَن قَبْله ، ولا أزكّيه على الله فهو أعْلَم ، فإن عفا عنه فبرحمته ، وإنْ عاقبه فبذنبه ، ولن أني عن طَلَبٍ ولا أعتذر من تفريط ، وعلى رِسْلِكم إذا أراد الله شيئاً كان .

وحدثني الحسن بن عليّ الحِرمازي عن عليّ القَصير عن أبي يعقوب الثّقفي قال : عزّى عَطاءُ بن أبي صَيفي الثَقَفيّ يزيدَ حين مات معاوية فقال : يا أمير المؤمنين إنّك رُزئتَ الخليفة ، وأُعطيتَ الخلافة ، قضى معاوية نَحْبَه فغفر الله له ذنبه ، وُوليتَ الرِئاسة وكنت أحقَّ بالسياسة ، فآحتسبْ

عند الله عظيم الرَزيّة ، وآشكْره على حُسْن العطّية ، أعظمَ الله على أمير المؤمنين أجرك ، وأحسنَ على الخلافة عَوْنَك .

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عَديّ عن عَوانة وابن عَيّاش قالا : لمّا مات معاوية جاء عبد الله بن هَمّام السَلولي أو غيره فقال : يا أمير المؤمنين أعظم الله أجرك في الخليفة ، وبارك لك في الخلافة ، ثمّ أنشد :

اصْبِرْ يَزيدُ فَقَدْ فارَقْتَ ذا ثِقَةً وآشْكُرْ عَطاءَ الذي بالمُلْكِ أَصْفاكا
أصبْحْتَ لا رُزْءَ في الأَقْوامِ نَعْلَمُهُ كَما رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كَعُقْباكا
أُعْطيتَ طاعَةَ أَهْلِ الأَرْضِ كُلِّهِم فَأَنْتَ تَرْعاهُمُ والله يَرْعاكا
وفي مُعاوِيَةَ الباقي لَنا خَلَفٌ إذا فُقِدْتَ ولا نَسْمَعْ بِمَنْعاكا

قال أبو الدَرْداء العَنْبَري يرثي معاوية :

أَلا أنعى مُعاوَيَةَ بْنَ حَرْبٍ نَعـاهُ الحِلُّ والشَهْـرُ الحَرامُ
نَعَتْهُ الناعِجـاتُ لِكُلِّ حَيٍّ خواضِعَ في الأَزِمَّةِ كالسِهامِ
فَهاتيكَ النُجومُ وهُنَّ خُرْسٌ يَنُحْنَ عَلَى مُعاوِيَـةَ الشَآمي

قال أَيمن بن خُرَيْم بن فاتك الأَسَدي :

رَمَى المِقْدار نِسوةَ آلِ حَرْبٍ بِحادَثةٍ سَمَدْنَ[1] لَها سُمودا
فردّ شُعورهُنَّ السـودَ بِيضاً ورَدَّ خُدودَهُنَّ البِيضَ سودا
فإنَّك لَوْ سَمِعْتَ بُكاءَ هِنْدٍ وَرَمْلَةَ إذْ يُلَطِّمْنَ الخُـدودا
بكَيْتَ بُكاءَ موجَعَـةً بحُزْنٍ أصابَ الدَهْرُ واحِدَها الفَريدا

١ ـ السمود : يكون حزناً وسروراً . القاموس .

وقال الأَحْوَص :

يا أَيُّها الرَّجُلُ المُوكَّلُ بالصِبا ... وصِبا الكَبِير إذا صَبَا تَضْليلُ
قَدِّمْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ يَوْمِكَ صالِحاً ... وآعملْ فلَيْسَ إلى الخُلودِ سبَيلُ
إنَّ الحِمامَ لَطالِبٌ لَكَ لاحِقٌ ... والمَوْتُ رَبْعُ إقـامَـةٍ محْلولُ
لا بُدّ مِنْ يوم لكلِّ مُعَمَّرٍ ... فيـهِ لِعِـدَّة عُمْـرِهِ تكميـلُ
والناسُ أَرْسالٌ إلى أَمَدٍ لَهُم ... يَمْضي لَهُمْ جيلٌ ويَخْلُف جيلُ
إنَّ آمْرَءاً أَمِنَ الزَمانَ وقَدْ رأى ... غـيَرَ الزَمـانِ ورَيْبَهُ لَجَهُـولُ
أَينَ آبنُ هِنْدٍ وَهْوَ فيه عِبرَةٌ ... أَفَبِها آقْتديْتَ بِمَن لَهُ معقولُ
مَلكٌ تَدينُ لَهُ المُلوكُ مُبارَكٌ ... كادَتْ لِمهلكِهِ الجبـالُ تَزولُ
تُجبى لَهُ بَلْخٌ ودِجْلَةُ كُلُّها ... ولَهُ الفُراتُ وما سَقَى والنيلُ
والشَـامُ أَجْمَـعُ دارُهُ فبكُلِّهِ ... تُلْفى كَتـائبُ جمَّـةٌ وخُيـولُ
وبكُلِّ أَرضٍ لِلْعدَى مِنْ غَزْوه ... حِصْنٌ يُخربُ أَوْ دمٌ مطْلولُ
يَقْضي فَلا خَرِقٌ ولا مُتَتَعْتعٌ ... لِغَباوةٍ في القَوْلِ حينَ يقولُ
لَوْ أَنَّه وزنَ الجبالُ بِحِلْمِهِ ... لـوَفَى بها ثِقـلاً بها ويَميـلُ
مُتَأَثِّلٌ مـا إن يُظَنُّ لِمُلْكِهِ ... عنـه ولا لِسُرورِهِ تَحْويــلُ
فَأَزال ذلكَ رَيْبُ يومٍ واحدٍ ... عنه وحُكْمٌ ما لـه تَبْديـلُ
حَتَّى ثَوَى جَدثاً كَأَنَّ تُرابَه ... مِمّـا تُطَيِّـرُهُ الصَبـا مَنْخـولُ
وَهْوَ الَذي لَوْ كانَ حيٌّ خالِداً ... يَوْماً لَكانَ عَلَى المَنونِ يَؤُولُ[1]

١ ـ ليست في ـيوانه المطبوع .

وحدثني هشام بن عَمّار عن إسْماعيل بن عَيّاش أبي عُتْبة عن صَفوان بن عمرو أنّ عبد الملك مرّ بقبر معاوية فوقف عليه فترحم ، فقال له رجل من قريش : قبر من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قبر رَجُلٍ كان والله ما علمتُه ينطق عن عِلْم ويسكت عن حِلْم ، إذا أَعطى أغنى وإذا حارب أفنى ، ثمّ عَجَّلَ له الدهر ما أخّره لغيره ممّن بعده ، هذا قبر أبي عبد الرحمن معاوية يرحمه الله .

ووجدت في كتاب لعبد الله بن صالح العِجْلي : ولّى معاوية المدينةَ مروانَ بن الحَكَم ثمّ عزله وولّى سعيد بن العاص ، ثم رد مروان ثمّ عزله وولّى الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان . وولّى معاوية مكّةَ عُتْبة بن أبي سفيان ثمّ عزله ، وولّى خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المَخْزومي ثمّ عزله ، وولّى عَنْبَسة بن أبي سفيان وضم إليه الطائف ، فلم يزلْ عليها حتّى مات في سنة ثمان وأربعين ، فضمّ مكّة إلى مروان أشهراً ، ثم عزله وولّى سعيد بن العاص المدينةَ ومكّة والطائف ، فولّى سعيد آبنه عمراً الأشدق مكّة والطائف ، فاشتدّ عليهم وعسفهم ، فشكاه عبد الله بن صفوان بن أميّة ، فعزل معاويةُ سعيداً عن عمله وولّى مروان المدينةَ ومكّة ، فقال ابن صفوان لعمرو بن سعيد : الحمد لله الذي عزلك عن رقاب قريش ، فقال : عزلني عن رَقَبتك ووضعني على رأسك ، ثمّ عزل مروان وولّى الوليد بن عُتْبة المدينة ومكّة .

وقال أبو الحسن المدائني : كان كاتب معاوية سَرْجون مولاه ، وكان على شُرَطه يزيد بن الحُرّ العَبْسي ، ثمّ زِمْل بن عمرو ؛ وكان معاوية أوّل مَن

اتّخذ حَرَساً ؛ وولّى حَرَسه الضحّاك بن قيس ، ثمّ ولّاه شُرَطه ، وصيّر على حَرَسه يزيد بن الحُرّ .

قال المدائني ، قال معاوية للأحنف : مَن أعزّ أهل العراق ؟ قال : بنو الحارث بن كَعْب : الربيع بن زياد على خراسان ، وقَطَن بن عبد الله على أذْرَبيجان ، وشَريك بن الأَعْوَر على فارس وكِرمان ، وكثير بن شِهاب على الرَيّ ، والسَريّ بن وقّاص على أعمال الكوفة ، وزياد بن النَضر على أصْبَهان ، فكتب معاوية إلى زياد : رأيتُ جُلَّ عمّالك بني الحارث بن كعب ، فكتب إليه زياد : وجدتُ فيهم خَلَّتَيْن لو كانتا في الزَّنْج لوليّتُهم ، معهما الأمانةَ والكِفاية .

وقال المدائني عن جُوَيْرية بن أسماء : كتب مروان إلى معاوية يسأله تولية عبد الملك بن مروان ديوان المدينة ففعل ، فكان عليه إلى آخر أيّام يزيد .

المدائني عن جعفر بن سليمان الضُبَعي قال : ذكر محمّد بن مَسْلَمة الأنصاري عند معاوية قَتْل كَعْب بن الأَشْرَف اليهودي ، فقال يهوديّ كان عند معاوية: غُدِرَ به ، فقال محمّد:يا معاوية أتُمْسكُ عنه وقد نَسَبَ رسول الله ﷺ إلى الغَدْر ؟ فقال لليهودي : آخرجْ عنّا ، وطلبه محمّد فلم يقدرْ عليه ، وقال لمعاوية : والله لاكلّمتك أبداً ولأقتلنَّ اليهودي إن قدرتُ عليه .

المدائني قال : كتب عبد الله بن الزبير إلى معاوية : إنك كنت أذنت لي في سفينة من الجار[1] ، فكان لنا في ذلك مَرْفَق ، وقد قطعتَ ذلك ، فإن

---

١ ـ بهامش الأصل : «الجار اسم موضع» ، والجار مرسى أهل المدينة . معجم البلدان .

أذنتَ لنا فيها فقد أحسنتَ ، وإن أبيت فعسى أن يكون ذلك خيراً ، وعندي فلانة وفلانة ولهن بك حُرْمه ، وبهن إلى صلتك حاجة وهن أيتام ، فوصلهنّ .

قال معاوية : صحبني أربعة من الأنصار : النعمان بن بشير فولّيته حِمْص ، ومَسْلَمة بن مُخَلَّد فولّيته مِصْر ، وعمرو بن سعيد فولّيته فِلَسْطين ، وفَضالة بن عبيد فولّيته القضاء ، ولو زادوني لزِدْتُهم ، ولأنا خيرٌ لهم من أبي بكر وعمر .

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن عَوانة وحدّثني العمري عن الهَيْثم بن عَديّ عن عَوانة وابن عَيّاش قالوا : ولّى معاوية زياداً العراق، فلمّا مات ولّى سَمُرة ثمّ ولّى بعده عبد الله بن عمرو بن غَيْلان بن سَلَمة بن المُحبّق، ثمّ ولّى عبيد الله بن زياد؛ وولّى الكوفة بعد زيادٍ الضَحّاكَ بن قيس الفِهْري، وكان زياد استخلف على الكوفة عبدَ الله بن خالد بن أَسِيد فأقرّه معاوية أشهراً ثمّ ولّى الضَحّاك، ثم ولّى بعده ابنَ أمّ الحَكَم، ثمّ النعمانَ بن بَشير.

حدثني العمري عن الهَيْثم عن ابن عَيّاش والمدائني عن مَسْلمة قالا : ولّى معاويةُ النعمانَ بن بَشير حَضْرَمَوْت فكتب إلى يزيد بن معاوية :

أبا خالدٍ لاتَتْركَنّي ببِلْدَةِ الـ ـقرودِ ونيرانُ الحَوادِثِ تَلْمَعُ
أبوكَ خليلي واصْطَفَيْتُكَ بَعْدَهُ على الناسِ ما كانوا معاً وتَصَدَّعوا

فكلّم معاوية في إعفائه، وولّاه الكوفة بعد ابن أمّ الحَكَم.



بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار الخوارج في أيام معاوية رحمه الله

أمر عبدالله بن أبي الحَوْساء الطائي أحد بني ثُعَل

قالوا: كان فَرْوَة بن نَوفَل الأشْجَعي اعتزل يومَ النَّهْروان في خمسمائة - وذلك الثبت، ويقال في ألف وخمسمائة - وقال: والله ماندري على أيّ شيء نقاتل عليّاً، ومضى حتّى نزل بناحية البَنْدَنيجَين والدَّسْكَرَة ثمّ أتى شَهْرَزور[1]، فلمّا بلغه صُلْحُ الحسن وولاية معاوية وقُدومه الكوفة قال لأصحابه: قد جاءَ من لانشكّ في أمره ولانرتاب بأنّ الحقّ في قتاله فقالوا: صدقت، وأقبل من شَهْرَزور ومعاوية بالنُخَيْلة، فعسكر بالنُخَيْلة بالقرب منه؛ وكان الحسن بن عليّ عليهما السلام قد شخص يريد المدينة، فكتب إليه معاوية يدعوه إلى قتال فَرْوَة، فلحقه رسولُهُ بالقادسيَّة أو فُوَيْقَها فلم يرجعْ، وكتب إلى معاوية: إنّي

١ - شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان. معجم البلدان.

لو آثرتُ أن أقاتل أحداً من أهل القِبْلة لبدأت بقتالك، فإنّي تركته لصلاح أمرِ الأمّة وأُلْفتَها وَحقْنِ دمائها، فأمسكَ معاوية؛ وبعث إليهم جماعةً من أهل الشام فهزمهم الخوارج، فندب معاويةُ أهل الكوفة لقتالهم وقال: لاأمانَ لكم عندي ولارِزْقَ أو تكفوني أمرهم، فخرج من أهل الكوفة بَشَرٌ كثير وعليهم خالد بن عُرْفُطَة العُذْري، فواقفهم وتراموا بالحجارة والنّبْل، وجاءت أَشْجَع إلى فَرْوَة فقالوا: هلمَّ نكلّمك، فاعتزل معهم، فوعظوه ثمّ حملوه حتّى أدخلوه الكوفة، وأخذت طيّء القَعْقاعَ بن نَفْر الطائي فأدخلته، وأخذ بنو شَيبان عِتْريس بن عُرْقوب فأدخلوه، وكان فَرْوَةجعل خليفته والقائمَ بأمرِ أصحابه إن حدث به حدثٌ عبدَ الله بن أبي الحَوْساء الطائي، وكان ممّن اعتزل يوم النهر في ثلاثمائة، وقدم الكوفة فبايعه الخوارجُ من أصحاب فَرْوَة بعد دخول فَرْوَة الكوفة وحَبْسِ قومِهِ إيّاه عندهم، فقاتل خالدَ بن عُرْفُطَة وأهل الكوفة فقُتِل ابن أبي الحَوْساء، قتله رجلٌ من بني تَغْلِب يقال له عبيد ابن جرير، وذلك في سنة إحدى وأربعين في شهر ربيع الأوّل، ويقال في جُمادى الأولى، وقُتل جُلُّ أصحابه؛ وكان ابن أبي الحوساء حين ولي أمْرَ الخوارج قد خُوّف من السلطان أن يصلبه إذا قتله فقال:

ما إنْ أُبالي إذا أَرْواحنا قُبِضَتْ ... ماذا فَعَلْتُمْ بأَوْصالٍ وأَبْشارِ
تَجْري المَجَرّةُ والنَسْرانِ عَنْ قَدَر ... والشَمْسُ وَالقَمَرُ الساري بمقدارِ
وقَدْ عَلِمْتُ وخَيْرُ القَولِ أَنْفَعُهُ ... أنَّ السَعيدَ الذي يَنْجو مِنَ النارِ

ويقال: انّ الشعر لفَرْوة بن نَوْفَل حين خرج على المغيرة بن شعبة.

أمر حوثرة بن وداع الأسدي:

قالوا: لمّا قُتل ابن أبي الحَوْساء اجتمعت الخوارج فولّوا أمرهم حَوثَرة بن وداع بن مسعود الأسَدي، وكان حَوْثَرة نازلاً ببَراز الرُّوز[1] من السَواد فلمّا قتل ابن أبي الحَوْساء قام فعاب فَرْوَة بن نَوْفل لشكّه في قتال عليّ، ثمّ دعا الخوارجَ واعتقد من بَراز الرُوز وسار في مائة وخمسين حتّى قدم النُّخَيْلة، وانضمّ إليه فلُّ ابن أبي الحوساء وهم قليل، فدعا معاويةُ أبا حَوْثَرة فقال: اخرجْ إلى ابنك فلعلّه يرقُّ إذا رآك، فأتاه أبوه فكلّمه وناشده وقال له: ألا أجيئك بابنك فلعلّك إذا رأيته كرهت فراقه؟ فقال: أنا إلى طعنةٍ من يد كافر برمح أتقلّبُ فيه ساعةً أشْوقُ منّي إلى ابني، فرجع أبوه إلى معاوية فأخبره بقوله، فقال: هذا عاتٍ؛ ووجّه معاويةُ عبدَ الله بن عوف بن أحمر في ألفَيْن، وخرج أبو حَوْثَرة فيمن خرج، فدعا ابنَهُ إلى البرازِ، فقال: ياأبتِ لك في غيري من القوم سعة فأعْفني منك، فقاتلهم ابن أحمر وصبر وصبروا، وبارز حَوْثَرةُ ابنَ أحمر فطعنه ابنُ أحمر فقتله وقتل أصحابه، إلا خمسين رجلاً دخلوا الكوفة، وذلك في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين. ونظر ابن أحمر إلى حَوْثَرة فرأى بوجهه أثرَ السجود قد غلب على وجهه، وكان صاحبَ صلاة وعِبادة، فندم على قتله وقال:

قَتَلْتُ أَخا بَني أَسَدٍ سَفاها لَعَمْرُ أَبيكَ ما لُقِّيتُ رُشْدي
قَتَلْتُ مُصَلِّيـا مِحْيـاءَ لَيْـلٍ طَويلَ الحُزْنِ ذا بِرٍّ وقَصْدِ

---

١ ـ براز الروز: من طساسيج السواد ببغداد من الجانب الشرقي. معجم البلدان.

قَتَلْتُ أَخا تُقى لأنال دُنْيا وذاك لِشَقْوَتي وعِثارِ جَدّي
فَهَبْ لي تَوْبَةً يارَبِ واغْفِرْ لِما قارَفْتُ مِنْ خَطَأ وعَمْدِ

ومضى معاوية إلى الشام واستعمل المُغيرةَ بن شعبة على الكوفة.

أمر فروة بن نوفل ومقتله:

قالوا: ثمّ إنّ فَرْوَة بن نَوْفَل الأشْجَعي اعتقد وخرج على المغيرة بن شعبة، فوجّه إليه المغيرة خيلاً عليها شَبَث بن رِبْعيّ ـ ويقال مَعْقِل بن قيس ـ فلقيه بشَهْرَزور فقتله، ويقال بل لقيه ببعض السّواد فقتله وقتل أصحابه.

أمر شبيب بن بجرة الأشجعي:

كان شَبيب مع ابن مُلْجَم حين قتل عليّا، ثمّ إنّه أتى معاوية وهو بالكوفة كالمتقرّب إليه فقال له: إنّي وابن مُلْجَم قتلنا عليّا، فوثب معاوية من مجلسه مذعوراً فَزِعاً حتّى دخل منزله، وبعث إلى أشْجع فقال: والله لئن رأيتُ شبيباً أو بلغني أنّه ببابي لأبيرنّكم، أَخرجوه عن بلدكم، وكان شَبيب إذا جَنَّ عليه الليلُ خرج فلم يَلْق صبيّاً ولا رجلاً ولاامرأة إلا قتله، فلمّا ولي المغيرة بن شعبة الكوفةَ خرج عليه شبيب بالقُف، فبعث إليه المغيرة خيلاً عليها خالد بن عُرْفُطة ـ ويقال مَعْقِل بن قيس ـ فواقعه فقتله وأصحابه. وقال الهَيْثَم: القُفّ بين باجَوًّا وسُورَا، وقال الكلبي: القُف بين زبارا وتَلّ بَوَنّا وذلك كله قريب من الكوفة. وقال رجل من ضَبّة كان معه:

إنّي أَدينُ بما دانَ الشُراةُ بِهِ يَوْمَ النُّخَيْلَةِ عِنْدَ الجَوْسَقِ الخَرِبِ

ويقال قيل ذلك بعده.

أمر مُعَيْن المحاربي:

قالوا: بلغ المغيرة أنّ مُعَيْن بن عبد المحاربي يريد الخروج عليه، وكان اسمه مَعْناً فصُغّر، فأرسل إليه فأتته الخيل وعنده جماعة، فنذروا بها فتفرّقوا، وأُخذ مُعَيْن ورجل من بني تميم فحبسهما المغيرة، وكتب إلى معاوية بخبرهما، فكتب إليه إنْ شهدا أنّي خليفة فخلِّ سبيلهما، إذ كانا لم يخرجا ولم يقتلا أحداً، فأمّا التميمي فشهدت بنو تميم أنّه مجنون فخلّى سبيله، وأمّا مُعَيْن فقال له: أشهدْ أن معاوية خليفة وأنّه أمير المؤمنين، فقال: أشهد أنّ الله حق ﴿وأنّ الساعة آتيةٌ لاريبَ فيها﴾[1]، قال: إنّك لمجنون، قال: وددت أنّي من صالحي الجنّ، قال: أتشهد وَيْحك بما قلتُ لك؟قال: أشهد أنّ تميماً أكرم من مُحارب، فقال رجل من بني هِلال يقال له قبيصَة: اسقني دمه، قال: دونك، فقتله؛ فلمّا كانت ولاية بِشْر بن مروان وقف رجل من خوارج الكوفة من أهل عُمان على حلقةٍ فيها قَبيصَة وهو في صدرها، فقال: مَن هذا؟ فقالوا: هذا قاتل مُعَين، فجلس على باب قَبيصة حتّى إذا خرج من منزله مشى معه ثمّ ضربه حتّى قتله، فلم يُعْرفْ له أثرٌ حتّى خرج مع شَبيب بن يزيد، فلمّا قدم الكوفة جعل ينادي: ياأعداءَ الله أنا قاتلُ قبيصة.

أمر أبي مريم مولى بني الحارث بن كعب:

قالوا: خرج مولى لبني الحارث بن كَعْب يقال له أبو مَرْيَم ومعه امرأتان قَطام وكُحَيْلة، وكان أوّلَ مَن أخرج معه النساء، فعاب عليه ذلك أبو بِلال

---

١ ـ سورة الحج ـ الآية: ٧ .

مِرْداس ابن أُدَيَّة، وكان أوَّلَ مَنْ كره خروجَ النساء، فقال: قد قاتلتِ النساء مع رسول الله صلّى عليه وسلّم، وقاتلن مع المسلمين بالشام، ولكنّي أردّهما، فردّهما، فوجّه إليه المغيرة جابراً البَجَلي[1] فالتقوا بِبَادورَيَا[2]، وجعل جابر يقول لهم: يافَسَقَة، ياأصحاب قَطام وكُحَيْلة، يعرّض لهم بالفجور، وجعل أصحابه ينادونهم بمثل ذلك، فقال: وَيْلكم إنَّ الله يقول، ﴿ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أُولَئك كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا﴾[3] وقاتلهم فقتلهم.

أمر أبي ليلى الخارجي:

قالوا: وأتى أبو لَيْلى، وكان أسود طويلاً، مسجدَ الكوفة وفيه عدّة من الاشراف، فأمسَك بعِضادَتي بابٍ من أبوابه، وحكَّمَ بصوتٍ جهير سمعه أهل المسجد، فلم يعرِضْ له أحد، فخرج واتّبعه ثلاثون راكباً من الموالي، فبعث إليه المغيرة بن شعبة مَعْقِلَ بن قيس الرياحي أو غيره، فقتله بسَواد الكوفة سنة اثنتين وأربعين.

وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى: جاء أبو لَيْلى مولى بني الحارث، فحكّم في عدّةٍ فقتلهم الشُرَط، وكان قد دبَّر أمراً فلم يتمّ له.

---

١ ـ بهامش الأصل: «الجعفي».

٢ ـ طسوج بالجانب الغربي من بغداد.

٣ ـ سورة الاسراء ـ الآية: ٣٦.

أمر حيان بن ظبيان وأمر المستورد بن عُلَّفة:

كان حَيّان ممَّن ارْتُثَّ يوم النَهْر من الأربع المائة الذين عفا عليّ عنهم ودفعهم إلى قومهم، وكان مجتهداً، فمكث في منزله شهراً أو نحوه، ثم خرج إلى الريّ لقتال الدَيْلَم في رجالٍ يرون رأيه، فلمّا بلغه مقتلُ عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام دعا أصحابه إلى الرجوع إلى الكوفة، فأجابوه وفيهم سالم بن ربيعة العَبْسي، وقال وكان شاعراً:

خَليلَيَّ ما بي مِنْ عَزاءٍ ولا صَبْرِ ... ولا إرْبَةٍ بَعْدَ المُصابينَ بِالنَهْرِ
سِوَى نَهَضاتٍ في كتائبَ جَمَّةٍ ... إلى الله ماتَدعْو ولله مانَفْري
إذا جاوَزَتْ قُسْطانَةَ الريّ بَغْلَتي ... فَلَسْتُ بِسارٍ نَحْوَها آخِرَ الدَهْرِ[1]

فلمّا ولي المغيرة بن شعبة الكوفة اجتمع سالم بن ربيعة والمُسْتَوْرِد بن عُلَّفة التَيْمي ـ تَيْم الرباب ـ ومُعاذ بن جُوَيْن الطائي وعِتْريس بن عُرْقوب وغيرهم إلى حَيّان في منزله ليتشاوروا فيمَن يولّون أمرهم ، ليخرجوا مُنْكرين للجَوْر والظُلْم ، ودعوه إلى تولّي أمرهم فأبى ، ودعوا مُعاذ بن جُوَيْن إلى ذلك فأبى ، ورضي حَيّان ومُعاذ بالمُسْتَوْرِد بن عُلَّفَة ، فبايعاه وبايعه القوم في جمادى سنة ثلاث وأربعين ، وعزموا على الخروج في غُرّة شعبان سنة ثلاث وأربعين . وأقبلوا يتجهّزون ، فأتى شَمِرُ بن جَعْوَنة الطائي قَبيصَة بن الدَمّون وهو على شُرطة المغيرة فأخبره ، فأنهى ذلك إلى المغيرة ، فوجّه إليهم خيلاً وبلغ المُسْتَوْرِدَ فأمر أصحابه فتفرّقوا وغيّبوا ما عندهم من السلاح وتغيّب ،

---

١ ـ ديوان شعر الخوارج ـ جمع وتحقيق د. احسان عباس، ط. بيروت ١٩٨٢ ص٥٨ .

فلمّا هجم رسلُ المغيرةِ في منزل حَيّان لم يجدوا هناك شيئاً من السلاح ، ولم يجدوا إلاّ سالمَ بن ربيعةَ وحَيّان بن ظَبْيان ومُعاذ بن جَوْين ، فقال المغيرة لحَيّان : ما هذا الذي بلغني ؟ فقال سالم ومُعاذ : كنّا نأتي حَيّان فنقرأ عنده ، فحبسهم نحواً من سنة ، وكانت الخوارجُ تختلف إلى المُسْتَوْرِد وهو ينزل في عبد القيس ، ويقال إنّه خرج فنزل قصر العَدَسيْين بالحيرة مستتراً ، فاطّلع حَجّار بن أَبْجر على بعض أمره ، فخافه فنزل على سُلَيْم بن مَحْدوجٍ أحدِ بني سَليمَة وهو صِهْره ، وأتى حَجّارٌ المغيرةَ فأخبره بما سقط إليه واطّلع عليه ، فتواعد المُسْتَوْرِد وأصحابه سُورَا[1] ، ووافاه ثلاثمائة وعزموا على إتيان المدائن ، وبلغ المغيرةَ خبرهم ، فوجّه إليهم مَعْقِلَ بن قيس الرياحيّ في ثلاثة آلاف ، وكان المنتدب لهم ، فقال له المغيرة . سِرْ أبا زُمَيْلة راشداً حتّى تكفيني هذه المارقة ؛ وقال له صَعْصَعَة بن صوحان : ابعثْ بي إليهم فإنّي لدمائهم مُسْتحل وبحملها مستقلٌّ ، فقال له المغيرة : اجلسْ فإنّك خطيب . وندب المغيرة مع مَعْقِل مَن عرف من الشيعة ، وأتى المُسْتَوْرِد مدينة بَهُرَسِير[2] فمنعه عُبَيْد بن سِماك بن الحزّان بن حصين العَبْسي - ويقال بل منعه سِماك بن عُبَيْد بن سِماك بن الحزّان - من العبور إلى المدينة العتيقة ، وأمر بالجسر فقطع ، وسار المُسْتَوْرِد من الجانب الغربي حتّى عبر إلى جَرْجَرايا ، ثمّ أتى المَذار ، وأقبل مَعْقِل إلى المدائن على مقدّمته أبو الرُّوَاعِ الشاكريّ من هَمْدان في ثلاثمائة ، فالتقى أبو الرّوَاع والمُسْتَوْرِد فاقتتلا ، وأبو الرواع يقول :

---

١ - سورا : موضع بالعراق من أرض بابل ، قريبة من الحلة المزيدية . معجم البلدان .
٢ - من نواحي سواد بغداد ، قرب المدائن . معجم البلدان .

إنَّ الفَتَى كُلَّ الفَتَى مَنْ لَمْ يَهَلْ
إذا الجَبانُ حادَ عَن وَقْعِ الأَسَلْ
أنا أَبو رُوَاعِ الشَهْمُ البَطَلْ

وقاتل قليلاً ثم انهزم فلحق بمَعْقِل ، وانحاز المُسْتَوْرِد إلى المَذار واتّبعه مَعْقِل ، ووجّه عبدُالله بن عامر من البصرة شَريكَ بن الأَعْوَر في ثلاثة آلاف فيهم خالد بن مَعْدان لأنّه من شيعة عليّ ، فنزل على فرسخٍ من عسكر المُسْتَوْرِد ، فقال المُسْتَوْرِد : ليس الرأي أن نقيمَ بين جندَيْن ، فارتحل نحو المدائن ، وانصرف شريك إلى البصرة ، وواقع مَعْقل الخوارجَ بِجَرْجَرايا فقاتلهم أشدّ قتال ، وكان معه مِسْكين بن عامر بن أُنَيْف الدارِمي الشاعر ، فقاتل يومئذٍ قتالاً شديداً عُرِفَ به موقفه ، وأتى الخوارج ساباطَ ، ونزل مَعْقِل دَيْلمايا[1] فأقام يومَيْن ، ثمّ لقي المُسْتَوْرِد وأصحابه فدعاه إلى المبارزة ، فبرز له مَعْقِل ، فاختلفا طعنتَيْن فمات مَعْقِل والمُسْتَوْرِد جميعاً ، ويقال إنّ المُسْتَوْرِد طعنَ مَعْقِلاً فأنفذ رمحه في صدره ، وضربه مَعْقِل بالسيف على رأسه فخرّا ميّتَيْن . فلمّا قُتل مَعْقِل أخذ الرايةَ عمرو بن مُحْرِز بن شِهاب المِنْقَري فقتل أصحاب المُسْتَوْرِد فلم ينجُ منهم إلاّ خمسةُ نفر ، وكان مقتلهم في شعبان سنة ثلاث وأربعين ، ويقال في شهر رمضان ، وكان من رجز مِسْكين بن عامر الدارِمي يومئذٍ :

أَضْرِبُهُمْ وَلو أَرَى مُسْتَوْرِدا
تَرَكْتُهُ بِالقاعِ يَكْبو مُقْصَدا[2]

---

١ ـ هي قرية من قرى استان بهرسير إلى جانب دجلة . تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

٢ ـ لم يرد هذا الرجز في ديوان مسكين الدارمي المطبوع .

وأوفد المغيرة مِسكيناً وأبا الرّواع إلى معاوية ، فوصلهما وزاد في إعْطائهما ، فقال جَرير بن عَطيّة :

ومِنّا فتَى الفِتْيانِ والجودِ مَعْقِلٌ ومِنّا الذي أرْدَى بِدِجْلَةَ مَعْقلا[1]

يعني المُسْتَوْرِد .

وقال عمر بن لَجَأ التَّيْمي :

ونَحْنُ قَتَلْنا مَعْقِلاً يَوْمَ دِجْلَةٍ بمُرْهَفَةٍ تُفْلى بهِنَّ الجَماجِمُ

وقال أيضاً :

نَحْنُ قَتَلْنا مَعْقِلاً وتَداءكت[2] بنا الحَرْبُ إذْ هابَ الجَبانُ وَعَرَّدا

وقال مُعاذ بن جوين وهو محبوس في أبيات له :

ألا أيُّها الشارونَ قَد آنَ لامْرِئٍ شرَى نَفْسَهُ لله أَنْ يَتَرَحَّلا
أقيمُ بِدارِ الخاطِئينَ جَهالَةً وكُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ يُصارُ لِيُقْتَلا
ألا فَاقْصِدوا يا قَوْمِ لِلغايَةِ التي إذا ذُكِرَتْ كانَتْ أَبَرَّ وأَعْدَلا
ألا لَيْتَني فيكُمْ عَلَى ظَهْرِ سابحٍ شَديدِ القُصَيْري دارِعا غَيْرَ أَعْزَلا
فلَوْ أنّني فيكُمْ وقَدْ قَصَدوا لَكُمْ أُثِرْتُ إذاً بَيْنَ الفَريقَيْنِ قَسْطَلا[3]

أمر معاذ بن جوين الطائي :

قالوا : أخرج المغيرة مُعاذاً ، فأشار عليه حَيّان بن ظَبْيان أن يخرج مُنْكراً للجَوْر ، فخرج في ثلاثمائة ببانِقيا ، وهي في حدّ الكوفة ، فوجّه إليهم

---

١ - ديوان جرير - ط . دار صادر ، بيروت ص ٣٣٩ .
٢ - تداءكت : تدافعت . ديوان عمر بن لجأ - ط . الكويت ١٩٨١ ص ٨٣ مع فوارق .
٣ - ديوان شعر الخوارج ص ٥٩ .

المغيرة بن شُعْبة أبا الرّواع الهَمْدانيّ ثمّ الشاكري ، وعمرو بن مُحْرِز بن شِهاب المِنْقَري في ألف وثلاثمائة ، فقُتل مُعاذ وأصحابه بِجوخى ، وقال مُعاذ حين دهمه الناس : إنّا لقليل عددنا ولكنّا نجاهد عدوّنا فنقتل منهم مَن قتلنا ثم نستشهدَ .

أمر سهم بن غالب الهجيمي والخطيم وعياذ بن حصن[1] :

قالوا : خرج على عبدالله بن عامر بالبصرة سَهْم بن غالب الهُجَيْمي في أيّام معاوية ، وكان سَهْم من المستبصرين في رأيه ، وهو أوّل مَن سمّى أهل القبلة بالكفر ، ولم تكن الخوارج قبله تقطعُ بالشهادةِ في الكفر والإيمان ، وكان خروجه في سنة أربع وأربعين في سبعين رجلاً فيهم الخطيم الباهلي ، وهو يزيد بن مالك أحد بني وائل ، وإنّما سمّي الخَطيم لضربةٍ ضُربها على وجهه ، فنزلوا بين الجِسْرَيْنِ بالبصرة ، فصلّى بهم سَهْمٌ الغداةَ ، ومرَّ بهم عُبادة بن قُرص اللَّيْثي ومعه ابنه وابن أخته فأنكروهم فقالوا : مَن أنتم ؟ فقالوا : قوم مسلمون ، قالوا : كذبتم ، فقال عُبادة : سبحان الله اقبلوا ما قبل النبيّ ﷺ منّي ، قالوا : وما قبل منك ؟ قال : كذّبتُه وقاتلته ثمّ أتيته فقلتُ : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله فقبل ذلك ، قالوا : أنت كافر ، وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخته ، فخرج إليهم ابن عامر بنفسه ، فقاتلهم فقتل منهم عِدّة ، وانحازت بقيّتهم إلى أَجَمَةٍ ، وفيهم سَهْم والخَطيم ، فعرض عليهم ابن عامر الأمانَ فقبلوه فآمنهم فرجعوا ، وكتب إليه معاوية

---

١ ـ هو عباد بن حصين في تاريخ خليفة ـ ط . دمشق ٩٦٧ ج ١ ص ٢٦٤ .

يأمره بقتلهم فكتب إليه ابن عامر : إنّي قد جعلت لهم ذِمّتك ؛ فلمّا قدم زياد البصرة في سنة خمس وأربعين خاف سَهْم والخَطيم أن لا يُنفذ لهما أمان ابن عامر ، فخرجا إلى الأهواز ، فاعتقد بها سَهْم ودعا قوماً فأجابوه ، وأقبل يريد البصرة فأخذ قوماً ، فقالوا : نحن يهود فخلّاهم ، وأخذ سعداً مولى قُدامة بن مَظْعون الجُمَحي فقتله ، ثمّ أتى البصرة وقد تفرّق عنه أصحابه فاستخفى ـ ويقال إنَّ أصحابه تفرّقوا بعد استخفائه ـ فطلب الأمان ورجا أن يسوغ له عند زياد ما ساغ له عند ابن عامر ، وبعث بأمان ابن عامر إليه فلم يُؤمنه ، وبحث زياد عنه فدُلّ عليه ، فأخذه فقتله وصلبه في داره ـ ويقال انّه استخفى حتّى مات زياد فدُلّ عليه عبيدُ الله بن زياد فقتله وصلبه ـ فقال رجل من الخوارج :

فإنْ يَكُنِ الأحُزابُ باؤوا بِصَلْبِهِ فَلا يُبْعِدَنَّ الله سَهْمَ بنَ غالِبِ

وكان قتل سَهْم في سنة أربع وخمسين ـ ويقال قبل ذلك ـ وسأل زياد الخَطيم وقد أُخِذ وأُتي عن قتل عُبادة بن قُرْص فأنكر ذلك ، فسيّره إلى البَحْرَيْن ، ثمّ إنّه أذن له بعد ذلك لأنّه لمّا أراد رسولُ زيادٍ الشخوصَ من البَحْرَيْن قال له : أبلغْ زياداً أنّه لي ظالم . ولمّا صار الخطيم إلى البصرة قال له زياد : أقمْ في منزلك ، وأمر مسلم بن عمرو أبا قُتَيْبة أن يتفقّده وقال : إن غاب عن منزله ولم يبتْ فيه ليلةً واحدةً فما فوقها فأعلمْني ذلك ، فغاب عن منزله ليلةً من الليالي ، وعلم به مسلم بن عمرو فأتى به زياداً فسأله أين بات ؟ فقال : أدْنِني منك أُخبرْك ، فقال زياد : إنْ كنتَ تريدُ أن تُسرّ إليّ شيئاً فأسِرَّه إلى مسلم بن عمرو ، فقال : والله لو أدنيتَني لقطعتُ أنفك لو أمكنني ذلك ، فأمر بقتله فقُتل وأُلقي في باهلة ، فحملته امرأة يقال لها عَمْرة

فدفنته ، وأخذ زياد امرأتَيْن أرادتا الخروج مع الخَطيم يقال لهما:أراكة ، وأمّ سريع ، فقتلهما ، فقال رجل يعيب باهلة :

لَعَمْري لَقَدْ أَخْزَتْ أَراكَةُ قَوْمَها   وما قَصَدَتْ لِلديّنِ أُمُّ سَرِيعِ

واستعمل زياد على المسجد وباب عثمان[١] شَيْبان بن عبدالله السَعْدي صاحب مقبرة شَيْبان ، وهو أحد بني ربيعة[٢] بن كَعْب بن سَعْد بن زيد مَناة بن تميم ، ففتك به قومٌ من الشُراة وهو على باب داره وقتلوا ابناً له ، وكان رئيسهم عَبّاد بن حُصين ، وذلك في سنة سبع وأربعين ، وكان شَيْبان شديداً عليهم ، فخرج إليهم بِشْر بن عُتْبة التَميمي في الشرط فقاتل الخوارج فقتلهم ، فقال الفرزدق :

لَعَمْرُكَ ما لَيْثٌ بِخَفّانَ خادِرٌ   بأَشْجَعَ مِنْ بِشْرِ بنِ عُتْبَةَ مُقْدِما
أَباءَ بِشَيْبانَ النّؤوم وقَدْ رَأى   بَني فاتِكٍ هابوا الوَشيجَ المُقَوَّما[٣]

وبنو فاتك قومه . وكان زياد إذا أخذ رجلاً من الخوارج قال : اقتلوه متّكئاً كما قُتِل شَيْبان متّكئاً ، وكان زياد يبعث إلى الرجل من قَعَد الخوارج فيعطيه ويكسوه ويقول :

ما أراه منعك من إتياننا إلاّ الخَلّة والرُّجْلَة .

---

١ ـ باب عثمان بالبصرة .
٢ ـ بهامش الأصل : «زمعة» .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٥٨ .

أمر حارثة بن صخر القيني :

قالوا : كان معاوية سيّر حارثة بن صَخْر إلى مصر ، فلقي قوماً من الخوارج فأمالوه إلى رأيهم فصار خارجيّاً ، وقدم العراق فأراد الخروج على زياد وتأهب لذلك ، فبلغ ذلك زياداً فطلبه فهرب وقال :

تَمَنّـاهـا لِيَلْقـانـا زِيـادٌ سَفاهاً والمُنَى طُرَفُ الضَلالِ
فَقُلْنا يا زِيـادُ دَعِ الهُوَيْنـا وشَمِّرْ لا أَبا لَـكَ لِلقِتالِ
فـإنّـا لا نَفِـرُّ مِنَ المَنـايـا ولا نَنْحاشُ مِن ضَرْبِ النِصالِ
ولكِنّـا نُقيمُ لَكُم طِعـانـاً وضَرْباً يَخْتَلي هامَ الرِجالِ[١]

فبعث زياد في طلبه شُعَيْبَ بن زيد ين السائب ، فدخل بلاد قُضاعة فلم يقدرْ عليه لأنّهم منعوه ، وكُلّم فيه معاوية فآمنه ، وكتب إلى زياد في الكفّ عنه فكفّ ، ومضى مع مسلم بن عقبة إلى المدينة فقُتل يوم الحَرَّة ؛ وقال حين هرب :

سَنُلْقِحُ حَرْباً يا بْنَ حَرْبٍ شَديدَةً ونَنْتِجُها يَتْناً[٢] بِسُمْرٍ ذَوابِلِ
فما لِزِيادٍ يَحْرُقُ النابَ ظالِماً عَلَيَّ فإنَّ اللهَ لَيْسَ بِغافِلِ[٣]

في أبيات .

أمر قريب بن مرة وزحاف بن زحر الطائي :

قالوا : ثمّ خرج قُرَيْب بن مُرّة الأزْدي ، وزَحّاف بن زَحر الطائي وهما ابنا خالة في ثمانين ـ ويقال في ستّين ، ويقال في سبعين ـ وأرادوا أن يولّوا

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٦١ .
٢ ـ اليتن : أن تخرج رجلا الجنين قبل رأسه . القاموس .
٣ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٦١ .

زحّافاً أو قُرَيْباً فلم يَفْرُقْ لهم الرأي في ذلك حتّى بلغ زياداً خبرهم ، فبعث إليهم الشُرَط ، فقالوا : نقاتل يومنا هذا ، فإن سلمنا أُمَّرْنا قُرَيْباً أو زحّافاً ، فقال بعضهم : لا قتالَ إلاّ مع إمام ، فصيّروا قُرَيْباً إمامهم .

وقال بعض الرواة : صيّروا إمامهم زحّافاً ، وخرجوا يستعرضون الناسَ ، ويقتلون مَن لقوا ، وكانوا يدينون بالاستعراض ، وكان خروجهم بناحية جبّانة بني يَشْكُر ، وذلك في شهر رمضان ، فقال أبو بلالٍ مِرْداسُ بن أُدَيّة : قُرَيْب [لا] قرّبه الله من كلّ خير وزحّاف [لا] عفا الله عنه ، لقد ركباها عَشْواءَ مُظْلِمةً ، يقول : لاستعراضهما ، فقتلوا رجلاً من بني ضُبَيْعة يقال له حكاك رآهم فظنّهم مع صاحب الشُرَط ، وقتلوا غيره ، وضربوا رجلاً من بني قُطَيْعة فصار أَضْجَم[1] ، وأتوا مسجد بني قُطَيْعة فأخذوا بأبوابه حتّى هرب الناس ووثبوا الجُدُر ، وصعد رجل المنارة فنادى : يا خيل الله اركبي ، فأنزلوه وقتلوه ، وخرج بُكَيْر بن وائل الطاحي من الأزد وقد اتّقاهم بطَيْلسانٍ له فقطعوه بأسيافهم ، ثمّ نجا ، وأتوا بني راسب فقاتلوهم ، وكان حَجّار بن أبْجر العِجْلي بالبصرة قد قدمها من الكوفة في حاجة ، فضربوه فصُرِع ، وحامى عليه شَقيق بن ثَوْر السَدوسي فنجا ، فقال العُدَيْل بن فَرْخ العِجْلي :

ونَجَّيْتَ حَجّارَ بنَ أبْجَرَ بَعْد ما بَدَتْ لِلحَروريّينَ مِنه مَقاتِلُهْ
وإنَّ بَني ثَوْرٍ إذا ما لَقيتَهُمْ لَهُمْ زُبْرتا[2] مَجْدِ العِراقِ وكاهِلُهْ

---

١ ـ الضجم : عوج في الفم ، والشدق ، والشفة ، والذقن ، والعنق . القاموس .
٢ ـ الزبر : القوي الشديد ، والعقل ، والكلام ، والصبر . القاموس .

ونادى حجّار : يا بني راسب جئت لأنصركم أفأُقتل بينكم ؟! فقالوا : لابأس عليك يا أبا الفضل ، وحموه حتّى ركب ، وجاءت الشُّرَط - وكان الشُّرَط خمسمائة - فقاتلوهم مع بني راسب حتّى اضطروهم إلى دار فحصروهم فيها، وكان عبّاد بن الحُصين الحَبَطي مستخفياً لأنّ زياداً غضب عليه ، فأتاهم مع الفَجْر فدخل الدار ودخل الناس معه ، وقصد لقَرَيْب فاجتلدا ، وضربه عَبّاد فصرعه وقتله ، وقُتل الباقون في الدار ، وبعث عَبّاد برأس قُرَيْب إلى زياد فرضي عنه ، وكان خليفة زياد يومئذ بالبصرة عبيدَ الله بن أبي بَكْرة ، وكان زياد بالكوفة يومئذ ، فلمّا قدم زياد البصرة رأى مع الشُّرَط رماحاً قصاراً فقال : أراكم تُحضرون برماح كأنّها أيدي الجِداء . وصُلب قُرَيب وزحّاف وناس من أصحابهم ، فجاءت جارية لقوم من الخوارج فقالت : سلام الله ورحمته ﴿عليكم طِبْتم فادخلوها خالدين﴾[1] ، فأمر زياد فصُلبت معهم ، وقال زياد : أيّ خارجةٍ خرجت في قبيلة فلم تقاتلْها كما فَعَلَتْ بنو راسب حرمتُهم العطاء وأجليتُهم ، وسيّر زياد أهل قُرَيْب وزحّاف ، وحمل نساءً من نساء مَن خرج معهما في البحر ، ووهب امرأة زحّافٍ لشَقيق بن ثْور ، وامرأة قُرَيْب لعَبّاد بن الحُصين ، فردَّها عبّاد إلى أهلها وكساها .

ومرض بُكَيْر بن وائل من جراحه فكان الناس يعودونه ، ويدخل النساء على أهله يسألن به ، فقال :

غَناءٌ قَليلٌ عَنْ بُكَيْرِ بْنِ وائِلٍ   تزمّر أُسْتاهِ النِساءِ العَـوائِد

---

١ - سورة الزمر- الآية : ٧٣ .

وقال أيضاً :

عَشِيَّةَ لَوْلا الطَيْلَسانُ لَقُطِّعَتْ طوابِقُ مني أَوْ يَميني لَشلَّتِ
عَشِيَّةَ قالوا إنَّما القَوْمُ شُرْطَةٌ وتِلْكَ حَرُورِيُّو البلادِ استَقَلَّت
وهل هيَ إلّا عُصْبَةٌ سَبَئِيَّةٌ دَعاها مُضِلٌّ لِلهَوَى وأَضَلَّتِ

وأُتي زياد بأمرأة فصلبها وعرّاها وقال : أيّتما امرأة خرجت فعلتُ بها مثل هذه ، فكفَّ النساء عن الخروج خوفاً من أن يُعَرّين .

وحدثني بعض البصريّين عن أبي عُبيدة قال : مرّ أصحاب قُرَيب وزَحّاف ببني عليّ وفيهم رماة فرموهم فقالوا لهم : يا بني عليّ لِمَ ترمونا ؟ خلّوا لنا طريقنا ، فقال رجل من أهل عُمان :

يَقولُ لَنا الزَحّافُ خَلُّوا طَريقَنا فَقُلْنـا لَهُ لا وآلإلـهِ نَريمُ

أمر زياد بن خراش العجلي :

قالوا : وخرج على زياد بالكوفة زياد بن خِراش العِجلي في سنة اثنتين وخمسين في ثلاثمائة ، فأتى الأخيونية[1] من أرض مَسْكِن بالسَواد ، فسرّح إليه زياد خيلاً عليها سعد بن حُذَيْفة أو غيره ، فقتلوا وصاروا إلى ماه[2] .

---

١ ـ كذا وفي معجم البلدان الأخنونية : موضع من أعمال بغداد ، قيل هي حربي .
٢ ـ الماه : قصبة البلد ، ومنه قيل : ماه البصرة ، وماه الكوفة ، وماه فارس . معجم البلدان .

أمر معاذ الطائي الثاني :

قالوا : وخرج على زياد رجل من طيّء يقال له مُعاذ ، فأتى نهر عبد الرحمن ابن أمّ الحَكَم في ثلاثين رجلًا ، في سنة اثنتين وخمسين ، فبعث إليه زياد مَن قتله وأصحابه ـ وقال بعض الرواة : بل حلّ لواءه واستأمن ـ ويقال لهم أصحاب نهر عبد الرحمن ابن أمّ الحَكَم .

خبر طَوّاف بن عَلّاق وعقبة بن الورد الجاوي وأصحاب الجدار في ولاية ابن زياد :

قالوا : كان قوم من الخوارج يجتمعون إلى جِدار فيتحدّثون عنده ويعيبون السلطان ، فأخذهم عبيدالله بن زياد فحبسهم ، ثم دعا بهم فعرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً ويخلّي سبيلهم ، فقتل اثنا عشر رجلاً منهم اثني عشر رجلاً من أصحابهم ، قتل كلُّ رجل رجلاً ، وكان ممّن قَتَلَ طَوّاف بن علّاق وأوْس بن كَعْب ، فعذلهم أصحابهم وقالوا : قتلتم إخوانكم ، قالوا : أُكْرِهنا وقد يُكْرَهُ الرجلُ على الكفرِ وهو مطمئنٌّ بالإيمان ، وكان حُجَيْر الباهلي أتى الحيَّ وقد أصابه نَضْح دم من دماءِ الخوارج المقتولين، فقيل له: ماهذا؟ فقال: قتل الأمير اليوم هؤلاء الكلابَ فأصابني من دمائهم ، فأتى عُقْبة بن الوَرْد الباهلي منزلَه واشتمل على سيفه ، وكان يري رأيَ الخوارج ، فحكّم وقتل حُجَيْراً فأُخذ فقُتل ، وندم طَوّاف وأصحابه فقال طَوّاف : أما من توبة ؟ فكانوا يبكون ؛ وعرض وأصحابه على أولياء مَن قتلوا القَوَد فأبوا ، وعرضوا الدّياتِ فأبوها ، ولقي طَوّاف الهثّاث بن ثَوْر السَدوسي فقال له : يا بن عمّ أما ترى لنا من توبة ؟ قال : ما أجد لك إلاّ

آيةً من كتاب الله قوله : ﴿ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] فدعا طَوّافُ أصحابَهُ إلى الخروج وإلى أن يفتكوا بابن زياد فبايعوه وذلك في سنة ثمان وخمسين ، وكانوا سبعين رجلاً في عبد القيس ، فسعى بهم رجل من أصحابهم إلى ابن زياد ، وبلغ طوّافاً ذلك فقال : إنّا مأخوذون فعجّلوا الخروجَ ، فخرجوا من ليلتهم فقتلوا رجلاً من بني ضُبَيْعة ومضوا إلى الجَلْحاءِ[2] ، فندب عبيدالله الشُّرَطَ والبُخاريّة ، فأتوهم وواقعوهم ، فهزموا الشرطَ والبُخاريّة حتّى دخلوا البصرة واتّبعوهم ، وذلك في يوم الفِطْر ، فكثرهم الناس فقاتلوا فقُتلوا ، وبقي طوّاف في ستّة ، وعطش فرسه فاحتمله واقتحم به الماء ، فرماه البخاريّة بالنشّاب حتّى قتلوه ، فأمر به ابنُ زياد فصُلب ، وجاء عند المساء ابنٌ لأخيه بَيْهس وبعض آل عَلاق فاحتملوه ودفنوه ، فقال شاعر منهم بعد ذلك :

يا رَبِّ هَبْ لي التُقى والصِدْقَ في ثَبَتٍ ... وآكفِ المُهِمَّ فأنتَ الرازِقُ الكافي

حَتَّى أبيعَ الذي يفنى بآخِرَةٍ ... تَبْقَى ، على دينِ مِرْداسٍ وطَوّافِ

وكَهْمَسٍ وأبي الشَعْثاءِ إذْ نَفَروا ... إلى آلإلهِ وذي الإخبْاتِ زَحّافِ[3]

في قصيدة .

---

١ ـ سورة النحل ـ الآية : ١١٠ .

٢ ـ تحدث ياقوت في معجم البلدان عن جلحاء على أنه موضع على ستة أميال من الغوير المعروف بالزبيديه بين العقبة والقاع ما أراه المقصود هنا .

٣ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٧٣ ـ ٧٤ .

وقال عيسى الخَطِّي للهَنْهات في قصيدة له :

فَجَهِلْتَ طَوّافاً وَزَيَّنْتَ فِعلهُ ... فَأَصْبحَ طَوّافٌ يُمزِّقُ بالنَبْلِ
فَقُلْ لعُبَيْدِ الله إنْ كُنْتَ طالِباً ... ذَوِي الغِشِّ والبغضاء واللُؤمِ والبُخْلِ
فَدونَكَ أَقْواماً سَدوسٌ أَبوهُمْ ... فَإِنَّ سَدوساً آفَةُ الدينِ والعَقْلِ [1]

وطلب ابنُ زياد بعضَ أولئك الخوارج ، فترك مجالسَة إخوانه وقال :

ما زالَ بِي صَرفُ الزَمانِ ورَيْبُهُ ... حَتَّى رَفَضْتُ مَجَالِسَ الفِتْيانِ
وأَلِفْتُ أَقْـواماً لِغَـيْرِ مَـوَدَّةٍ ... وهَجَرْتُ غَيْرَ مُفارقٍ إِخْواني
وأَفَضْتُ في لَهوِ الحَديثِ وهُجرِهِ ... بَعْـدَ اعْتِياد تِـلاوةِ القُـرْآن

وحدثني العمري عن الهَيْثم بن عَدي قال : كان قوم يجتمعون إلى جِدار في بني حَنيفة ، فإذا أتاهم رجل ليس منهم قالوا له : يا عبد الله آلحق بإخوانك ، فبلغ ذلك ابنَ زياد فبعث قوماً فأخذوهم ، وفيهم نافع بن الأزرق الحَنَفي ، فأُخذوا فحُسبوا وقُتل بَعْضهم ، وكُلّم في بعض فأخرجهم فقال بعد ذلك رجل منهم :

ما كان في دينِ طَوّافٍ وإخوتِهِ ... وأَهْلِ الجِدارِ حِراثُ القُطْنِ والعِنَبِ

أمر أبي بلال مرداس بن أدية :

قالوا : كان أبو بِلال مِرْداس بن أُدية ، وهي أمّه ، وأبوه حُدَيْر بن عمرو بن عبيد بن كعب ، أحد بني ربيعة بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وأمّه من محارب بن خَصَفَة ، وكان عابداً مجتهداً عظيم القدر

---

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٦٩ .

في الخوارجِ ، وشهد مع عليّ صفّين فأنكر التحكيم ، وشهد مع الخوارج النّهْروان ، وكانت الخوارج كلّها تتولّاه ، وسمع زياداً يقول : لآخذنّ البريء بالسقيم والجار بالجار ، فقال : يا زياد إنّ الله يقول : ﴿ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1] فحكم الله خير من حكمك ، فقال زياد : إنّا لا نصل إلى ما نريد إلّا ببعض الإغماض .

وكان غَيْلان بن خَرَشة ذكر الخوارج فعابهم ، فقال له مْرداس : ما يؤمنك يا غَيْلان أن يلقاك بعضُ مَن عِبْتَ وتنقَّصْتَ فَيُنْدِرُ أكثرَك شَعْراً ، فقال له : أذكرك الله يا أبا بِلال والله لا أذكرهم بسوءٍ أبداً .

ورأى مرّةً ابنَ عامر وعليه قَباءٌ أنكره فقال : هذا لباس الفسّاق ، فقال أبو بكرة : لا تقلْ هذا للسلطان فإن مَن أبغض السلطان أبغضه الله .

وكان أبو بلال لا يدين بالاستعراض ، ويحرِّم خروج النساء ويقول : لا نقاتل إلّا مَن يقاتلنا ولا نَجْبي إلّا ما حَمَيْنا ، وردَّ امرأة خرجت معه ، وكانت الثَّبْجاءُ إحدى بنات حَرام بن يَرْبوع من تميم تحرّض على عبيدالله بن زياد وتذكر تجبّره وسوء سيرته وفعْله ، وكانت من مخابيت[2] الخوارج ، فذكر ابن زياد الثَّبجاءَ ، فأعلم غَيْلانُ بنُ خَرَشَة أبا بلالٍ بذلك ، فقال لها أبو بِلال : إنّ الله قد جعل لأهل الإسلام سعةً في التقيّة ، فإن شئتِ فتغيّبي فإن هذا الجَبّار المُسرف على نفسه قد ذكركِ ، فقالت : أكره أن يلقى أحدٌ مكروهاً بَسببي إن طلبني ، فأخذها ابن زياد فقطع يَدْيها ورِجْلَيْها ، ومرّ أبو بِلال

---

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٦ .

٢ ـ بالأصل : «مخانيث» وهو تصحيف واضح .

فنظر إليها في السوق فعضَّ على لحْيته وقال : هذه أطيبُ نفساً بالموت منك يا مِرْداس ، ما من مِيتَةٍ أموتها أحبّ إليّ من ميتة الشَّبْجاءِ كل منية سوى منية الشبجاء ظُنونٌ .

ومرّ أبو بلال ببعير قد هُنِيءَ فلمّا رأى القَطِران غُشي عليه ثم أفاق ثم تلا ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ﴾[1] . وألح ابن زياد في طلب الشراة فملأ منهم السجن ، وأخذ الناس بسببهم ، وحبس أبا بِلال ، فكان السجان يأذن له في الانصراف إلى منزله بالليل لِما رأى من عِبادته . وعزم ابن زياد على قتل مَن في السجن وأُخْذِ الناس بسببهم لوثوب بعضهم على رجل من الحرس وقَتْلِهِ إيّاه ، وكان أبو بلال في منزله ، فتنكّر حتّى عاد إلى محبسه وقال : ما كنت لأغدر بصاحبي وقد ائتمني ؛ وأصبح ابن زياد فدعا بالخوارج فقتل بعضهم وكُلّم في بعض . وكان مِرْداس ممّن كُلّم فيه فصفح عنه وخلّى سبيله . وألحّ ابن زياد في طلب الخوارج بعد ذلك وأخافهم ، فعزم أبو بلال على الخروج ، ودعا قومه فأجابوه وقال في قصيدة له :

وقَدْ أَظْهرَ الجَوْرَ الوُلاةُ وأَجْمَعوا عَلَى ظُلْمِ أَهْلِ الحَقِّ بِالغَدْرِ والكُفْرِ
وفيكَ إلهي إنْ أَرَدْتَ مُغَيِّرٌ لِكُلِّ الذي يَأْتي إِلَيْنا بَنو صَخْرِ

وقال لأصحابه : إنّ الإقامة على الرِضى [بما يُرى] لَذنبٌ ، وإنّ تجريد السيفِ وقتلَ الناسِ لعَظيم ، ولكنّا نخرجُ من بين أظهرهم ولا نَهيجُ أحداً ، ونمنع مَن قدرنا على مَنْعه من الظلم ، فإنْ أرادنا قوم بظلمهم امتنعنا منهم .

---

(١) - سورة إبراهيم - الآية : ٥٠ .

وأتوا قُدامة جدَّ سَوّارِ بن عبدالله بن قُدامة بن عَنَزة بن نَقْب العَنْبَري فقالوا : أما ترى ما نحن فيه من الجَوْر ؟ فلو خرجنا على هؤلاء القوم فمنعاهم من الظلم ، فقال : أنا معكم مُنكرٌ لما تُنكرون ، فإذا جّردتم السيف فلا أنا ولا أنتم .

وقال الحسن البصري لأبي بِلال : أخْبرني عن رجلَيْن خرجا في أمرٍ فغشيتهما ظلمة ، فوقف أحدهما حتّى انجلت الظلمة فمضى ، وتقحّم الآخر الظلمة ، أيّهما أصوب رأياً ؟ قال : أصوبهما عندي أخطأهما عندك .

وبايعوا أبا بلال فخرج من البصرة في ثلاثين ، فمّروا بعبدالله بن ربَاح الأنصاري وكان على الجسر من قبل عبيدالله بن زياد ، فخوفهم السلطان فأبوا الرجوع ، وأتوا الأهوازَ فأصابوا بها مالاً يُحْمل إلى ابن زياد ، فأخذ منه أبو بِلالٍ ما أعطى أصحابه ولم يعرضْ لما سوى ذلك ، وقال للرسل : لابأس عليكم ، وبلغ ابنَ زياد خبرهم فندب لقتالهم أُسْلم بن زُرْعة الكِلابي في سنة ستّين ، وندب الناسَ معه ، وبلغ الخبرُ أبا بلال فنزل بآسَك فيما بين رامهُرْمُز وأُرّجان ، وكان معه أربعون رجلاً منهم عشرة صاروا معه بعد خروجه من البصرة ، وكان مع ابن زُرْعة عبدالله بن ربَاح الأنصاري ، فقيل لأبي بِلال : إنّ فيهم صديقك ابن رَباح : فقال : الله المستعان ، هم أعوان الظَلَمة ، وقال أصحاب ابن زُرْعة لأصحاب أبي بلال : اتّقوا الله وآرجعوا ، فقالوا : تردّوننا إلى ابن زياد الفاسق الذي أخذ دِيَة المسلم أربع مرّات ؟! والتقى أُسْلم وأبو بِلال فرمى أصحاب ابن زُرْعة رجلاً من الخوارج فقتلوه ، فقال أبو بلال : استعينوا بالله وآصبروا ﴿إنّ الأرض لله

يورثها من يشاء من عباده﴾[1] وقد بدا لكم القوم ، فشدّ الخوارج على أسلم وأصحابه شدة رجلٍ واحد ، فهزموهم حتّى قدموا البصرة ، فغضب ابن زياد على ابن زُرْعة وقال : هزمك أربعون رجلاً وأنت في ألفينْ ؟! ما عندك خير ، فقال ابن أَسْلَم : لأنْ يذمني ابن زياد وأنا حيّ أحبّ إليّ من أن يمدحني وأنا ميّت ، إنّي لقيت ناساً ليسوا كالناس ؛ فكان أسلم بن زُرْعة إذا مرَّ صاح الصبيان : يا أسلم ، أبو بلال خلْفك ، حتّى بعث ابن زياد الشُّرطَ فضربوا مَن صاح به فكفّوا ، فقال عيسى الخَطّي :

أألفــا مُؤمِنٍ فيــما زَعَمْتُمْ ويَهْـزِمُهُمْ بِــآسَكَ أَرْبَعـونـا
كَذَبْتُم لَيْسَ ذاكَ كَما زَعَمْتُم ولكِنَّ الخَــوارِجَ مُؤْمِنـونــا
هُمُ الفِئَةُ القليلةُ قَدْ عَلِمْتُم عَلَى الفِئَةِ الكَثيرَةِ يُنْصَرونا[2]

فوجّه إليهم ابنُ زياد عَبّادَ بن أَخْضَرَ المازني ـ وأخضَر زَوْج أمّه نَسب إليه ، وكان خلف عليها بعد أبيه ـ وهو عبّاد بن عَلْقمة بن عبّاد بن جُعْفي بن حُزابة بن صُعَيْر بن خُزاعيّ بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ـ فسار عبّاد إليهم في أربعة آلاف ، فلقيهم بناحية دَرأَبْجَرد من فارس في يوم جمعة ، فدعا أبا بلالٍ وأصحابه إلى طاعة السلطان ، فقال أبو بلال : أتدعونا إلى طاعة من يسفك الدماء وينتهك المحارم ، والرجوعِ إلى الفاسق ابن زياد الذي يقتل على الظِنّة ويأخذ بالشُبْهة ؟! فقاتلهم حتّى دخل وقت العصر ، وكان القَعْقاع بن عَطيّة قدم من خراسان يريد الحجّ ، فرآهم

---

١ ـ سورة الأعراف ـ الآية : ١٢٨ .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٦٨ ـ ٦٩ .

يقتتلون فقاتل معهم ، حتّى إذا علم أنّهم خوارج كرَّ على الخوارج حينئذ وقال :

غَـزَوْتُهُمْ وَلَيْسَ عَـلَيَّ بَعْثٌ نَشاطاً أَوْ أَشَدَّ مِنَ النَشاطِ
أَكُرُّ على الحَروريّين مُهْـري لأَحْمِلَهُمْ على وَضَحِ الصِّراطِ

فقُتل ، قتله كَهْمَس بن طَلَق التميمي . وقال أبو بِلال : انّكم في يوم عظيم ، وهذا آخر أوقات العصر ، فوادِعونا حتّى نصلّي ، فأجابهم ابن أخْضَر وتحاجزوا ، فعجّل عبّاد وأصحابه الصلاة ـ ويقال قطعها والقوم يصلّون صلاتهم ـ ثمّ شدّ عَبّاد وأصحابه فقتلوهم وهم بين قائم وراكع وساجد ، ولم ينثنِ أحد منهم عن حاله التي كان عليها حتّى أتوا عليهم ، وأخذ رأسَ أبي بلال : بِشْر بن حَجْل احد بني تَيْم اللات وجاءَ به ، وقُتل مع أبي بِلال حُبَيْبَة بن هَمّام النُكْري من عَبْد القيس ، فقال عِمْران بن حِطّان السَّدوسي في قصيدة له أوّلها :

أَصْبَحْتُ مَن وَجَلٍ منّي وإيجاسِ أشكو كُلومَ جراحٍ ما لها آسي
يا لَهْفَ نَفْسي لِمِرْداسٍ وصُحبَتِهِ يا رَبَّ مِرْداسٍ آلحِقْني بِمِرْداسِ [1]

وله شعر كثير ، وكان من قَعَد الخوارج ، وكان يبوح برأيه .

وقالت أمّ الجَرّاح العدوية :

وما بعد مِرْداسٍ وعُرْوَةَ بيننا وبَيْنَكُمُ شيءٌ سوى عِطْرِ مَنْشِمِ
فلستَ بِناجٍ مِنْ يَدِ الله بعد ما هَرَقْتَ دماءَ المُسْلِمينَ بلا دمِ [2]

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ١٥٨ .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٦٧ .

وقعد قوم من الخوارج لابن أَخْضَر في يوم جمعة عند مسجد بني كُلَيْب بالبصرة ، فخرج على بغلة له وابنه ردفه ، فظفروا به في موضع يخفى فيه أمره فقتلوه ، ومسحوا سيوفهم بفَخْذه ، وحكّموا ، ولم يعرضوا لابنه فهرب . وجاء مَعْبَد بن عَلْقمة أخو عَبّاد فقاتل الخوارج فقُتلوا ، ولم ينجُ منهم أحد إلاّ عبيدة بن هِلال ، فإنّه خرق خُصّاً وخرج منه فمضى ، فلقيه رجل من الشرط يقال له يحيى فتهدّدَ عبيدة فقال :

قولوا لِيَحىَ يَسْتَعِدَّ كَتيبَةً ... تُجالِدُ عَنْ حَوْبائِهِ حِينَ يَحضُرُ

فَعَمّا قليلٍ سوف يَلْقَى حِمامَهُ ... كَمِثْلِ الذي لاقاهُ عَبَّادُ فاحذَروا

وقال مَعْبَد بن عَلْقَمة :

ولَقَد قُلْتُ لِخَيْلي والقَنا ... تَمْتَري الحَرْبَ سِهاماً مُنْقَعا

انْزلوا صَبْراً إلى أَقْرانِكُم ... فاصْطَلُوا المَوْتَ على الارضِ معا

انْزِلوا نَظْفَرْ بِهِمْ في حَرْبِنا ... أوْ نَمُتْ لم نُبْدِ منّا جَزعا

وقال الشاعر :

لقد كان قَتْلُ ابنَيْ سُمَيْرٍ خيانةً ... كما غالَ ذُؤْبانُ العراقِ ابنَ أَخْضَرا

ابنا سُمْير رجلان من بني نَهْشَل .

وقال الرهين في قصيدة له طويلة :

كَزيْدٍ وَمِرْداسٍ وَعَمْروٍ وكَهْمَسٍ ... وكَابْنِ عَقيلٍ في الكَتيبَةِ عامِرِ

أَقاموا بِدارِ الخُلْدِ لا يَرْتَجيهِمُ ... حَميمٌ كَما يُرْجى إِيَابُ المُسافِرِ

وقال الفرزدق يذكر قتل عَبّاد في بني كَلْب :

لَقَدْ طَلَبَ الأَوْتارَ غَيْرَ ذَميمَةٍ ... إذا ذُمَّ طُلاّبُ التِراتِ الأخاضِرُ

أراد لقد طلب الأخاضر غيرَ ذميمة .

هُمُ جَرَّدُوا الأَسْيافَ يَوْمَ أُخَيْضِرٍ فَنَالوا التي ما فَوْقَها نالَ ثائِرُ
وخاسَتْ كُلَيْبٌ يَوْمَ ماتَ ابْنُ أَخْضَرٍ وقَدْ شُرِعَتْ فيه الرِماحُ الشواجِرُ
هُمُ شَهِدوهُ عاتِمِينَ بِنَصْرِهِمْ ونَصْرُ المُليمِ عاتِمٌ غَيْرُ حاضِرِ
فما لِكُلَيْبٍ في المَكارِمِ أَوَّلٌ وما لِكُلَيْبٍ في المَكارِمِ آخِرُ[1]

وقالت امرأة من بني سَليط في أبيات :

سَقَى اللهُ مِرْداساً وأَصْحابَهُ الأُلَى شَرَوْا مَعَهُ غَيْثاً كَثيرَ الزَماجِرِ
فَكُلُّهُمُ قَدْ جادَ للهِ مُخْلِصاً بِمُهْجَتِهِ عِنْدَ التِقاءِ العَساكِرِ[2]

وحدثني أبو خَيْثَمة زُهير بن حرب عن وهب بن جرير حدثنا غسّان بن مضر عن سعيد بن يزيد قال : خرج أبو بلال بالبصرة في أربعين فأتوا بعض كُوَر الأهواز فلم يقاتلوا إلاّ من قاتلهم ولم يَجّبوا مالاً . وقال كَعْب بن عُمير السُمْني :

شَرَى ابْنُ حُدَيْرٍ نَفْسَهُ اللهَ فاحْتَوَى جِناناً مِنَ الفِرْدَوْسِ جَمّاً نَعيمُها
وأَسْعَدَهُ قَوْمٌ كأَنَّ وجُوهَهُمْ نُجومُ دُجُنّاتٍ تَجَلَّتْ غيُومُها
مَضَوْا بسيوفِ الهندِ قُدْما وبِالقَنا على مُقْرَباتٍ بادِياتٍ سُهومُها[3]

في أبيات .

---

١ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣١٥ - ٣١٦ مع فوارق .
٢ - ديوان شعر الخوارج ص ٦٧ .
٣ - ديوان شعر الخوارج ص ٧٥ - ٧٦ .



أمر زياد ودعوته :

قالوا : كان من خبر زياد ـ ويُكنى أبا المغيرة ـ أنّ سُميّة أمّه كانت لرجل من بني يشكر ينزل بناحية كَسْكَر(١) . فأصاب اليَشْكُريَّ وجعٌ شديد أعيا مَن حوله مِنَ الأطبّاء ، فبلغه مكانُ الحارثِ بن كَلَدَة بن عمرو بن عِلاج بن أبي سَلِمَة بن عبد العُزّى بن غِيَرَة بن عوف بن ثقيف الثَقَفي بالطائف ، فحجّ ثمّ أتاه ، فعالجه حتّى برىء ، فوهب له سُمَيَّةَ فوقع الحارث عليها فولدت على فراشه نافع بن الحارث ، ثمّ ولدت له نفَيْعاً وهو أبو بكرة ، فأنكره الحارث ونسبه إلى غلام له يقال له مَسْروح ، وكان أشبه الناس بمسروح ، فكان أبو بكرة يقول : أنا نُفَيْع بن مَسْروح ، وقيل للحارث : إنّ جاريتك فاجرة لا تدفع كَفّ لامسٍ ، فزوّجها الحارثُ من عبدٍ لامرأته صفيّة بنت عُبَيْد بن أسيد بن عِلاج الثَقَفي ، روميٍّ يقال له

١ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض بأصل ثالث ، ولله كل حمد وجمال .
٢ ـ منطقة واسعة بالعراق قصبتها واسط التي بين البصرة والكوفة . معجم البلدان .

عُبَيْد ، كان ساقه في مَهْرها ، فولدت له زياداً على فراشه ، وتزوّج عُتْبَة بن غَزَوان أحد بني مازن بن منصور أَزْدَة بنت الحارث بن كَلَدَة ، فلمّا ولّاه عمربن الخطّاب البصرة قدمها ومعه نافع بن الحارث بن كَلَدَة ، ونُفَيْع أبو بكرة ، وزياد ، وهو يومئذ ينسب إلى عُبَيْد فيقال له زياد بن عُبيد ، وكان له فهم وذكاءٌ وفِطْنة ، ولم يكنْ مع عُتْبة بن غَزْوان مَن يكتب ويحسب كِتابَ زياد وحِسابه ، فلمّا فتح الله على المسلمين ما فتح على يد عُتْبة ولّاه قِسْمة الغنائم ، وأمره فكتب له كتاباً إلى عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه بالفتح ، ثمّ ولّى عمر المغيرة بن شعبة البصرة بعد عُتْبة بن غَزْوان ، فكان زياد كاتبه ، ثمّ لم يزل في عُلوٍّ يدبّر أمرَ كلِّ عاملٍ يكون على البصرة ويكتب له ، فلمّا ولي أبو موسى البصرة استكتبه ، ثمّ خرج غازياً فاستخلفه على البصرة ، فبلغ ذلك عمر فكتب إلى أبي موسى : بلغني أنّك استخلفتَ على البصرة غلاماً حديثَ السنِّ ليس له قَدَمٌ ولا هِجْرة ولا تَجْرِبة ، فإذا أتاك كتابي فأشْخِصْه إليّ ، فلمّا قرأ أبو موسى الكتاب بعث بزياد إليه ، فكلّمه عمر وسأله فردّ عليه ردّ فَهِم عاقل ، فقال له عمر : أَتُخبر الناس بما أخبرتني ؟ فقال : إذا أخبرتك أنت فالناس عليّ أهون ، فخرج عمر آخذاً بيده وهو يقول : هذا ممّن يرفع الله به خسيسة أهله ، فقال زياد : أيّها الناس أنفقْنا في عامِ كذا كذا وبقي كذا ، وفي عامِ كذا كذا وبقي كذا ، فتعجّب الناس من حفظه وعقله ؛ ثمّ أمر له عمر بألف درهم ، فاستأذن على عمر في بعض الأيّام فبعث إليه : انتظرْ أَخرجْ إليك ، فغلبته عينه فنام وعليه خُفّان جديدان ، فلمّا رآه عمر علاه بالدِرّة ، فلمّا انتبه قال : إنّما أخذتُه بدرهم واحد ، فقال عمر : فلابأس إذاً ، وعجب من فِطْنته ، فأمره عمر أن يكتب

في بعض الأمر فكتب كتاباً بليغاً فقال : غيّره ، فكتب في ذلك المعنى كتاباً آخر ، فقال غيّره ، فكتب كتاباً ثالثاً ورابعاً ، فعجب عمر من سعة معرفته وتصرّفه في بلاغته ، ثمّ ردّه إلى البصرة فاشترى بالألف أباه عُبيداً فعُتق ، فلمّا كان مِن قابِلٍ وفد على عمر فسأله عن الألف ، فقال : ابتعت بها عُبَيْداً أبي من صفيّة بنت [عبيد بن] أسيد بن عِلاج ، فقال له : نِعْم الألفَ كان ألْفك .

ثمّ لمّا قدم علي بن أبي طالب البصرة فأخذها فاستعمل عبدالله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، استكتب ابنُ عبّاسٍ زياداً ، ثمّ ولّاه فارس ، فسأل زياد عن أمثل سيرة الفرس ، فقيل له سيرة أنوشَرْوان كِسْرى بن قُباذ ، كان يضع عن أهل فارس من خراج كلّ عشر سنين خراجَ سنة ، ففعل زيادٌ مثلَ ذلك حتّى عُمرت فارس عِمارةً لم يُعمر مثلها قطّ .

واستخلف ابنُ عبّاس حين غاضب عليّاً وشخص إلى مكّة زياداً ، فكتب معاوية إلى زياد يتوعّده ويتهدّده ، فخطب الناس فقال : أيّها الناس كتب إليَّ ابن آكلةِ الأكباد وكَهْف النِفاق وبقيّة الأحزاب يتوعدّني ، وبيني وبينه ابن عمّ رسول الله في سبعين ألفاً ، قَبائعُ سيوفِهم عند أذْقانِهم ، لا يلتفت أحد منهم حتّى يموت ، أما والله لئن وصل هذا الأمر إليه ليجدنّي ضَرّاباً بالسيف ، فلمّا قُتل عليّ وصالح الحسنُ معاويةَ رضي الله تعالى عنهم ، واستقام الناس له ، تحصَّنَ زياد في قلعة بفارس هي تدعى قلعة زياد .

وبعث معاوية بُسْر بن أبي أرْطاة إلى البصرة ، وأمره بقتل مَن خالفه ، وكان هواه مع عليّ ، فلمّا قدم بُسْر البصرة أخذ بني زياد وهم : عبيد الله ، وسَلْم، وعبد الرحمن، والمغيرة و[أبو] حَرْب، وكانوا غلماناً، فقال:

لأقتلنّكم أو لَيأتيني زياد ، فشخص أبو بَكْرة إلى معاوية فكلّمه في تخلية أولاد زياد وقال : أحداث ولا ذنب لهم ، فكتب إلى بُسْر بتخلية سبيلهم ، وكتب لزياد أماناً ، ويقال انّ أبا بَكْرة طلب إلى بُسْر أن يؤجّله أياماً سمّاها ليأتي معاوية فيكلّمه في بني زياد ، فأجابه إلى ذلك ، فلمّا كان آخر يوم من الأجل وقد طلعت الشمس أخرج بني زياد ليقتلهم ، فبينا هو ينظر غروبَ الشمس إذ أقبل أبو بَكْرة وأعْيُنُ الناسِ طامحة ينتظرون قدومه ، وهو على دابّة له قد جهدها ، حتّى أعطى بُسراً الكتاب من معاوية بالكفّ عنهم ، فكبّر الناس . وقال بعضهم : كان مقام بُسر بالبصرة ستّة أشهر .

وكان المغيرة بن شعبة صديقاً لزياد لِكتابته له ، ولأنه لمّا وُجد مع المرأة فشهد عليه الشهود كان زياد رابعهم ، فلمّا نظر إليه عمر قال : أرى رجلاً لا يفضح الله ـ أو لا يُخْزي ـ به رجلاً من أصحاب محمّد ، فأحجم عن قطع الشهادة حتّى دَرَأَ عمر الحدّ عن المغيرة ، فدخل المغيرةُ على معاوية فقال معاوية حين رآه :

إنَّما مَوْضِعُ سِرِّ المَرْءِ إنْ ... باحَ بِالسِرِّ أَخوهُ المُنْتَصِحْ
فإذا بُحْتَ بِسِرٍّ فَإلَى ... ناصِحٍ يَسْتُرُه أَوْ لا تَبُح

فقال له المغيرة: يا أمير المؤمنين إن تستَوْدِعْني سرّك تستودِعْه ناصحاً شفيقاً ووِعاءً وثيقاً ، فقال معاوية : شر الوطاء العَجْزُ ، أَترضى أن يكون زياد وهو داهية العرب وقريع ذوي الرأي والحزم بمكانه ؟ ما يؤمّنني أن يبايع لبعض أهل هذا البيت فيعيدها جَذَعَةً ، والله لقد بتّ ليلتي ساهراً لذكري زياداً واعتصامه بقلعةٍ بأرض فارس ، قال المغيرة : فأذنْ لي في إتيانه آتِك به ، قال : نعم فمضى جواداً حتّى قدم على زياد ، فلمّا رآه قال : أَفْلَحْ

رائد ، قال : إليك ينتهي الخُبْر يا أبا المغيرة ، انّ الوجَل منك قد استخفّ معاوية حتّى بعثني إليك ، وقد بايعه الحسن واجتمع عليه الناس ، قال : فأشرْ عليّ فإنّ المستشار مؤتمنٌ ، وارمِ الغَرَض الأقصى ، قال المغيرة : انّ في مَحْض الرأي بَشاعةً ولا خيرَ في التمذيق ، أرى أن تَصِل حبلك بحبله وتشخص إليه ، قال : أرى ويقضي الله ؛ وانصرف المغيرة ، ومضى زياد بعد يوم أو يَوْمَين من مُضيِّ المغيرة فسار حتّى صار إلى معاوية ، فسأله معاوية عن المال فضمن له أن يحمل إليه الفَي ألف درهم ، فرضي بذلك .

وقال الهيثم بن عَديّ : قال المغيرة لمعاوية ، ومعاوية بالكوفة : أترضى بأن يكون زياد وهو في دَهائه ورأيه متحصّناً في قلعة بفارس ؟ قال : فما ترى ؟ قال : أرى أن أشخص إليه فآتيك به ، قال : افعلْ .

قالوا : وشخص زيادُ إلى العراق لحملِ الألفيْ ألف إلى معاوية ، فلقيه مَصْقَلة بن هُبَيْرة الشَيْباني فقال له : أين تريد يا أبا الفُضَيْل ؟ قال : معاويةَ ، قال : فلك عشرة آلاف درهم معجّلة ومثلها مؤجّلة إن ألْقيت إليه ما أقول لك ، إذا لقيته فقلْ له : يا أميرَ المؤمنين كان زياد عندك وقد أكل العراق بَرَّه وبَحْرَهُ ، فخدعك حتّى رضيتَ منه بألفيْ ألف درهم ، ما أرى ما تقول الناس من أن زياداً ابن أبي سفيان إلاّ حقاً ، فضمن له ذلك ، فلمّا لقي معاويةَ ألقي إليه ما قال له زياد ، قال : أَوقَالوها ؟ قال : نعم ، فبعث معاوية إلى زياد فقدم عليه فادَّعاه ؛ وقال معاوية للمغيرة : يا أبا عبدالله سبقك زياد إليّ وقد خرجتَ قبله ، فقال : يا أمير المؤمنين انّ الأريب إذا كتمَ الأريب شامَهُ خُذْ حذرك واطْوِ عنّي شرَّك ، إن زياداً قدم يرجو الزيادة وقدمتُ أتخوَّف النُقْصان ، فكان سَيْرُنا على حسب ذلك .

قالوا : فلمّا قدم زياد على معاوية في مرّته الثانية صعد المنبر ، وأمر زياداً فصعد معه ، فحمد معاوية الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيّها الناس إنّي قد عرفتُ شَبَهَنا أهْلَ البيت في زياد ، فمن كانت عنده شهادة فليُقمْها ، فقام الناس فشهدوا أنّه ابنُ أبي سفيان ، أقرَّ به قبل موته ثمّ مات .

وقام أبو مَرْيَم السَلولي ـ وكان خمّاراً في الجاهليّة ـ فقال : أشهد أنّ أبا سفيان قدم علينا يا أمير المؤمنين الطائف ، فأتاني فاشتريت له لحماً وأتيته بخمر وطعام ، فلمّا أكل قال : يا أبا مَرْيَم أصِبْ لي بَغيّاً ، فخرجت فأتيته بسُمَيّة وقُلْت لها : انّ أبا سفيان مَن قد عرفتِ شرفَهُ وحاله ، وقد أمرني أن أصيبَ له عِرساً فقالت : يجيء عُبيْد زوجي من غنمه . فإذا تعشّى ووضع رأسه أتيته ، فلم تلبث أن جاءت تجُرّ ذَيْلها فدخلت معه ، فلم تزلْ معه حتّى أصبحتْ ، فقلت له : كيف رأيتها ؟ قال : خير صاحبة لولا ذَفَر إبْطَيْها ونَتْن رُفْغَيْها[1] ، فقال زياد من فوق المنبر : مَهْ يا أبا مَرْيَم ، لا تشتمْ أمّهات الرجال فتشتم أمّك . ثمّ جلس أبو مَرْيَم .

وقام آخر فقال : أشهد أنّ عمر بن الخطّاب أخذ بيد زياد فأخرجه يومَ أخرجه إلى الناس ، فقال رجل ممّن كان حاضراً : لله أبوه مِن رجلٍ لو كان له عُنْصر . فقال أبو سفيان وهو إلى جانبي : أنا والله وضعته في رحم أمّه سُمَيّة وما له أبٌ غيري .

وقال هشام بن الكلبي : قال معاوية لأبي البَيْضاء النَهْدي ، وزياد حاضر : ما عندك في أمر زياد ؟ قال : شهدتُ أبا سفيان واقعَها في

---

١ ـ الرفغ : الابط وما حول فرج المرأة . القاموس .

الجاهليّة ، ورجع وذَكَرُهِ يقطر ، وهو يقول : لعنها الله فما أَنْتَنَها ! فقال زياد : أدّ شهادتك ولا تُفْحِشْ ، فإنّما دُعيتَ شاهداً ولم تُدْعَ شاتماً .

قالوا : فلمّا تكلّم معاوية على المنبر، تكلّم زياد فقال: أيّها الناس إنَّ أمير المؤمنين والشهود قد قالوا ماسمعتم، ولستُ أدري ماحقٌّ هذا من باطله، وهو وهُمْ أعلم، وإنّما عُبَيْد أبٌ مبرور ووَالٍ مشكور، ثمّ نزل.

وقد كان معاوية بعث إلى سعيد بن عُبَيْد أخي صفية بنت عُبيْد، فأرضاه حتّى أقرّ ورضي بما صنع معاوية، وأبى يونس ابنه أن يرضى، وطلب الدخول على معاوية فلم يصلْ إليه، فلمّا كان يوم الجمعة ومعاويةُ يخطُبُ على المنبر، أقبل يونس بن سعيد حتّى قام بين يديه فقال: يامعاوية قضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأنّ الولد للفِراش وللعاهر الحَجَر، وإنّك قضيت بالولد للِعاهر وجعلت للفِراش الحَجَر، فاتّق الله فوالله لئن كان زيادُ ابنَ أبي سفيان إنّه لعَبْدي ومولايَ أعتقته عمّتي، فقال معاوية: والله لتكفّنَّ يايونس أو لأُطيرنّ نُعَرتَك[1] ـ ويقال أنّه قال له: والله لتكفّنّ يايونس أو لأطيرنّ بك طَيْرَةً بَطيئاً وقوعُها ـ فقال يونس بن سعيد: أَوَليس المَرْجِعُ بي وبك بَعْدُ إلى الله؟ وقال الشاعر:

وقـائِلةٍ إمّا هَلَكْتُ وقَـائِلٍ قَضَى ماعَلَيْهِ يونُسُ بنُ سعيدِ
قَضَى ما عَلَيْهِ ثُمَّ وَدَّعَ ماجِداً وكُلُّ فتىً سَمْحُ الخَليقَةِ مُودي

وقال ابن الكلبي، قال يونس بن سعيد العلاجي: رُدَّ عليّ ولاءَ عمّتي من زياد، فقال: أتركتَ شُرْبَ ما في الدنان؟ قال: نعم، وترك أبي الزّنا في الجاهلية.

١ ـ أي خيشومك، القاموس.

حدثني المدائني قال: أُسْلِمَ زياد بالطائف وهو ابن خمس سنين في كُتّاب جُبَيْر بن حَية الثقفي، فحفظ له زياد ذلك وولاه إصبهان، وكان يكنى أبا فَرْتَنا.

وزعم أبو اليقظان عن آل زياد أنّ زياداً لأبي سفيان، وأمّه أسماء بنت الأعْوَر من بني تميم ثمّ من بني عَبْشَمْش، وذلك باطل.

قالوا: ووقع بين زياد وأبي الأسود حين ولّى ابنُ عبّاس أبا الأسود الصلاة وولّى زياداً الخراج تداروُا فقال أبو الأسود:

رَأَيْتُ زِياداً بادِياً لِيَ شَرُّهُ ... وأُعْرِضُ عَنْهُ وَهْوَ بادٍ مَقاتِلُهْ
وكُنْتُ امْرءاً بالدَهْرِ والناسِ عالِماً ... لَهُ عادَةٌ قامَتْ عليها شَمائِلُه
تَعَوَّدَها فيما مَضى مِنْ شَبابِهِ ... كذلك يَدْعو كُلَّ أَمرٍ اوائِلُهْ
ويُعْجِبُهُ صَفْحي لَهُ وتَحَمُّلي ... وذو الجَهْلِ يَجْزِي الفُحْشَ مَن لا يُعاجِلُهْ[١]

في أبيات؛ وقال أيضاً:

نُبِّئْتُ أَنّ زِياداً ظَلّ يَشْتُمُني ... والقَوْلُ يُكْتَبُ عِنْدَ اللهِ والعَمَلُ
وقد لَقيتُ زِياداً ثُمَّ قُلْتُ لَهُ ... وقَبْلَ ذلك ما جاءَتْ به الرُسُلُ
حَتّامَ تَشْتُمُني في كُلِّ مُجْتَمَعٍ ... حتّى إذا ما التَقَيْنا ظَلْتَ تَنْتَقِلُ[٢]

وقال أبو الأسود الدؤَلي أيضاً:

أَلا أَبْلغا عَني زياداً رِسالَةً ... تَخُبُّ إِلَيْهِ حَيْثُ كان مِنَ الأرْضِ
فما لك تَلْقاني إذا ما لَقيتني ... وتَصْرِفُ عَنّي طَرْفَ عَيْنَكَ كالمُغْضي[٣]

---

١ - ديوان أبي الأسود ص٢١٦ - ٢١٧.

٢ - ديوان أبي الأسود ص٢١٨.

٣ - ديوان أبي الأسود ص٢٤٥ مع فوارق.

أمر زياد بعد الدعوة:

قالوا: وولّى معاوية زياداً البصرة، فلمّا قدمها كان بينه وبين أقوام عداوة صعد المنبر فقال: الحمد لله الذي رفع منّي ماوضع الناس، وعظّم ماصغّروا، ألا وإنّه قد كان بيني وبين أقوام منكم أشياءُ قد جعلتُها دَبْرَ أُذْني وتحت قدمي، ألا إنّ القُدرْة تُذْهب الحَفيظة، ألا وإني لو اطّلعت على بعضكم وقد ورّاه بُغْضي لَما هتكت له سِتراً ولاكشفت له قِناعاً حتّى يُبْدِي صَفحته، فإذا فعل لم أناظره، فأعينوني على أنفسكم يرحمكم الله، ألا ورُبَّ مغتبطٍ بقدومنا سَيَبْأَسُ ممّا قِبَلنا، وآيس ممّا قِبَلنا سيَغتبط بنا، ثم نزل، فلمّا كان الغد من يومه دعا رجلاً من الشُرَط فقال له: انطلقْ إلى سنان بن مشنوء المُزَني فادْعُه، فانطلق إليه فوجده متصبّحاً، فرجع إلى زياد فأعلمه، فقال: انطلق إلى ابن أبي الحُرّ فادْعُه فإنّك ستجده متحزّماً، وكان بينهما شيء، فانطلق فوجده في داره متحزّماً، بين يديه رواحل تُعْلفْ، فقال: أجِب الأمير، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون ما لي وللأمير، ثمّ ذكر قوله على المنبر فانطلق مع الرسول، فاستعمله على دَسْتُمَيْسان[٢] فمكث عليها حيناً.

المدائني قال: جاء قوم من أهل مَيْسان أو دَسْتُمَيْسان فقالوا: البصرة من أرضنا، فحُطَّ عنّا من خراجنا بقدر ما في أيدي العرب، فدعا بني الُشَعْيْراء، وكانوا أشعَب أهل البصرة فأخبرهم بقولهم، فشتموهم وضربوهم حتّى تركوا خصومتهم وهربوا.

---

١ ـ الصبحة: نوم الغداة. القاموس.

٢ دستميسان: كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز، وهي إلى الاهواز أقرب. معجم البلدان.

قالوا: وسمع زياد حين قدم البصرة تكبيراً في بعض الليالي، فقال: ماهذا؟ قيل هذه دار عبيد بن عُمَيْر تُحْرس لأنّ الناس من البَيات والسَّرَق في أمرٍ عظيم، وإن المرأة لتَستغيث فما يُغيثها أحد، فقال زياد: ماكلّ الناس يقدر على مايقدر عليه عبيد، ما قدومي ها هنا إلا باطل، فلمّا أصبح جمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس أنّه بلغني مالا صَبْرَ عليه، إني قد أجّلتكم في أن يُبلغ شاهدُكم غائبَكم ثلاثاً، إنّا إن وجدنا أحدا بعد صلاة العَتَمة ضربنا عنقه، ثمّ نزل.

وجعلوا يتحدثون بقوله فيهزأوون، فلمّا مضى الأجل دعا عبّاد بن الحصين الحَبَطي، وكان قد ولاه شُرَطه، فأمره فطاف فلم يجدْ أحداً بعد العَتَمة الا ضرب عنقه، فأصبح في الرحبة خمسمائة رأس، وفعل ذلك ليالي متواليةً، فجعل الناس إذا سلّم الإمام في العَتَمة نهض الرجل من خلفه مبادراً فربّما ترك نعلَيْه من العَجَلة، ثمّ نادى مُناديه: بَرِئَت الذِمّة مِن رجلٍ أغْلق بابه، ومَن ذهب له شيءٌ فأنا له ضامن، ففتح الناس أبوابهم لايخافون سرَقاً.

قال هشام بن الكلبي: وبعث زياد بقطيفة ديباج مَنْسُوجَة بذهب فأُلقيت بالخُرَيْبة[1]، فمكثتْ لِياليَ وأياماً مايَمسّها أحد، فبعث إليها بعدُ فأُتي بها.

قال: وقدم أعرابيّ ذات ليلة بغنم له يريد بَيْعها، فلمّا استوحش من الجبّانة دخل البيوت، فأخذه عَبّاد بن الحصين فقال: وَيْحك أما علمت بِنِداء

---

١ - الخريبة موضع بالبصرة. معجم البلدان.

الأمير؟ قال: لا والله، فرحمه عبّاد. فلمّا أصبح دفعه إلى زياد فسأله عن قصّته فأخبره، فقال: لا أراك إلا صادقاً ولكن أكره أن أكذِب نفسي في وعدي ووعيدي، اضربوا عنقه. فقُتل.

قال هشام بن الكلبي: وأُتي زياد بنباشين فأمر بهم فدفُنوا أحيَاء، وأُتي برجل غرّق زَرْعاً فغرّقه في الماء، وأمر برجل أحرق داراً فأُحرق بالنار.

قالوا: ونُبش قبر فقال زياد لنافع بن الحارث: اخرجْ فانظرْ قبراً دُفِن صاحبه اليوم فكُنْ قريباً منه، فإنّك ستجد الذي نَبَشَ القبرَ ينبشه، ففعل، وجاء النَّبّاش على ماظنّ زياد، فأخذه بعدَ أن رماه رَمْيَةً أَثخَنَتْه، فأمر زيادٌ بدفنه في القبر.

وقال ابن الكلبي: قدم زياد وهو يريد البصرة، فلمّا صار ببعض الطريق أتاه موت المغيرة بن شعبة بالكوفة، فخاف أن يُستعمل ابنُ عامرٍ على الكوفة وقال: إن وليها لم آمن أن يضرّنا جواره ويلجأ أهل خراجنا إليه، فكتب إلى معاوية: كتبت إليك وقد مات المغيرة وترك بحمد الله ونِعْمته من عُرْوَة بن المغيرة خلفاً صالحاً عفيفاً أميناً مسلماً طيّباً، وأرى أن يولّيه أمير المؤمنين عَمَلَ والده فيصطنعه ويرعى حقّ والده فيه، فإنّي أرجو أن يعرف في ذلك الخيرة إن شاء الله، فلمّا قرأ معاوية الكتاب ضحك وعرف ما أراد، فكتب إليه: لِيُفْرِخْ رَوْعُك ياأبا المغيرة، لست بمولٍّ عبد الله بن عامر؛ وبعث إليه بعَهْده على الكوفة، فجمع له المِصْرَيْن وأعمالهما، فكان أوّل مَن ضُمّا إليه.

وقال ابن الكلبي: قدم زياد الكوفة حين أتته ولايتها وهو بالبصرة، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ هذا الأمر أتاني وأنا بالبصرة، فأردت أن

آتيكم في ألف من الشرط ثمّ نظرت فوجدتكم أهلَ حق، ووجدتُ حقكم طال مادَمَغ الباطل، فجئتكم في أهل بيتي، فالحمد لله الذي رفع منّي ماوضع الناس وحفظَ ماضيّعوا.

المدائني أنّ جماعة قال بعضهم لبعض: أَزياد أفضل أم عبيد الله؟ فقال: شيخ منهم: إنّ لم يولَدْ لعبيد الله ابنٌ مثله فزياد أفضل من عبيد الله.

وحدثني الحسين بن عليّ بن الأسود العِجْلي حدثنا أبو بكر بن عَيّاش حدثنا أبو حصين قال: لمّا استعمل معاوية زياداً، حين هلك المغيرة، على الكوفة جاء حتى دخل المسجد فصلّى ركعتين ثمّ خطب فقال: الحمد لله الذي رفع مني ماوضع الناس وحفظ منّي ماضيّعوا، أيها الناس إنّا قد سُسْنا وساسَنا السائسون، فوجدنا هذا الأمر لايصلح إلا بالشدِة في غير عُنْف، واللين في غير ضُعْف، ألا فلا أفتحنّ باباً فتُغلقوه، ولا أُغلق باباً فتفتحوه، ولاأعقِد عُقْدة فتحلّوها، ولاأحُلّها فتعقدوها، ألا وإنَي لا أعِدُكم خيراً ولاشراً إلا وفيتُ به، فمتى وجدتم عليَ خُلْفاً أو كذباً فلا طاعة لي عليكم، وأيّ رجل مكتبه بعيد فأجلُه سنتان ثمّ هو أمير نفسه، وأيّ رجل مكتبه قريب فأجله سنة ثمّ هو أمير نفسه، وأيّ عِقال ذهب فيما بين مقامي هذا وخُراسان فأنا له ضامن؛ إنّا لكم قادة وعنكم ذادة، ومَهْما قصّرتُ فيه فلن أقصّر في ثلاث: لن أحبسَ لكم عطاءً، ولاأحرمكم رِزْقاً، ولا أجمِّرُ لكم جيشاً، فاستوجبوا عَدْلنا بطاعتكم إيّانا، وسخاءنا بسَخاءِ أنفسكم لنا، وأدعوا الله لأئمّتكم بالعافية فإنّهم جِصْنكم الذي تستجنّون[1] وكَهْفكم الذي إليه تلجأوون.

١ - أي تتخذونهم جنة ووقاء.

المدائني قال: استأذن عَوْف بن القَعْقاع على زياد، وكانت عنده أخته عَمْرة بنت القَعْقاع، فأغلظ له الحاجب فضربه بقضيب كان معه فأدماه، فدخل على زياد فقال: مَن ضربك؟ فقال: رجل بالباب لاأعرفه، فقال زياد للاحنف: أَقدم عوف؟ قال: نعم، فهو صاحبه، أَدخلْه، فلمّا دخل قال له: ياعوف إنّ خَدَمي لا يُسْتذلُّون ولو كنتُ تقدّمت إليك لقطعت يدك.

المدائني عن أبي هلال الراسبي قال: استعمل زياد أُمَيْر بن أَحْمَر على سابور، فكتب إليه أن يقتل دِهقاناً هناك فلم يفعلْ، فاستعمل غيره فقتل الدهقان.

المدائني عن مَسْلَمة قال: استعمل زياد أميّة بن عبد الله بن خالد على الأَبُلَّة، واستعمل مَسْروق بن الأجْدَع على السِلْسِلة، فهنأه رجل فقال: وقاك الله خشية الفَقْر، وطول الأمل.

العمري عن الهيثم بن عَديّ عن ابن عيّاش قال: قال أميّة بن عبد الله بن خالد بن أَسيد لأبيه: قد أردت التزويج وماعندك مال، وماأَظُنُّني إلا سآتي زياداً فأخطب إليه، فقال: يابني والله ماأحبّ أن تخلط سَمْنك بإهالته، قال: فرحل إليه فلقيه بالبصرة، فسأله عن سبب قدومه فقال له: قدمتُ إليك لتزوّجني وتَصِلني، فقال: نَعَم ونُعْمَةَ عَيْنٍ، فزوّجه آمنة بنت زياد، ثمّ قال لِمِهْران مولاه وكاتبه على الخراج: اطلب له كورة ترتفع عن عُمق السواد وتتنحّى عن حُزونة الجبال وبردِها، فقال: السُوس، فولاه إيّاها، قال أميّة: فوالله ماكنتُ أفترشُ إلا الخزَّ ولاأشربُ إلا السُكّر، ولقد عُزِلْتُ عنها وماأَظُنّ أحداً من الخَلْق يلبس إلا الخزّ ولايشرب إلا السُكّر. ولّما قدم على زياد أمر

بمحاسَبته، فرآه أبوه فقال لزياد: أيّها الأمير أتحاسب أميّة؟ فقال: نعم ياأبا أميّة، إنّا نريد أن نُصلح له حِسابه خوفاً من التَبِعَة عليه، قال: فنعم إذاً.

وقال المدائني، قال زياد لأميّة: انّك تحب النِعْمة، وبالسُوس خزّ وسُكّر، فولاه إيّاها فأصاب خمسمائة ألف درهم، فأخذ منه زياد نصفها وسوّغه النصف.

المدائني قال: أرسل زياد إلى قوم كانوا يُصيبون الطريق فيهم مالك بن الرَيب فضمَّنَ كلَّ رجلٍ منهم ماليليه، فقال الشاعر يذكر مالكاً وأصحابه:

الله نَجّـانـا مِنَ القَصيمِ ومِنْ أَبي خَـرْدَبَـةَ الأَثيمِ
ومِن غُويْثٍ فاتِحِ العُكُومِ ومـالِـكٍ وسَيْفـهِ المَسْمـومِ

قالوا: وأراد زياد الحجّ، فأتاه أبو بكرة - وهو لايكلّمه مُذ تَرَكَ زياد الشهادة على المغيرة بن شعبة وعرَّضَهُ لأن حُدَّ - فدخل عليه، وأخذ ابنَهُ فأجلسَهُ في حِجْره ليخاطبه ويُسمعَ أباه زياداً فقال: انّ أباك هذا أحمق قد فجر في الإسلام ثلاث فجرات: أولاهنّ كِتْمانه الشهادة على المغيرة، والله يعلم أنّه قد رأى مارأينا، والثانية في انتفائه من عُبَيْد وادعائه إلى أبي سفيان، وأُقسم أنّ أبا سفيان لم يَرَ سُمَيّة قطّ، والثالثة أنّه يريد الحجّ وأمّ حبيبة زوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هناك، وإن اذنت الأختُ لأخيها فأعْظِمْ بها مصيبةً وخِيانةً لرسول الله صلى الله عليه وسلّم، وإن هي حَجَبَتْه فأعْظِمْ بها عليه حُجَّةً، فقال زياد: ماتدعُ النُصْح لأخيك على حالٍ، وترك الحجّ في تلك السنة، وماتت أمّ حبيبة في سنة أربع وأربعين.

حدّثني رَوْح بن عبد المؤمن حدثني عمّي أبو هشام عن المبارك بن فضالة عن الحسن البَصْري قال: ذكر الحسن زياداً فقال: ماكان أجراه على

الله، سمعتُه يقول لآخذنّ الجارَ بالجارَ، والله يقول: ﴿ولا تَزرُ وازرةٌ وِزرَ أُخرَى﴾[1] وكنتَ تراه فترى جمالاً: يكسر عينيه ويثني عِطْفه مُعْرِضاً عمّا خُلِقَ له، قتل حُجْراً وملأ الأرض شرّاً.

المدائني عن مسلمة بن محارب قال: قال زياد: يُعجبني من الرجل إذا سيمَ خُطّة ضَيْم أن يقول: «لا» بملء فيه، وإذا أتى مجلسَ قوم أن يعرف قَدْره فيجلس مَجْلِسَه، وإذا ركب دابّة أن يحملها على مايُريد ولاتحمله على ماتريد، وقلَّ من رأيته هكذا إلا وجدته مُبرّزاً.

قال: وقال زياد: جَنّبوني عَدُوّيْن لايقاتلان الشِتاءَ وبطونَ الأودية.

وكان يقول: لم يُعجبْني فَتْحٌ أتى على غير تقدير.

وقال زياد لعُمّاله: استعملوا عُمّال المَعْذُرة ومَن يُزَنُّ بصَلاح، وإيّاكم ومَن يُحْتَرَسُ منه.

وكان بالبصرة حين قدمها زياد سبعمائة ماخور فهدمها، وركب إلى ماخور كان في بني قيس بن ثَعلَبة فتولّى هدمَه، وكان لايقبل شَهادة بني قيس بن ثَعْلَبَة بالعَشيّ ولا يُعدي عليهم.

وقال المدائني: أُهدِيَ لزياد حمار وحش فقال له فيل مولاه: قد بُعث إلينا بهمار وَهْشٍ، قال: اسكتْ قبحك الله فما أدري ماتقول، قال: أُهْدِيَ إلينا أيْرٌ ـ يعني عَيْراً ـ فقال: الأوّل أمثل.

قال: ووفد زياد إلى معاوية وعنده عبد الله بن عبّاس رضي الله تعالى عنهما فنظر إليه، وسلّم عبد الله عليه فلم يردَّ السلام، فقال له: ياأبا المغيرة

---

١ ـ سورة الاسراء ـ الآية: ١٥ .

ماهذه الهُجرة؟ فقال: إنّه ليس بيننا بحمد الله هجرة، ولكنّه مجلس لايُقْضى فيه إلا حقّ أمير المؤمنين وحده.

قال: وكتب كاتب في ديوان زياد: ثلاثة دِنانٍ فقال: أخرجوا هذا الكاتب من ديوانكم وأصلحوها ثلاثة أَدُنٍّ.

وكان زياد يقول: العَجبُ من الخوارج أنّك تجدهم من أهل البيوتات والشرَف وذوي الغَناء وحَمَلَة القرآن وأهل الزُهد، وما أشْكَلَ عليّ أمرٌ نظرتُ فيه غير أمرهم، فمَن كفّ عنّي يده ولسانه كففت عنه.

قالوا: وكان زياد أوّل من أحدث ديوان خاتِم وديوان زِمام، وأولّ من عرّف العُرْفاء ونكّب المَناكب[1] وحبس بالظِنّة وأخذ الجار بالجار.

وحدثني عمرو بن محمّد عن أبي نُعَيْم عن يونس عن الحسن قال: تتبّع زياد شيعة عليّ بن أبي طالب يقتلهم، فقال الحسن: اللّهمّ تَفَرَّد بموته فإنّ القتل كفّارة.

حدثني العمري عن الهيثم عن مجالد عن الشعبي أنّه قال: لم أسمع متكلّما قطّ يُكثر ويُطيل إلا تمنّيت أن يسكت مخافة أن يسيء، إلا زياداً فإنّه كان لايزداد كلاماً إلا ازداد إحساناً.

قال: وكان حارثة بن بَدْر الغُداني أليفاً لزياد، فأتاه وبوجهه أثر، فقال: ما هذا؟ قال: ركبتُ برْذوْني الكُمَيْتَ فاعترم بي فسقطت، فقال: أَما والله لو ركبت الأشهبَ لسلمِتَ.

١ ـ المناكب: عرفاء القوم أو أعوانهم. القاموس.

وكان زياد يقول: المروءة اجتناب الريب وإصلاح المال وقيام الرجل بأمر أهله، فإنّه لايستكمل النُّبْلَ مَن احتاج أهلُه إلى غيره.

المدائني قال: قال زياد لعَجْلان حاجبه: كيف تأذن للناس؟ قال: أبدأ بأهل السابقة والقدَم، ثمّ أدعو أهل الشرَف، ثمّ ذوي الأسنان، قال: فقد ولّيتك حجابتي وعزلتك عن أربعة: المنادي بالصلاة، وطارق الليل فأمْرٌ جاء به، ورسولِ صاحب الثَغْر فإن أبطأ ساعةً فسد بإبطائه عملُ سنة، وصاحبِ الطعام إذا أدرَكَ طعامُهُ فإنّه إذا أُعيد إسخانُ الطعامِ فسد.

قالوا: وكان زياد يقول: ماأعلم شيئاً بعد الإخلاص وأداءِ الفرائض أفضل من نصيحة الوالي رعيّته.

قالوا: وكان زياد يقول: لأن يجاور أحدكم أسداً في أَجَمة خيرٌ له من أن يجاور تاجراً إذا شاء أن يسلفه أسلفه وكتب عليه صكّاً.

وقال هشام بن الكلبي عن عوانة: قدم زياد على معاوية في بعض وفاداته فقال له: مابلغ من سياستك رعيّتك؟ قال: أقمتهم بعد جَنَف[1]، وكففتهم عمّا لايُعرف، فأَذْعَنَ المُعانِدُ رَغْبَةً، وخَضَعَ الأَصْيَدُ الغشوم رَهْبَةً، قال: لله أبوك، فبأي شيء صيّرتهم إلى ذلك؟ قال: بالمُرْهَفات القواضب يُمضيها الحَزْم يتبعه العَزْم، فقال معاوية: أنا ابن هِنْد، لكنّي ضبطت رعيتي بالحِلْم والحِجى، وتودّدت ذوي الضِغْن بالبَذْل والإعطاء، واستملت العامّة بأداء الحقوق، وعقبت بين أهل الثغور فسَلِمَتْ لي الصدورُ عَفواً، وانقادت لي الأخِشّة[2] طَوْعاً.

---

١ ـ الجنف: الميل. القاموس.

٢ ـ أي الرجال الاشداء. القاموس.

المدائني عن مسلمة أنّ زياداً قال: اثنان يتعجّلان النَصب ولعلّهما لا يظفَرانِ ببُغيةٍ: الحريص في حِرْصه، ومعلّم البليد مالايبلغه فَهْمُه.

وقال مسلمة بن محارب، قال زياد: ماكذبت قطّ إلا مرّة واحدة، رأيت رجلاً من بني تميم فقلت له اين تريد؟ قال: أريد عبد الرحمن بن زياد، وكان بالطَفّ، فقلت: أرجعْ وإلا قطعت منك طابقاً، وكان الرجل يشارب عبد الرحمن النبيذ، ثمّ رأيته بعد فقلتُ: أين تريد؟ قال: عبد الرحمن، فقلت: ألم أنْهَك عنه؟ فقال: أيّها الأمير لاصَبْرَ عنه، فقلت: إنّ رجلاً طابت نفسُه بقطع طابق منه بمَحبّة عبد الرحمن لأهلٌ لأنْ لايُؤْذَى، أمضِ إليه.

وقال أبو اليقظان: كان زياد يكسر عينه فقال الفرزدق.

وقبْلَكَ ما أَعْيَيْتُ كاسِرَ عَيْنِهِ   زِياداً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيَّ حَبائلُهْ

المدائني عن مسلمة بن محارب وابن الكلبي عن عوانة قال: أشرف زياد على بَلْج بن نشبة السَعْديّ وهو بباب داره، وكان خليفة لصاحب حرسه، وهو صاحب حمّام بَلْج، فقال:

ومُحْتَرسٍ مِنْ مِثْلِهِ وَهْوَ حارِسُ

المدائني قال: اختصم بنو راسب والطُفاوة في رجل وأقاموا جميعاً البيّنة عند زياد، فقال سَعْد الرابِيَة: أصلح الله الأمير، يُؤتى به النهر فيُلقى فيه فإن كان من راسِب رَسَبَ، وإن كان من الطُفاوة طفا، فضحك زياد وقال: لاتَعُدْ لمِزاح في مجلسي.

المدائني عن مسلمة وغيره أنّ زياداً قال على المنبر: إنّ الرجل ليَتَكلّم بالكلمة لايَقْطَعُ بها ذَنَبَ عَنْزٍ مصور[1] لو بَلَغَت إمامَهُ سَفَكتْ دَمَه.

١ ـ أي قليلة اللبن. القاموس.

المدائني قال: كان زياد يقول مَن قدر فلا يمنعنّ حُسْن الاستماع.

حدثني عبد الله بن صالح حدثني بعض أصحابنا أنّ رجلاً قدّم إلى زياد صديقاً له في مُنازَعة كانت بينهما، فقال: أصلح الله الأمير إنّه يدّعي أنّ بينك وبينه مَوَدّة، فقال: صدق وأنا ناظر فيما بينكما، فإن ثبت لك عليه حقّ أدَّيْناه عنه، وإن ثبت له عليك شيء أخذناك به له أخذاً عنيفاً.

المدائني عن مسلمة، قال: شخص زياد إلى معاوية ومعه الأحنف وعدّة من وجوه أهل البصرة، فقال زياد: ياأمير المؤمنين أشخصَ أقواماً إليك الرّغْبَة، وأقعد آخرين العذر، ولكلّ من سعة رأيك وفضلك ماتجبر المتخلّف، ويُكافأ به الشاخص، فقال الأحنف: مانعدم منك ياأمير المؤمنين نائلاً جزيلاً وبلاءً جميلاً ووعداً ناجزاً، وزياد عاملك المستَنّ بسُنّتك المحتذي لمثالك، ونستمتع الله بك، فما نقول الا كما قال زُهير، فإنّه ألقى عن المادحين فضل الكلام حين قال:

وما يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْه فإنّما ... تَـوارَثَهُ آبـاءُ آبائِهِمْ قَبْـلُ[1]

فحباهم معاوية وبعث معهم إلى مَن تخلّف من الوجوه بصِلات.

حدثني الحِرْمازي عن جَهْم بن حسّان السَليطي وغيره قالوا: كتب زياد كتاباً قُرىء على أهل المِصْر نُسْخَته: أمّا بعد، فالحمد لله على إفضاله وإحسانه، وإيّاه أسأل المزيدَ في نَعْمائه، وإليه أرغب في زيادتنا شكراً كما زادنا إحساناً، ثمّ إنّ الجَهالة الجهلاء والضَلالة العَمْياءَ والغَيّ المورد أَهله النارَ مايأتيه سُفهاؤكم ويَشتمل عليه حُلماؤكم، من الأمور العِظام التي ينبت عليها

---

١ ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ـ ط. القاهرة ١٩٦٤ ص١١٥ .

الصغير ولاينحاش لها الكبير، كأن لم تسمعوا بنبيّ الله، ولم تقرأوا كتاب الله، ولم تعرفوا ماأعدّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب. الأليم لأهل معصِيتَه، في الدار التي لاتزول شدّتها ورخاؤها، أترضون أن تكونوا كمنَ طَرَفَتْ عَيْنَه الدنيا وسدّت مسامعه الشهواتُ، فاختار الفانية على الباقية؟ قد أحدثتم هذه المَواخير وسلبتم الضعيف في النهار المُبصِر والليل المُظْلِم، أَما منكم نُهاة تمنع الغُواةَ من الغارة في النهار والسرق في الليل؟ تعتذرون بغير عُذر، وتسحَبون ذيولكم على الغَدْر، كلّ امرىء منكم يذبّ عن سفيهه، صنيعَ مَن لايخاف عاقبة ولايرجو مَعادا، فلم يزل بسفهائكم ماترون من قيام حلمائكم دونهم، وذبّهم عنهم، وسَترهم عليهم، حتّى انتهكوا حُرْمَة الإسلام، وكنسوا في مَكانِس الرِّيْب، حَرُمَ عليّ الطعام والشراب حتّى أُسَوِّيَها هَدْماً وإحراقاً، وتقطيعاً ببطونِ السِياط ظُهورَ الغاوين، وإني أقسم بالله لآخذن الوليّ بالولي، والمُقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح في نفسه بالسقيم النَطِف، حتى يلقى الرجلُ منكم أخاه فيقول: أَنْجُ سَعْدُ فقد هلك سُعَيْد، أو لتَستقيمنَّ قَناتُكم. إنّ كِذْبَةَ المِنْبَر مشهورة، فإذا تعلّقتم عليّ بكِذْبة في وعد أو وعيد حلّت لكم معصيتي؛ مَن ذهبَ له منكم شيء فأنا ضامن له، وإيّايَ ودَلَجَ الليل فإني لاأُوتَى بمُدْلجٍ إلا سفكت دمه، وقد أجّلتكم في ذلك قَدْرَ مايأتي الخبرُ الكوفةَ ثمّ يرجع إليكم، وإيَّايَ ودَعْوَى الجاهليّة فإنّي لاأجد أحداً دعا دَعْوتها واعتزى عزْوَتها إلا قطعتُ لسانه، وقد أحدثْتم أحداثاً لم تكن، وأحدثنا لكلّ ذَنْبٍ عُقوبة، فمَن غرّق قوما غرّقناه، ومَن حرق على قوم حرقناه ومن نَقَبَ على بيت نَقَبْتُ عن قلبه، ومن نبش قبراً دفنتُه فيه حيّاً، فكُفّوا أَيْدِيَكم أكفّ يدي عنكم، ولايُظهر أحدٌ

منكم خلاف ماعليه عامتكم إلا ضربت عنقه، وقد كانت بيني وبين قوم منكم إحَنٌ جعلتها دَبْر أذني وتحت قَدَمي، فمَن كان منكم مُحسناً فليزددْ إحسانا، ومَن كان مُسيئا فلينزعْ عن إساءته، ولو علمتُ أنّ رجلا قد قتله السُلّ من بُغْضي لم أكشِفْ له قِناعاً ولم أهْتِكْ له سِتراً حتّى يُبْدي لي صَفْحَتَه ويبادي بمَعْصيته، فإذا فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم وأعينوا على انفسكم، أيّها الناس إنّا أصبحنا لكم ساسةً وعنكم ذادةً، نسوسُكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونَذودُ عنكم بالفَيء الذي خَوّلنا.

قالوا: وكتب زياد إلى معاوية: اني قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة، فولّني الحجاز والعَروض أكْفك هذا الحيَّ من قريش، فبلغ ذلك ابن عمر فقال: اللّهمّ اشغَلْه، فما مكث إلا أياماً حتّى طُعن في إصبعه، فلمّا مات وبلغ ابنَ عمرَ موتُهُ قال: يا بن سميّة لا في الدنيا بقيتَ ولا الآخرة أدركت.

المدائني عن مسلمة أنّ زياداً قال: لو أنّ لي ألف ألف دينار ولي بعير جَرِب لقُمْتُ عليه قِياماً يقول من رآه إنيّ لاأملك معه غيره، ولو أنّ لي عشرة دراهم لاأملك غيرها ثمّ لَزِمَني حقٌّ وضعتُها فيه.

المدائني عن مسلمة قال: شكا الناس إلى زياد نُقْصان المكاييل التي يُرْزَقون بها، فدسّ مَن اتّبع خَدَمهم الذين يتولّون قَبْض أرزاقهم لهم، فوجدهم يشترون من أرزاقهم الطَيْر ومايُلْعب به والحَلْواء، فخطب الناس فقال: انّكم تحملون علينا ذَنْبَ أنفسكم في أرزاقكم، يبعث أحدكم خادمه لقَبْض رِزْقه، فيشتري من رزقه مااشتهى فتعهدوا أرزاقكم وتولّوا قَبضها بأنفسكم. وكان زياد يقول: مابالُ أحدكم يأخذ عطاءه ومؤونتُه خفيفة ثمّ يَدّانُ؟ تعهدوا معايشكم وأصلحوا ماتحتاجون إليه من أموركم.

وكان زياد يقول: إذا لم يجدْ أحدكم سعة لتزوّج مَن ترغب فيه لموضعه فليتزوّج سَبِيّةً.

المدائني قال: خطب زياد فلمّا فرغ قام عبد الله بن الأهتم فقال: أشهد أيّها الأمير أنّك قد أُوتيتَ الحِكْمة وفَصْل الخِطاب، فقال: كذبتَ، ذاك نبي الله داود؛ فقام الأحنف فقال: إنّ الثّناء بعد البَلاء والحمد بعد العَطاء، فقال زياد: صدقتَ، وقام أبو بِلال الخارجي فجعل يَهْمِس فقال زياد: إنّا لانبلغ ماتريد وأصحابك حتّى نخوض إليه الدِماء.

المدائني قال: أمر زياد حاجبه أن يُدخل مَن على بابه في وقت انتصاف النهار فأدخلهم، فتمثّل زياد:

وهاجِرَةٍ تحلُبُ الناعِجاتِ ماءً حَمِياً إذا الشاةُ قالا

ثمّ قال لهم: ماالذي تخافون على أهل البصرة؟ فقال بعضهم: الحرق، وقال بعضهم: الغَرَق، قال زياد: أَخْوَف من ذلك عدوّ يأتيكم لارَهْجَ له، أو رجل يأتيكم فيشتدّ شِدّتي ولايلين ليني، فجاء الحَجّاج فاشتدّ شدّته ولم يَلِنْ لينه، وكان عَدُوّاً لارَهْجَ له، فكان يُسيء بصالحهم، ويحسُدهم على نِعَمِهم، فينتزعها منهم.

المدائني قال: كان الحسن يقول: أوعد عمر فعوفِيَ، وأوعد زياد فابتُلِي.

المدائني قال: أُهْدِيَ إلى زياد خِوان بايْزَهْر[1] قوائمه منه، فاقتلع نافع بن خالد قائمة وجعل مكانها قائمة ذهب فحبسه، فكلّمه فيه سَيْف بن وَهْب الأَزْدي، فقال زياد:

---

١ - بالفارسية: بادزهر: حجر الترياق.

أَذْكَرْتَنا مَوْقِفَ أفراسِنا بالجَوِّ إذْ أَنْتَ إلَيْنا فَقيرْ

ثمّ وهبه له.

المدائني عن مسلمة وغيره قالوا: كان زياد يؤخّر العِشاء الآخرة حتى يكون آخر من يصلّي، ثمّ يأمر رجلاً فيقرأ سورة البَقَرة أو غيرها من الطِوال ويرتّل القرآن، فإذا أمهل بقدر مايرى أنّ إنساناً يبلغ الخُرَيْبة أمر صاحب شرطته بالخروج، فيخرج فلا يرى انساناً إلا قتله.

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة وغيره قالوا: لمّا جمع معاوية لزياد الكوفة والبصرة في سنة خمسين كان يخلّف سَمْرة بن جُنْدَب الفَزاري حليفَ الأنصار بالبصرة إذا خرج إلى الكوفة، ويخلفُهُ بالكوفة إذا خرج إلى البصرة عمرو بن حُرَيْث، وكان يُقيم بالبصرة ستّة أشهر وبالكوفة ستّة أشهر، وكان سَمُرة يُحدث أحداثاً عظيمة من قَتْل الناس وظُلْمهم، أعطى رجل زكاةَ ماله ثمّ صلّى ركعتين فأمر به سَمُرة فقُتل، فقال أبو بَكْرة: ماشأن هذا؟ فأخبروه فقال: لقد قتله سَمُرة عند أحسن عمله فاشهدوا أنّه منّي وأنا منه، ثمّ قال لسَمُرة: وَيْلَك لِمَ قتلت رجلاً عند أحسن عمله؟ فقال: هذا عمل أخيك زياد هو يأمرني بهذا، فقال: أنت وأخي في النار، أنت وأخي في النار، وتلا أبو بَكْرَة، ﴿قَدْ أَفلَحَ مَنْ تَزَكّى وَذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[1] ويزعمون أنّ زياداً نهاه بعد ذلك عن القتل.

حدثني عبيد الله بن عمر القواريري عن أبي المُعَلّى الجَنّاني عن أبيه قال: كنت واقفاً على رأس سَمُرة بن جُنْدَب فقدم إليه بضعة عشر رجلاً،

١ ـ سورة الأعلى ـ الآية: ١٤.

يسأل الرجلَ منهم مادينك؟ فيقول الإسلام ديني ومحمّد نَبِيِّي فيقول: قدِّماه فاضربا عنقه، فإنْ يَكُ صادقاً فهو خير له.

وروي عن أَنس بن سيرين قال: استخلف زياد سَمُرة على البصرة وخرج إلى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف، فقال له: هل تخاف أن تكون قتلت بريئاً؟ فقال: لو قتلت مثلهم لم أخفْ أن أقتل بريئاً.

حدثني عمر بن شبّة عن محمّد بن عبد الله بن الزبير عن سفيان عن عاصم الأحْوَل عن ابن سيرين عن ابن سَمُرة قال: مَن عرض لنا عرضنا له، ومَن مشى على الكلّاء ألقيناه في النهر.

حدثنا عفّان حدثنا حَمّاد بن سَلَمة أنبأنا عليّ بن زيد حدثنا أَوْس بن خالد قال: كنت أقدم على أبي مَحذورة فيسألني عن سَمُرة، وأقدم على سَمُرة فيسألني عن أبي محذورة، فقلت لأبي محذورة: إنّك لتسألني عن سَمُرة فِلمَ ذاك؟ فقال: كنت أنا وسَمُرة وأبو هُرَيْرة في بيت واحد فأخذ النبيّ صلى الله عليه وسلّم بعضادَتَي الباب ثمّ قال: «إنّ آخركم موتاً في النار»، قال: فمات أبو هُرَيْرَة ثمّ مات أبو محذورة ثمّ سَمُرة.

المدائني عن نوح بن قيس عن أَشْعَث الحُدّاني عن أبي السَوّار العَدَوي، قال: قتل سَمُرة بن جُنْدَب من قومي في غداة واحدة سبعة وأربعين رجلاً كلّهم قد جمع القرآن.

المدائني عن جعفر بن سليمان الضُبَعي، حدثنا عوف قال: أقبل سَمُرة من المِربَد فخرج رجل من بعض الأَزِقّة فتلقّى الخيل، فحمل عليه رجل من القوم فأوجره الحَرْبَة، ثم مضت الخيل، ومرّ به سَمُرة وهو يتشحّط في

دِمائه، فقال: ماهذا؟ فقيل: رجل أصابته أوائل خيل الأمير، فقال: إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أسنّتنا.

حدثنا عفّان حدثنا أبو هِلال عن ابن سيرين قال: كان سَمُرة صَدوقَ الحديث عظيمَ الأمانة يحبُّ الإسلام وأهلَه حتى أحدث ماأحدث.

حدثنا عفّان حدثنا حمّاد بن سَلَمَة عن أبي عِمْران وعليّ بن زيد عن الحسن أنّ سَمُرة قال لأبي بكرة:رأيت كأنّ الدَجّال خرج فجعلت أُهَرْوِلُ حَذَراً، ثم التفتُّ خلفي فأراه قريباً منّي، ثمّ انشقّت لي الأرض فدخلتها، فقال أبو بكرة: ان صدقت رؤياك أصبْتَ قُحَماً[1] عِظاماً في دينك.

المدائني، قال: كان زياد يقول:أكره للرجل[2] أن يكون وصّافاً لبَطْنِه وفَرْجه.

المدائني عن مسلمة قال: نُقب على رجل من بني سَعْد فذهب ماكان له، فأتى زياداً فأخبره خبره، فقال زياد: لايبقى محتلم من بني سَعْد إلا حضر، فحضروا فقال: هل تفقدون أحداً؟ قالوا: لا، قال: تألّفوا عشرة عشرة، ثمّ قال لكلّ عشرة: أخرجوا إليّ خيركم، ثمّ قال لأولئك الصُلحاء: أخبروني عن أهل الريبَةِ منكم، فقام رجل لم يكنْ بخيرهم فقال: الأمان، فأمنه، فأخبره بأهل الريبة، فُردّ المال.

قال: وأرسل زياد رجلاً إلى بني رُميلة، وبلغه أنّهم يُصيبون الطريق، وكان رئاب بن رُمَيْلة يعضُد قوماً يُصيبون الطريق، فلمّا قدموا قال زياد للأشْهَب بن رُمَيْلة: أنت رئاب فقال: لاأنا الأشهب، وهذا أخي رئاب،

---

١ ـ القحمة: المهلكة، والسنة الشديدة. القاموس.

٢ ـ بهامش الأصل: يتلوه في الورقة: المدائني قال: كان زياد يقول أكره للرجل.

فقال زياد: قد بلغني عنكم أمرٌ كرهته لكم ولِمَن كان مثلكم في موضعكم وشَرَفكم وجَلَدكم، أتدعان أن يكون حدكم على عدوكم وعدوّ الإسلام وتجعلان ذلك في أهل دَعْوَتكم؟! فانتفوا من ذلك وجحدوه، فقال زياد لابْنَيْ رُمَيْلَة: قد قبلت قولكما وصدقتكما، وعرض عليهما الفريضة وضمَّنهما مايليهما، فقال الأشْهَب.

تَداركَني أَسْبابُ ورْدٍ ورَدَّني ... زِيادُ كَما رَدَّ الجَموحَ الشَّكائِمُ
ولَوْ أنَّني أَجْمَعْتُ إذْ أنا مُحْرَمٌ ... فِراراً وَنَتْ دوني العِتاقُ الرّوائمُ
إذاً لاتَّخَذْتُ اللَّيْلَ في الأرْضِ جُنَّةً ... وبيْني وبَيْنَ اللَّيْلِ أَبْيَضُ صارِمُ

وقال زياد: واحدة مَن رأيتموها فيه لم يُخْطِىء أن يكون ضعيفاً: مَن إذا مشى حرك رأسه وعنقه وكثر التِفاته.

وقال: يُعْجبني من الرجل إذا سمع قولاً فيه عليه ضَيْمٌ أن يقول: لابِمِلء فيه، وإذا أتى مجلس قوم عرف قدره وعلم أين ينبغي له أن يجلس منه، وإذا ركب دابّة حملها على مايريد ولم تحملْه على ماتريد وقَلَّ من رأيته كذا إلا كان مُبرّزاً.

وقال زياد لأبي الأَسْوَد الدولي: لولا ضُعْفك وسنّك لولّيتُك، فقال: لعَمْري لئن كنتَ تريد منّي مصارعة أهل عَمَلي إنّي لضعيف عن ذلك، وإن كنت تريد منّي ماتريد من غيري من عُمّالك إنّي لقويّ عليه.

المدائني قال: مرّ رجل من الدّهاقين بِخَمْرٍ فأُتي به زياد فقال: ينبغي أن يكون أراد التوصُّلَ إليّ فأقدَمَ على حَمْلِ الخمر وإدخالِهِ البصرة بعد نَهْيي عن ذلك، فدعا به، فأخبر أنّ رجلا عقر نَخْلاً له، فوجّه مَن أغرم الرجل لكلّ نَخْلة ألف درهم، وقال: ان لم يُعطِهِ هذا المال بعد ثلاث ساعات

فاضربوا عنقه، فغرّم له أربعين ألف درهم، وقال لو جئتَني برأسه كان أحبَّ إليّ من المال.

المدائني عن مسلمة وغيره قالوا: بنى زياد دار الرِزْق ثمّ زاد فيها عبيد الله ابنه بعد، وكان عاملُ زيادٍ على دار الرِزْق عبد الله بن الحارث بن نوفل ثم روّاد بن أبي بَكْرة، وكان الجَعْد بن قيس النَمَري على السوق، وكان زياد يجلس في كلّ يوم جُمعة، فيسأل رسل عُمّاله عن بلادهم وينظر فيما قدموا له وفي أمر الأموال والنفقات، ثمّ يأتيه عُمّاله على دار الرِزْق والكلاء والسوق فيسألهم عمّا ورد دارَ الرِزْق، وعن الأسعار والأخبار وما يحتاجون إليه من مَصالحهم.

حدثني العمر عن الهيثم بن عَديَ قال: كتب معاوية إلى زياد في أمر من الأمور يكرهه الناس، فقال زياد: إن شاء معاوية أن يُعصى عُصي، وأغلظ للرسول وردَّه أعنفَ رَدٍّ، فلمّا قدم على معاوية قال له: أنا أخبرك بما كان، دخلت على ألْيَن الناس جانباً وأغلظهم كلاماً، قال: والله ماأخطأت.

وقال الهيثم:حدثنا المجالد بن سعيد عن الشعبي قال: كتب زياد إلى معاوية: إن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إليّ بسيرة أسيرها في العرب، فكتب إليه معاوية: ياأبا المغيرة قد كنت لهذا منك منتظراً، انظر أهل اليمن فأكْرمهم في العَلانية وأهِنْهم في السِرّ، وانظرْ هذا الحيّ من ربيعة فأكرمْ أشرافهم وأهِنْ سَفِلَتهم، فإنّ السَفِلة تبع للأشراف، فأمّا هذا الحيّ من مُضَر فإنّ فيهم فَظاظة وغِلْظة، فاحملْ بعضهم على رِقاب بعض، ولاتَرْض بالظَنّ دون اليقين، وبالقول دون الفعل، واترك الأمور بينك وبين الناس على أشدّها، والسلام.

المدائني قال: نهى زياد عن النَوْح، فبكت امرأة على بعض أهلها فأتوا زياداً بها فقالت: ماعندي نساء، وإنّما بكيتُ إخوتي فجهرتُ بالبُكاء، فقال: وما قلتِ؟ قالت قلتُ:

أَلا زَعَموا أَنّي جَزِعْتُ عَلَيْهِما وَهَلْ جَزَعٌ أَنْ قُلْتُ وابائي هُما
إذ افْتَقَرا لَمْ يَجْشَعا خَشْيَةَ الرَّدَى وَلَمْ يَخْشَ رُزْءاً مِنْهُما مَوْلَياهُما
وإنْ غَنِيا حُبَّ الصَديقُ إِلَيْهِما وَلَمْ يُزْوَ عَنْ رِفْدِ الصَديقِ غِناهُما

المدائني عن الهُذَلي ومَسْلمة أنّ بني عِجْل تحوّلوا إلى الكوفة أيام الجَمَل، فنزلت الأزْد دورهم، فقال رجل من بني عِجْل:

لَعَمْري لَقَدْ بُدِّلْتُمْ مِنْ فَوارِسٍ سِراعٍ إلى الهَيْجا بِطاءٍ عَنِ الجَهْلِ

وكان رجل من بني عِجل باع دارا لبني أخيه، وكانوا أيْتاماً، فلمّا غلت الدور بالبصرة خاصم العِجْليَّ بنو أخيه إلى شُرَيْح، فردّ البَيْع، فأتى الرجل زياداً فأخبره بقصّته وقال: خاصموني حين كثرت أثمان الدور وغلتْ، فقال زياد لبني أخي الرجل: أتحلفون أنّ الدور لو كانت على حالها في الرُخْص لم تخاصموا عمّكم، ولم تحاولوا نَقْض بَيْعه فلم يحلفوا، فقال: إنّ عمّكم لم يَبعْ إلا نَظراً لكم، فأنا أُجيز بَيْعَه.

المدائني عن إسماعيل الباهلي عن ابن عون عن إبراهيم قال: أمر رجل بالكوفة عبداً لرجل أن يشجّه حتّى يستحقّه، فشجّه فتعلّق به وخاصم مولاه إلى زياد، فأخبره مولى العبد بالقصّة، وأعطى زياد مولى العبد قيمته، وقطع العبد ودفعه إلى المشجوج.

المدائني عن جرير بن حازم قال: كان زياد بن سُمَيّة أول مَن أخذ بالظِنّة وعاقب على الشُبْهَة وأخاف الناس في سلطانه، فلمّا قدم الحجّاج سأل عن سيرته فأخذ بشدّته وترك لينه.

قال: وكان زياد قد آمن الناس حتّى إنّ الشيء ليَسقُط من الرجل فلا يعرض له أحدٌ حتّى يأتي صاحبه فيأخذه، وتَبيتُ المرأة لاتُغلق عليها بابَها، وأدرّ العطاء، فقال حارثة بن بَدْر الغُداني:

ألا مَنْ مُبْلغٌ عَنّي زِيـاداً ... فَنِعْمَ أَخـو الخَليفَةِ والأَمـيرُ

وأَنْتَ إمـامُ مَعْدَلَـةٍ وقَصْدٍ ... وحَزْمٍ حينَ تحضُرُكَ الأمورُ

أَخوكَ خَليفَةُ الله ابنُ حَرْبٍ ... وأَنْتَ وَزيـرُهُ نِعْمَ الـوَزيـرُ

بـإِذْنِ الله مَنْصـورٌ مُعـانٌ ... إذا جـارَ الرَعِيَّـةُ لا تجورُ

يَدِرُّ عَلَى يَدَيْكَ لِمـا أَرادوا ... مِنَ الدُنْيا لَهُمْ حَلَبٌ غَزيرُ

وتَقْسِمُ بِـالسَـواءِ فَـلا غَنِيٌّ ... بِظُلْمٍ يَشْتَكيـكَ ولا فَقيـرُ

ولَمّـا قـامَ سَيْفُ الله فينـا ... زِيـادٌ قـامَ أَبْلَجُ مُسْتَنـيرُ

قَوِيٌّ لا مِنَ الأَحْداثِ غِرٌّ ... ولا ضَـرعٌ ولا فانٍ كَبيـرُ

قالوا: واستعمل زياد على شُرْطته بالبصرة عبدالله بن حِصْن صاحب مقبرة ابن حِصْن، وهو أحد بني ثَعْلَبَة بن يَرْبوع، والجَعْد بن قيس صاحب طاق الجَعْد السُلَمي، وكانا جميعاً يسيران بين يَدْيه بالحَرْبَة، ثمّ اقتصر على عبدالله بن حِصْن فحمل الحَرْبَة بين يَدْيه، وولّى الجَعْدَ أمر الفُسّاق فكان يتبعهم، وفيه يقول جرير:

إِلَيْكَ إِلَيْكَ يا جَعْد بْنَ قَيْسٍ ... فإنَّكَ لَسْتَ مِن حَيَّيْ نِزارِ[1]

١ ـ ديوان جرير ص ١٧٣.

وولّى زياد قضاء البصرة عِمْران بن الحُصين الخُزاعي من أصحاب النبيّ ﷺ .

المدائني قال : أبطأ زياد يوماً بالغَداء لأمر كان ناظر فيه الدهاقين ، فقال سَعْد بن المَخشّ الضَبّي : الغداء أصلح الله الأمير ، فقال رجل من الدهاقين : بأيّ ذنوبنا ابتلينا بهؤلاء الكلاب ؟! فسمعها زياد فقال : بجُرْأتك على الله وكُفْرك به وكِذْبك عليه ، وقال لابن مَخشّ : لا تعودنّ لمثل هذا ، ثمّ دعا بالغداء فأكل وأكل معه ابن المَخشّ ، وكان أكولاً ، فقال له زياد : مالك من الولد ؟ قال : تسع بنات ، أنا أجمل منهنّ وهنّ آكَلُ منّي ، فقال : لقد لطفت في المسألة ففرض لهنّ فقال ابن المَخشّ :

إذا كُنْتَ مُرْتادَ السَماحَةِ والنَدى فَنادِ زِياداً أَوْ أَخاً لِزِيادِ
يُجِبْكَ امْرُؤٌ يُعْطي عَلَى الحَمْدِ مالَهُ إذا ضَنَّ بالمَعْروفِ كُلُّ جَوادِ
وما لِيَ لا أُثْني عَلَيْكَ وإنّما طَريفِيَ مِنْكُمْ كُلُّهُ وتِلادي

المدائني ، قال : لقي زياداً رجلٌ نشأ بالأهواز فقال : أصلح الله الأمير إنّ أبينا مات، وإنّ أخونا شدّ على ميراثنا فأخذه ، فقال : لا رحم الله أباك ولا حفظ أخاك ، ولا أحسن الخِلافة عليك ، فما ضيّعت من نفسك أكثرُ ممّا ضاع من مالك .

المدائني عن مسلمة قال : قال زياد : جمال السلطان لين في غير إهمال ، وشِدّة في غير افراط .

المدائني عن مسلمة قال : قال عَجْلان حاجب زياد : أصبتُ في غداةٍ واحدة ألفيْ ألف درهم وألفيْ سيف ، أعطى زياد العطاء فأعطاني كلّ رجل نصف عطائه وسيفه .

المدائني عن مسلمة بن محارب أنّ زياداً كان يَجْبي من كُور البصرة ستّين ألف ألف ، فيُعطي المقاتلة من ذلك ستّة وثلاثين ألف ألف ، ويُعطي الذُرّية ستّة عشر ألف ألف درهم ، ويُنفق في نفقات السلطان ألفي ألف ، ويجعل في بيت المال للبَوائق والنوائب أَلْفَيْ ألف درهم ، ويحمل إلى معاوية أربعة آلاف ألف درهم . وكان يجبي من الكوفة أربعين ألف ألف ، ويحمل إلى معاوية ثُلْثَي الأربعة الآلاف ألف لأن جِباية الكوفة ثُلْثا جِباية البصرة . وحمل عبيدالله بن زياد إلى معاوية ستّة آلاف ألف درهم فقال : اللّهمّ ارضَ عن ابن أخي .

حدثنا خلف بن سالم عن وَهْب بن جرير عن محمّد بن أبي عُيَيْنة عن سَبْرة بن نَخْف قال : ما بلغ الناس عاشوراء قطّ في أيّام زياد إلّا وطائفة يأخذون العطاء ، ولا رأينا الهِلالَ إلّا مضينا إلى دار الرِزْق فأخذنا الأرزاق لعيالاتنا ، وكان يأخذ الجزْيَة ممّن عجز عن الدراهم عُروضاً ، فكانت خزائنُنا مملوءة من ذلك .

وحدثنا عبدالله بن صالح عن الحسين الجُعْفيّ عن شَيْبان النَحوي عن قَتادة قال : كان زياد إذا أهلَّ هِلال المُحَرَّم أخرج للمقاتلة أعطياتهم ، وإذا رأى هِلال شهر رمضان أخرج للذُرّيّة أرزاقهم .

المدائني قال : قال الحسن : أيّ سائس كان زياد لولا إسرافه على نفسه في العُقوبات وسَفْك الدماء ، كان إذا جاء شعبان أخرج أُعْطِيَة المقاتلة فملأوا بيوتهم من كلّ حُلْو وحامض واستقبلوا رمضان بذلك ، وإذا كان ذو الحِجّة أخرج أُعْطِيَة الذُرّية .

حدثني بعض أصحابنا عن عفّان حدثنا حمّاد عن الحسن أنّ زياداً قال لمَعْقِل بن يَسار : أبا زياد ألست تعلم أنّ الأسواق قائمة ، وأنّ السُبُل آمنة ، وأنّ الأعطيات والأرزاق تُخرج إلى شهر معلوم ، ويبيع البائع إلى شهرٍ معلومٍ ؟ قال : بلى ، قال : فلّله الحمد لا يزال الناس بخير ما كان أمرهم هكذا .

وقال المدائني : كان المقاتلة بالبصرة حين قدم زياد أربعين ألفاً فبلغ بهم ثمانين ألفاً ، وكانت الذُرّيّة ثمانين ألفاً فبلغ بهم عشرين ومائة ألف ، ويقال انّ ابنه فعل ذلك .

قال : وجعل زياد الناس بالبصرة أخماساً ، وجعل على كلّ خُمْس رجلًا ، وعرّف العُرَفاء ، ونكّب المناكب ، وجعل خروج القبائل على الرايات ، وكان أوّل مَن بنى المقصورة بالبصرة ، وأوّل من جعل الأذانَيْن يوم الجمعة ، وأوّل من جُلس بين يدَيْه على الكراسي ، وأوّل من لبس الخِفاف الساذجة بالبصرة ، وأوّل من سقف حَوانيت السوق ، وأوّل من دعا النَّقَرَي وكانوا يدعون الجَفَلَى[1] .

حدثني عبدالله بن صالح قال : قال زياد لعَجْلان حاجبه : كيف تدعو الناس ؟ قال : على الشَرَف ثمّ على الأسنان ثمّ أترك الذين لا يعْبأُ الله بهم ، قال : وَيْحك ومَن هم ؟ قال : الذين يلبسون في الصيف ثياب الشتاء وفي الشتاء ثياب الصيف ، قال : يا بن اللخناء هذا هَزْل ، ولو كنت تقدّمتُ إليك فيه لأحسنتُ أدبك .

---

١ ـ دعاهم الجفلى : أي بجماعتهم وعامتهم ، ودعوتهم النقرى : أي دعوة خاصة ، وهو أن يدعو بعضاً دون بعض . القاموس .

قالوا : وكان رجل من بني مخزوم أعمى يُكنى أبا العُريان ، فمرّ به زياد في موكبه ، فقال مَن هذا ؟ قالوا : زياد بن أبي سفيان ، قال : ما ولد أبو سفيان إلا فلاناً وفلاناً ، فمَن هذا فوالله لرُبَّ أمرٍ قد نقضه الله ، وبيتٍ قد هدمه الله ، وعبدٍ قد ردّه الله إلى مواليه ، فبلغ معاوية قوله ، فأرسل إلى زياد : ثكِلَتْك أمّك اقطعْ لسان أعمى بني مخزوم ، فبعث إليه بألف دينار وقال لرسوله : أقرئه السلام وقُلْ له : يقول لك ابن أخيك أنْفِقْ هذه حتّى يأتيك مثلها ، ومرَّ به زياد من الغد فسلّم فقال قائل : مَن هذا ؟ فقال أبو العُرْيان : هذا زياد بن أبي سفيان ، وجعل يبكي ويقول : والله إنّي لأعرف منه حَزْمَ أبي سفيان ونُبْله وأشبّه جِرْمه بجِرْمه ، وبلغ معاوية خبره فكتب إليه :

ما لَبَّثَتْكَ الدنانيرُ الّتي رُشِيَتْ   أنْ لَوَّنَتْك أبا العُرْيانِ ألْوانا
لله دَرُّ زِيادٍ لَوْ يُعَجِّلُها   كانَتْ لَهُ دونَ ما يَخْشاهُ قُرْبانا

فكتب إلى معاوية :

أحْدِثْ لَنا صِلَةً تَحْيا النفوسُ بها   قَدْ كِدْتَ يا بْنَ أبي سُفْيان تَنْسانا
مَنْ يُسْدِ خيراً يَجِدْهُ حينَ يَطْلُبُهُ   أوْ يُسْدِ شَرّاً يَجِدْهُ حيثما كانا

قالوا : وكان زياد أوّل من اتّخذ الحَرَس واتّخذ الثياب الزياديّة ، وأوّل مَن مُشي بين يَدَيْه بالحِراب والأعْمِدَة ، واتّخذ زياد رابطةً عِدَّتهم خمسمائة وولّى أمرهم شَيْبان صاحبَ مَقْبَرة شيبان من بني سعد ، فكانوا لا يَبْرحون المسجد .

وحدثني محمّد بن خالد الواسطي حدثنا يزيد بن هارون عن هشام بن حسّان عن الحسن أنّ زياداً ولّى الحَكَم بن عمرو الغِفاري خُراسان فغزا فغنم

فكتب إليه زياد أن اصْطفِ كلّ صفراء وبيضاء لأمير المؤمنين ، ولا تقسمْ ذلك واقسمْ ما سِواه ، فكتب الحَكَم إليه : إنّي وجدت كتاب الله قبل كتابك ، فلو أنَّ السَّمواتِ والأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً على عبدٍ فاتّقى الله لجعل له منهما مَخْرَجاً ، والسلام ؛ وقسم الغنائم بين الناس .

المدائني عن يزيد بمثله وزاد فيه : فكتب إليه زياد : والله لئن بقيتُ لك لأقطعنَّ منك طابقاً ، فقال الحَكَم : اللّهمّ إنْ كان ما عندك خيراً لي فاقبضْني إليك ، فمات بعد أيّام بخُراسان .

وقال المدائني: صلّى أَنَس بن أبي أُناس على الحَكَم وذلك في سنة خمسين ، ويقال بعد ذلك ، وكتب الحَكَم إلى زياد : إنّي قد استخلفت أَنَساً وإنّي أرضاه لك وللمسلمين ، فقال زياد : اللّهم إنّي لا أرضى أَنَساً لك ولا لي ولا للمسلمين ، وولّى خُراسان خُليد بن عبدالله ، فقال أَنَس :

أَلا مَنْ مُبْلِغٌ عَنّي زِيـاداً مُغَلْغَلَةً يَخُبُّ بها البَريـدُ
أَيعْـزِلُني ويـطْعمُهـا خُلَيْـداً لَقَدْ لاقَتْ حَنيفَةُ ما تُريدُ
عَلَيْكُمْ باليَمامَةِ فاحـرُثوهـا فَـأَوَّلُكُمْ وآخِـرُكُمْ عَبيـدُ

فولّى خُليداً أشهراً ثمّ عزله وولّى الربيع بن زياد خُراسان فغزا فغنم ، وأعتق الربيع فرّوخاً ـ وكان كاتَبه على مائة ألف ـ فقال : ما أقبح أن آخذ لك ثمناً يا فروخ ، وما أقبح أن تكون مُكاتَبا ، أنت حُرٌّ ومالك لك .

وحَمَل الربيع مرزبانَ مَرْو إلى زياد ، فأمر الناسَ فصُفّوا من المِربَد إلى دار الإمارة وعليهم السِلاح ، فقال : كيف رأيت عُدّتنا مع قُرْب عهدنا بالسلطان ؟ فقال : ما أحسنَ ما رأيتُ ، قد ملك السِلاحَ قبلكم أقوامٌ فلم أرَهُ أغنى عنهم شيئاً حين انقطعت آثارُهم وانقضت مُدّتهم .

قال الهَيْثَم : كان لزياد صديق من بني شيبان يقال له عُمَيْر ، فقال له زياد يوماً : كيف ترى عملي ؟ قال : أراكَ أصلحتَ الناس بفساد نفسك ، فقال له زياد : ما فَسُدَ مَن صلحتْ عليه العامّة .

قالوا : وأقبل رجل ومعه سِكّين ، فظنّ صاحب شرط زياد أنّه يريده ، فطعنه فقتله ، فقيل له : إنّ قوماً نحروا جَزوراً ، فعبث بعضهم بهذا الرجل فهرب من بين يَدَيْه ، فوداه زياد .

وكان زياد يمنع الحَمّامات إلاّ في المواضع التي لا تضرُّ بأحد .

وتعرّض رجل من أصحابه لرجل في سفينة فأخذ منه درهماً وقال : أُمِرْتُ أن أجبي من كلّ سفينة درهماً ، فأخذ الرجل فقطع يده .

وجبى عامل له خراجَ السنة في ثُلْث السنة فقال له زياد : لو أردنا هذا لقدرنا عليه ، فارددْ عليهم ثلثي ما جبيت .

وكان يقول : أحسنوا إلى الدّهاقين فإنّكم لن تزالوا سِماناً ما سِمنوا .

حدثني عمر بن شبّه حدثنا أبو عاصم النبيل قال : كان زياد يبعث إلى سِكّة المِربد فيمسَحها ، فإن زيد فيها بناء أمر به فهُدم .

قالوا : وكتب معاوية إلى زياد أن أوفدْ إليّ بنيك من مُعاذة العُقَيْليّة ، وهم: عبد الرحمن ، ومغيرة ، ومحمّد ، وكُنْ معهم ففعل ، فزوّج عبد الرحمن فاختة بنت عتبة بن أبي سفيان ، وزوّج المغيرة ابنة المُهاجِر بن طليق بن سفيان بن أميّة ، وزوّج محمّداً ابنته صَفِيّة بنت معاوية ، وقال : أما إنّها أحسن بناتي ، فقال زياد : وهو أحسن بنيّ .

المدائني قال : كان مع زياد رجل من عبد القَيْس فاستأذن زياداً في إتيان عبدالله بن عامر بن كُرَيْز وقال : إنّ له عندي أيادي ، فأتاه فقال : هيه

وابن سُمَيّة يقبّح آثاري ويعرّض بعُمّالي ؟ لقد هممتُ أن آتي بقَسامةٍ من قريش يحلفون أنّ أبا سفيان لم يَرَ سُمَيّة قطّ ، فقال زياد للرجل : ما قال لك ؟ فأبى أن يخبره ، فأحلفه فأخبره ، فشكا ذلك زياد إلى معاوية ، فأمر حاجبه بضرب وَجْه دابّة ابن عامر إذا حضر بابه ، ففعل ، فقال ابن عامر : ليس الرأي إلاّ إتيانَ يزيد ، فأتاه فشكا ما فُعل به ، فقال يزيد : لعلّك ذكرت زياداً ، فقال : نعم ، فركب معه يزيد حتّى أدخله على معاوية ، فلمّا رآه معاوية قام فدخل ، فانتظراه فأبطأ ثم خرج وفي يده قضيبٌ يضرب به الأبواب ويتمثّل :

لَنـا سِيـاقٌ ولَكُمْ سِيـاقُ قَـدْ عَلِمَتْ ذلِكُمُ الـرِفـاقُ

ثمّ قعد فقال لابن عامر : أنت القائل في زياد ما قلت ؟ والله لقد علمت العرب أنّي كنتُ من أعزّها في الجاهليّة وما زادني الإسلام إلاّ عزّاً ، وأنّي لم أتكثّرْ بزياد من قِلّة ، ولم أتعزّزْ به من ذِلّة ، ولكنّي عرفت حقّاً فوضعتهُ موضعه ، فقال : يا أمير المؤمنين نرجع إلى ما يحبّه زياد ، فقال : إذن نرجع لك إلى ما تحبّه ، فخرج ابن عامر إلى زياد فترضّاه .

حدثني بَسّام الجمّال حدثنا حمّاد بن سلمة عن عليّ بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال : وفد أبو بكرة مع زياد إلى معاوية ، فقال : يا أبا بكرة ، حدّثني بشيء سمعتَه عن النبي ﷺ ، فقال : كانت الرؤيا الحسنة تُعجب رسول الله ﷺ ، فقال ذات يوم : «أيّكم رأى رؤيا ؟ فقال رجل : أنا رأيت كأنّ ميزاناً دُلّي من السماء فوُزنتَ فيه وأبو بكر فرجحتَ بأبي بكر ، ثمّ وُزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر ، ثمّ وُزن عمر وعثمان فرجح عمر بعثمان ، ثمّ رُفع الميزان ، فقال النبيّ ﷺ : تكون خِلافة نبوّة ثمّ يُؤتي الله

المُلك مَن يشاء» ، فقال : فأمر فَزُخَّ[1] في أقْفِيَتنا فأُخرجنا ، فقال زياد : لا أبالك أما وجدتَ غير هذا الحديث ؟! ثمّ دعا معاويةُ بأبي بكرة فسأله عن الحديث فحدّثه به ، فأمر بإخراجه وقال : أتقول المُلْك ، قد رضينا بالمُلْك .

المدائني قال : قال معاوية : ضبط زياد العراق بالسيف ، وضبطتُ العراق والشام والحجاز واليمن بالحِلْم .

وجمع معاوية لزياد البصرة والكوفة في سنة خمسين حين مات المغيرة بن شعبة .

المدائني : انّ زياداً أمر أن لا يباع القَتّ[2] إلاّ وَزْناً ، فسأل غلاماً له عن قَتّ اشتراه فقال : أخذته كذا وكذا حَبْلاً بدرهم ، فتنكّر وركب إلى أصحاب القَتّ فقال لرجل منهم : كيف تبيع القَتّ ؟ قال : كذا وكذا حَبْلاً بدرهم ، قال : أوَلم يأمر الأمير ببيع القتّ وَزْناً ؟ فقال : أوَكلّ ما يأمر الأمير به أُطعناه فيه ؟! فقطع يده ، فلم يُبَعْ إلاّ وَزْناً[3] .

المدائني ، قال : بعث غالب أبو الفرزدق معه بحَلوبةٍ من البادية فباعها وأقبل يصر ثمنها ، فقال له رجل : لو كان مكانَك رجلٌ أعرفه ما صَرَّ الدراهم كما تصرّ ، قال : ومَن هو؟ قال : غالب بن صَعْصَعة ، فنثرها الفرزدق فانتهبها الناس ، وصاح به صائح : ألقِ رِداءك يا بن غالب فألقاه وصاح صائح آخر : ألقِ قميصك فألقاه ، وبلغ ذلك زياداً فقال : هذا أحمق يضري الناس بالنَهْب ، فطلبه فلم يُوجدْ ، فلمّا قال الشعر في معاوية بسبب

١ ـ أي دفعنا وهو مغضب . انظر القاموس .
٢ ـ القت : الفصفصة الرطبة من علف الدواب . معجم أسماء النبات .
٣ ـ بهامش الأصل : «الفرزدق» .

ميراث الحُتات المُجاشِعي بلغ زياداً فغضب وازداد عليه حَنَقاً ، فطلبه فلم يقدرْ عليه ، ثمّ استعْدَتْ نَهْشَل وبنو فُقَيْم عليه زياداً حين هجا بني نَهْشَل وبني فُقَيْم ، فلم يعرفْه زياد ، فقيل هذا الذي نثر الدراهم وقال الشعر ، فطلبه فهرب إلى عيسى بن نضلة السُلَمي فحمله على ناقة وخرج في الليل يريد الشام وقال :

حَباني بِها البَهْزِيُّ حُمْلانَ ناصِرٍ مِنَ الناسِ وَالجاني تُخافُ جَرائِمُهْ
إذا أنْتِ جاوَزْتِ الغَرِيَّيْنِ فاسْلَمي وأَعْرَضَ مِنْ فَلْجٍ وَرائي مَخارِمُهْ

وبلغ زياداً خروجه ، فوجّه في طلبه فلم يقدرْ عليه ، وجعل زياد إذا نزل البصرة نزل الفرزدق الكوفة ، وإذا نزل الكوفة أتى البصرة ، فكتب زياد إلى عامله على الكوفة في طلبه .

وكان الفرزدق يقول : طُلِبْتُ حتّى تفطَّنَ النَاس بمَذاهبي ، فأتيت أخوالي من بني ضَبّة فحملوني ووجّهوا معي رجلاً من بني تَيْم اللات بن ثَعْلَبَة ليدلّني على الطريق ، فعرض لنا الأسد على مَتن طريقنا فلم نَهجْه حتّى أصبحنا ، فقلت :

ما كُنْتُ أَحْسِبُني جَباناً بَعْدَما لاقَيْتُ لَيْلَةَ جـانِبِ الأَنْهارِ
لَيْثاً كَأَنَّ عَلَى يَدَيْهِ رِحالَـةً شَثْنَ البَراثِنِ مُؤْجَدَ الأَظْفارِ
لَمّا سَمِعْتَ لَهُ زَماجِرَ أَجْهَشَتْ نَفْسي إليَّ وقُلْتُ أَيْنَ فِراري
فرَبَطْتُ جِرْوَتَها وَقُلْتُ لَها اصْبِري وشَدَدْتُ في ضِيقِ المَقامِ إزاري
فَلأَنْتَ أَلْيَنُ مِنْ زِيادٍ جانِباً فاذْهَبْ إلَيْكَ مُخَرِّمَ السُفّارِ[٢]

١ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ مع فوارق .
٢ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٥٧ مع فوارق .

فأنشد شَبَث بن رِبْعي زياداً شعره فرقّ له فقال : لو جاءني لآمنته ووصلته ، فبلغ الفرزدق قوله فقال :

دعاني زيادٌ لِلْعَطاءِ ولَمْ أكُنْ … لآتِيَهُ ما نالَ ذو حَسَبٍ وَفْرا
وعِنْدَ زِيادٍ لَوْ يُريدُ عَطاءَهُمْ … رجالٌ كَثيرٌ قَدْ أماتَهُمُ فَقْرا
قُعودٌ لَدَى الأبْوابِ طُلّابُ حاجةٍ … عَوانٍ مِنَ الحاجاتِ أَوْ حاجَةً بِكْرا
فَلمّا خَشيتُ أَنْ يَكونَ عطاؤه … أُداهِمَ سوداً أَوْ مُدَحْرَجَةً سُمْرا
نَمَيْتُ إلَى حَرْفٍ أَضَرَّ بِنِيِّها … سُرَى اللَّيْلِ واسْتِعْراضُها البَلَدَ القَفْرا
يَؤُمُّ بِها المَوْماةَ مَنْ لا يَرَى لَهُ … إلَى ابْنِ أَبي سُفْيانَ جاهاً ولا عُذْرا[1]

وقدم الفرزدق المدينة هارباً من زياد ، فمدح سعيد بن العاص وهو على المدينة بقصيدة يقول فيها :

عَلَيْكَ بَني أُمَيَّةَ فاسْتَجِرْهُمْ … وخُذْ مِنْهُمْ لِما يُخْشَى حِبالا
إلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْكَ ومِنْ زِيادٍ … ولَمْ أَحْسِبْ دَمي لَكُما حَلالا
فإنْ يَكُ في الهِجاءِ يُرادُ قَتْلي … فلَمْ أتْـرُكْ لِمُنْتَصِرٍ مَقـالا[2]

فلم يزل بمكّة والمدينة ، وقال :

أَلا مَن مُبْلِغٌ عَنّي زِيــاداً … مُغَلْغَلَةٍ يَخُبُّ بِها الـبَريــدُ
بِأنّي قَدْ هَرَبْتُ إلى سَعيدٍ … ولا يُسْطاعُ ما يَحْوي سَعيدُ
فَرَرْتُ إلَيْهِ مِنْ لَيْثٍ هِزَبْرٍ … تَفادَى مِنْهُ في الغَيلِ الأُسودُ

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٨٧ ـ ١٨٩ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٧٠ .

فإنْ شِئْتَ انْتَسَبْتُ إلى النَصارَى وإنْ شِئْتَ انْتَسَبْتُ إلى اليَهودِ
وإنْ شِئْتَ انْتَسَبْتُ إلى فُقَيْمٍ وما نَسَبي وما نَسَبُ القُرودِ[1]

وقال أيضاً في قصيدة :

وَعيدٌ أتاني مِنْ زِيادٍ فَلَمْ أَنَمْ وإن كُنْتُ عِنْدَ الهضْبِ هَضْبِ التَّهائِمِ
فَبِتُّ كَأنّي مُشْعَرٌ خَيْبَرِيَّةً سَرَتْ في عِظامي أَوْ سِمامَ الأَراقِمِ
زِيادَ بْنَ صَخْرٍ لا أَظُنُّكَ تارِكي وبالظَّنِّ ما جَشَّمْتَني غَيْرَ ظالِمِ
فإنَّك مَنْ تَغْضَبْ عَلَيْهِ مِن امْرِىءٍ وإنْ كانَ ذا رَهْطٍ يَبِتْ غَيْرَ نائِمِ
تَمَتَّك العَرانينُ الطِوالُ ولا أُرَى لسَعْيِكَ إلاّ حامِداً غَيْرَ لائِمِ[2]

وكان فتيان المدينة يدعونه ، فدعي إلى قينة فقال :

إذا شِئْتُ غَنَّتْني مِنَ البيض قَيْنَةٌ لَها مِعْصَمٌ رَيّانُ لَمْ يَتَخَدَّدِ
لِحَسْناء مِنْ أَهْلِ المَدينَةِ لَمْ تَعِشْ بِبُؤْسٍ ولَمْ تَتْبَعْ حَمولَةَ مُجْحِدِ
وقامَتْ تُخَشّيني زِياداً وأَجْفَلَتْ حَوالَيَّ في بُرْدٍ يَمانٍ ومُجْسَدِ
فقُلْتُ دَعيني مِنْ زِياد فإنَّني أُرى المَوْتَ وَقّافاً عَلَى كُلِّ مَرْصَدِ[3]

ولم يزل الفرزدق هارباً من زياد حتّى مات زياد ، ثمّ كان يضرب به المثل بعد موته في كلّ ما خافه فقال :

إذا ذَكَرَتْ نَفْسي زِياداً تَكَمَّشَتْ مِنَ الخَوْفِ أَحْشائِيَ وشابَتْ مَفارِقي[4]

---

١ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٤٦ مع فوارق شديدة .
٢ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢١٥ - ٢١٦ مع فوارق .
٣ - ديوانه ج ١ ص ١٥٣ مع فوارق .
٤ - ديوانه ج ٢ ص ٤٠ .

وقال :

هُمُ مَنَعوني مِنْ زِيادٍ وقَدْ رَأى زِيادُ مَكاني وَهْوَ لِلناسِ قاهِرُ

وقال الفرزدق لمّا حبسه مالك بن المنذر :

وَلَوْ كُنْتُ أَخْشَى مالِكاً أَنْ يَروعَني لَطِرْتُ بِوافٍ ريشُهُ غيْرَ جاذِفِ

كَما طِرْتُ عَنْ مِصْرَي زِيادٍ وإِنَّهُ لَتَصْرِفُ لي أنيابُهُ بالمَتالِفِ[1]

وقال للقُباع المخزومي حين طلبه :

وقَبْلَكَ ما أَعْيَيْتُ كاسِرَ عَيْنِهِ زياداً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيَّ حَبائِلُهْ[2]

قالوا : وكان كَسر عين زياد خِلْقَةً .

المدائني ، قال : تواقف حُبَيّ بن هَزّال التميمي ثمّ السَعْدي وزَيْنَب بنت أوْس بن مَغْراء القُرَيعيّ في المِرْبَد ، فترافثا فقال حُبَيّ :

زَيْنَبُ ذاتَ العُنْبُلِ[3] النَّواسِ هَلْ تَذْكُرينَ لَيْلَةَ الأَوَاسي

ولَيْلَةَ الأُزِديّ ذي الأفراسِ إِذْ تركبينَ طَرَفَ المِنحاسِ

فقالت زَيْنَب :

ناكَ حُبَيٌّ أُمَّهُ نَيْكَ الفَرَسْ أَرْبَعَـةً وخَمْسَـةً ثم جَلَسْ

مُنْتَزَعَ الشَهْوَةِ مَحْفوزَ النَفَسْ

فجاء قوم إلى زياد فسألوه يكفّها ، فأرسل في طلب حُبَيّ فهرب إلى معاوية ، فأخاف زياد أهلَه وأخذ ولدَه ، فكتب معاوية إلى زياد في الكفّ

---

١ ـ ديوانه ج ٢ ص ١١ وفيه «خالداً» بدلاً من «مالكاً» .
٢ ـ ديوانه ج ٢ ص ١٧٢ .
٣ ـ العنبل : البظر .

عنه ، فقدم البصرة وزياد يخطب ، فقال : أردتُ أن أشهر مَقْدمي وأماني لئلا يُقدم عليّ زياد ، وقال :

أَتَيْتُ بِقِرْطاسٍ يَلوحُ كِتابُهُ ... كَنارِ اليَفاعِ شَبَّها الركْبُ لِلْقَفَلْ
كِتابُ أَميرِ المُؤمِنينَ وإِذْنُهُ ... فَمَنْ شاءَ فيهِ الآنَ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلْ
ولجَّ الأميرُ قَبْلَ عَيْرٍ وما جَرَى ... بإِخْراجِنا فاغْفِرْ لَهُ رَبِّ ما فَعَلْ
لَو انَّ زِياداً قَبْلَ ما قادَنا لَهُ ... دعانا عَلياً بالبَراءَةِ أَوْ سَأَلْ
لَجِئْنا بِبُرْهانٍ مِنَ الحَقِّ واضِحٍ ... وما شَكَّ في أَنّا ظُلِمْنا وما عَدَلْ
فلا تَعْجَلوا بِاللَّوْمِ حَتّى تَبَيَّنوا ... ويَحْصُلَ مِن هَرْجِ الأَحاديثِ ما حَصَلْ
فلا كوفَةٌ أُمي ولا بَصْرَةٌ أَبي ... ولا أَنا يَثْنيني عَنِ الرِحْلَةِ الكَسَلْ
وفي العَيْشِ لَذّاتٌ وفي المَوْتِ راحَةٌ ... وفي الأَرْضِ مَنْأَى عَن زِياد ومُحْتَمَل[1]
وفي الكُرْهِ خيرٌ للصبورِ وفي الهَوَى ... إذا ما الفَتَى لَمْ يُوقَ سَيِّئَهُ خَبَلْ

المدائني قال : كان أبو الأَسْوَد الدولي يسأل زياداً الحوائج فربّما قضى له الحاجة وربّما رده ، فقال :

رَأَيْتُ زِياداً صَدَّ عَنّي ورَدَّني ... ولَمْ يَكُ مَحروماً مِنَ القَوْمِ سائِلُهْ
يُنَفِّذُ حاجاتِ الرِجالِ وحاجَتي ... مُؤَخَّرةٌ عَنْ إِحْنَةٍ ما تُزايِلُهْ[2]

المدائني قال : خطب زياد فقال : إنّه حضرتني ثلاثة أشياء وجدت صلاحكم فيها فمنعتني من غُمْضي ، فاسمعوها ، والله لا أجد ساقطاً ردّ على شريف قولَه ليهجّنه إلاّ أوجعتُ بطنَه وظهره وأطلتُ حبسه ، ولا أُوتَى

---

١ - بهامش الأصل : «ومعتزل» .
٢ - ديوانه ص ٢١٩ .

بحدَثَ ردّ على ذي شَيْبة رأيَه إلاّ فعلت ذلك به ، ولا أجد جاهلاً ردّ على ذي عِلْم رأيه تهجيناً له إلاّ فعلت ذلك به ، ثمّ نزل .

قالوا : وبنى زياد مساجد لشيعة بني أميّة ومَن يبغض عليّاً ، فمنها مسجد بني عديّ ، ومسجد بني مجاشع ، ومسجد الأساورة ، ومسجد الحُدّان ، وكان لا يدع أحداً يبني بقُرْب مسجد الجماعة مسجداً ، فكان مسجد بني عديّ أقربها منه .

قالوا : وكان زياد عاتباً على المهلّب ، فشخص زياد من البصرة يريد الكوفة ، فشيّعه المهلّب مع مَن شيّعه ، وزياد على بغلةٍ وَرْدٍ عليها رِحالةٌ وتحته قطيفةٌ حمراءُ ، وعليه قَباء ، فسار والناس معه ، فدنا المهلّب منه فاعتذر إليه ، فقبل عذره وقال : إذا عدتُ ولّيتك خُراسانَ ، فمات في وجهه ذلك .

قال المدائني قال مسلمة بن محارب : كانت لزياد بغلة تُدعى أطْلال فقال يوماً :

كـأنّمـا أطْـلالُ تحْتي حُمَمَـهْ نعـامَـةٌ في زَعْلَةٍ[1] مُلَمْلَمَهْ
تحْمِلُ وَضّاحاً رَفيعَ الحَكَمَهْ

قال مسلمة : ونظرت ابنة لزياد إلى المقاتلة ، وهم يومئذ ثمانون ألفاً ، يعرضون فبكت ، فقال لها أبوها : ما يُبكيك ؟ قالت : أبكي لزَوال هذا ، قال : لا تبكي من ذلك ، ولكن ابكي من دَوامة ، فلولا زواله عمَّنْ كان قبلنا لم يصِلْ إلينا .

---

١ ـ الزعلة : النعامة . القاموس .

قال الجِرْمازي : أُتي زياد بفِتْيَةٍ من بني قيس بن ثَعْلَبَة قد شربوا خمراً ، وعنده عمرو بن مُعْتَق اليَشْكُري ، فأمر بضربهم فقال عَمْرو أروني هذا الشراب ، فإنّي قد شربت الخمر في الجاهليّة والطِلا في الإسلام ، فشرب جُرْعة منه وقال : طِلا جيّد ، فخلّى عنهم زياد ، فقيل لعمرو : شربت الخمر ؟! فقال : أَوَلا أدْرأ الحَدَّ عن فِتْيَةٍ من بني بكر بن وائل بجُرْعة أجرَعها .

حدثني العمري عن الهيثم بن عَدّي عن ابن عيّاش عن الشعبي قال : أتى عامر بن مسعود زياداً بأبي عِلاقة التميمي فقال : أصلح الله الأمير . إنّه هجاني فقال :

وكيف أُرَجّي بعد يَوْمي نَماءَها وقَدْ سارَ فيها خُصْيَةُ الكَلْبِ عامِرُ

فقال أبو عِلاقة : لم أقلْ هكذا ، ولكنّي قلت :

وإنّي لأرْجو بَعْدَ يَوْمي نَماءَها وقَدْ سارَ فيها يأْخُذُ الحَقّ عامِرُ

فقال زياد : قاتل الله الشعراءَ يقلّبون ألسنتهم كما يريدون ، والله لولا أن تكون سُنّةً يُقْتدى بها لقطعتُ لسانَه ، فقام قيس بن قَهْد الأَنصاري فقال : أصلح الله الأمير ، أحدّثك بما سمعتُ من عمر بن الخطّاب ، شهدتُه وأتاه الزِبْرِقان بن بَدْر بالحطيئة العَبْسي فقال له : هجاني ، فقال : وما قال لك ؟ قال :

دَعِ المكارِمَ لا تَرْحل لبُغْيَتِها واقعد فإنَّكَ أَنْتَ الطاعِمُ الكاسي[1]

---

١ ـ ديوان الحطيئة ـ ط . دار صادر بيروت ص ١٠٨ .

فقال عمر : ما أسمع هجاءً ولكنّها معاتبةٌ جميلة ، فقال الزبْرِقان : أوَ ما تُبلغ مُروءتي إلاّ أن آكل وألبس ؟! فقال عمر : عليَّ بحسان بن ثابت ، فجيء به فسأله عمر عن البيت فقال : لم يَهْجُه ولكنّه خَرِىءَ عليه ، فأمر به عمر فحُبس ببئر وأُلقِيت عليه خَصَفة ، فقال الحُطَيئة :

ماذا تَقولُ لأفْراخٍ بِذي مَرخٍ حُمْر الحَواصِل لا ماءٌ ولا شَجرُ
أَلْقَيْتَ كاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَٱغْفِرْ عَلَيْكَ سَلامُ الله يا عُمَرُ[1]

فأخرجه عمر وقال : إيّاك وهِجاءَ الناس ، قال : إذاً يموت عِيالي جوعاً ، هذا كَسْبي ومَعاشي ، قال : فإيّاك والقَذْعَ وأن تقول في شعرك فلانٌ خير من فلان وفلانٌ أكرم من فلان ، فقال الحُطَيْئة : أنت والله أَهْجى منّي ، فقال عمر : والله لولا أن تكون سُنّةً لقطعت لسانك ، ولكن خُذْه إليك يا زِبْرِقان ، فألقى الزِبْرِقان في عنقه عمامته وجعل يقوده ، وعارضتْه غَطَفان فقالت : يا أبا شَذْرَة نحن إخوتُك وبنو عمّك فهَبْه لنا فوهبه لَهم . فأمر زياد عامر بن مسعود أن يفعل بأبي عِلاقة مثل ذلك ، فألقى في عنقه نِسْعة واجترّه بها ، فعارضتْه بكر بن وائل فقالوا : جيرانك وإخوانك ، هَبْه لنا ، فوهبه لهم ، وقوم يقولون إنّ عامراً الشعبي المهجّو ، وهذا باطل .

حدثني سُرَيج بن يونس حدثنا هُشَيْم بن بشير عن مجالد عن الشعبي ، قال : جاء رجل إلى معاوية فقال : عِزّ الإسلام ينفعني أو يضرّني ؟ قال : بل ينفعك ولا يضرّك ، فقال : إنّ أبي كان نصرانياً وله ولد نصرانيّ ، وإنّي أسلمت ، ومات أبي وترك مالاً كثيراً ، فذكر إخوتي أنّ المال لهم دوني ، فقال معاوية : أنت وهم فيه شرع سَواء ، وكتب إلى زياد : ورِّث المسلم من

١ ـ ديوان الحطيئة ـ ص ١٦٤ .

الكافر ولا تورث الكافر من المسلم ، فأرسل زياد إلى شريح[1] يأمره بذلك ، وكان شريح لا يفعله قبل ذلك ، ولا يرى أن يتوارث ملتان ، فكان إذا قضى به قال : هذا رأي أمير المؤمنين .

قال هُشَيْم أخبرنا إسماعيل عن الشعبي بمثله وقال : لمّا قضى معاوية بذلك قال عبدالله بن مَعْقِل : ما حدثَ في الإسلام حدثٌ بعد قضاء أصحاب رسول الله ﷺ أعجب إليَّ منه .

المدائني قال : أمر زياد شُريحاً بأن يورث المسلم من الكافر فقضى بذلك وقال : هذا رأي زياد ، فقال قوم من الفقهاء : لقد أحسن ، فقال شُرَيْح : سُنّة رسول الله ﷺ أحسن .

وحُدثت عن شعبة عن حصين عن إبراهيم قال : أوّل مَن لم يُتِمّ التكبيرَ زياد ، واستخلف شُرَيْحاً فكان لا يُتمّ التكبير ، فمشى إليه علقمة وأصحابُ عبدالله بن مسعود فقالوا : ما هذا ؟ فقال : استخلفني رجل كرهت مخالفته .

المدائني عن القلافْلائي عن محمّد بن سيرين قال : قدم شُرَيْح مع زياد الكوفة فقضى بالبصرة ، فكان زياد يُجلسه إلى جنبه ، وقال : إن حكمتُ بشيءٍ ترى غيره أقربَ إلى الحقّ فأعلمنْي ، فكان زياد يحكم فلا يردّ عليه شُرَيْح شيئاً .

حدثنا محمّد بن الصبّاح البَزّاز حدثنا هُشَيْم أنبأنا مجالد عن الشعبي قال : أثنى شريح بن الحارث على زياد ، فقال له شُرَيْح بن هانىء الحارثي : أمِثْلك يُثني على زياد ؟ فقال : إنّه لو ولاّك ما ولاّني لأثنيتَ عليه .

١ - بهامش الأصل : «القاضي شريح» .

المدائني قال : قال زياد لشُرَيْح : إنّي أريد أن أزيدك في رزقك ، فقال : لا حاجة لي في أكثرَ ممّا فرض لي عمر ، قال : فإنّي أولّيك عملاً أُجْري عليك رزقَه ، قال : أنت وذاك ، قال : أولّيك الصلاة قال : إنّي لا آخذ على الصلاة رزقاً ، فولّاه بيت المال وأجرى عليه ألفاً فكان يأخذها .

حدثني رَوْح بن عبد المؤمن حدثنا أبو عَوانة عن مغيرة عن إبراهيم قال : كان زياد بن سميّة أوّلَ من جعل الوَرِق في الدِيَة ، وكان الوَرِق بالبصرة وَزْن سبعة فجعلها عشرة آلاف درهم ، وكان الوَرِق بالكوفة وَزْن ستّة فجعلها اثني عشر ألفاً ، قوّمَ الجَذَعَةَ وابنة مخاضٍ وما بينهما عشرين ومائة وَزْن ستّة .

حدثني بكر بن الهيثم أنبأنا أبو نُعيم حدثنا سفيان بن مغيرة عن إبراهيم قال : إنّما كان يُقضيَ في الدِيَة بالإبل حتّى قوّمها زياد اثنيْ عشر ألفاً ، البعير عشرين ومائة .

حدثنا خلف بن هشام حدثنا هُشَم أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد ومجالد بن سعيد عن الشعبي قال : ابتاع رجلاً داراً فوجد فيها كنزاً ، فقال البيّع : ما دفنتُ فيها شيئاً ، وقال المشتري : ما الكنز لي ، فأتيا شُرَيْحاً فقصّا عليه قصّتهما ، فقال : ما أدري أَجادّانِ أنتما أم لاعبانِ ، ودخل على زياد فأخبره خبرهما فقال : اعرض عليهما المال فأيّهما قبله فهو له ، وإن أبيا قبوله فانطلقْ به إلى بيت المال ، فلم يقبلاه ، فحمله إلى بيت المال ، وكان أربعة آلاف وافٍ .

حدثني عمر بن شبّة حدثنا عمرو بن عاصم عن حمّاد بن سَلَمة عن الحجّاج عن الحَكَم بن عُتَيْبة أنّ زياداً قطع تميم بن مَصاد في سَرَقٍ ثمّ تاب وأصلح فأجاز شُرَيْح شهادته .

حدثني عمر بن شبّة عن يزيد بن هشام عن محمّد بن سيرين أنَّ ابن أخٍ لزياد خرج إلى السَواد فقتل دِهْقاناً ، فدفعه زياد إلى وليّ الدِهْقان فعفا عنه .

حدثني عمر عن عفّان عن عبد الواحد بن زياد عن مجالد عن الشعبي قال : أُتِي زياد بنبّاش أسود فقطع يده ورِجْله وقال : هذا ممّن حارَبَ الله وَرَسولهُ وسعى في الأرض فساداً .

حدثني خلف بن هشام البزّار حدثنا أبو بكر بن عيّاش أخبرني مَن صلّى مع زياد فقرأ بالمُعَوِّذَتَيْن ، قال : وما قرأهما أحد من أمراء الكوفة قبله .

حدثنا عمر بن شبّة حدثنا أبو خَيْثَمة بن جرير الضَبّي عن ابن شُبْرُمة قال : قال ابن سمّية : مَن عرّض عرّضنا له السَوْط ، ومن صرّح صرَّحنا له بالحدّ ، يعني التعريض بالشتيمة .

المدائني قال : كان زياد يأخذ صاحب كلّ دار بعد المطر إذا أَصْحَتْ برفع ما بين يديْ فِنائه من الطين ، فَمن لم يفعلْ أمر بذلك الطين فأُلقي في حَجَلته[1] ، ويأخذ الناس بتنظيف طُرُقهم من القَذَر والكُناسات ثمّ انّه اشترى عَبيداً ووكلّهم به فكانوا يُنَحُّونَهُ .

---

١ ـ الحجلة : كالقبة ، وموضع يزين بالثياب والستور للعروس . القاموس .

المدائني قال : غلا الطعام على عهد زياد فدفع إلى التجار مالاً فابتاعوا به طعاماً ، وقال : زيدوا رُبْعاً رُبْعاً ، فلمّا رخص الطعام وشَغَرَ بِرِجْلِه ارتجع ماله .

حدثنا العمري عن الهيثم عن ابن عيّاش عن الشعبي قال : كانت حُطْمة زياد ، فقال للعرب : إنّ عشائركم قد وردت علينا ، فآختاروا أن نأخذ نصف أعطِياتكم وأرزاقكم فنقوتهم بها مع ما لهم عندنا ، أو تكفينا كلُّ عشيرة مَن فيها ، فمنهم مَن ضمّ عشيرته ، ومنهم مَن طابت نفسُه بِنصف عطائه ورِزْقه وأرزاق عِياله ؛ وكان لكل عَيّل جَريبانِ ومائة درهم ، ومعونة الفِطْر خمسين ، ومعونة الأضحى خمسين ، وكان يعهَدهم كلّ يوم ويقول : لِتَحْسُنْ رِعْيُكم ، فإنّ العرب إذا سَغَبت[1] اقتتلت .

حدثنا خَلَف بن هشام حدثنا هُشَيْم عن داود بن أبي هِنْد عن الشعبي أنّ زياداً أرسل إلى مسروق : انّه شغلتنا أمور وأشغال فكيف التكبير في العِيدَيْن ؟ قال : تِسْعٌ ، خَمْسٌ في الأُولى ، وأربعٌ في الآخرة ، ووالِ بين القِراءتَيْن .

المدائني قال ، قال زياد : آحفظوا عنّي اثنَتْين : لا يستحيينّ مَن لا يعلم من أن يتعلّم ، ولا يستحيّين مَن يعلم إذا سُئِل عمّا لا يعلم أن يقول: الله اعلم .

حدثني إبراهيم بن الحسن العَلاّف حدثنا أبو عَوانة عن عبد الملك بن عُمَيْر قال : أوّل من جلس يوم الجمعة وأُذّن له في الجَبّانة زياد بن سمّية .

---

١ ـ بالأصل «شبعت» وهو تصحيف .

المدائني قال : رأى زياد وهو على المنبر امرأة على سَرْج فقال : أفعلتموها وكتب إلى عمّاله على الأمصار في مَنْع النساء من السروج ، وأن لاتوجد امرأة على سَرْج إلّا اشْتدّ عليها .

المدائني قال : بينا زياد يسير بظهر الكوفة إذ رأى امرأة تهدج على عَيْر لها فقال لها : مَن أنت ؟ قالت : حُرَقَة بنت النعمان بن المنذر ، قال : ما كان أغلب الأشياء على أبيك ؟ قالت : محادثة الرجال والإفضال عليهم ، وأنشدته :

وكُنّا مُلوكَ الناسِ والأَمْرُ أَمْرُنا نُحَكِّمُ فيهِمْ ثُمَّ لا نَتَنَصَّفُ
فما بَرِحَ العَصْرانِ إلّا وحالُنا تَقَلُّبُ فيهِم تارَةً وتَصَرُّفُ

فأمر لها بمائة دينار وَوِسقاً من طعام وقال : إذا تقاربَ فناؤُه فاعلمينا فقالت : جَزْتك يدٌ افتقرت بعد غِنىً ، ولا أعْطَتْك يدٌ استغنت بَعْدَ فَقْرٍ .

المدائني قال : سأل مولى لفاختة بنت قَرظَة أن يكتب له معاوية كتاباً منشوراً بأن يُخلى له سوق الطعام بالبصرة ، فلا يبيع فيها أحد غيره حتّى يخرج ما في يده منه ، فكتب له بذلك وقال له : وَيْحك إنّي أحذّرك زياداً ، فلمّا مُنع الناس من بَيْع الطعام غلاِ السِعْر ، فركب زيادٌ وهو شاربٌ دواءً ، فوجده على سَطْح وهو يناول الدنانير والرِقاع بالقَصَب . فأمر به فأُنزل ، فقال : إنّ معي كتابَ أمير المؤمنين ، فقال : آقطعوا يده ، فقُطعت يده ، ثمّ قال : آدفعوا إليه منشوره ويده ، فرجع إلى معاوية فقال له : قد نهيتك وحذّرتك فأبيتَ .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا أبو الوليد الطيالسي عن زائدة عن سِماك بن حرب قال : رأيت زياداً يصلّي يوم الفِطْر والأضْحى بغير أذان ولا إقامة .

حدثني عمر بن بكير عن الهيثم بن عَدّي عن ابن عيّاش عن عَجْلان حاجب زياد ومولاه قال : دخل زياد يوماً من صلاة الظُهْر فإذا هِرّة في زاوية المجلس ، فأردت طَرْدها فنهاني ، فلم تزلْ كذلك حتّى صلّى العَصْر ، ثمّ عاد فجعل يلاحظها ، فلمّا كادت الشمس تغرب خرج جُرَذ فوثبت عليه فأخذته ، فقال : مَن طلب حاجةً فليصْبر صبر هذه الهِرّة فإنّه يظفر بحاجته .

قال عَجْلان : وقال لي زياد يوماً : آطلبْ لي رجلاً عاقلاً ، قلت : لا أعرفه ، قال : وهل يخفى العاقل في وجهه وقَدِّه ولفظه ؟ فخرجت فإذا رجل حسن الوجه مديد القامة فصيح اللسان ، فأدخلته إليه ، فقال : إنّي أريد مشاورتك في أمرٍ ، فقال : إنّي حاقن جائع ولا رأي لحاقن ولا جائع ، فأمر عَجْلان فأدخله الْمُتَوَضَّأ فقضى حاجته ، ثمّ خرج فأمَر فأُتي بطعام ، فلمّا شبع قال : هاتِ ، فما أُوْرَد عليه شيئاً إلّا وجد عنده فيه ما يُريد ، وكتب إلى عمّاله : لا ينظرنَّ في أمر الناس حاقنٌ ولا جائع .

حدثني الحسين بن عليّ بن الأسود عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عيّاش قال : أخبرني مَن صلّى مع زياد فقرأ بالْمُعَوِّذَتَيْن .

المدائني قال : قال أبو بُرْدَة : ولّاني زياد صَدقَة أَسَد وغَطَفان ، وأعطاني من بيت المال ثلاثة عشر ألف درهم فقال : آنطلقْ فأعطِ ، وألصقْ بأهل الفاقة ، ومَن أعطيتَه ورِقاً فلا تعطه غنماً ، ومن أعطيته غنماً فلا تُعطهِ وَرِقاً ، وما وجدتَ من شِغار فآرْدُدْه ، وما رأيتَ من آمرأة معضولة فأنِخْ إبلَ

صاحبها في العَطَن حتّى يُنكحها كُفؤاً ، ولا يكن كالأَعْوَر بن بَشَامَة حبس أخته حتّى شمِطت أصداغُها .

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزّاق عن مَعْمَر عن قَتادة قال : كان زياد سَيِّئة من سَيِّئات معاوية ، وكان سَمُرة بن جُنْدَب سيِّئة من سيِّئات زياد .

قالوا : ومات زياد وعلى الكوفة من قبله عبدالله بن خالد بن أسيد ، وعلى البصرة سَمُرة ، فأقَرّ معاوية سَمُرة على البصرة ستّة أشهر ، ويقال ثمانية عشر شهراً ، ثمّ عزله فقال سَمُرة : لعن الله معاوية لو أطعتُ الله كما أطعت معاوية ما عذّبني أبداً .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا أبو داود الطَيالِسي عن شعبة عن قَتادة عن مُطَرِّف قال : قيل لعِمْران بن الحُصين مات سَمُرة ، فقال : مَا ذَبّ الله به عن الإسلام أعظم .

وروى عليّ بن عاصم عن عُيَيْنة بن عبد الرحمن عن أبيه أنّه قال: جاءت امرأة إلى سَمُرة فأعلمته أنّ زوجها لايستطيعها، وذَكَر زوجها أنّه يأتيها، فأشكل عليه القضاء فكتب إلى معاوية يستطلع رأيه، فكتب إليه معاوية أن زَوِّجْه امرأة جميلة وأصدقْها من بيت المال، فزوَّجه امرأةً وأصدقها أربعة آلاف درهم، ثمّ أدخلها عليه ليلاً فلمّا أصبح دعا سَمُرة بالرجل، فجاء وعليه أثر صُفْرة، فقال: ماصنعت؟ فقال: كان ذلك منّي إليها حتّى خَضْخَضَ[1] من ورائها في الثوب، فدعا بها سَمُرة فقال لها: ماصنع؟ قالت:

---

١ - أي حركته حتى استمكن واستقر. النهاية لابن الأثير.

لاشيء عنده، فقال: انتَشَرَ؟ قالت: نعم، ولكنّه إذا دنا أكسل، قال سَمُرة: طلِّقْ يامُخَضْخِض.

المدائني قال: وقيل لسَمُرة في رجل أنّه طويل الصلاة، فقال: لو مات ما صلّيتُ عليه، ذهبَ إلى أنه خارجيّ.

وولّى معاوية بعد سَمُرة عبد الله بن عمرو بن غيلان بن المُحَبَّق الهُذَلي، فحصبه رجل وهو أمير، فأُتي بالرجل فقَطع يده ورِجله.

المدائني عن قُرّة بن خالد عن عبد الله بن الداناج أنّ رجلا حصب عبد الله بن عمرو بن غيلان على منبر البصرة، وكان يقال للرجل جُبَيَر بن الضحّاك أحد بني ضِرار من ضَبّة، فأُخذ وأُتي به عبد الله، فأمر به فقُطعت يده ورِجْله وقال:

العَفْـوُ والـطاعَـةُ والتَسْليم خَـيْرٌ وأَعْـفى لِـبَني تَمـيم

فكُتِبَ بذلك إلى معاوية وقالوا: قَطَعَ على شُبْهة، فعزل عبد الله بن عمرو وقال: قد وَليت عليكم عبيد الله ابن أخي زياد.

قال زياد: ليس يُعْجبني من الرجل أن يكون وصّافاً لبطنه وفَرْجه، ويعجبني منه إذا سيم خَسْفاً أن يقول: لا ، بملء فيه .

حدثنا عمرو الناقد عن موسى بن قيس عن سَلَمَة بن كُهيل قال: أوّل مَن وَطيءَ على صِماخ الإسلام زياد.

قالوا: وكان زياد يُغَدّي الناس ويعشّيهم وكانت له ألف ناقة يُؤتى بلبنها، وقد نثر التمر على الأنطاع، فيتمجّعُون اللبن بالتمر، فإذا ارتفع النهار غُدُّوا، ثمّ يعشّي بعد العصر، ويَحضر غداءهُ وعَشاءه الصحابةُ والشُرَط والمقاتلة

ومَن حضر، وكان يُطعم بالبصرة والكوفة، فإذا غاب عن إحداهما قام عمّاله مقامه.

المدائني قال: حمل شَريك بن الأَعْوَر مالاً من اصطخر مع رجل فقال له الخزّان: أَحْضِرْ وَزْنه ونَقْده، فقال: انّما دفع إليّ مالاً مختوماً، فرفعوا قوله إلى زياد فقال: إن نقص المال فليُؤخذْ به شريك، فأمّا هذا فلا شيء عليه ثمّ تمثّل بنصف بيت:

وأَبْرزُ للبراءَةِ للبَرَازِ

أمر حجر بن عدي الكندي ومقتله:

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن عَوانة قال: جمع معاوية لزياد البصرة والكوفة، فأتى الكوفة فبعث إلى حُجْر فأجلسه معه على السرير، وقال: ياأبا عبد الرحمن إنّ الأمر الذي كنّا فيه مع عليّ كان باطلاً، وإنّما الأمر مانحن فيه الآن، فقال حُجْر: كلاّ والله ياأبا المغيرة، ولكن الدنيا استمالتك وأفسدتك، فالله المستعان. فقال زياد: ياأبا عبد الرحمن هذا مقعدك، ولك في كلّ يوم عشر حوائج لاتُردّ عنها، واضبطْ لسانك وأمسك يدك، فوالله لئن أقطرتَ من دمك قَطْرةً لأستفرغنّه كلّه، وأنت تعلم أنّي إذا قلتُ فعلت، فقال: لستُ من هذا في شيء.

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبي مخنف وغيره قالوا: لم يزلْ حُجْر بن عَدي منكراً على الحسن بن عليّ بن أبي طالب صلحه لمعاوية، فكان يعذله على ذلك ويقول: تركتَ القتال ومعك أربعون ألفاً ذوو نِيّات وبصائر في قتال عدوّك. ثمّ كان بعد ذلك يذكر معاوية فيعيبه ويظلّمه، فكان هذا هِجّيراهُ وعادّته.

وولّى معاوية المغيرةَ بن شعبة الكوفةَ، فأقام بها تسع سنين وهو أحسن رجل سيرة وأَشدّهُ حُبّاً للعافية، غير أنّه لايدع ذمَّ عليٍّ والوقيعة فيه، والعَيْب لقَتَلَة عثمان واللعن لهم، وكان معاوية حين أراد توليته قال له: يامغيرة:

لِذي الحِلْمِ قَبْلَ اليَوْمِ ماتُقْرَعُ العَصا وما عُلِّمَ الإنْسان إلا لِيَعْلَما

وقد يُجزىء عنك الحلمُ بغير تعليم، وقد أردتُ أن أوصيك بأشياء كثيرة، فتركتُ ذلك اعتماداً على بصَرك بما يرضيني ويشدّد سلطاني ويُصْلح رعيّتي، غير أنّي لاأدع إيصاءك بخَصْلةٍ: لاتَكَفْكَفَنَّ عن شَتْم عليّ وذمّه، والترحّم على عثمان والاستغفار له، والعَيْب لأصحاب عليّ والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم، والإطراء لشيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع منهم. فقال المغيرة: قد جَرَّبتُ وجُرِّبت، وعملت قبلك لغيرك، فلم يُذمم لي رَفْع ولا وَضْع، وستَبلوا فتحمد أو تذمّ، فقال: نحمد إن شاءَ الله فسمع حُجْر المغيرة يقول يوماً: لعن الله فلاناً ـ يعني عليّاً ـ فإنّه خالف ما في كتابك، وترك سنّة نبيّك، وفرَّقَ الكلمة وهراق الدماء، وقتل ظالماً، اللّهم العنْ أشياعه وأتباعه ومحبّيه والمهتدين بهدْيه والآخذين بأمره، فوثب حُجْر رضي الله تعالى عنه، فنعر[1] بالمغيرة نَعْرة سُمعت من كلّ جانب من المسجد، وسُمعت خارجاً منه فقال له: انّك لاتدري بِمَنْ تولَعُ، وقد هَرِمْتَ أيّها الإنسان وحرمتَ الناس أرزاقَهم، وأخّرت عنهم عطاءهم، وإنّما أراد بهذا القول تحريض الناس عليه. وقام مع حُجْر أكثر من ثلاثين كلّهم يقول مثل قوله ويُسمعون المغيرة، فيقولون له: أُولِعْتَ بذَمّ الصالحين وتقريض[2] المُجرمين،

١ ـ نعر: صاح وصوت بخيشومه. القاموس.

٢ ـ التقريض: المدح والذم. القاموس.

فنزل المغيرة فدخل داره، فعاتبه أصحابه على احتمال حُجْر وقالوا: انّ معاوية غير محتملك على هذا، فقال: وَيْحَكم إنّي قد قتلته بحِلْمي عنه، سيأتي بعدي مَن لايحتمله فيقتله في أوّل وَهْلَةٍ، وقد قرب أَجَلي وضعف عملي، ولاأحب أن أبتدىء أهلَ المصر بقتل خيارهم ووجوههم، فَيسْعدوا وأشقى، ويَعِزُّ معاوية في الدنيا ويذلّ المغيرة في الآخرة، ولكنّي قابل من مُحْسنهم وعافٍ عن مُسيئهم، وحامد حليمهم وواعظ سفيههم، حتّى يفرق الموت بيني وبينهم.

وكانت ولاية المغيرة في سنة إحدى وأربعين ووفاته في سنة خمسين، فجُمعت البصرة والكوفة لزياد، فخطب خطبةً قال فيها: إنّا وجدنا هذا الأمر لايصلح آخرُه إلا بما صلح به أوّله، من الطاعة الليّنة الشبيهة سريرتها بعَلانيتها، وغَيْبُها بشهادتها، وقلوب أهلها بألسنتهم، وقد بلغني أنّ قوماً يعيبون الخليفة إرصاداً للفِتْنة، فمَهْلاًمَهْلاً، فإنّ لكم صَرْعَى فَلْيَخْشَ كل امرىء منكم أنْ يكون من صرْعاي، فإنّي آخذ الكبير بالصغير، والقريب بالبعيد، والبريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، والمُقبل بالمُدبر، حتّى تستقيم لي قناتكم، وحتّى يلقى الرجل صاحبه فيقول: ياسَعْدُ أنْجُ فقد قُتل سعيدٌ.

وخطب أيضاً ذات يوم وعليه عمامة حمراء وقد أرسلها فقال: أيّها الناس، أنّ هذه السبئيّة الحائنة ـ يعني الشيعة ـ المتحيّرة قد ركبت أعجاز أمور هلك مَن ركب صدورَها، فـ ﴿إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَر لَهُم ما قَد سَلَفَ وَإنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأوَلِينَ﴾[1] ونزل، فبعث إلى حُجْر، وقد كان له قبل ذلك وَدّا وصديقا فقال له: قد بلغني ماكنتَ تصنَع بالمغيرة وماكان يحتمل منك، وإني والله غير محتملك، والرائد لايكذِب أهلَه، وأنت الأثير عندي ما لم

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية: ٣٨ .

تبسط لساناً ولا يداً بشيء ممّا أكرهه، وإن فعلت فأقطرتُ من دمك قَطْرةً استفرغته أجمع، فأرعَ على نفسك، فخرج حُجْر من عنده وهو هائب له، وكان زياد يُدينه ويُكرمه، والشيعة في ذلك تختلف إليه وتسمع منه.

وكان زياد يقيم بالبصرة ستّة أشهر وبالكوفة ستّة أشهر، يَصيف بهذه[١] ويشتو بهذه[٢]، ويستخلف على البصرة سَمُرة بن جُنْدَب الفَزاري، وعلى الكوفة عمرو بن حُرَيْث المخزومي. فلمّا أراد زياد أن يشخص من الكوفة إلى البصرة دعا حُجْراً فقال له: إنّ غِبّ البَغْي والغَيّ وَخيمٌ، وقد بلغني أنّك تُلقح الفِتَن، ولو صحّ ذلك عندي لم أبرحْ حتّى أقتلك، فاتقِ الله في نفسك وأربَعْ على ظَلعك، فوالله لئن أفرغتُ من دمك قَطْرةً لآتينّ على آخره، وقد أعْذَر مَن أنْذَر، وقد ناديتُك وناجيتُك، فقال حُجْر: أبلغتَ، دون هذا يكفيني أيّها الأمير. وكان حُجْر وطائفة من أصحابه يجتمعون في المسجد بعد شخوص زياد، ويجتمع الناس إليهم، فيذمّون معاوية ويشتمونه، ويذكرون زياداً فيتنقصونه ويجدبونه[٣] حتّى تعلو أصواتهم بذلك، فأتى عمرو بن حُرَيث المسجد فصعد المنبر وقد اجتمع إليه رؤوس أهلِ المصر فقال: ماهذه الأصوات العالية والرعة السّيئة؟ فوثب إليه عُنق من أصحاب حُجْر، فضجّوا وشتموا، ودنوا منه فحصبوه حتّى دخل القصر، وكتب إلى زياد مع سِنان بن حُرَيث الضَبّي بخبر حُجْر وأصحابه، وأنّه لايملك من الكوفة معهم إلا دار الإمارة، فلمّا قرأ زياد كتاب عمرو قال: بئسَ الرجل حُجْر، ونعْمَ الرجل

---

١ - كتب فوقها بالأصل: بالكوفة.

٢ - كتب فوقها بالأصل: بالبصرة.

٣ - الجدب: العيب. القاموس.

عمرو، أركبوا بنا، فركب مُغِذّاً لِلسَّيْر، وتمثّل قول كعب بن مالك الأنصاري:

فَلَمَّا استَوَوْا بِالعِرْضِ قالَ سَرَاتُنا عَلامَ إذا لَمْ يُمْنَعِ العِرْضُ يُزْرَع [1]

ثم قال: وَيْلَ أمِّك حُجْرُ: سَقَطَ العَشاءُ بِكَ عَلى سِرْحانٍ[2]؛ فلما أتى الكوفة صعد المنبر فقال: ياأهل الكوفة جمتم فأشِرتم، وأمِنتم فاجترأتم، وإنّ عواقب البَغْي شرّ العواقب، والله ياأهل الكوفة لئن لم تستقيموا لأداوينّكم بدوائكم، فإنّه عندي عتيد، ثمّ بعث الهيثم بن شدّاد الهِلالي صاحبَ شرطته إلى حُجْر بن عديّ ليأتيه به ـ ويقال: بل أمر الهيثم أن يوجّه إلى حُجْر مَن يأتيه به، فوجّه حسين بن عبد الله البُرْسُمي ـ فأبى أصحاب حُجْر أن يخلّوا بينه وبين إتيان زياد، فغضب زياد وقال لوجوه أهل المصر: ياأشراف أهل الكوفة، أتَشُجّون بيَدٍ وتأسون بأُخرى؟! أبدانُكم معي وقلوبكم مع الهَجْهاجة المَذْبوب؟! قوموا إليه، فقالوا: مَعاذ الله أن نكون إلا على طاعتك وخِلاف حُجْر والزَرْي عليه، وخرجوا فنحّى كلّ امرىءٍ عن حُجْر من أطاعه من أصحابه.

وقال الهيثم بن عديّ عن أبيه وعن مجالد عن الشعبي وعن أبي جَناب الكلبي قالوا: لمّا قدم زياد الكوفة بعث إلى حُجْر فقال: يا هذا كنّا على ماعلمتَ، وقد جاء أمر غير ذلك، أمْسِكْ عليك لسانَك، ولْيَسَعْكَ منزلُك، وهذا سريري فهو مجلسك، فإيّاك أن تستزلّك هذه السِفلة أو تستفزّك، إنّي لو استخففتُ بحقّك هانَ عليّ أمرك، ولم أكلّمك من كلامي

---

١ ـ لكعب بن مالك ترجمة بالأغاني ج١٦ ص٢٢٦ ـ ٢٤٠ ، ولم يرد هذا البيت فيها.

٢ ـ يضرب مثلاً للحاجة تودي صاحبها إلى التلف. جمهرة الأمثال للعسكري ج١ ص٥١٤ .

هذا بحَرْف. فلمّا صار إلى منزله اجتمعت إليه الشيعة فقالوا: أنت شيخنا وأحقّ الناس بإنكار هذا الأمر. فلمّا شخص زياد إلى البصرة استخلف عمرو بن حُرَيث على الصلاة والحرب، ومِهْران مولاه على الخراج، وأمر العمّال بمكاتبة عمرو، وكان الطريق يومئذ على الظَهْر، وربّما ركبت الرسل الفرات حتّى ترد آجام البصرة ثمّ تدخل البصرة، فأرسل عمرو إلى حجر: ماهذه الجماعات التي تجتمع إليك؟ فقال: جماعة يُنكرون ماأنتم فيه، فأرسل إليه قوماً فقاتلهم أصحابه وألجأ وهم إلى قصر الإمارة، فكتب عمرو إلى زياد: إن كانت لك بالكوفة حاجة فالعَجَل، فإنّي كَتَبْتُ إليك وليس في يدي منها مع حُجْر بن عديّ إلا القصر، فأَغَذَّ السَيْرَ حتّى قدم الكوفة، فبعث إلى عديّ بن حاتم الطائي وجَرير بن عبد الله البَجَلي وخليفة بن عبد الله الجَعْفَري وعمرو بن الحجّاج الزَبَيْدي وهانىء بن عُرْوَة المُرادي وثابت بن قيس النَّخَعي وخالد بن عُرْفُطة العُذْري فقال: ائتوا هذا الشيخ المفتون فإنّي خائف أن يحملنا من أمره على ماليس من شأننا، فأتوه، فقال له عديّ بن حاتم: قد علمت ياأبا عبد الرحمن ما كان من كلام الأمير لك ومن ردّك عليه مارددْت، وهذه عشيرتك، نسألك بالله والقرابة أن لاتفجَعنا بنفسك، فهَبْ لنا هذا الأمر، واكظمْ غيظك حتّى يرى غيرك ما أنت عليه، فقال حُجْر: ياغلام اعِلف البَكْرَ - لِبَكْرٍ كان في جانب داره - فقال عديّ: أَمجنون أنت؟ نكلّمك وتقول هذا القول غير مُكْتَرث لكلامنا؟! فقال: أما والله انّي لأرجو أن أوقره من الغنائم غَداً، قال عدي: فنحن نوقره لك الآن فضّةً وذهباً، وتكفّ عن هذا الأمر، فقال حُجْر: لك أوّل ماسمعتَ، فقال عدّي: ماظننتُ أن الضُعْف بلغ بحُجْر ماأرى؛ وكلّمه القوم فلم يكلّمْ منهم أحداً،

فأتوا زياداً فقال: مَهْيَمْ؟ قال عَديّ: أيّها الأمير استذِمَّه فإنّ له سِنّاً، فقال: لستُ لأبي سفيان إذاً، ثم أرسل إليه الشُّرَط فقوتلوا.

قال أبو مخنف: لمّا حال أصحاب حُجر بينه وبين رسل زياد، أمر الهيثم بن شدّاد أن يأتيه به، فلمّا صار إليه قال أصحابه: لا ولا نُعْمَةَ عَيْنٍ، لانجيبه، فشدَّ الهيثم ومَن معه عليهم بعُمُد السوق، فضرب رجل من حَمْراءِ الدَيْلَم يقال له بكر بن عُبَيْد رأس عمرو بن الحَمِق الخُزاعي ـ ويقال: بل ضربه رجل من الأزْد يقال له عبد الله بن مرغد ـ فحُمل إلى أهله، وشدَّ عبد الله بن خليفة الطائي وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ يَوْمَ الهِياجِ طَلَّتي[1] أَنّي إذا مـا فِئَـتي تَـوَلَّتِ
أَو كَثُـرَتْ أَعْداؤُهـا وقَلَّتِ أَنّيَ قَـتّـالُ لِـكُـلِّ ثُـلَّةِ

وضرب رجلاً من جُذام كان في الشُّرَط، وضُربت يد عائذ بن حَمَلة وكُسر نابه فقال:

إنْ يَكْسِروا نابي ويُحْطَم ساعدي فَإنّي امْرُؤٌ في سَوْرَةِ المَجْدِ صاعِدُ

وحمى حجراً أصحابه حتّى خرج، وبغلته موقوفة، فحمله أبو العَمَرَّطَة عُمَيْر بن يزيد الكِنْدي عليها فركبها، وشدّ يزيد بن طَريف المُسلي على أبي العَمَرَّطة فضربه، واختلج[2] أبو العَمَرَّطة سيفه فضربه به على رأسه، فخرّ لوجهه ثمّ بَرِىء بعدُ، وله يقول عبدالله بن همّام السَلولي:

---

١ ـ الطلة: الزوجة. القاموس.

٢ ـ خلج: جذب، وانتزع، وحرك، وطعن. القاموس.

أَلوم آبْنَ لُؤْمٍ ما عدا بِكَ حاسِراً إِلَى بَطَلٍ ذي جُرْأَةٍ وشَكيمِ
مُعاوِدِ ضَرْبِ الدّارعينَ بِسَيْفِهِ على الْهامِ عندَ الرَوْعِ غيرِ لئيمِ
حَسِبْتَ آبْنَ بَرْصاءِ العِجانِ قِتالَهُ قِتالَكَ زَيْداً عِنْدَ دارِ حَكيمِ

وكان قتل رجلاً بالكوفة عند دار حكيم ، وكان ذلك أوّل سيف ضُرب به بالكوفة في الاختلاف بين الناس . وخرج قيس بن قَهْدان الكِنْدي ثم البَدِيّ على حمارٍ له وهو يقول :

يا قَوْمَ حُجْرٍ دافِعوا وصاوِلوا وعَنْ أَخيكُمْ ساعَةً فقـاتلوا
لا يُلْفَيَنْ مِنْكُمْ لِحُجْرٍ خاذِلُ أَلَيْسَ فيكُمْ رامِحٌ ونـابِـلُ
وفـارِسٌ مُسْتَلْئِمٌ أَوْ راجِـلُ وضارِبٌ بِالسَيْفِ لا يُواكِلُ

فلم يُجْبه من كندة أحدٌ ، ثمّ عطف عدّة من كندة منهم عُمَيْر بن يزيد أبو العَمَرَّطة وقيس بن يزيد أخوه ، وهو الذي يقول فيه ابن هَمّام السَلولي :

وقَيْسُ كِنْدَةَ قَدْ طالَتْ إِمارَتُهُ في سُرَّةِ الأَرْضِ بَيْنَ السَهْلِ والجَبَلِ

وعبد الرحمن بن مُحْرِز بن مُرّة الكِنْدي ثم الطُمحي وقيس بن سُمَيّ الكِنْدي ثم البَدِيّ وعُبَيْدة بن عمرو البَدّيّ الشاعر ، فقاتلوا ساعة .

قالوا : ووجّه زياد أشرافَ أهل الكوفة من مضر ومَذْحِج وهَمْدان إلى حُجْر ليأتوا به ، وفرق بين مضر واليمن لئلا يختلفوا .

وقال الهيثم بن عديّ : أرسل زياد حين قوتل أصحابه إلى عديّ بن حاتم وخُرَيْم بن أوس بن حارثة بن لامٍ ، وسعيد بن قيس الهَمْداني ، وهانىء بن عُرْوة المُرادي وزياد بن النَضْر الحارثي ، وشُرَيْح بن هانىء ، وكَثير بن شِهاب الحارثي ، ووائل بن حُجْر الحَضْرَمي ، وثابت بن قيس النخعي ، وجماعةٍ غيرهم من وجوه اليمانية فقال : هذا عن مَلأ منكم ؟

فقالوا : معاذَ الله ، قال : فآكفوني بوائقكم ، فخرجوا فخّوفوا أصحاب حُجْر وأعلموهم أنّه لا ينصرهم أحد فتفرّقوا ، وأرسل زياد إلى كندة يتهدّدهم إن لم يُسلِموا حُجْراً .

وقال أبو مخنف وغيره : استخفى حُجْر في دارٍ بالنَخَع ، ثمّ أتى الأَزْد فنزل في دار ربيعة[1] بن ناجذ بن أُنَيْس الأَزْدي فمكث بها يوماً وليلة .

وقال الكلبي : لجأ حجر إلى سليمان بن يزيد بن شراحيل الكندي ، من ولد حُوت بن الحارث ، ودعا زياد محمّد بن الأشعث بن قيس فقال له : يا مُؤَنَّث لتأتينّي بحجر أو لا أَدَعُ لك نخلةً إلاّ قطعتُها ولا داراً إلا هدمتُها، ثمّ لا تسلم منّي ، أقطعك إرْباً إرْباً ، وأمر به إلى الحبس ، فقيل له : خَلِّه يطلب صاحبه ، ففعل ؛ وبعث حجر إلى محمد غلاماً له أسود ، فقال له : يقول لك مولاي قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبّار العنيد ، وأنا خارج إليك ، فآجمعْ نفراً من قومك يسألونه أن يؤمنني حتّى يبعث بي إلى معاوية فيرى رأيه فيّ ، فأتى محمّد وجرير بن عبدالله البجلي وعبدالله بن الحارث النَخَعي أخو الأشتر زياداً ، فطلبوا إليه أن يؤمن حجراً حتّى يبعث به إلى معاوية ولا يعجل ، ففعل ، وأرسلوا إلى حجر فأتى زياداً ، وهو جريح ، وكان يزيد بن طَريف المُسليّ ضربه على فخذه بعمودٍ ، فلما رآه زياد قال : يا أبا عبد الرحمن أُحرب في أيّام الحرب ، وحرب في أيّام السِلْم ؟! على نفسها تَجني بَراقِشُ ، فقال حجر : ما فارقت طاعةً ولا جماعة ولا مِلْتُ إلى خلاف ومَعْصية ، وإنّي لعلى بَيْعتي ، فقال : تشجّ وتأسو ؟! وأمر به إلى الحبس وقال : لولا أنّي آمنته ما برح حتّى يلفظ عَصْبَه .

---

١ ـ بهامش الأصل : «زمعة» .

وجدَّ زياد في أمر أصحاب حجر وطلبهم أشدّ الطلب ، فأخذ مَن قدر عليه منهم ، فأُتي بِربْعِيّ بن حراش العَبْسي بأمان فقال : والله لأجعلنّ لك شُغْلاً بنفسك عن تَلْقيح الفِتنَ ، ودعاه إلى الوقيعة في عليّ فأبى فحبسه ، ثمّ كُلّم فيه فأخرجه ، وأُتي بكَريم بن عفيف الخَثْعمي ، فقال : وَيْحك ما أحسنَ اسمَك وأقبحَ فعلك !! وأمر به إلى الحبس .

وجاء رجل من بني شيبان إلى زياد فقال له : انّ آمرءاً منّا يقال له صَيْفيّ بن فشيل من رؤساءِ أصحاب حجر وهو أشدّ الناس عليك ، فبعث إليه فأُتي به فقال : يا عدوّ الله ، ما تقول في أبي تُراب ؟ قال : ومَن أبو تُراب ؟ قال : ما أُعْرَفَك به ، أما تعرف عليّ بن أبي طالب ؟ قال : الذي كنتَ عاملَه ؟ ذاك أبو الحسن والحسين ، فقال له صاحب شُرَطه : يقول لك الأمير أبو تُراب وتقول : لا ؟! قال : أَكْذِبُ إن كذبَ الأمير وأشهد بالباطل كما شهد ؟ فقال زياد : ما قولك في عليّ ؟ فقال : أحسنُ قولٍ أقوله في أحد من عِباد الله ، أقول مثلَ قولك فيه قبل الضلال ، قال : آضربوا عاتقه بالعصا حتّى يلصق بالأرض ، فضُرب حتّى لصق بالأرض ، ثمّ قال : أَقْلِعُوا عَنْهُ ، ما قولك في عليّ ؟ قال : لو شرّحتني بالمَواسي والمُدَى ما زُلْتُ عمّا سمعتَه منّي ، قال : لَتلعنّنه أو لأضربنّ عنقك ، قال : إذاً تضربها قبل ذلك ، فألقوه في السجن .

وبلغ زياداً أنّ عبدالله بن خليفة الطائي بالكوفة ، وكان قد قاتل مع حجر رضي الله تعالى عنه ، فحبس عَدّي بن حاتم ليأتي به ، فلم يبقَ أحد من نِزار واليمن بالكوفة إلاّ ارتاع واغتمّ لحبسه ، وبعث إليه عبدالله : إن احببتَ أن أخرج فعلتُ ، فبعث إليه : لو أنّك تحت قَدَمي ما رفعتُها عنك ،

ودعا به زياد فقال : أُخلي سبيلك على أن تنفي ابن خليفة من الكوفة فينزل بالجبلَيْن ، فقال : نعم ، فلحق عبدالله بالجبلَيْن ، وقال له عدّي : إذا سكن غَضَبه كَلّمته فيك .

وقال الهيثم بن عديّ ، قال زياد لحجر حين أُدخل اليه : أَتريد أن تنجو بعد أن أمكن الله منك ؟! فقال : أنا على بَيْعتي لم أنكْثها ولم استقِلها ، ولم آتك إلاّ على أمان ، قال : يا دَبِر بن الأَدْبَر[1] والله إن كنتَ في حربك لسِلْماً وإنك في سِلْمكَ لَحَرْبٌ ، ثمّ حبسه .

وروي أنّ المغيرة لمّا شتم علياً وقام إليه حجر بن عديّ قال له : والله لئن عدتَ لمثلها لأضربنّ بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي ، فكتب المغيرة بذلك إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية : إنّك لست من رجاله فدارِه ، فقال زياد : يا ابن الأدبر أتظنّ أنّي كالمغيرة إذا كتب أمير المؤمنين إليه بما كتب به فيك ؟ أنا والله من رجالك ورجال مَن يغمرك رأياً وبأساً ومكيدة ؛ وكان زياد قد كتب إلى معاوية في حجر إنّه وأصحابه يردّون أحكامي وقضاياي ، وكتب يستأذنه في قتله ، فكتب إليه : ترفقْ حتّى تجد عليه حُجّة ، فكتب إليه : إنّي قد وجدت على حجر أعظم الحجّة : خَلعَكَ وشهدَ الناسُ عليه بذلك . وكان رجل من بني أَسَدَ قتل رجلاً ، كان من أهل الذِمّة فأسلم ، فقال زياد : لا أقتل عربيّاً بنبطيّ ، وأمر القاتلَ أن يُعطي أولياءَ المقتول الدِيَةَ فلم يقبلوها ، وقالوا : كنّا نُخْبَرُ أنّ دماء المسلمين تتكافأ ، وأنْ لا فضلَ لعربيّ على غيره ؛ فقام حجر وأصحابه ، فقال حجر : يقول الله عزّوجلّ

---

١ ـ الأدبرجد حجر ، قيل اسمه عدي ، وقيل جبلة ، وإنما سمي الأدبر لأنه طعن مولياً. الحسين بن علي وحجر بن عدي لابن العديم ـ ط . دمشق ١٩٨٩ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ وتقول أنت غير ذلك ، والله لتُقيدنّه أو لأضربّنك بسيفي ، فما برح حتّى قُتل الأَسَدي ، فلذلك كتب إلى معاوية في أمره .

قالوا : فاجتمع في سجن زياد من الشيعة أربعةَ عشر رجلاً وهم : حجر بن عديّ الأدبر ، الأرقم بن عبدالله الكِنْدي ، شَريك بن شَدّاد الحَضْرَمي ، صَيْفي بن فشيل الشيباني ، قَبيصة بن ضُبَيْعة بن حَرْمَلة العَبْسي ، كَريم بن عَفيف الخَثْعَمي ، عاصم بن عَوْف البَجَلي ، وقاء بن سُمّي البَجَلي ، ويقال : وَرْقاء بن سُمَيّ ، وكدام بن حيّان العَنَزَي ، وأخوه عبد الرحمن بن حيّان من بني هُمَيْم ، ومُحْرِز بن شِهاب المِنْقَري ، وعبدالله بن حَوِيّة الأعرجي - وبعضهم يقول جُوَيّة والأول أثبت - وعُتْبة بن الأخْنس من بني سعد بن بكر وسعيد بن نمران الناعطي من هَمْدان ، فأمر زياد وجوه أهل المصر أن يكتبوا شهادتهم عليهم ، فكتب أبو بُرْدة بن أبي موسى أوّلهم : هذا ما شهد عليه الشهود أبو بُرْدة بن أبي موسى لله ربّ العالمين ، شهد أنّ حجر بن عديّ خلع الطاعة وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه جموعاً يدعوهم إلى نَكْث البيعة ، وخلع أمير المؤمنين معاوية ، فكفر بالله كَفْرَةً صلْعاءَ ، وأتى معصية شنعاءَ ، فقال زياد : آشهدوا على مثل شهادته فشهد اسحاق بن طلحة ، وموسى بن طلحة ، وإسماعيل بن طلحة بن عبيدالله ، وعُمارة بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط ، وخالد بن عُرْفُطة ، والمنذر بن الزبير بن العَوّام ، وعبد الرحمن بن هبّار ، وعمر بن سعد بن أبي وقّاص ، وعامر بن أميّة بن خَلَف الجُمَحي ، ومُحْرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العُزّى بن عبد شمس ، وعبدالله بن مسلم الحَضْرَمي ، وعِفاق بن شرحبيل بن أبي رُهْم التَيْمي من ربيعة ، ووائل بن

حُجْر الحَضْرَمي ، وكَثير بن شِهاب بن الحصين الحارثي ، وقَطَن بن عبدالله الحارثي ، والسَرِيّ بن وقّاص الحارثي ، وهانىء بن أبي حيّة الوادِعيّ ، وكُرَيْب بن سلمة بن يزيد ، وعمرو بن حُرَيْث المخزومي ، وأسماء بن خارجة الفَزاري ، ومحمّد بن عُمير بن عُطارِد التميمي ، ويزيد بن رُوَيْم الشيباني ، وشَبَث بن رِبْعي التميمي ، وعَتّاب بن وَرْقاء الرِياحي ، ومحمد بن الأشعث الكِنْدي ، وعمرو بن الحجّاج الزُبَيدي ، والعُرْيان بن الهيثم النَخَعي .

وقال المدائني : شهدوا أنّ حجراً وأصحابه شتموا عثمان ومعاوية وبرئوا منهما ، فقال : ما هذه بقاطعة ، فقام أبو بُرْدة فشهد أنّهم خلعوا الخليفة ، وفارقوا الجماعة ، ودعوا إلى الحرب ، وكفروا بالله ؛ وشهد رؤساء الأرباع على مثل شهادته، وكان على رُبْع المدينة عمرو بن حُرْيث، وعلى رُبع تميم وهَمْدان خالد بن عُرْفُطة العُذْري حليف بني زُهْرة ، وعلى ربع كندة وربيعة قيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المَخْزومي ، وعلى رُبْع مَذْحِج أبو بُرْدة ، فقام عِفاق فقال : أنا أشهد على مثل شهادته ، فقال زياد : معروف بالنصيحة ، آكتبوا شهادته بعد مُضَر .

وشهد عليه لبيد بن عُطارِد ، وسُوَيْد بن عبد الرحمن ، وشَمِر بن ذي الجَوْشَن ، وعبدالله بن أبي عقيل الثقفي ، ومُحفِّز بن ثعلبة من عائذَة قريش الشَيْباني ، ومن ربيعة قَعْقاع بن شَوْر ، وحَجّار بن أَبْجَر العِجْلي ، وشهد أيضاً زحر بن قيس الجُعْفيّ ، وقُدامة بن عِجْلان الأَزدي ، وعزرة بن قيس الأحْمَسي ، وشُرَيْح بن هانىء ، وهرب المختار بن أبي عُبيد ، وعُروة بن المغيرة بن شُعْبة من أن يشهدا .

وقوم يقولون : ان مَصْقَلَة بن هُبَيْرة كان من الشهود ، وقوم يقولون : انّ مَصْقَلة هلك بَطَبَرستان في أيّام المغيرة ، وقال بعضهم : شهد بِسْطام بن مَصْقلة .

وقال الكلبي : كان من الشهود الهَيْثَم بن الأسود ، وشَدّاد والحارث ابنا الأزْمَعِ الهَمْداني ، وسِماك بن مَخْرَمة الأسَدي .

ويقال: إن [زياد[1]] دعا إلى الشهادة من أمسك عن الشهادة أو غاب فكتب زياد بشهادتهم ، وكتب زياد شهادة شُرَيْح بن الحارث الكندي القاضي وهو غائب ، فلمّا بلغه ذلك كتب إلى معاوية : انّي نُبّئت انّ زياداً كتب إليك كتاباً في منزله ستره عن العامّة أكّد فيه شهادات قوم على حجر أخي كندة وسمّاني فيهم ، ألا وإنّ شهادتي على حجر أنّه رجل مسلم عفيف يُقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم شهر رمضان ويُديم الحجّ والعُمْرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المُنْكَر ، حرامُ الدم والمال ، وإن له لغناءً في الإسلام ، وقد رفعتها إليك فتقلّد معها ما أنت مختار لنفسك ، والسلام . فقال معاوية حين قرأ كتاب شُرَيْح : أمّا هذا فقد أخرج نفسه من الشهادة .

وكان فيمن شهد على حجر شَدّاد بن المنذر أخو حُضَيْن بن المنذر لأبيه، وكانت أمّه نَبَطّية من بِارق، وهو موضع بطريق الكوفة، واسمها بزعة وكانت تصغر فيقال بُزَيْعَة ، ولم يكن يُنسب إلاّ إليها ، فلمّا مرّ اسمه بزياد فرأى : وشهد شدّاد بن بُزَيْعة قال : أما لهذا أبٌ يُنْسب إليه ؟ فقالوا : هذا أخو حُضَيْن بن المنذر الرقاشي فقال : آطرحوا اسمه ، فقال شَدّاد : وَيْلي على ابن الزانية وهل يُعْرف إلاّ بسُمَيّة الزانية .

١ - فراغ بالأصول ، والإضافة من سياق الخبر .

وحمل زياد حجراً وأصحابه إلى معاوية في السلاسل على جمال اكتراها لهم صِعابا ، ووجّه معهم شَبَث بن رِبْعي الرِياحي ، ووائل بن حُجْر الحَضْرَمي ، ومَصْقَلَة بن هُبَيْرة الشيباني ـ ويقال ابنه وذلك أثْبت ـ وكثير بن شِهاب الحارثي ، وكتب إليه : قد بعثت إليك بحجر ووجوه أصحابه ؛ فلمّا نفذوا قال عبيدالله بن الحُرّ الجُعْفي : ألا أجد خمسين فارساً ألا عشرين ألا خمسة نفر يتبعوني فأتخلّصهم ؟! فلم يُجبْه أحد ، ومُضي بهم إلى الشام ، فلم يُدخلوا على معاوية ، وأمر أن يُحبسوا في مَرْج عَذْراء ، فحُبسوا هناك . وكتب معاوية إلى زياد : إنّي متوقّف في أمرهم . وتوقّف معاوية في أمرهم ، فمرةً يرى قتلهم ومرّةً يرى الصفح عنهم، فكتب إليه زياد: قد عجبت من اشتباه الأمر عليك في حجر وأصحابه ، وقد حضرتُ أمرهم ، وشهد خيار أهل المصر بما شهدوا به عليهم ، فإن كانت لك في المصر حاجة فلا تُردّن حجراً وأصحابه . فلمّا قرأ معاوية الكتاب في جواب ما كتب به إلى زياد قال : ما ترون يا أهل الشام ؟ فقال عبد الرحمن بن عبدالله بن عثمان الثَقَفي ، وهو ابن أمّ الحَكَم أخت معاوية : جِذادَها جِذادَها[1] ، فقال معاوية : لا يُغني أمراً ، وقال يزيد بن أَسَد البَجَلي : أرى أن تفرّقهم في قُرى الشام فيكفيكهم طَواعينها ، وقال له سعيد بن العاص : فرّقهم في قبائلهم بالشام يكفل كلّ قوم صاحبهم ، ولعلّ طواعين الشام تكفيك أمرهم . فكُلّم معاوية في وقاء بن سُمَيّ وعاصم بن عوف ، وكتب فيهما جرير بن عبدالله البَجَلي ، فشفّعه معاوية ووهبهما له ، وكلّمه أبو الأعْوَر السُلَمي في

١ ـ جذذ : قطع ، أي اقتل اقتل . النهاية لابن الأثير .

عُتْبة بن الأخْنس فوهبه له ، وكلّمه حمزة بن مالك الهَمْداني في سعيد بن نِمْران فوهبه له ، وكلّمه حَبيب بن مسلمة الفِهْري في ابن حَوِيّة فخلّى سبيله ، وكلم في الأرقم فخلّى سبيله ، وكلّمه مالك بن هُبَيْرة السَكوني في حجر فلم يُجِبْه ، وقال : هذا رأس القوم ، وهو أَنْغَل المصر وأفسده ، ولئن وهبته لك اليوم لتحتاجنّ أن تقاتله غداً ، فقال : والله ما أنصفتَني ، قاتلتُ معك ابن عمّك حتّى ظفرتَ ، ثمّ سألتك ابن عمّي فسطَرت عليَّ من القول ما لا أنتفع به ، ثمّ انصرف فجلس في بيته . وبعث معاوية إلى من بقي منهم بأكفان وحَنوط مع رجل من أهل الشام لُيرعبهم بذلك ، وأمره أن يدعوهم إلى البراءة من علي وإظهار لعنه، ويَعد مَن فعل ذلك أن يتركه، فإن لم يفعلْ قُتل، فإنّ دماءهم حلال لشهادة أهل مصرهم عليهم ، فقالوا : اللّهمّ فإنّا لا نفعل ذلك ، ثم أمر بقبورهم فحُفرت وأُدنيت أكفانهم ، فقاموا الليل يصلّون ، فلمّا أصبحوا عرض عليهم مثل الذي عرض فأبوه ، وبعث إليهم معاوية هُدْبة الأعور بن فيّاض القُضاعي والحُصَيْن بن عبدالله الكِلابي وأبا شريف الفَزاري ليقتلوهم ، فلمّا رأوهم يصلّون قالوا : ما أحسنَ صلاتكم !! فما تقولون في أمير المؤمنين عثمان ؟ قالوا : جار في الحُكْم وعمل بغير الحقّ وخالف صاحبَيْه ، فقالوا : أمير المؤمنين أعلم بكم ، وما كان الله لَيظلمكم ولا يدعكم ، وقال الهيثم بن عَديّ : هو ابن أبي شريف .

وقالوا : لمّا رأى حجر الأكفان قال : تكفوننا كأنّا مسلمون ، وتقتلوننا كأنّا كافرون .

وكان هُدْبَة أعور فلما رآه كَريم بن عَفيف الخَثْعَمي قال : يُقتل نصفُكم وينجو نصفُكم ، فقال ابن نِمْران : اللّهم آجعلني ممّن ينجو وأنت

عنّي راضٍ ، وقال عبد الرحمن بن حيّان العَنَزي : اللّهم آجعلْني ممّن يُكْرَمُ بَهوانهم وأنت عنّي راضٍ ، فعزلوا الثمانية ، وعرضوا على الباقين البراءة من عليّ رضي الله تعالى عنه ، فقال كَريم بن عَفيف وعبد الرحمن بن حَيّان : آنطلقوا بنا إلى معاوية فنحن نقول بقوله ، فعزلوهما وأبى الآخرون .

قالوا : وأخذ كّل رجل رجلاً فقتله ، وسألهم حجر أن يصلّي ركعَتْين فأذنوا له في ذلك، فصلّى وقصَّر ثمّ قال: والله ما صلّيت قطّ أقصر منها لأنّي خفت أن تظّنوا بي أنّي أطلت صلاتي جَزَعاً من القتل ، فقتله الأعور بن فيّاض بالسيف ، ويقال : ذبحه ذبحاً ، وجيءَ بكَريم بن عَفيف الخَثْعَمي وعبد الرحمن بن حيّان الى معاوية ، فأما الخَثْعَمي فقال له : ما تقول في عليّ ؟ قال : مثل مقالتك أنا أَبْرَأُ من دين عليّ الذي يَدينُ به فحبسه شهراً ليستبرىء أمَره ، فكلّمه فيه شَمِر بن عبدالله الخَثْعَمي فخلّى سبيله على أن لا يدخل الكوفة ، فأتى المَوْصِل فأقام بها ومات قبل معاوية بشهرٍ ، وأمّا ابن حيّان فقال له : ما تقول في عليّ ، قال : كان من الذاكرين كثيراً والآمرين بالحقّ سِرا وجَهْرا ، فلا تسألني عن غير هذا! فهو خير لك ، فبعث به إلى زياد وكتب إليه أن آقتلْه شرّ قِتْلَةٍ ، فبعث إلى قُسّ الناطف[1] فدُفن حَيّاً .

وقال الهيثم بن عديّ : حمل هُدْبة بن فيّاض الأعور على حجر بالسيف فاتّقاه ، فقال : ألم تزعم أنّك لا تجزع من الموت ؟ فقال : وما يمنعني وأنا أرى سيفاً مشهوراً وكَفَناً منشوراً وقبراً محفوراً ، ولا أدري على ما أقدم ؛ فُقتلوا وكُفنوا ودُفنوا .

١ ـ موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الشرقي . معجم البلدان .

وقال الهيثم:قال عوانة : قال حجر : الله بيننا وبين أمّتنا ، أمّا أهل العراق فشهدوا علينا ، وأمّا أهل الشام فقتلونا ، والله لقد فتحتُ هذا الموضع وإنّي لأرجو أن أكون شهيداً فيه ؛ وهو كان فتح مَرْج عَذْراء .

قال : ولمّا صلّى ركعتَيْن فقصرهما فقال : والله لئن كانت صلاتي فيما مضى لم تنفعني ما هاتان الركعتان بنافعتي .

وقال المدائني : أخذ زياد بعد مضيّ حجر رجلَيْن : عُتْبة بن الأخْنَس من بني سعد بن بكر ، وسعيد بن نِمران الهَمْداني ، فبعث بهما مع يزيد بن حُجَيَّة التيميّ وعامر بن الأسود العجْلي .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن ابن عَوانة عن أبيه قال : دعا معاوية عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يَغوث الزهري فقال : آذهب فآقتلْ حجراً وأصحابه ، فقال : أما وجدتَ رجلاً أجهل بالله وأعمى عن أمره منّي ؟! فدعا هُدْبَة بن الفَيّاض الأعور فأعطاه سيفاً ، وسرّح معه عِدّة ، وأمره أن يعرضهم على البراءة من عليّ ، فإن فعلوا وإلاّ قَتَلهم ، وبعث معه بأكفان وأمر أن يُقبروا ، فعرض عليهم ما أمر به معاوية ، فلم يجيبوا ، فقُتلوا وذُبح حجر ذبحاً ، وبلغ ذلك أمّه فشهقت وماتت .

وقال عليّ بن الغَدير :

لو كان حُجْرٌ من بَجيلَةَ لَمْ يُنَلْ هُناكَ ولم يُقْرَعْ بأَبْيَضَ صارِمِ
يَزيدهُمُ أنْجى أُساراهُ بَعْدَما جَرَى قَتْلُهُم ذبحاً كَذَبْحِ البَهائمِ

يعني يزيد بن أسد بن كُرْز البَجَلي جدّ خالد بن عبدالله بن يزيد القسري، لأنّه تكلّم في من كان من بَجيلة فوُهبوا له، وهم ثلاثة .

وحُدِّثت عن غِياث بن إبراهيم قال : بعث معاوية ابن خُرَيْم المُرّي جدّ أبي الهَيْذام ليقتلهم ، فلمّا صار إليهم قال : ما أنتم ؟ قالوا : مسلمون ، فقال : على معاوية لعنة الله يأمرني بقتل المسلمين !! ثمّ انصرف ، ثمّ بعث عبدالله بن يزيد أبا خالد بن عبدالله فقتلهم ، وذلك غير ثبت .

حدثني رَوْح بن عبد المؤمن عن سعيد بن عامر عن هشام بن حسّان عن ابن سيرين قال : لمّا أُتي معاوية بحجر قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ، قال : أَوَ أمير المؤمنين أنا ؟! آضربا عنقه ، قال : دعوني أصلّ فصلّى ركعتَيْن خفيفتَيْن ثمّ قال : لولا أن يظّنوا أنّ الذي بي غيره ، يعني من خوف الموت ، لأطلتهما ، فلعمري لئن كانت صلاتي لا تنفعني فيما مضى لا تنفعني الآن ، ثمّ قال لأهله : لا تُطلقوا عنّي حديداً ، ولا تغسلوا عنّي دماً ، فإنّي لاقٍ معاوية عند أعلى الجادّة ، فكان ابن سيرين إذا سُئل عن غسل الشهيد حدّث بهذا الحديث . والمجتمع عليه أنّه لم يُدخلْ على معاوية .

وقال الهيثم بن عديّ : كان الذي كفن حجراً وأصحابة هُدْبة من بني سَلامان إخوة عُذْرة .

وقال المدائني : ومضى هدبة ومعه كريم بن عَفيف فنظر إلى قبر حجر فقال :

كَفَى بثَواءِ القَبْرِ بُعْداً لِهالكٍ وبِالَموْتِ قَطّاعاً لِحَبْلِ القَرائِنِ

لا يُبعدَنْك الله يا حجر .

وقال هشام بن عمّار سمعت مشايخنا يتحدّثون أنّه قيل لحجر بن الأدبر : مُدَّ عنقك ، قال : إنّه لَدَمٌ ما كنت لأُعِين عليه ، فأُقيم وضُربت عنقه ، رحمه الله تعالى .

حدثني عمر بن شبّة عن سعيد بن عامر عن هشام بن حسّان عن ابن سيرين قال : لما أُتي معاوية بحجر قال : السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله ، قال : وأنا عندك أمير المؤمنين ؟! آضربا عنقه .

قالوا : وجمع مالك بن هبيرة جموعاً وغضب لقتل حجر ، وأنه لم يُجَبْ إلى إطلاقه ، فبعث إليه معاوية بمائة ألف وداراه حتّى رضي ، فقال عليّ بن الغَدير في ذلك :

تَدارَكْتُمُ أَمْرَ الهُبَيْرِيّ بَعْدَما ... سما لِلَّتيا والّتي كُنْتَ تَحْذَرُ
فأَضْحَى الهُمامُ عاقِداً ثم رَايَة ... بِحِمْصَ تُناجيهِ السَّكونُ وحِمْيَرُ
يُدارِسُهُمْ آيَ الكِتابِ وقَلْبُهُ ... شجٍ بِمُصاب أَهْلِ عَذْراءَ مُشْعَرُ

وحدثني هشام بن عمّار حدثنا اسماعيل بن عيّاش عن شرحبيل بن مسلم قال : لمّا أُتي معاوية بحجر بن عديّ وأصحابه حبسهم بمرج عَذْراء ، فأوصى حجر فقال : آدفنوني وما أصاب الأرض من دمي ، ولا تُطلقوا حديدي ، فأنّي سألقى معاوية غداً ؛ إنّي والله ما قتلت أحداً ، ولا أحدثت حَدَثاً ، ولا آويت مُحدثاً .

حدثنا عمرو الناقد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم يعني ابن عُلَيّة عن ابن عَوْن عن نافع قال : لمّا بلغ ابنَ عمر قَتْلُ حجر بن عديّ وهو محتبٍ حلّ حُبْوته وقام وقد غلبه النحيب .

قالوا : فكان من قُتل بعَذراء : حجر بن عديّ ، شريك بن شَدّاد الحَضْرمي ثم التُّبَعي ، صَيْفيّ بن فشيل الشيباني ، قَبيصة بن ضُبَيْعة بن حَرْمَلة العَبْسي ، مُحْرِز بن شِهاب المِنْقري ، كدام بن حيّان العَنَزي من بني هُمَيْم ـ وكان بعضهم يقول العَصَري من عبد القيس ـ عبد الرحمن بن حيّان دُفن حيّاً بالكوفة . وكان من نجا منهم : كَريم بن عَفيف الخَثْعمي ، عبدالله بن حَوِيّة السَعْدي ، عاصم بن عوف البَجَلي ، وقاءُ بن سُمَيّ البَجَلي ، الأرْقم بن عبدالله الكِنْدي ، عُتْبة بن الأخْنس من بني سعد بن بكر ، سعيد بن نِمْران الهَمْداني ، وصُلّي على حجر ومَن قُتل معه ودُفنوا ، يرحمهم الله .

وقد قيل : أنّ رِبْعِيّ بن حِراش كان ممّن حُمل مع حجر ، فكلّم فيه يزيد بن الحُرّ العَبْسي ، فخلّى سبيله .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال : مشى هُدْبَة بن فيّاض إلى حجر بالسيف فأُرْعِدَ فقال : كلّا ، زعمتَ أنّك لا تجزع من الموت ، قال : وإن جزعت فإنّي لا أقول ما يُسخط الرب ، فقتله وجُرّ بقَيْده .

وقالت هند امرأة من كندة في قتل هُدبة حجرا :

كَـأن عَيْني دِيمَــةٌ تَـقْـطُرُ   تَبْكي على حُجْرٍ وما تَفْتُرُ
لـو غَضِبَتْ للدينِ أبْنـاؤهُ   لم يَحْمِلِ السَيْفَ له الأعْوَرُ

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه قال : كان حجر فتح حين غزا المسلمون الشام مَرْج عَذْراء ، فلمّا أرادوا قتله وهو بها قال : لئن قُتلت بها إنّي لأوّل مَن نَبحتْه كِلابُها ، ومشى في أكنافها ، وكبّر في واديها .

حدثني العمري عن الهيثم عن أبي جناب قال : لم يبعثْ معاوية إلى حجر وأصحابه بأكفان ، ولكن عشائرهم جاؤوا بأكفان فكفنوهم فيها ودفنوهم .

وحدثني أبو فراس الشامي عن هشام بن الكلبي عن أبيه أنّ مسروقاً قال : قالت عائشة حين قُتل حجر : لو علم معاوية أنّ عند أهل الكوفة مَنَعةً وغِيراً ما اجترأ على قتل حجر وأصحابه ، ولكنّ ابن آكلة الأكباد علم أنّ الناس قد ذهبوا ، لله دَرّ لبيد حين يقول :

ذَهَبَ الذينَ يُعاشُ في أَكْنافِهِمْ وبَقيتُ في خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ[1]

قالوا : وبعث معاوية رجلاً وقال له : امضِ حتى تجلس إلى الحسين وتنعي حجراً ، وانظر ما يقول ، فقال له الرجل : إن معاوية قتل حجراً [وأصحابه] قال : ثم صنع ماذا ؟ قال : كفنهم ودفنهم ، فقال : خصموه ورب الكعبة ، ثم ترحم على حجر .

قالوا : وبعثت عائشة عبدَ الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية ليسأله الصفح عن حجر وأصحابه ، فوجده قد قتلهم ، فقال له : أَقتلت حجراً ! فقال : إنّه خلع يداً من الطاعة وفارق الجماعة وفعل وفعل ، فقال له : وأين كان حِلْمك وأحلام بني حرب عنك ؟ قال : غابت عنّي حين غاب عني مثلك من حُلَماء قومي .

حدّثنا أبو عبد الرحمن الجُعْفيّ مُشْكدانة عن عبدالله بن المبارك عن عبيدالله بن أبي يزيد عن ابن أبي مُلَيْكَة أنّ معاوية لما حجّ أتى باب عائشة

---

١ - شرح ديوان لبيد - ط . الكويت ١٩٨٤ ص ١٥٣ .

رحمها الله يستأذن فلم تأذنْ له ، فلم يزلْ بها ذَكْوان غلامُها حتّى أذنت له ، فذكرت أمر حجر فقال : خشيت فتنةً فكان قتله خيراً من حرب تُهْراق فيها الدمَاء وتستحلّ المحَارِمُ ، فدعيني يفعل الله بي ما يشاء ، فقالت : ندعك والله ، ندعك والله .

حدثني عمرو بن محمّد حدثنا عفّان حدثنا حمّاد بن سَلَمة أنبأنا عليّ بن زيد قال: سمعت سعيد بن المسيَّب يقول: دخل معاوية على عائشة فقالت: ويحك فعلت وفعلت، وقتلت بعد ذلك حجراً وأصحابه، أَما خفت أن أُقعد لك رجلاً يقتلك؟ قال: [ما] كنتِ لتفعلي فأنا في بيت أمان، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قيّد الإسلام القتل»[1]؛ كيف أنا في حوائجك وما بيني وبينك؟ قالت: صلح، قال: فدعينا وإيّاهم حتّى نلقى ربّنا.

حدثني شيبان بن فَرّوخ عن عثمان البَرِّي قال: كان الحسن إذا ذكر معاوية قال: وَيْل معاوية من حجر وأصحاب حجر، ياوَيْله.

المدائني قال: لمّا بلغ عائشةَ أخذُ حجر وحَمْلُ زياد إيّاه وجّهتْ إلى معاوية عبدَ الرحمن بن الحارث بن هشام في أمره، فقدم عليه وقد قتله وأصحابه، فقال له: أَيْنَ كان حلمك وحلم أبي سفيان؟ فقال: غاب عنّي مثلك من حُلّماء قومي، وحملني ابن سميّة فاحتملت.

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزّاق عن مَعْمر عن الكلبي وقَتادة قالا: قالت عائشة رضي الله تعالى عنها، وقد دخل عليها معاوية حين حجّ: وَيْحك أَقتلت حجراً وأصحابه بكتاب زياد؟! فقال: إنّي لم أقتلْهم، إنّما قتلهم

---

١ - في كنز العمال ج١ ص٤٠٥ ، ٦٩٦ الايمان قيد الفتك، لايفتك مؤمن.

الذين شهدوا عليهم، فقالت: وَيْحك أفلا تثَّبتَّ، فما كان يؤمنك أن أكمن لك رجلا يقتلك بمن قتلت من الصالحين؟ قال: إنّما دخلت بيت الأمْن والأمان وقد قيّد الإسلام القتل. ثمّ لم يَعُدْ إليها.

حدثنا سَعْدَويه عن هشيم عن عَوّام بن حَوْشَب قال: حُدّثنا عن عائشة أنّها قالت: لولا أنّا لم نَنو لامرٍ الا غلبنا عليه سفهاؤُنا لكان لي ولمعاوية في قتل حجر وأصحابه حال.

حدثني عمر بن شبّة حدثنا أبو عاصم النَبيل عن ابن عَوْن عن عمّه قال: بلغ أمَّ المؤمنين أنّ معاوية قتل حجراً، فجاء يستأذن عليها فمنعته، فلم يزل حتّى دخل، فقالت: أنت صاحب حجر؟! فقال: لم يكنْ عندي مَن يمنعني.

قال ابن عَوْن: وأنبأنا نافع قال: بلغ ابنَ عمر قتله وإنّه لمحتبٍ في السوق، فأطلق حُبْوَته ومضى، فسمعت نَحيبه.

وحدثني بكر بن الهيثم حدثني عبد الله بن صالح عن ابن لَهيعة عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هِلال أنّ عائشة قالت لمعاوية، ودخل عليها بالمدينة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُقتل بعَذراء سبعة نفر يغضب الله وأهل السماء من قتلهم».

وحدثني بكر عن عبد الله بن صالح عن ابن لهيعة عن أبي قَبيل قال: لمّا قُتل حجر بن الأدبر وأصحابه، ومعاوية بن حُدَيْج بإفريقية، بلغه قتله فقام في أصحابه فقال: ياشِقّائي في الرحم، وأصحابي في السَفَر، وجِيرتي في الحَضَر، نقاتل لقريش في المُلْك حتى إذا استقام لهم قتلونا.

المدائني عن مسلمة وغيره أنّ معاوية لمّا احتُضر جعلوا يقلّبونه فيقول: أيّ جَسَدٍ يقلّبون إنْ نجا من ابن عَديّ.

وحدثني الحسين بن عليّ بن الأسود عن أبي بكر بن عيّاش عن أبي حصين قال: دخل عبد ا لله [بن خالد] بن أَسيد على معاوية في مرضه الذي مات فيه، فرأى منه جزعاً فقال: ماجزعك ياأمير المؤمنين؟ إن متَّ دخلت الجنّة، وإن حييت فقد علم الله حاجة الناس إليك، فقال: رحم الله أباك إن كان لنا لنَاصحاً، نهاني عن قتل ابن الأدبر وأصحابه.

المدائني قال: كتب معاوية إلى زياد: أنّه قد تلجلج في صدري شيء من أمر حجر، فابعث إليّ رجلاً من أهل المصر له فضل ودين وعلم، فأشخص إليه عبدَ الرحمن بن أبي ليلى وأوصاه أن لايقبّح له رأيه في أمر حجر، وتوعّده بالقتل إن فعل، قال ابن أبي ليلى: فلمّا دخلت عليه رحَّب بي وقال: اخلعْ ثياب سَفَرك والبس ثياب حَضَرك، ففعلت وأتيته، فقال: أما والله لَوددت أنّي لم أكنْ قتلت حجراً، ووددتُ أنّي كنت حبسته وأصحابه أو فَرقتهم في كُور الشام فكفتنيهم الطواعين، أو مَنَنْتُ بهم على عشائرهم. فقلت: وودت والله أنّك فعلتَ واحدةً من هذه الخِلال، فوصلني فرجعت وما شيء أبغض إليّ من لقاء زياد، وأجمعت على الاستخفاء، فلمّا قدمت الكوفة صلّيت في بعض المساجد، فلّما انفتل الإمام إذا رجل يذكر موتَ زياد، فما سررت بشيء سروري بموته.

وحُدّثت عن عثمان بن مِقْسَم البَرّي عن الحسن، وكان مع الربيع بن زياد بناحية خراسان، قال: قال الربيع لمّا بلغه قتل حجر وأصحابه: ألَا إنّ الفتنة قد كانت تكون ولم يكن قتلُ الصَّبْرِ، وقد قُتِلَ حجرٌ وأصحابه صبراً،

فهل من ثائر، هل من مُعين، هل من مُنكرٍ؟! قال ذلك مراراً، فلم يجبْه أحد، فقال: أما إذْ أَبَيْتُم فستبتلون بالقتل صبراً على الظلم.

ورُوي أنّ الحسن بن الربيع قال: رَبّ إنّ حجراً قُتل صبراً، فإن كنت مُغَيّراً ذلك وإلا فاقبْضني إليك، فمات من ليلته.

قالوا: وفرق معاوية مَن صفح عنه من أصحاب حجر فلم ينزلْ اثنان بكورة واحدة.

وقال عوانة: فقالت عائشة لمعاوية، وقد حجّ فدخل إليها: أَقتلت حجراً وأصحابه؟! فقال: أنا قتلتهم؟! إنّما قتلهم من شهد عليهم.

حدثني محمّد بن سعد عن الواقدي عن محمّد بن بجاد عن عائشة بنت سعد ابن أبي وقّاص قالت: لمّا قتل معاويةُ حجر بن عديّ قال أبي: لو رأى معاوية ما كان من حجر يوم عبر قنطرة حُلوان لعرف أنّ له غناءً عظيماً عن الإسلام.

وقال هشام بن محمّد عن أبيه: إنّ حجر بن عديّ الأدبر بن جبلة جاهلي إسلامي، وإنّما طُعن عديّ أبو حجر في دبره فسمّي الأدبر، وإنّ حجراً وفد على النبي صلّى الله عليه وسلّم هو وأخوه هانىء بن عديّ، وكان في ألفينْ وخمسمائة من أهل العطاء، فشهد القادسيّة، وافتتح مَرْج عَذراء بالشام وبها قتله معاوية، وقد كان شهد مع عليّ الجمل وصفّين ويكنّى أبا عبد الرحمن.

قالوا: قالت امرأة من كِنْدة يقال لها هِنْد، وقال الهيثم: هي هند بنت مَخْربة أنصاريّة، رضي الله تعالى عنها:

ألا يـا[1] أَيُّها القَمَـرُ المُنيرُ تَأَمَّلْ هَلْ تَرى حُجْراً يَسيرُ
يَسيرُ إلى مُعاوِيَةَ بن صَخْرٍ لِيَقْتُلَه كَـذا زَعَـمَ الأمـيرُ
أَخافُ عَلَيْكَ أَسْبابَ المَنايا وشَيْخاً في دِمَشْقَ لَهُ زَئـيرُ
يَرَى قَتْلَ الخِيار عليه حَقّاً لــه من شَرّ أُمَّتِـهِ وزيـرُ
أَلا يا لَيْتَ حُجْراً ماتَ مَوْتاً ولم يُنْحَرْ كَما نُحِرَ الجَزورُ
تَطاوَلَتِ الجَبابِرُ بَعْدَ حُجْرٍ وطاب لها الخَوَرْنَقُ والسديرُ

قالوا: وعوتب الهيثم بن الأسود النَخَعي على شهادته على حجر، وكان مّمن عاتبه عُمير أبو العَمَرَّطة ورجل يقال له عمرو بن أبي فَرْوَة، فقال:

أَلا مَنْ عَذيري مِن عُمَيْرٍ ومِنْ عَمْرو يَلومانِني أَنْ مالَ دَهْرٌ عَلَى حُجْرِ
وهل لِيَ ذَنْبٌ أَنْ زِيادٌ أَرادَهُ وأصحابَهُ يَوْماً بقاصِمَةِ الظَهْرِ
وقد حَدَّثَ الأقوام مَيْناً بأَنَّني دَلَفْتُ له عَمْداً بداهِيَةٍ هِتْرِ
فَهَلا إذاً إنْ كُنْتَ حُرّاً مَنَعْتَهُ وطاعَنْتَ عنهُ بِالْمُثَقَّفَةِ السُمْرِ

في أبيات:

وقال الشاعر يحرّض بني هِنْد من بني شَيبان:

دعا ابْنُ فَشيلٍ يَالَ مُرَّةَ دَعْوَةً ووَلّى ذُبابَ السَيْفِ كَفّاً ومِعْصَما
لِتَبْكِ بَني هِنْدٍ قُتَيْلَةُ مِثْلَ ما بَكَتْ عِرْسُ صَيْفِيٍّ وتَبْعَثُ مَأْتَما

وقال عبد الله بن خليفة يرثي حجراً بقصيدة طويلة، يقول فيها:

فَيا حُجْرُ مَنْ لِلْخَيْلِ تَدْمَى نُحورُها ولِلْمَلِكِ الغاوي إذا ما تَغَشْمَرا

---

١ ـ بهامش الأصل: ترفع أيها القمر. انظر ابن العديم ص١٥١ حيث القصيدة مع فوارق.

وقال قيس بن قَهْدان الكِنْدي:

طافت جُمان بِأَرْحُلِ السَفْرِ وسَرَتْ إِلَيْكَ ولم تَكُنْ تَسْري

وهي طويلة يقول فيها:

يا حُجْرُ يا ذا الخَيْرِ والحِجْرِ يا ذا النوالِ ونابِهَ الـذِكْرِ

وقال أبو مخنف: قالت امرأة معاوية، ورأته قد أطال الصلاة: ماأحسن صلاتَك ياأمير المؤمنين، لولا أنّك قتلت حجراً وأصحابه، فقال: أنّهم فعلوا وفعلوا.

قال: وأحسن معاويةُ صِلاتِ القوم القادمين بحجر، وولّى مَصْقَلة طَبَرِسْتان. وقوم يزعمون أنّ مَصْقَلة لم يشهدْ على حجر، وهلك قبل ولاية زياد.

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي وأبو خَيْثَمة قالا: حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه حدثنا محمّد بن الزُبير الحَنْظَلي عن فيل مولى زياد قال: لمّا قدم زياد الكوفة أميراً أكرم حجر بن الأدبر وأدناه وشفّعه، فلمّا أراد الانحدارَ إلى البصرة دعاه فقال له: ياحجر انّك قد رأيت ماصنعتُ بك، وإنّي أريد البصرة فُاحبّ أن تشخص معي، فإنّي أكره أن تتخلّف بعدي، فعسى أن أُبْلَغ عنكَ شيئاً فيقع في نفسي، وإذا كنتَ معي لم يقعْ في نفسي منك شيء، فقد علمتُ رأيك في عليّ بن أبي طالب، وقد كان رأيي فيه قبلك على مثل ذلك، فلمّا رأيت الله صرف الأمر عنه إلى معاوية لم اتّهمْ قضاء الله ورضيتُ به، وقد رأيتَ إلى ماصار أمر عليّ وأصحابه، وإنّي أحذرك أن تركب أعجازَ أمور هلك مَن ركب صدورها؛ فقال له حجر: إنّي مريض ولاأستطيع الشخوص، قال: صدقتَ والله إنك لمريض الدين والقلب مريض العقل،

وأيْم الله لئن بلغني عنك شيء أكرهه لأحرصن على قتلك، فانظرْ أو دَعْ، فخرج زياد فلحق بالبصرة، واجتمع إلى حجر قُرّاءُ أهلِ الكوفة، فجعل لاينَفُذ لعاملِ زيادٍ معهم أمرٌ، ولا يريد شيئاً إلا منعوه إيّاه، فكتب إلى زياد: إنّي والله ماأنا في شيء مع حجر وأصحابه، وأنت أعلم، فركب زياد بِغاله حتّى اقتحم الكوفة، فلمّا قدمها تغيّب حجر، فجعل يطلبه فلا يقدر عليه، فبينا زياد جالسٌ يوماً وأصحاب الكَراسيّ حوله فيهم محمّد بن الأشعث بن قيس إذ أتى ابنَ الأشعث ابنُه فناجاه وأخبره أنّ حجراً قد لجأ إلى منزله، فقال له زياد: ماقال ابنك؟ قال: لاشيء، قال: والله لتُخْبرنّي ماقال لك حتّى أعلم أنّك قد صدقتني، أو لاتبرح مجلسك حتّى أقتلك، فلمّا عرف ابنُ الأشعث رأيه أخبره، فقال لرجل من أشراف أهل الكوفة: قمْ فاتني به، قال: أعفني أصلحك الله من ذلك وابعث غيري، فقال: لعنة الله عليك مُخبث خبيث، والله لتأتينّي به أو لأقتلنّك، فخرج الرجل فدخل عليه حتّى أخبره وقال له: ابعث إلى جرير بن عبد الله ليكلّمه فيك، فإنّي أخاف أن يعجل عليك، فدخل جرير على زياد فكلّمه فيه، فقال: هو آمِنٌ أن أقتله، ولكنّي أُخرجه إلى معاوية فجاء به على ذلك، فأخرجه من الكوفة ورهطاً معه، وكتب إلى معاوية أن أَغْنِ عنّي حجراً إن كان لك بما قِبَلي حاجة، فبعث معاوية إليه فتلقي بالعَذْراء فقُتل هو وأصحابه. وولي زياد العراق ومات سنة ثلاث وخمسين[1].

---

١ ـ بهامش الأصل: بلغ العرض بالأصل الثالث ولله كل حمد.

أمر عمرو بن الحمق الخزاعي

قالوا: لمّا طلب زياد أصحاب حجر بن عدي هرب عمرو بن الحَمِق بن الكاهن الخُزاعي ورِفاعة بن شدّاد البَجَلي إلى المدائن، ثم مضيا إلى الأنبار ثمّ إلى المَوْصل، فصارا إلى جبل من جبالها ممّا يلي الجزيرة، فكَمَنا فيه، وبلغ عاملَ الرُّستاقِ أنّ رجلَيْن كامنان في الجبل، فأنكر شأنهما واستراب بهما، وكان العامل رجلاً من هَمْدان يقال له عبد الله بن أبي تلعة، فصار إليهما ومعه أهل البلد، فلمّا انتهى إلى موضعهما خرجا إليه، فأمّا عمرو بن الحمق فكان مريضاً قد سَقَى بطنه، فلم يكنْ عنده امتناعٌ فأُخذ، وأما رفاعة بن شدّاد البَجَلي فكان شاباً قوياً، فوثب على فرسٍ له جوادٍ، وحمل على القوم فأفرجوا له، فخرج وخرجت الخيل في طلبه، وكان رامياً فجعل يرمي مَن لحقه فيجرحه، حتّى نجا بنفسه وأمسكوا عن طلبه، فيقال إنّه قال لعمرو بن الحمق: أقاتل عنك، فقال: انجُ بنفسك؛ وسألوا عمراً مَن هو فلم يخبرْهم، فبعث به عبد الله بن أبي تلعة إلى عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم أخت معاوية، وهو الذي قتل عليٌّ جدَّه عثمان الثَّقَفي يوم حُنَيْن، وكان عبد الرحمن على

المَوصِل والجزيرة ـ ويقال على المَوْصل وأعمالها ومعها شَهْرَزُور ـ فلمّا رأى عمرو بن الحمق عرفه فحبسه، وكتب إلى خاله معاوية بظفره به، فكتب معاوية إليه: إنّه يزعم أنّه طعن عثمان تسع طَعَنات، وإنّا لانريد أن نعتدي عليه، فاطعنْه تسع طعنات كما طعن عثمان، فأخرج فطِعِنَ تسعاً مات في الأولى منهنّ أو الثانية، ثمّ احتزّ رأسه وبُعث به إلى معاوية، فهو أوّل رأس بُعث به إلى معاوية؛ ويقال إنّه اتّخذت له مَشاقِص فطُعن بها كما فعل بعثمان؛ فإنّه قعد على صدره ووجأه بمشاقِصَ كانت معه تِسْعَ وَجَآت مات في اثنَتْين منها؛ وقال ابن الكلبي عن أبيه: قتله ابن أمّ الحَكَم في عمل الجزيرة.

وقال الهيثم بن عديّ: هرب عمرو بن الحمق إلى المَوْصِل وعليها ابن أمّ الحَكَم، فصار إلى غارٍ في جبلٍ، فعُثّر عليه وأُخبر عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم بمكانه، فبعث إليه خيلاً فدخل أقصى الغار فنهشته حيّة فقتلته وأُخذ رأسه فحُمل إلى زياد، فحمله زياد إلى معاوية، فكان أوّلَ رأس حُمل في الإسلام من بلد إلى بلد.

حدثنا محمّد بن الصبّاح عن شريك عن أبي اسحاق قال: أوّل رأس أُهدي في الإسلام رأس عمرو بن الحَمِق أُهدي إلى معاوية.

وروي أنّ ابن الحَمِق أتى اذربيجان فنزل على رجل من بَجيلة فمات عنده، فاحتزّ رأسه فأتى به ابن أمّ الحَكَم،فبعث به إلى معاوية، فنصبه للناس، ثمّ بعث به إلى امرأته آمنة بنت سُوَيْد وكانت محبوسة عند معاوية، فقالت: لقد نفيتموه طويلاً وأهديتموه قتيلاً، فمرحباً به من هَديّةٍ غير مَقْليّة؛ ونفاها إلى حِمْص فماتت بحِمص.

حدثنا خَلَف بن هشام حدثنا هُشيم عن يونس بن عبيد عن حُميد بن هِلال قال: ولّى زياد أبا بُرْدة بعض الصدقة فقال: انّي أنزل نفسي وإيّاك في المال بمنزلة وليّ اليتيم، مَن كان غنيّاً فليَسْتَعْفِفْ ومَن كان فقيراً فليأكل بالمعروف.

المدائني قال: كان الجموح بن عمرو الفَهمي شهد صفّين مع عليّ فآمنه معاوية وكتب إلى زياد: إنّي قد عرفت زَلّته وغفرتها له لحِلفه أبا سفيان، فدعاه زياد إلى ولاية بيت المال فأبى، فقال له زياد: أتتأبى عليّ وقد سفكتَ الدماء مع علي بن أبي طالب؟! فقال: يازياد: أتقول هذا فوالله إن كنتَ لمنتفياً من الأب الذي صرتَ إليه منسوباً إلى الأبِ الذي انتفيتَ منه وأنت تسفك الدماء معه وتجبي الخراج إليه، وأنت يومئذ خير منك اليوم، فضربه زياد مائة سوط وحلق رأسه ولِحْيته، فكتب إليه معاوية كتاباً غليظاً يقول فيه: هممتُ أن أوجّه إليك مَن يقتصّ له منك، فأوفد الجموح إليه فأظهر كرامته، وأنشده الجموح:

مُعاويَ انَّ الله فَوْقَ سَمائِهِ ... وإنّك ذو ذَنْبٍ ولا يُؤْمَنُ الذَنْبُ
سَطا بِبَني عادٍ فلم يَبْقَ مِنْهُمُ ... بَقايا ولا عَينٌ لِعادٍ ولا شِرْبُ
وإنَّ زياداً موعَبٌ في أَديمِكُمْ ... وشائِمُكُمْ والشُؤْمُ أَعْظَمُهُ الخَطْبُ
وتارِكُكُمْ في لَعْنَةٍ بَعْدَ لَعْنَةٍ ... وداءُ الصِحاحِ أَنْ تُقارِفَها[1] الجُرْبُ
فوالله مايَنْهَى زِياداً وغَيَّهُ ... سِوَى أَنْ تقولَ لا زِيادٌ ولا حَرْبُ

---

١ ـ بالأصل: «تفارقها» وهو تصحيف.

فقال معاوية: قلْ ما شئت فإنّك حليف أبي سفيان، ودعا له بخِلْعة قد لبسها فكساه أيّاها وقال: امشِ مِشْيَتك في قريش، وأعطاه مِخْصَرة فقال: اختصر بها.

وحدثني إبراهيم بن الحسن العَلاف حدثنا أبو عَوانة عن مغيرة عن الشعبي أنّ زياداً أهدى إلى عائشة وأمّ سَلَمة وصَفيّة هديّةً، وفضّل عائشة بفُسطاطٍ،وأمر رسوله أن يعتذر إلى أمّ سَلَمة وصَفيّة من تفضيل عائشة عليهما، فقالتا: لقد آثرها علينا مَن كانت أَثَرته أشد علينا مِن أثرة زياد .

المدائني عن عبد الله بن المبارك عن داود بن عبد الرحمن أنّ زياداً كتب إلى معاوية: إنّي أشكو إليك ماألقى من سفهاء قريش، فكتب إليه: كتبتَ تشكو ماتِلَقى من سفهاء قريش، فأصبر فإنّ حُلماءها صبروا عليك حتّى وضعوك بهذا الموضع.

المدائني قال: حُصب زياد على منبر الكوفة فأمر بالأبواب فمُنعت، وجلس وعرض الناس عليه، فمن حلف تركه ومن أبى قطع يده، فقطع يومئذ ثمانين يداً.

المدائني عن مسلمة بن محارب قال: كان زياد إذا أراد أن يعاقب رجلاً حبسه ثلاثة أيّام ثمّ دعا به، فإن رأى أن يعاقبه عاقبه ثمّ قال: لم يمنعني من عقوبته إلا مخافة أن أكون إنّما عاقبته للغضَب.

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف عن القاسم بن النضر العَبْسي عن أبيه عن عمّه قال: أرسل إلينا زياد لنلعن عليّاً ونَبْرأ منه، فإنّا لمجتمعون إذ أَغْفَيْتُ إغفاءَةً، فرأيت رجلاً أسود فراعني فقلت له: مَن أنت؟

فقال: أنا النَقّاد ذو الرَقَبَة، أُرسلت إلى هذا الشاتمِ صاحِبَ الرَحَبَة، فأتانا رسول زياد فقال: انصرفوا فإنّ الأمير عليل، فعَرضت له الآكِلة فمات بعد ثلاثة أيام، فقلت:

ما كانَ مُنْتَهِياً عَمّا أَرادَ بنا حَتّى أُتيحَ لَهُ النَقّادُ ذو الرَقَبَة
فجلّلَ الرَأْسَ مِنْهُ ضَرْبَةً عَجِلاً لَمّا تَناوَلَ بَغْياً صاحِبَ الرَحَبَة

المدائني قال: وفد زياد إلى معاوية بأهل المِصْرَين واشتعل الطاعون بالكوفة، فقال له معاوية: أقِمْ عندنا، فأقام ثلاثة أشهر، ثمّ قال له: ماجاءك عن بلادك يا أبا المغيرة؟ قال: ارتفاع الطاعون، قال: قد بلغني ذاك فإن شئت فسِرْ، فلمّا قدم الكوفة توفي بعد قليل من مقدمه.

قالوا: وكان زياد كتب إلى معاوية مع الهيثم بن الأسود: إنّي قد أحكمت أمر العراق وضبطته بشمالي، ويميني فارغة - أو قال: بيميني، وشمالي فارغة - فولّني الحجاز واشغلها به، فبلغ ذلك ابن عمر فاستقبل القبلة فقال: اللهمّ اشغلْه عنّا، فما أتى له من مقدمه عشرون ليلة حتّى طُعن في خِنْصِره؛ ويقال إنّه قال: اللهمّ إنّ في القتل كفارةً لـمَن تشاء من خلقك،وإنّي اسألك لابن سُمَيّة موتاً لاقتلاً، فخرجت في إصبعه بَثْرة فما أتت عليه جُمْعة حتّى مات؛ ويقال لم تأتِ عليه ثلاثون ساعة.

وقال عبد الله بن مطيع: ياأهل المدينة اكتبوا كتاباً إلى معاوية بالاستعفاءِ من زياد ومن ولايته، واكتبوا كتاباً إلى زياد، فإذا أكبَ عليه ليقرأه ضربت عنقه، فقال ابن الزبير: أنّ الرجل ليبذل دمه في صلاح عشيرته.

حدثني الأعْينَ حدثنا أبو نُعيم الفضل بن دُكين عن سفيان عن يونس عن الحسن قال: بلغ الحسنَ بن عليّ أنّ زياداً يتَبع شيعة عليّ فيقتلهم، فقال: اللهمّ تفرّدْ بموته فإنّ في القتل كفارة.

المدائني قال: قدم الهيثم بن الأسود بولاية زياد الحجاز، فقيل له قدم الهيثم بعَهْدك على الحجاز، فقال: لَشَرْبة ماءٍ باردٍ أجد طَعْمَها أحبّ إليّ ممّا قدم به الأسود، ولم يلبثْ أن مات.

قالوا: وكان زياد لايقطع أمراً دون شُرَيْح، فقال له: ياأبا أميّة ماترى في قطع إصبعي؟ قال: سلْ أهل الطبّ، فبعث إلى دينار مولى أبي بكر بن وائل، فقال له: أين تجد الألَم؟ قال: في قلبي، قال: عِشْ سويًّاً ومُتْ سويًّاً ولا تمثّلْ بنفسك؛ وقال أبو بكر بن عيّاش: الذي أشار عليه أن لا يقطع يده أبو جُهَيْم مالك الأسدي الطبيب.

قالوا: وخرج شُرَيح من عند زياد، فسأله مسروق بن الأجدع والمُسَيَّب بن نَجَبَة وسليمان بن صُرَد، وعُرْوة بن المغيرة، وخالد بن عُرْفُطة، وأبو بُرْدة بن أبي موسى: كيف تركت زياداً؟ قال: تركته يأمر وينهى، عَنَى شريح أنّه يأمر بالوصيّة والكفن وينهى عن النوح والبكاءِ.

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن كُناسة وعَوانة، قال: لما شاور زياد شُرَيْحاً في قطع اصبعه قال له: إن كانَ الأجَل قد حضرك لقيت الله وقد قطعتَ يدك فراراً من لقائه، وإن كان الأجَل متأخرّاً عِشْتَ أجْذَمَ فعُيّر بذلك ولدُك، فلم يلبثْ أن مات.

وقال له ابنه: لقد هيّأتُ لكفنك ستّين ثوباً، فقال: يابُنَيّ قد دنا من أبيك لباسٌ خير من هذا وسلبٌ لاخيرَ معه؛ وكان موت زياد بالكوفة.

وكان سُليم مولى زياد على ديوان خراجه، فقال لشُرَيْح: أشِر على الأمير بالوصيّة فإنّه لايخالفك، ففعل، فقال له زياد: مَن سألك أن تكلّمني في الوصيّة؟ فقال: سُلَيْم، فقال: أما انّه غير متّهم في وصيّةٍ[1] ولاشُفْعة، فكتب وصيّته في ثلاث نُسَخ، فدفع نُسْخةً إلى شُرَيْح ونسخةً إلى سُليم، وأخرى إلى أمّ ولده.

واستخلف عبد الله بن خالد بن أسيد على الكوفة، وأقرّ سَمُرة على البصرة، ويقال إنّه استخلف عبد الله عليهما جميعاً إلى أن يرى معاوية رأيه.

وكثُر بُكاء الناس رجالِهم ونسائِهم عليه، فلمّا وُضع ليُصلّى عليه تقدّم عبيد الله بن زياد ليصلّي عليه، فأخذ مِهْران بمَنْكِبيه وقال: وَرَاءَكَ؛ وقال شُرَيْح لعبيد الله: الأمير غيرك، وقدّما عبد الله بن خالد فصلّى عليه، ووجد عبيد الله على مهران فأضرّ به حين ولي.

وقال عبد الله بن خالد لشُرَيْح وسُليم: بماذا تأمرانني؟ قالا له: أنت الأمير فانزلِ القصر، فنزله، وقال معاوية حين بلغه خبره: لا والله ولا على عَجَمِ أحدِ المصرَيْن، فتركه سنةً ثمّ بعث إليه: إن شئت حاسبناك وأعطيناك ألف ألف درهم، وإن شئت فلا محاسبة ولاجائزة، فدعا خالداً وأميّة ابنيه فقال:

١ - بهامش الأصل «نصيحة».

ماتريانِ؟ قالا: قد أخذنا لك عشرين ألف ألف فلا ترد محاسبة ولاجائزة، فعزله وولّى الضحّاك بن قيس الكِنْدي الكوفة.

حدثني هشام بن عمّار عن الوليد بن مسلم قال: كان زياد عند معاوية وقد وقع الطاعون بالعراق، فقال له: انّي أخاف عليك ياأبا المغيرة عبر الطاعون، فلمّا صار إلى العراق طُعن فمكث شهراً ثمّ مات.

قالوا: وكان موت زياد في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وهو ابن خمس وستّين سنة.

وحدثني الجِرْمازي عن العُتْبي قال: كانت وصيّة زياد: هذا ماأوصى به زياد بن أبي سفيان حين أتاه من أمر الله ما لايُنْظر، ورأى من قدرته ما لايُنكر، أوصى أنّه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، شهادةَ مَن عرف ربّه وخاف ذنبه، وأن محمّداً عبده ورسوله، أرسله إمامَ هُدى صدّق به مَن قبله وهدى به مَن بعده صلّى الله عليه وسلّم، وأوصى أمير المؤمنين وجماعة المسلمين بتقوى الله حق تُقاته، وأن لايموتوا إلا وهُم مسلمون، ولايراهم حيث نهاهم ولايفقدهم أثرهم، وأن يتعهّدوا كبير أمورهم وصغيره، فإنّ الله جعل لعِباده عقولاً عاقبهم بها على معصيته، وأثابهم بها على طاعته، ولله النِعمة على المُحسن، والحُجّة على المُسيء، فما أحقَّ مَن تمّت به نِعْمة الله عليه في نفسه ورأى العبْرة بأن يضع الدنيا حيث وضعها الله، فيُعطي ماعليه فيها، ولايتكثّر بما ليس له منها، فإنّ الدنيا دار زوال لاسبيلَ إلى بقائها، وأحذرّكم الذي حذّركم نفسه، وأوصيكم بتعجيل ماأخّرت العَجَزَةُ حتّى صاروا إلى

الحَسْرة والندامة ولم يقدروا على الأَوْبَة، وقد ولّيت فلاناً وفلاناً أَمْر تِرْكَتي فإن يُحسنا أو يُسيئا فالله وأمير المؤمنين من ورائهم، وكفى بالله شهيداً.

حدثنا خَلَف بن هشام البزّار عن أبي بكر بن عيّاش عن أبي إسحاق أنّه قال: والله مارأينا بعد زياد مثله؛ فتعجّبنا من يمينه، وقد رأى عمر بن عبد العزيز فلم يستثْنِهِ.

وحُدّثت عن سفيان بن عُيَيْنة عن مجالد عن الشعبي عن قَبيصة بن جابر قال: مارأيت رجلاً أخصب جليساً ولا أَشْبَه سريرةً بعَلانية من زياد.

وقال معاوية حين بلغه موت زياد:

أُفرِدْتَ سَهْماً في الكِنانَةِ واحِداً سَيُرْمَى به أو يَكْسِرُ السَهْمَ كاسِرُه

حدثني عمرو بن محمّد حدثنا أبو نُعيم عن موسى بن قيس عن سَلَمة بن كُهَيْل قال: أوّل مَن وطِيء على صِماخ الإسلام زياد.

وأوصى زياد أن يُدفن عند أبي موسى الأشعري، وقبره عند دُكّان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب، وهو عند مُنْقَطَع البيوت بالكوفة.

وحدثني الأثرم عن ابن الكلبي عن أبي عبيدة أنّ زياداً ولّى عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أميّة فارسَ، ووهب له ابنة جُوانبوذان بن المُكَعْبِر. فولدت له الحارث بن عبد الله، ولمّا مات زياد استخلفه على الكوفة وهو صلى عليه.

وقال المدائني: كتب زياد إلى معاوية بن أبي سفيان: إنّ الأنْفُس يُغْدَى عليها ويُراح، وأخاف أن يحدث بي حدث ولاأجد أحداً أوليّه ماقِبَلي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يوجّه إليّ رجلاً من قريش له بيتٌ وموضع ودين فيكون

عندي، فإن حدث بي حَدَثٌ ولّيته، فكتب إليه: سَمِّ لي رجلاً، فسمّى له عبد الله بن خالد، فوجّهه إليه فولاه أَرْدَشيرْخُرَّه، وزوّج ابنته أميّة بن عبد الله.

المدائني قال: قصّر عبد الله بن خالد بن أَسيد بعمر بن سعد فشكاه إلى معاوية، فقال معاوية: لقد وجدته أحضَر صلالا[1]، قال: أَما والله لو جَرَيْتُ وهو على السواء مانزل بذلك المنزل، ولكّنه قهرني بسلطانه، وخرج فأتْبَعَه معاوية بَصَرَهُ وقال: ما في الأرض قرشيٌ كنتُ أحبّ أنّ أمّي ولدته غيره.

وقال المدائني وغيره: أوّل مَن قدم بنَعْي زياد إلى البصرة مسعود بن عمرو، فقال حارثة بن بدر الغُداني وكان صديق زياد:

لقد جاء مَسْعودُ أخو الأَزْدِ غُدْوَةً ... بداهِيَةٍ شَنْعاء بادٍ حُجـولُها
مِنَ الشرّ ظَلَّ القَوْمُ فيها كَأَنَّهُمْ ... وقد جاءَ بِالأَخْبارِ مَنْ لا يُحيلُها
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الأَرْضَ أَصْبَحَ خاشِعاً ... لِفَقْدِ زِيادٍ حَزْنُها وسُهولُهـا
قَضَى أَجَلَ الدُنْيا وغادَرَ أُمَّةً ... به شُفِيَتْ أَضْغانُها وذُحولُها
وحَذَّرَها ما يُتَّقى مِنْ أُمورِها ... وقَوَّمَها حَتَّى استَقامَ سَبيلُها
وأَبْرَأَ مَرْضاها وأَقْسَطَ بينهـا ... فَبانَ وقد فاءَتْ إِليها عُقولُها

في أبيات؛ وقال أيضاً:

صَلَّى الإلهُ على مَيْتٍ وطَهَّرَهُ ... دونَ الثُوَيَّةِ تُسْفي فَوْقَهُ المورُ
زَفَّتْ إِليه قُرَيْشٌ نَعْشَ سَيِّدِها ... فَفيهِ ضافي النَدَى والحَزْمُ والخيرُ

١ ـ الصلالة: بطانة الخف أو ساقها. القاموس.

أبا المُغيرَةِ والـدُنْيا مُفجِّعَـةٌ وإنَّ مَنْ غرَّتِ الدنيا لَمَغْرورُ
قَد كانَ عِنْدَكَ لِلْمَعْروفِ مَعْرِفَةٌ وكان عِنْدَك لِلْنَكْـراءِ تَنْكيرُ
ولا تَلْينُ إذا عوسِرْتَ مُقْتَسِراً وكُلُّ أمْرِكَ ما يوسِرْتَ مَيْسورُ
لم يَعْرِفِ الناسُ مُذْ وُوريتَ سُنَّتَهُمْ ولم يُجَلِّ ظَلاماً عنهمُ نورُ

وقال أيضاً :

صَلَّى الإلهُ عَلَى مَيْتٍ وَطَهَّرَهُ دون الثُوَيَّةِ لَم نَشْهَدْ لَه جَنَنا
مِنْ آلِ حَرْبٍ بها لاقَى مَنِيَّتَهُ فَغُيِّبَ الحَزْمُ ذاكَ اليوم إذ دُفِنَا
أبا المُغَيرَةِ وَالـدُّنْيا مُفَجِّعَـةٌ مَنْ ذا الذي لم يُجَرَّعْ مَرَّةً حَزَنا

قالوا : ومات زياد وما يملك الاّ أقلّ من عشرة آلاف درهم ، ولم يترك من الكسْوة غير قميصَيْن وإزارَيْن وسَراويلَيْن ، وكان يقول : ما دام سلطاننا فالدنيا كلّها لنا ، فإذا زال عنّا فالذي يجزينا من الدنيا أقلُّها .

وقال مِسْكين الدارمي :

رَأَيْتُ زِيـادَةَ الإسْلام وَلَّتْ جِهـاراً حـينَ وَدَّعَنـا زِيادُ[1]

وقال الفرزدق :

أَمِسْكينُ أَبْكَى اللهُ عَيْنَيْكَ إنَّما جرى في ضَلالٍ دَمْعُها فَتَحَدّرا
بَكَيْتَ امْرءاً مِنْ أهْلِ مَيْسانَ أُمُّهُ كَكِسْرى على عِدّانِهِ أَوْ كَقَيْصَرا
أَقـولُ له لَمّـا أَتـاني نَعِيُّـهُ به لا بِظَبْيٍ بِالصَرِيمَةِ أَعْفَرا[2]

١ ـ ديوان مسكين الدارمي ص ٣٠ .
١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٠١ .

فقال مِسْكين :

ألا أيُّها المَرْءُ الذي لستُ ناطِقاً ولا قاعِداً في القوم إلّا انْبَرَى ليا
فجئْني بِعَمٍّ مِثْلِ عَمِّيَ أَوْ أَبٍ كَمِثْلِ أَبي أَوْ خالِ صِدْقٍ كَخاليا[1]

وقال الفرزدق :

أَبْلِغْ زِياداً إِذا لاقَيْتَ مَصْرَعَهُ أَنَّ الحَمامَةَ قَدْ طارَتْ مَنَ الحَرَم
طارَتْ فَما زالَ تَنْميها قَوادِمُها حَتى اسْتَقامَتْ إِلَى الأَنْهارِ وَالأَجَمِ[2]

وقال أيضاً :

كَيْفَ تَـراني قـالِبـاً مِجَنِّي أُقَلِّبُ أَمْـري ظَهْرَهُ لِلْبَـطْنِ
قَدْ قتل الله زِياداً عَنِّي[3]

قالوا : ووفد عبيدالله بن زياد إلى معاوية فسأله ان يوليّه ، فقال له : لو كان فيك خير لولّاك أخي ، فقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن يقول الناس لو علم أبوك وعمّك فيك خيراً لولّياك ، ثمّ ولّاه البصرة حتّى شكاه عبدالله بن عمرو لقطعه رجلاً من بني ضَبّة على شُبْهة .

وكان الحَجّاج بن عِلاط ادّعى مولى لبني مخزوم ، وذكر أنّه أتى أمّه في الجاهليّة ، فقضى به معاوية لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكانت الخصومة فيه بَين نَصْر بن الحَجّاج وبين عبد الرحمن بن خالد ، وقال نَصْر بن الحجّاج :

---

١ - قصيدة مسكين الدارمي من كتاب النقائض - ط . لندن ١٩٠٧ ص ٦٢١ .
٢ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٢٣ .
٣ - لم يرد هذا الرجز في ديوانه المطبوع انظره في النقائض ص ٦٢١ .

إليكَ أميرَ المُؤْمِنينَ رَحَلْتُها ... لأَمْر أَشابَ الرَأْسَ مِنّي وأَنْصَبا
مُعاوِيَ إلاّ تُعْطِنا الحَقَّ نَنْتَصِرْ ... بِأَسْيافِنا والشَرُّ لم يَكُ تُرْتُبا

في أبيات ، وسَنذكر الخبر في نسب بني مخزوم ، وكان عبيدالله بن رِياح الذي اختصما فيه رجلًا ظريفاً ، وقد نادم يزيد بن معاوية ، وفيه يقول :

لَهانَ علينا أَنْ تَبيتي مُناخَةً ... على الخَسْفِ يا بُخْتِيَّةَ ابنِ رياحِ

ولد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما :

ولد معاوية : عبدَ الرحمن وبه كان يُكنى ، وأمّه أمّ ولد يقال لها فاختة بنت قَرَظَة بن عبد عمرو بن نَوْفَل بن عبد مَناف .

لا عقبَ له ، وعبدَالله وهنداً ، وأمّهما فاختة بنت قَرَظَة .

وكان عبدالله بن معاوية من أضعف الناس عُقْدَةً وأحمقهم ، وكان يُكنى مُبَقَّتاً[1] ويُكنى أبا سليمان ، ونكح بعض الموالي خالةً ليزيد فقال :

يـا راكباً ألا ابْلغَنْ يـزيـدا فكيفَ تَرْجو بعدُ أن تَسودا
وأنْكَحوا خالَتَهُ العبيدا

وقال في إبل من إبل الصدقة كانت تُجْمع ثمّ تُخرج للرَّعْي :

ألا ارْسِلا مِنْ أرْبَعٍ وخَمْسٍ ذلِكَ خَيْرٌ مِنْ زِيادِ الحَبْسِ

ومرّ بقوم من كَلْب ولهم فرس دقيقة القوائم كأنّها قَصَب ، ولها مَتْن ذو خِلْقة عجيبة ، وكان الناس ينتابون فيَنْحلون أصحابها إذا أخرجوها إليهم

١ ـ المبقت : الأحمق . القاموس .

شيئاً ، فأخرجوها إليه فقال : من أيّ شيء قوائمها ؟ فقالوا : من صَفْصاف ، قال : فمن أيّ شيء مَتْنها ؟ قالوا : من تين ، قال : أُترون . وقال أبوه: سلْني حوائجك ، فقال: عبيد يمشون معي ويحفظوني ، وكان يُمْدح فيُسرّ ذلك أمَّه ، فتصل مادحيه وتستميح لهم معاويةَ ، فقال فيه الأخطل في قصيدته التي أولها :

بانَ الخَليطُ فَشاقَني أَجْواري وَنـأْوْكَ بعدَ تَقـارُبٍ وَجِوارِ
لأُحَبِّرَنْ لابْنِ الخَليفَةِ مِدْحَةً ولأقْـذِفَنَّ بها إلَى الأَمْصـار
قَرْمٌ تَمَهَّلَ في أُمَيَّةَ لم يَكُن فيهـا بِـذي أُبَنٍ لا خَـوّارِ
بِأَبي سُلَيْمانَ الذي لولا يَدٌ منه عَلِقْتُ بِظَهْرِ أَحْدَبَ عارِ[1]

وشهد عبدالله مَرْج راهط ، فقاتل مع الضحّاك بن قيس والقيسيّة ، ثمّ هرب فآمنه عبدالملك بعد ذلك .

المدائني قال : لّما قدم الحجّاج العراق وجد قُبّة كان بعث بها عبدالله بن معاوية إلى خالد بن عبدالله بن أسيد ، فكتب الحجّاج إلى عبدالملك : انّي وجدت قُبّة كان بعث بها عبدالله بن معاوية إلى مُصْعب ، فغضب عبدالملك وقال : تُهدي لأعدائي ؟! أَلستَ صاحب المَرْج ؟! فقال : كَذَبَ إنّما أهديتها إلى خالد بن عبدالله ، فقبل عبدالملك قوله .

وكانت هند عند عبدالله بن عامر بن كُرِيْز ثمّ عند عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان فماتت عنده .

---

١ ـ ديوان الأخطل ـ ط . .بيروت ١٩٨٦ ص ١٤٦ ـ ١٥٠ مع فوارق .

ورَمْلة وأمّها كَنُود بنت قرظة كانت عند عمرو بن عثمان بن عفّان .

وصفِيَّة لأمّ ولد كانت عند محمّد بن زياد بن أبي سفيان .

ويزيد وأُمَةَ الشارق ـ وبعضهم يقول أُمَة رَبّ المشارق ـ أمّها مَيْسون بنت بَحْدَل الكَلْبيّة ، فماتت أُمَة الشارق وهي صغيرة ، وأمّا يزيد فولي الخلافة .

قال أبو اليقظان : وكانت لعبدالله بن معاوية ابنة يقال لها عاتكة ، وفيها يقول الشاعر :

يا بيتَ عاتِكَةَ الذي أَتَعَزَّلُ حَذَرَ العِدَى وبه الفُؤادُ مُوكَّلُ

إنّي لأَمْنَحُكَ الصُدودَ وإنّني قَسَماً إليكَ مَعَ الصُدودِ لأَمْيَلُ[1]

---

١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ـ ط . القاهرة ١٩٩٠ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

أمر يزيد بن معاوية :

وأمّا يزيد بن معاوية فكان يُكنى أبا خالد .

حدثني العُمَري عن الهيثم بن عَديّ عن ابن عيّاش وعَوانة وعن هشام ابن الكلبي عن أبيه وأبي مخنف وغيرهما قالوا : كان يزيد بن معاوية أوّلَ من أظهر شُرْبَ الشراب والاستهتارَ بالغناء والصيد واتّخاذ القيان والغلمان والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكة ثم جرى على يده قتل الحسين ، وقَتْلُ أهل الحَرّة ، ورَمْيُ البيت وإحراقه ، وكان مع هذا صحيح العُقْدة فيما يَرَى ، ماضيَ العزيمة لا يهمّ بشيءٍ إلّا ركبه .

قالوا : ووقع بين غلمان يزيد وغلمان عمرو بن سعيد الأشْدق شرٌّ فأغضبه ذلك ، وأمر بإحضار أولئك الغلمان ، فلما أُتي بهم قال : خلّوا سبيلهم فإنّ القُدرة تُذهِب الحفيظة .

المدائني قال : دعا يزيد بأُمّ خالد لينالَ منها فأبطأت عليه ، وعرضت له جاريةٌ سوداء من جواريه فوقع عليها ، فلما جاءت أمّ خالد أنشأ يقول :

اسْـلَمـي أُمَّ خـالِـدِ رُبَّ سـاعٍ لِـقـاعِـدِ
إنَّ تِـلْكَ الـتي تَـرَيْـ نَ سَـبَـتْـنـي بِـوارِدِ
تُـدْخِـلُ الأيْـرَ كُلَّـهُ في حِـرٍ غَـيْرِ بـارِدِ

المدائني والهيثم وغيرهما قالوا : كان ليزيد بن معاوية قرد يجعله بين يديه ويكنيه أبا قيس ويقول : هذا شيخ من بني اسرائيل أصاب خطيئة فمُسخ ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك ممّا يصنع ، وكان يحمله على أتان وَحْشيّة ويُرسلها مع الخيل فيسبقها ، فحمله عليها يوماً وجعل يقول :

تَمَسَّكْ أبا قَيْسٍ بفَضْلِ عِنانِها فليس عليها إن هَلَكْتَ ضَمانُ
فقد سَبَقَتْ خَيْلَ الجَماعَةِ كُلَّها وخَيْـلَ أميرِ المُؤْمِنـينَ أتـانُ

وذكر لي شيخ من أهل الشام أنّ سبب وفاة يزيد أنّه حمل قرده على الأتان وهو سكران ، ثم ركض خلفها ، فاندقّت عُنقه أو انقطع في جوفه شيء .

وحدثني محمد بن يزيد الرفاعي حدثني عمّي عن ابن عيّاش قال : خرج يزيد يتصيّد بحُوّارين وهو سكران ، فركب وبين يديه أتان وحشيّة قد حمل عليها قرداً وجعل يُركض الأتانَ ويقول :

أبا خلفٍ إحْتَلْ لِنَفْسكَ حيلةً فليس عليها إن هَلَكْتَ ضمانُ

فسقط فاندقّت عُنقه .

قالوا : وكان يزيد هَمَّ بالحجّ ثمّ إتيانِ اليمن فقال رجل من تنوخ :

يَزيدُ صَديقُ القِرْدِ مَلَّ جِوارَنا فحَنَّ إلى أرْضِ القُرودِ يزيدُ
فتَبّاً لِمَنْ أمْسَى علينا خَليفَةً صَحابَتُهُ الأدْنَوْنَ مِنْهُ قُـرودُ

المدائني قال : كان يزيد ينادم على الشراب سَرْجون مولى معاوية .

وليزيد شعر منه قوله :

ولهـا بـالمـاطِـرونِ إذا أَكَـلَ النَمْـلُ الـذي جَمَعـا
مَـنِـزلٌ حَتّى إذا ارْتَـبَعَـتْ سَـكَنَـتْ مِن جِلّقٍ بِيَـعـا
في جِـنـانٍ ثَـمَّ مُـؤْنِـقَـةٍ حَـوْلَهـا الـزَيْتـونُ قـد يَنَعـا

وقال لأمّ خالد :

إذا سِرْتُ مِيلاً أو تَخَلَّفْتُ ساعَةً دَعَتْني دَواعي الحُبِّ مِن أُمِّ خالِدِ

وقال أيضاً :

إني إذا ما جِئْتُكُمْ أُمَّ خالِدٍ لَذو حاجَةٍ عنها اللسانُ كَليلُ

وقال أيضاً :

إذا اتَّكَأْتُ عَلَى الأَنْماطِ في غُرَفٍ بِدَيْرِ مُرّانَ عندي أُمُّ كُلْثومِ
فلا أُبالي بِما لاقَتْ جُموعُهُمُ بِالقَرْقَذونَةِ مِنْ حُمّى ومِن مومِ[1]

وكان ناس غازين فأصابهم وباء ومرض وجوع فلما بلغ معاويةَ شعره قال : والله ليغزونَّ ولو مات ، فأغزاه بلادَ الروم ومعه فُرْس أَنْطاكِية وبَعْلَبَكّ وغيرهم فلحق بسفيان بن عَوْف بالقَرْقَذَونة فغزا حتى بلغ الخليج ثم انصرف . وأمّ كلثوم بنت عبدالله بن عامر .

المدائني قال : دخل عبدالله بن جعفر على يزيد فقال : كم كان أبي يُعطيك في كلّ سنة ؟ قال : ألف ألف ، قال : فإنّي قد أضعفتُها لك ، فقال

---

١ ـ تقدم هذا الخبر، والقرقذونة من بلدان بيزنطة في آسيا الصغرى هي Chalidon .

ابن جعفر : فداك أبي وأمّي ووالله ما قُلتها لأحد قبلك ، قال : فقد أضعفتُها لك ، فقيل أتُعطيه أربعة آلاف ألف ؟! فقال : نعم إنّه يفرّق ماله ، فإعطائي أيّاه إعطائي أهلَ المدينة .

قالوا : وكان يزيد آدمَ جعداً معصوباً[١] أحور العينين طُوالاً بوجهه أثرُ جُدَرِيٍ ، ويقال كان أبيض وكان حسن اللحية خفيفَها .

المدائني عن أبي عبد الرحمن العبدي عن عبد الملك بن عُمَيْر قال : قال رجل لسعيد بن المسيّب : أخبِرْني عن خُطباء قريش قال : معاوية ، وابنه يزيد ، ومروان ، وابنه ، وسعيد بن العاص وابنه ، وما ابن الزبير بدونهم .

قالوا : وأخطأ يزيد في شيء فقال له مؤدبّه : اخطأتَ يا غلام فقال يزيد : الجواد يعثر ، فقال المؤدّب : أي والله ويُضْرَب فيستقيم ، فقال يزيد : أي والله ويضرِبُ أنْفَ سائسه .

المدائني عن عبد الرحمن بن معاوية قال ، قال عامر بن مسعود الجُمَحي : إنّا لبمكة إذْ مرّ بنا بريدٌ ينعى معاويةَ ، فنهضنا إلى ابن عبّاس وهو بمكة وعنده جماعة وقد وُضعت المائدة ولم يُؤتَ بالطعام فقلنا له : يا أبا العبّاس ، جاء البريد بموت معاوية فوجم طويلاً ثم قال : اللهمَّ أوْسِعْ لمعاويةَ ، أما والله ما كان مِثْلَ مَنْ قَبْلَه ولا يأتي بعده مِثْلُه ، وإنّ ابنه يزيد لَمن صالحي أهله فالزموا مجالسكم وأعطُوا طاعتكم وبيعتكم ، هاتِ طعامك يا غلام ، قال : فبينا نحن كذلك إذ جاء رسول خالد بن العاص وهو على

---

١ ـ المعصوب الجائع جداً ، والعصب : اتساخ الأسنان من غبار ونحوه ، وجفاف الريق في الفم . القاموس .

مكة يدعوه للبيعة فقال : قل له آقض حاجتك فيما بينك وبين مَن حضرك فإذا أمسينا جئتُك ، فرجع الرسول فقال : لابدّ من حضورك فمضى فبايع .

المدائني قال : تزوّج يزيد بن معاوية فاخِتة وهي حَبَّة بنت أبي هاشم بن عُتْبة بن ربيعة فولدت له : معاوية ، وخالداً ، وعبدالله الأكبر ، وأبا سفيان ؛ وتزوّج أمّ كلثوم بنت عبدالله بن عامر فولدت له : عبدالله الأصغر الذي يقال له الأُسوار ، وعمر ، وعاتكة أمّ يزيد بن عبد الملك ؛ وتزوّج امرأة من غسّان فولدت له رَمْلة ؛ ففي فاختة يقول :

اسْلَمي أُمَّ خالد رُبَّ ساعٍ لقاعدِ

وفي أمّ كلثوم يقول :

إذا اتَّكَأْتُ عَلَى الأَنْماطِ في غُرَفٍ بِدَيْرِ مُرّانَ عِنْدي أُمُّ كُلْثومِ

وكان قد وجد على أمّ خالد بنت [أبي] هاشم وكان لها مؤثِراً فتزوّج في حِجّةٍ حَجها أمّ مِسْكين بنت عمر بن عاصم بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وقال :

أراكِ أُمَّ خالِدٍ تَضِجّينْ باعَتْ على بَيْعِكِ أُمُّ مِسْكينْ
مَيْمونَةٌ مِن نِسْوَةٍ مَيامينْ زارَتْكِ مِن طَيْبَة في حُوّارينْ
في بَلْدَةٍ كُنْتِ بِها تَكونينْ فالصَبْرُ أُمَّ خالِدٍ مِنَ الدينْ
إنَّ الذي كُنْتِ بِهِ تُدِلّينْ ليس كما كُنْتِ به تَظُنِّينْ

وطلّق يزيد أمّ مِسْكين فتزوّجها عبيدالله بن زياد ، وإنّما رضيت به مغايَظةً ليزيد ، فقُتل عنها ابن زياد ، فخطبها محمد بن المنذر بن الزبير فتزوّجته ثم نافرته وقالت : إنّي والله ما تزوّجتك رغبةً فيك ، ولكني أردتُ أن أغسلَ سوءةً كنتُ وقعت فيها .

المدائني عن يعقوب بن داود أنّ عَطاء بن أبي صَيْفي بن نَضْلَة بن قائف الثَقَفي دخل على يزيد وقد مات معاوية فقال : أصبحتَ يا أمير المؤمنين فارقتَ الخليفةَ وأُعطيتَ الخلافة ، فأُجَرَكَ الله على عظيم الرَزيّة ، ورَزَقك الشكرَ على حسن العطيّة ، فاحتذى ابن همّام مِثالَه في هذا النثر فنظمه فقال :

اصْبِرْ يَزيدُ فَقَدْ فارَقْتَ ذا ثقةٍ وَآشكُرْ عَطاءَ الذي بالمُلْكِ أَصْفاكا
أَصْبَحْتَ لا رُزْءَ في الأقْوامِ نَعْلَمُهُ كما رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كَعُقْباكا
أُعْطِيتَ طاعَةَ أهلِ الأَرْضِ كُلِّهِمُ فأَنْتَ تَرْعاهُمُ والله يَرْعـاكا
وفي مُعاويةَ الباقي لنا خَلَفٌ إذا هَلكَتْ ولا نَسْمَعْ بِمَنْعاكا

وقال أيضاً :

تَعَزَّوْا يـا بَني حَرْبٍ بِصبرٍ فمَنْ هذا الذي يرجو الخُلودا
تلقّـاهـا يَـزيـدُ عن أَبيـهِ فخُذها يا مُعاوِيَ عن يَزيدا
أَديروها بني حَـرْبٍ عليكُمْ ولا تَرْموا بها الغَرَضَ البعيدا
وإنْ دُنْيـاكُمْ بكُمُ استَقَرَّتْ فـأَوْلوا أَهْلَهـا أَمْراً سَـديدا
فإن شَمَستْ عَليكُمْ فَاعصِبوها عِصاباً تُسْتَدَرُّ[1] لكُمْ شديدا

وقال أيضاً أو غيره :

يَزيدُ يا بن أبي سُفْيَان هل لَكُمُ الى ثَنـاءٍ ووُدٍّ غَيْرِ مُنصرمِ
إنا نَقولُ وَيَقْضي الله مُقْتَدِراً وما يَشَأْ رَبُّنا من صالحٍ يَدُمِ
فاقتَدْ بقائلكم خُذْها يَزيدُ وقُلْ خُذْها مُعاويَ غَيْرَ العاجزِ البَرِم

---

١ ـ العصب : شد فخذي الناقة لتدر . القاموس .

ولا تحُطَّ بها في غَيْرِ دارِكُمُ   إنّي أخافُ عليكُمْ حَيْرَةَ النَدَمِ
إنَّ الخِلافَةَ إن تُعْرَفْ لِثالثكُم   تَثْبُتْ مَعادِنها فيكُمْ ولا تَرِمِ
ولا تَزالُ وُفودٌ في دِيارِكُمُ   في ظِلِّ أَبْلَجَ سَبّاقٍ الى الكَرَمِ

فبايع يزيد لابنه معاوية ، ويقال إنّه إنّما بايع له حين احتُضر يزيد .

وكان على شرطة يزيد حُميد بن حُريث بن بَحْدَل ثم عامر بن عبدالله الهَمْداني من أهل الأُرْدُنّ .

المدائني عن أبي عمرو المدني قال : وفد جرير بن عَطِيّة بن الخَطَفى على يزيد ووفد شعراء سواه ، فخرج إليهم الآذِن فقال : إنّ أمير المؤمنين أمرني ألاّ أُدخِل اليه إلاّ مَنْ عرف شعره فأنشِدوني ، فقال جرير : أنا الذي أقول :

تَعَرَّضْتُ فاستمررْتَ مِن دونِ حاجتي   فحالَكَ إنّي مُسْتَمِرٌ لِحالِيا
وإنّي لَمَغْرورٌ أُعلَّلُ بِالمُنى   لَياليَ أَدْعو أَنَّ مالَكَ مالِيا
بأيِّ نجادٍ تحمِلُ السيْفَ بعدما   قَطَعْتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقِيا
بأيِّ سِنانٍ تطعُن القَوْمَ بعدما   نَزَعْتَ سِناناً من قَناتك ماضيا[1]

فدخل فأنشده الأبيات فقال : أَدْخِل صاحبها ، فقال له : من أنت ؟ قال : جرير بن عَطِيّة بن الخَطَفى اليَربوعي قال : انّي سمعت أبياتك هذه عائِرةً ولم أَدْرِ لمن هي ، فعَاتَبْتُ أمير المؤمنين معاويةَ يوماً فأَنشدتهُ إيّاها وهو يرى أنها من قولي ، ووصل جريراً .

---

١ ـ ديوان جرير ص ٤٩٨ ـ ٥٠٢ .

المدائني قال : قدم عبد الرحمن بن زياد من خراسان فأمره يزيد أن يعطي عبدالله بن جعفر خمسمائة ألف درهم فأعطاه ألف ألف درهم فقال : خمسمائة من يزيد ، وخمسمائة مني .

المدائني عن عليّ بن مجاهد عن هشام بن عُروة قال : كان عبدالله بن صفوان مع عبدالله بن الزبير فذمّ يزيد واغتابه فقيل له ألم تبايعه ؟ قال : انّي وجدت في البيعة له عَواراً فرددتُها .

أبو الحسن المدائني عن أبي أيّوب القرشي قال : لما قدم [....] يزيد بن معاوية كتب إليه أن أحملْ إليّ ابن همّام السَلولي ، وكان قد وجد عليه في قصيدته التي يقول فيها :

حُشينا الغَيْظَ حتّى لو شَرِبْنا دِمـاءَ بني أُمَيَّةَ مـا رَوِينـا

فأخذه ابن زياد فسأله أن يكفله عريفه ، وكان اسم العريف مالكا ، ففعل ، وهرب ابنُ همام وأُخِذَ عريفه به ، وقدم على يزيد فعزّاه عن معاوية وهنّأه بالخلافة وأتى ابنه معاوية فاستجار به ، فآمنه يزيد وصفح عنه ، وكتب إلى ابن زياد يأمره أن لا يعرض له وأوصاه به ، فقال ابن همّام حين رجع :

جَعَلْتَ الغَـوانِيَ من بالِكـا ولم يَنْهكَ الشَيْبُ عن ذالكا
أقـولُ لِعُثمـانَ لا تَلْحُني أفِقْ عُثْمَ عن بَعْضِ تَعْذالِكا
غَريبٌ تَـذَكّرَ إخوانَـهُ فهـاجوا لـه سَقماً نـاهكـا
وكَـرَّهَـني أرْضَـكُـم أنّـني رَأَيْتُ بهـا أَسَدَاً نـاهِكـا
فلَمّـا خَشِيتُ أظـافيـرَهُ نَجَـوتُ وأَرْهَنْتُهم مـالِكـا
عَـرِيفاً مُقيمـاً بدارِ الهَـوانِ أهْـونْ علـيَّ بـه هـالِكـا
ويَمّـمـتُ أبْـيَضَ ذا سُـؤدَدٍ عـلا ذِرْوَةَ المَجْدِ والحـارِكـا

فلَمّــا أَنَخْــتُ إلى بــابِــهِ رأيــتُ خَليفَــتَنــا ذالكــا
فقلت أجرني أبــا خــالــدٍ وإلّا فَهَبْني آمْـرَءاً هـالِكـا
فجادَ بنا ثُمَّ قُلْتُ آعطفِي بنـا يا صَفِي ويـا عاتِكـا
فــأَطّتْ لَنــا رَحمٌ بَــرَّةٌ ولم يَحْقِرِ النَسَبَ الشابِكــا
فكَمْ فُرِجَت بِكَ من كُرْبَةٍ ومِنْ حلْقَةٍ عِنْـد أبْـوابِكـا
وكــان وراءكَ ضِبرْغـامـةٌ تُوائِــل منــه بحَوْبــائِكــا
فَيَا ابْنَ زيادٍ وكُنْتَ آمْرءاً كَما زَعَموا عــابِــداً ناسِكــا
فــإنَّ مَعي ذِمَّةً من يَـزيدَ وإنّي أُعـوذُ بِـــإسلامِكــا
مِنْ آن أُظْلَمَ اليومَ أَوْ أَنْ تُطِيع بيَ الكــاذِبَ الآثِمَ الآفِكـا
فلَوْلا الثِقــالُ شفــاعــاتُهُمْ وَعَهْـدُ الخَليفَــةِ لم آتِكــا
فقَدْ خطَّ لي الرَقَّ فيه الأَمانُ إليــك مَخـافَــةَ أَنْبــائِكــا
فـلا تَخْفِرَنْهُ فقَدْ خَطَّ لي رُقىً من مَخافَـةَ حَيّــاتِكـا
وأَحْضَرْتُ عُذْرا عليهِ الشُهودُ إنْ قـابـلاً ذاك أَو تـارِكـا
وقَد شهدَ الناسُ عند الإمام أَنّي عَــدُوٌّ لأَعْــــدائِكــا

وقال الهيثم بن عديّ وابن الكلبي عن عوانة : كتب يزيد لابن همّام بالرضا عنه وبجائزة فبسطه وآنسه وأطلق عريفه ، وكان حبسه إذْ لم يُعد همّام اليه لِيَتولَّى حمله إلى يزيد وهرب ، وأَمر كاتبيه عمرو بن نافع وحسّان مولى الأنصار أنْ يدفعا إليه جائزته ، فكان عمرو يدافعه وحسّان يعينه عليه ، فدخل ذات يوم على ابن زياد فقال : أَلَكَ حاجة ؟ قال :

نَعَمْ حاجةٌ كلَّفْتُها القَيْظَ كُلَّهُ أُراوِحُها البَرْدَيْنِ حَتّى شَتَيتُها
يُعاوِدُها حسّانُ عَمْرَو بن نافعٍ فحسّانُ يُحْيِيها وعَمْرٌو يُميتُها

وقال ابن همّام في عمرو بن نافع :

أَفِي جَرْجَرايا أَنْتَ كَفْنا بْنُ فَرْزَنٍ ... وفينا أبو عُثْمانَ عَمْرُو بنُ نافِعِ
وأُنْبِئْتُ في جُوخَا فلا تَتْرُكَنَّهُ ... بَقِيَّةَ ميراثٍ لِشَيخكَ ضائِعِ
ثَلاثَةَ أَخْلاقٍ بَلِينَ ومِنْجَلاً ... وأُمَّ جِراءٍ تُتَّقَى في المراتِــــعِ
فَلَهْفَا عليكُمْ آل كفْنا بْنِ فَرْزَنٍ ... فكم كان فيكُمْ من مُثيرٍ وتارِعِ

وبعضُ الرواةِ يزعم أنّ ابن همام عصى فطلبه ابنُ زياد فأُخِذ به عريفه فهرب إلى يزيد .

المدائني عن إبراهيم بن حكيم عن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال : دخل عطاء بن أبي صَيْفي الثقفي على يزيد بن معاوية فقال له يزيد : لِمَ تحالفتْ ثقيف فصارت بنو غِيَرَةَ وسعد بن عوف وأسعد بن غاضرة يدا وصارت بنو مالك يداً ؟ و[. . . .] لم يتحالف قوم قط الا عن ذلّة وقلّة ، فقال عمرو بن عبد عمرو : ما رأيتُ قطّ كلاماً أبعد من صواب وسداد ، والله لتكُفَنّ يا بن أبي صَيْفي أو لأَرِدَنَّ لك شعاباً يَباباً ، لا تُنبتُ إلّا سَلعاً وصاباً ، فقال عطاء : إنْ ترد شعابي تلْقَها مُكْلِئَةً خِصابا ، تفهَق بمياهها عِذابا ، وتلق أهلها شُوساً غِضابا ، قال : إنْ أَرِدْها أُلْقَها قليلا نَداها ، يابساً ثراها ، ذليلا حماها ، خاشعة صُواها ، قال : بل إنْ تَرِدْها تلقها مَرِيّاً مرعاها ، نَديًا ثَراها ، عزيزاً حِماها ، مُضِرةً بمِثْلك هَيْجاها ، قال : بل أُلْقَها لِلريح الزَعْزَع ، والذئاب الجُوَّع ، كبَيْداء بَلْقع ، قال : بل تلقها طَيِّبة المَرْتَع ، يضيق بها على مِثْلك المَضْجَع ، فقال يزيد : عنكما فقد أحسنتما وما قلتما فُحْشاً ، فقال عَطاء : يا أمير المؤمنين الأصل مُؤتِلف ، والشَكْل بَعْدُ مختلف ، وأنا بذاك مُقِرٌ مُعتَرِف .

المدائني قال ، قال عاصم الجَحْدَري : جاءت بَيْعة يزيد البصرةَ وأنا اكتبُ في مصحف ﴿إذا السَّماءُ انْشَقَّتْ﴾[1] .

المدائني قال : استعمل ابن زياد عبدَ الرحمن بن أمّ بُرْثُن - كما يقال فَيْروز حُصَيْنْ - وأُمّ بُرْثُن امرأة من بني ضُبَيْعة كانت تعالج الطِيب وتخالط آل عبيدالله بن زياد ، وكان منبوذاً فأخذته وربّته وتبنّته حتى أدرك وصار رجلاً جزلاً له نُبْلٌ وفضل وتألّهٌ ، ثم كلّمت نساءَ عبيدالله بن زياد فيه فكلّمن عبيدَالله فيه فولاه ، فرمى عبدٌ له ذات يوم بسَفّود فأصاب السفّود رأسَ ابنه فنُثر دِماغُه فظنّ أنّه سيقتله فقال له حين أُتي به : اذهب يا بني فأنت حُرّ فإنّك قتلت ابني خطأً ولن اقتلك متعمّداً ، ثم عمي بعد . ولما استعمله ابن زياد ثم عزله أغرمه مائتي ألف درهم فخرج إلى يزيد بن معاوية ، فلما كان على مَرْحلة من دمشق نزل وضرب له خِباءً وحُجْرة ، فإنّه لجالس إذا كلبة من كلاب الصيد قد دخلت عليه وفي عنقها طوق من ذهب وهي تلهث ، فأخذها وطلع يزيد على فرس له ، فلما رأى هيئته أدخله الحجْرةَ وأمر بفرسه أنْ تقاد ، فلم يلبث أن توافت الخيل فقال له يزيد : مَن أنت وما قصّتك ؟ فأخبره ، فكتب له من ساعته إلى عبيدالله بن زياد في ردِّ المائتي الألف عليه ، وأعتق ذلك اليوم ثلاثين مملوكاً وقال : مَنْ أحبَّ أنْ يقيم فليُقِمْ ومَن أحبّ أن يذهب فليذهب .

المدائني قال : هجا فَضالة بن شَريك رجلاً من قريش يقال له عاصم - قال المدائني : وأراه عاصم بن عمر - فخافه فعاذ بيزيد بن معاوية وقال فيه :

---

[1] ـ سورة الانشقاق ـ الآية : ١ .

إذا ما قُرَيْشٌ فاخَرَتْ بِطَريفِها فَخَرْتَ بِمَجْدٍ يا يَزيدُ تَليدِ
بِمَجْدِ أَميرِ المُؤْمِنينَ ولم يَزَلْ أبوكَ أمينُ اللهِ جِدَّ رَشيدِ
به عَصَمَ اللهُ الأنامَ مِنَ الرَدَى وأَدْرَكَ نُبْلاً من معاشِرَ صِيدِ

فكتب يزيد إلى عاصم: إنّي قد أجرتُ فَضالة فَهْبه لي، ووصله.

وقال عبد الرحمن بن الحَكَم أخو مروان في يزيد حين خلعه ابن الزبير:

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ مِنْ إمامِ جَماعَةٍ أَيَضِلُّ رَأْيُكَ في الأُمورِ ويَعْزُبُ
مُتَوَسِّدٌ إذْ فالَذْتَهُ جَيْأَلٌ هَلْباءُ أَوْ ضِبْعانُ سُوءٍ أَهلَبُ[1]
أَلْهاكَ بُرْقُعَةُ الضِباعِ عَنِ العَمَى حَتّى أتاك وأَنْتَ لاهٍ تَلْعَبُ

وحدثني الحِرْمازي عن أبي سُويد الشامي عن أبيه قال: قال يزيد بن معاوية: حِفْظ النديم والجليس وإكرامهما من كرم الخليفة وقضاءِ حقّ النِعْمة.

وقال المدائني: لاط خالد بن اسماعيل بن الأشعث بغلام له في استه فشهد عليه امرءان من مواليه وامرأتاهما وغلامٌ لم يحتلم فحدّه يزيد وكان ماقتاً له.

قالوا: ومن شعر يزيد قوله:

لَشَرُّ الناسِ عَبْدٌ وابنُ عَبْدٍ وأَلْأَمُ من مشى مولى الموالي

---

١ ـ يقال ذو مطارحة ومفالذة: يفالذ النساء. الجيأل: الضبع والضخم من كل شيء، وهلباء: شعراء. اللسان والقاموس.

وقوله :

إعْصِ العَواذِلَ وَارْمِ اللَّيْلَ عن عُرُضٍ ... بِذي سبيبٍ يُقاسي لَيْلَهُ خَبَبا
أَقَبَّ لم يَنْقُبِ البَيْطارُ سُرَّتَهُ ... ولم يَدِجْهُ ولم يَرْقُمْ له عَصَبا
حَتَّى يُثَمِّرَ مالاً أَوْ يُقالَ فَتىً ... لاقى التي تَشْعَبُ الفِتْيانَ فَانْشَعَبا
لا خَيْرَ عِند فَتىً أَوْدَتْ مُرُوءَتُهُ ... يُعْطي المَقادَةَ من لا يُحْسِنُ الجَنَبا(١)

وقال :

وساعٍ يَجْمَعُ الأَمْـوالَ جَمْعاً ... لِيـورِثَهـا أَعـاديَـهُ شَقـاءَ
وكم ساعٍ لِيُثْرِيَ لم يَنَلْهُ ... وآخرُ ما سعى نال الثَّراءَ
ومَنْ يَسْتَعْتِبِ الحَدَثانَ يَوْماً ... يَكُنْ ذاك العتاب له عَناءَ

وقال :

وإنَّ نَديمي غَيْرَ شَكٍّ مُكَرَّمٌ ... لَدَيَّ وعِنْدي من هَواهُ الذي ارْتَضى
ولَسْتُ له في فَضْلَةِ الكَأْسِ قائلاً ... لأَصْرَعَهُ سُكْراً تحسَّ وقد أَبى
ولكِنْ أُحَيِّيـهِ وأُكْرِمُ وَجْهَـهُ ... وأَصْرِفُها عنه وأَسْقيهِ ما اشتهى
وَلَيْسَ إذا ما نامَ عندي بِمُوقَظٍ ... ولا سامِعٍ يَقْظانَ شيئاً مِنَ الأَذى

وقال يزيد :

اسْقِني مُـزَّةً تُرَوّي مُشـاشي ... وأَدِرْ مِثْلَها على ابن زيـاد
مَوْضِعِ السِرِّ والأَمانَةِ عِنْدي ... وعلى ثَغْرِ مَغْنَمي وجهادي

يعني سَلْم بن زياد وكان على خراسان .

---

١ ـ انظر الأصمعيات ص ٤٦ ـ ٥٠ حيث قصيدة لسهم بن حنظلة الغنوي هي الأصل لهذه الأبيات المنسوبة ليزيد .

وكان مسلم بن عمرو الباهلي أبو قُتَيْبة نديماً ليزيد يشرب معه ويغنّيه ، فقال الشاعر حين عُزل يزيد بن المهلّب عن خراسان ووَلِيها قُتَيْبةُ :

شتّانَ مَنْ بالصّنج أَدْرَكَ والذي بِالسّيْفِ أَدْرَكَ والحُروبُ تُسَعَّرُ

المدائني ، قال : أتى عبد الرحمن بن حسّان يزيدَ فرأى منه جفوة له وإغفالاً فهجاه فقال شعراً استبطأه فيه ، فقال حصين بن نُمير أو مسلم بن عُقْبة : اقتُلْه فإنّ حِلْم أمير المؤمنين معاوية جرّأ الناسَ عليكم ، فقال : جفوناه وحرمناه فاستحققنا ذلك منه ، فبعث إليه بثلاثين ألف درهم ، فمدحه .

ذكر ما كان من أمر الحسين بن علي ، وعبدالله بن عمر ، وابن الزبير في بيعة يزيد بعد موت معاوية بن أبي سفيان :

قال أبو مخنف وعَوانة وغيرهما : ولي يزيد بن معاوية وعمّال أبيه : على الكوفة النعمان بن بَشير الأنصاري ، وعلى البصرة عبيدالله بن زياد ، وعلى المدينة الوليد بن عُتْبة بن أبي سفيان ، وعلى مكة عمرو بن سعيد الأُشْدَق ـ وقال بعضهم : كان على مكة الحارث بن خالد ، وعلى المدينة الأشدق والأوّل أثبت ـ فلما ولي كتب إلى الوليد مع عبدالله بن عمرو بن أُوَيس ، أحدِ بني عامر بن لُؤَيّ : أمّا بعد فإنّ معاوية بن أبي سفيان كان عبداً من عبيدالله أكرمه الله واستخلفه وخوّله ومكّن له فعاش بقَدَرٍ ، ومات بأَجَل فرحمة الله عليه ، فقد عاش محموداً ، ومات بَرّاً تَقيّاً، والسلام .

وكتب إليه في صحيفة كأنّها أُذْنُ فأره : أمّا بعد فخذْ حسيناً وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أَخْذاً شديداً ، ليست فيه رُخْصةٌ ولا هَوادة ، حتى يبايعوا والسلام .

قالوا : فلما أتى ابنَ عُتْبة الكتابُ فَظِعَ بموت معاوية وكَبُرَ عليه ، وقد كان مروان بن الحَكَم على المدينة قَبْله ، فلما ولي بعد مروان كان مروان

لا يأتيه إلاّ معذّراً متكارهاً حتى شتمه الوليد في مجلسه فجلس عنه مروان ، فلما جاء نَعِيُ معاوية إلى الوليد قرأ عليه كتاب يزيد واستشاره فقال : أُرى أن تَبعَثَ الساعةَ إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة فإن بايعوا قبلت ذلك منهم وإن ابوه قدّمَتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بوفاة معاوية ، فإنّهم إن علموا بها وثب كلُّ امرىء منهم في ناحية ، فأظهر الخلاف والمنابذة ودعا إلى نفسه .

فقال الوليد : أمّا ابن عمر فإنّي أراه لا يرى القتال ولا يختار أن يَلِيَ أمرَ الناسِ إلاّ أنْ يُدْفَع الأمر إليه عَفْواً .

وأرسل الوليد عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وهو إذ ذاك غلام ، إلى الحسين وعبدالله بن الزبير يدعوهما فوجدهما جالسَيْن في المسجد وكان إتيانه إيّاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس ولا يأتونه فقال : أجيبا الأمير ، فقالا له : انصرِف الآن نأتِهِ بعد ، ثم أعاد إليهما الرسل وألحّ عليهما ، فأمّا الحسين فامتنع بأهل بيته ومن كان على رأيه ، وفعل ابن الزبير مثل ذلك ، وبعث إليه الحسين أن كُفّ حتّى نَنْظُر وتَنظروا ونرى وتروا ، وبعث ابن الزبير : لا تعجلوا فإنّي آتيكم ، فوجّه الوليد مواليَ له فشتموه وقالوا : يا بن الكاهِلِيّة إن أتيتَ الأمير وإلاّ قتلناك ، فجعل يقولُ : الآن أجيء الآن أجيء ، وأتى جعفر بن الزبير الوليدَ فقال له : كُفّ رحمك الله عن عبدالله فقد أفزعتَه وذعرته بكثرة رسلك وهو يأتيك غداً إن شاء الله ، فصرف الوليد رسله عنه وتحمّل ابن الزبير من ليلته ـ وهي ليلة السبت لثلاث ليال بقين من رجب سنة ستّين ـ فأخذ طريق الفُرْع ومعه أخوه جعفر بن الزبير وتجنّبا الطريق الأعظم ، فلما أصبح الوليد طلبه فلم يجده ، فقال

مروان : ما أخطأ مكة ، فوجّه الوليد في طلبه حبيب بن كُرَّة مولى بني امية في ثلاثين راكباً من موالي بني أميّة فلم يَلحقوه وتشاغلوا عن الحسين بطلب ابن الزبير ، فخرج الحسين ليلة الأحد ليومَيْن بقيا من رجب سنة ستّين ، وسمع عبدالله بن الزبير جعفرا أخاه يتمثّل ببيت مُتَمِّم بن نُوَيْرة الحَنْظلي :

وكُلُّ بَني أُمٍّ سَيُمْسونَ لَيْلَةً ... ولم يَبْقَ مِن أَعْقابِهِمْ غَيْرَ واحِدِ

فتَطيّر ابن الزبير فقال لجعفر أخيه : ما أردت بإنشادك هذا البيت ؟ قال : ما أردت إلاّ خيراً ؛ ونزل ابن الزبير مكة وعليها عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة فقال : إنّما أنا عائذٌ ولم يكن يصلّي بصلاتهم ، ولزم جانب الكعبة فكان يصلّي عندها عامّةَ نهارِه ويطوف ، يأتي الحسينَ بن عليّ فيُشير عليه بالرأي في كلّ يومين وثلاثة أيّام ، وحسين أثقل الناس عليه لعلمه بأنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام حسين بالبلد ، لأنّ حسيناً كان أعظم في أنفسهم وأطوع عندهم ، فأتاه يوماً فحادثه ساعة ثم قال : ما أدري ما تَرْكُنا هؤلاء القومَ وكَفُّنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وأولِي الأمرِ منهم ، فخبّرني بما تريد أن تصنع ؟ فقال الحسين : والله لقد حَدَّثْتُ نفسي بإتيان الكوفة ، فإنّ شيعتي بها ، وأشراف أهلها قد كتبوا إليّ في القدوم عليهم ، وأستخير الله ، فقال ابن الزبير : لو كان لي بها مثل شيعتكم ما عَدَلْتُ بها ، ثم خشي أن يتّهمه فقال : إنّك لو أقمت بالحجاز ثم أردت الأمر هاهنا ما خُولِفَ عليك إن شاء الله ، ثم خرج من عنده فقال الحسين : ما شيء من أمر الدنيا يُؤْتاه أحبّ إليه من خروجي عن الحجاز لأنّه قد علم أنّه ليس له معي من الأمر شيء .

وبعث الوليد إلى عبدالله بن عمر أن بايْع ليزيد فقال : إذا بايَعَتِ الناسُ بايعتُ ، فتركوه لِثقتهم بزهادته في الأمر وشغله بالعبادة .

وأخذ الوليد ممّن كان هواه مع ابن الزبير وميله إليه : عبدالله بن مُطيع بن الأسود بن حارثة العَدَوي ، وهو ابن العَجْماء ـ نُسب إلى جدّته ، وذلك اسمها ، وهي خُزاعِيّة ـ ومصعب بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُهري فحبسهما ، فاجتمعت بنوعديّ إلى عبدالله بن عمر فقالوا : حُبِس صاحبنا مظلوماً ، وبلغ الوليد ذلك فصار إلى ابن عمر ، فحمد ابن عمر الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه ﷺ ثم قال : استعينوا على إقامة أمركم بالحقّ ولا تطلبوه بالظلم فإنّكم إن استقمتم أُعِنتم وإن جُرتم وُكِلْتم إلى أنفسكم ، كُفّ رحمك الله عن صاحبنا وخلّ سبيله فإنّا لا نعلم لكم حقاً تحبسونه به ، فقال : حبسته بأمر أمير المؤمنين ، فنكتب وتكتبون ، فانصرف ابن عمر واجتمع فتية من بني عديّ فانطلقوا حتى اقتحموا على ابن مُطيع وهو في السجن فأخرجوه ، فلحق بابن الزبير ثم رجع بعدُ فأقام بالمدينة .

وقد رُوي أيضاً أنّ الحسين أتى الوليد فقال له الوليد : قد آن أن تعلم بموت معاوية وهو في مواليه وفتيانه ، فلما رأى عنده مروان ، وقد كانت بينه وبين الوليد تلك النّفرةُ قال : الصلة خير من القطيعة ، والصلح خير من العداوة ، وقد آن لكما أن تجتمعا ، أصلح الله ذات بينكما ، فلم يجيباه بشيء ، وأقرأه الوليد كتاب يزيد ونعى إليه معاوية ، ودعاه إلى البيعة ، فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، رحم الله معاوية وأعظم لك الأجر ، وأمّا البيعة فإنّ مثلي لا يبايع سرّاً ولا أراك ترضَى منّي إلاّ بإظهارها على رُؤوس الناس ، فإذا خرجتَ إليهم فدعوتَهم إلى البيعة دعوتَنا فكان أمرنا واحداً ،

وكان الوليد رجلاً محبّاً للعافية فقال : انصرف على اسم الله حتى تبايع مع جماعة الناس ، فقال مروان : لئنْ فارقك الساعةَ لا قدرتَ منه على مثلها أبداً حتى يكثر القتلى بينكم وبينه ، احبِس الرجلَ فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضربَ عنقه ، قال : فوثب الحسين فقال : يا بن الزَرْقاء كذبتَ والله [و]لؤمت لا تقدر ولا هو على ضرب عنقي، ثم خرج فقال مروان للوليد: لتندَمَنّ على تركك إيّاه ، فقال : يا مروان إنّك أردت بي التي فيها هَلاك ديني ، والله ما أُحبّ أن أملك الدنيا بحذافيرها على أن أقتلَ حسيناً ، إنّ الذي يُحاسَب بدم الحسين لخفيفُ الميزان عند الله يوم القيامة .

وقال بعض أهل العلم : حجب الوليد بن عُتْبة أهلَ العراق عن الحسين ، فقال له : يا ظالماً لنفسه عاصياً لربّه ، عَلامَ تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقّي ما جهِلته وعمُّك معاوية ؟ فقال الوليد : ليت حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك ، فجِناية لسانك مغفورة لك ما سكَنَتْ يدُك فلا تَخْطِرْ بها فيُخْطَر بك .

وخرج الحسين إلى مكة في بنيه وإخوته وبني أخيه وجُلّ أهل بيته غير محمد ابن الحَنَفيّة فإنّه قال له : يا أخي أنت أعزّ الناس عليّ ، تَنَحَّ عن مروان ببيعتك وعن الأمصار ، وابعث رسلك إلى الناس فإن أجمعوا عليك حمدت الله على ذلك ، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله دينك ومروءتك وفضلك ، إنّي أخاف أن تدخلَ بعضَ الأمصار ويختلفَ الناسُ فيك ويقتتلون فتكون لأوّل الأسنّة ، فإذَا خيرُ الناس نفساً وأُمّاً وأَباً قد ضاع دمه وذَلّ أهلُه ، قال : وأين أذهب يا أخي ؟ قال : تنزل مكة فإن اطمأنت بك الدار وإلاّ لحقتَ باليمن ، فإن اطمأنت بك وإلاّ لحقتَ بِشَعَفِ الجبال حتى تنظر

إلى ما يصير أمر الناس ويَفْرُقَ لك الرأي ، فأتى مكة وجعل يتمثّل قول الشاعر :

لا ذَعَرْتُ السَوامَ في وَضَحِ الصُبْـ ـحِ مُغيراً ولا دُعيتُ يزيدا
يَوْمَ أُعْطي مَخافةَ المَوْتِ ضَيْماً والمنايا يَرْصُدْنَني أنْ أَحيدا[1]

ومضى الحسين إلى العراق فقُتل ، وقد كتبنا حديثه مع أخبار آل أبي طالب .

وقال المدائني : كتب يزيد إلى ابن الزبير يدعوه إلى بيعته فكتب ابن الزبير يدعوه إلى الشورى ، وكان فيما كتب به يزيد :

لَوْ بِغَيْرِ المـاءِ حَلْقي شَرِقٌ كُنْتُ كالغَصّانِ بالماءِ اعْتِصاري[2]

فأُذكرِكَ الله في نفسك ، فإنّك ذو سِنّ من قريش ، وقد مضى لك سَلَفٌ صالحٌ وقَدَمُ صِدْقٍ من اجتهاد وعبادة ، فارْبُبْ صالح ما مضى ولا تُبْطل ما قدّمتَ من حَسَنٍ ، وادخل فيما دخل فيه الناس ولا تردّهم في فتنة ولا تُحِلّ حَرَمَ الله . فأبى أن يبايع ، فحلف أن لا يقبلَ بيعته إلاّ في جامعة .

---

١ - ديوان يزيد بن مفزع الحميري - ط . بيروت ١٩٨٢ ص١٠٣ - ١٠٤ .
٢ - ديوان عدي بن زيد العبادي - ط . البصرة ١٩٤٥ ص٩٣ .

أمر عبدالله بن الزبير بعد مقتل الحسين :

قالوا : لما قُتل الحسين عليه السلام قام عبدالله بن الزبير في أهل مكة خطيباً فعظّم مقتله ، وعاب أهل الكوفة خاصّةً ، وذمّ أهل العراق عامّةً ، وقال : دَعوْا حسيناً ليولّوه عليهم فلما أتاهم ساروا إليه فقالوا : أمّا أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سُمَيّة فيُمضي فيك حكمَه ، وإمّا أن تحارب ، فرأى أنّه وأصحابه قليلٌ في كثير ، فاختاروا المنيّة الكريمة على الحياة الذميمة ، فرحم الله حسيناً ولعن قاتله ، لعمري لقد كان في خذلانهم إياه وعصيانهم له واعظٌ وناهٍ عنهم ، ولكن ما حمَّ نازلٌ ، والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامُه ، كثيراً في النهار صيامُه ، أحقّ بما هم فيه منهم ، والله ما كان ممّن يتبدّل بالقرآن الغِناءَ، ولا بالبكاء من خشية الله الحُداءَ ولا بالصيام شرب الحرام ، ولا بالذكر كلاب الصيد ـ يعرّض بيزيد بن معاوية ـ وقد قتلوه ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾[1] فثار إليه أصحابه فقالوا : أيّـها

١ ـ سورة مريم ـ الآية : ٥٩ .

الرجل أظهِرْ بيعتك فإنّه لم يبق أحد ـ إذْ هلك الحسين ـ ينازعك في هذا الأمر ، وقد كان ابن الزبير يبايع سرّاً على الشورى ويُظهر أنّه عائذ بالبيت ، فقال لهم : لا تعجلوا ، وعمرو بن سعيد الأشدق يومئذ على مكة ، وكان شديداً عليه وعلى أصحابه وهو مع ذلك يداري ويرفق ، فلما استقرّ عند يزيد بن معاوية ما قد جمع ابن الزبير بمكة وما قيل له في أمر البيعة وإظهارها أعطى الله عهداً لَيُؤْتَيَنَّ به في سلسلة ، فبعث بسلسلة من فضّةٍ فمرّ بها البريد على الوليد بن عُتْبة ومروان بالمدينة فأخبرهما الرسول خبرَ ما قدِم له وخبر السلسلة التي معه ، فقال مروان :

خُـذْها فليستْ للعزيزِ مذَلَّةً وفيها مقالٌ لِامْرِئٍ مُتَضَعِّفِ

ويقال أنّ مروان بعث بهذا البيت اليه مع عبد العزيز بن مروان ، والثبت :

خُـذْها فَلَيستْ للعزيزِ مَذَلَّةً وفيها مَقالٌ لامرئٍ مُتذلِّلِ (1)

ثم مضى البريد من عندهما حتى قدم على ابن الزبير وقد كان كُتب إلى ابن الزبير بتمثلّ مروان بالبيت فقال : والله لا أكون أنا المتضعّف ، وردّ ذلك البريد ردّاً رفيقاً .

وعلا أمر ابن الزبير بمكة وكاتبه أهل المدينة .

قال هشام ابن الكلبي فحدثني عوانة قال : أرسل يزيد إلى عبدالله بن الزبير إنّي قد جعلتُ عليّ نَذْرَاً أنّ يُؤتى بك في سلسلة ، قال : فلا أبَّر الله

---

١ ـ هذا البيت لعباس بن مرداس . انظره في حماسة أبي تمام بشرح الأعلم الشنتمري ط . دمشق ١٩٩٢ ج ١ ص ٢٩٧ .

قَسَمه ولا وفّق له الوفاء بنذره ، فقال له أخوه عُرْوة بن الزبير أو غيره : وما عليك أن تُبّر قسم ابن عمّك ؟ قال : قلبي إذاً مثلُ قلبك ، فقال أبو دَهْبَل الجُمَحي وهو وَهْب بن وهب بن زَمْعة بن أُسيد بن أُحَيْحة بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح :

لا يَجعلنَّكَ في قَيْدٍ وسِلسلةٍ كيما يقولَ أَتانا وهو مَغلولُ
بين الحَواريِّ والصِدّيقِ ذو نَسَبٍ صافٍ وسيفُ على الأَعداءِ مَسلولُ

وأراد ابن الزبير ابنَ عَبّاس على البيعة وقد بايعه الناس فامتنع عليه نحواً من سنة ، ثم بايعه بعد ، ويقال إنّه لم يَبايعه حتى توفّي .

وكان امتناع ابن عبّاس عن البيعة لابن الزبير قد بلغ يزيد فظنّ أنّ ذلك لتمسّكه ببيعته ، فكتب يزيد إليه : أمّا بعد فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزبير دعاك إلى نفسه وعرض عليك الدخول في طاعته لتكون له على الباطل ظهيراً وفي المأثم شريكاً وأنّك امتنعت من طاعته واعتصت عليه في بيعته وفاءً منك لنا وطاعةً لله بتثبيت ما عّرفك من حقّنا ، فجزاك الله من ذي رَحِم كأَفْضَل جزاء الواصلين لأرحامهم الموفين بعهودهم ، فما أَنْس من الأشياء لا أَنْس برّك وحسن مكافاتك وتعجيل صِلَتك ، فأنظر من قبلك ومن يطرأ إليك من الآفاق ممّن يسحَره المُلحِد وزُخرُف قوله ، فأَعلِمْهم حسن رأيك في طاعتي وتمسّكك ببيعتي ، فإنّهم لك أطوع ومنك أسمع منهم للمُحِلّ الحارب الملحد المارق والسلام .

فأجابه عبدالله بن عباس بجواب طويل يقول فيه : سألتني أن أُحُثّ الناس عليك وأثبطهم عن نُصْرة ابن الزبير وأخذّلهم عنه ، فلا ولا كرامةً ولا مسرةً ، تسألني نصرك وتحذوني على ودّك وقد قتلتَ حسيناً ، بفيك

الكَثْكَثُ[1] ، وإنّك إذ تُمَنّيك نفسك لَعازبُ الرأي ، وإنّك لأنتَ المُفنّد المثبور ، أتحسبني لا أبالك نسيت قتلك حسيناً وفتيانَ بني عبد المطلب مصابيح الدُجى الذين غادرهم جنودك مصرَّعين في صعيد واحد مرّملين بالدماء مسلوبين بالعَرَاء غير مكفّنين ولا موسّدين تَسْفِي عليهم الرياح وتعرُوهم الذئاب وتَنْتابُهم عُرْجُ الضباع ، حتّى أتاح الله لهم قوماً لم يشركوك في دمائهم فكفّنوهم وأجنّوهم ، ومهما أَنْسَ من الأشياء فلن أَنْسَى تسليطك عليهم ابن مَرْجانة الدَعِيّ ابن الدعيّ للعاهرة الفاجرة البعيد منهم رحماً ، اللئيم أُماً وأباً ، الذي اكتسب أبوك في ادّعائه إيّاه لنفسه العارَ والخِزْي والمذلّة في الدنيا والآخرة ، فلا شيء أعجب من طلبك ودّي ونصري وقد قتلتَ بني أبي ، وسيفك يقطر من دمي ، وأنت أحد ثأري . وذكر كلاماً بعد ذلك .

وكتب يزيد إليه كتاباً يأمره بالخروج إلى الوليد بن عُتْبَة ومبايعته له وينسبه إلى قتل عثمان والممالأة عليه ، فكتب ابنّ عبّاس إليه أيضاً كتاباً يقول فيه : إنّي كنت بمَعْزل عن عثمان ، ولكنّ أباك تربّص به وأبطأ عنه بنصره وحبس مَن قِبله عنه حين استصرخه واستغاث به ، ثم بعث الرجال إليه معذّراً حين علم أنّهم لا يُدْركونه حتى يهلك .

وقال الواقدي : عزل يزيد الوليد بن عُتْبة لأنّ مروان كتب يذكر ضَعْفه ووهنه وإدهانه ، وولّى المدينة عمرو بن سعيد الأشدق ، وولّى يحيى بن الحَكَم بن صفوان بن أميّة بن خلَف الجُمحي مكة ـ وقال هشام بن

---

١ ـ الكثكث : التراب ، وفتات الحجارة . القاموس .

الكلبي : هو يحيى بن حكيم بن صفوان ـ ولّاه عمرو بن سعيد مكة وصار إلى المدينة . قال الواقدي : فأتاه ابن الزبير فبايعه ليزيد وقال : إني سامع مطيع ، غيرَ أنّ الوليد رجل أخرق ، فكرهت جواره ، ولقد خبرنا من معاوية ما لم نَخْبره من غيره ، وإنّما أنا عائذ بالبيت من أمر لا آمنه .

قال أبو مخنف وعوانة : عزل يزيد : الولَيد بن عُتْبة ، وجمع مكة والمدينة لعمرو بن سعيد ، فحجّ بالناس وحجّ ابن الزبير بمن معه فلم يصلّ بصلاة عمرو ولا أفاض بإفاضته ، ثم قدم المدينة فأُغْزى ابنَ الزبير منها جيشاً بكتاب يزيد إليه في ذلك .

وقال الواقدي : وجّه يزيد إلى ابن الزبير النعمان بن بشير الأنصاري ، وهَمّام بن قَبيصة النميري ، وقال لهما : ادْعُواه إلى البيعة لي وخذاها عليه وأْمُراهُ أن يُبّر قسمي ، فلما صارا إلى المدينة لقيهما عبدالله بن مُطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة بن عبد العُزّى بن حُرْثان بن عوف بن عبيد بن عَويج بن عديّ بن كعب ، ـ ويقال حارثة بن نَضْلة بن عوف بن عَبيد ، وهو أثبت ـ فقال : يا بن بشير أتدعو ابن الزبير إلى بيعة يزيد وهو احقّ بالخلافة منه ؟ فقال له النُعْمان : مهلاً فإنّ عواقب الفِتنَ وَبيلة وخيمة ، ولا طاقة لأهل هذا البلد بأهل الشام . ثم أتيا مكة فأبلغا ابن الزبير عن يزيد السلام ، وسألاه أن يبايع له ، فوقع في يزيد وذكره بالقبيح ، وخلا بالنعمان فقال له : اسألك بالله أأنا أفضل عندك أم يزيد ؟ قال : أنت ، قال : فأيّنا أفضل أباً وأما، قال : أنت ولكّني أحذّرك الفتنة إذ بايعَ الناس واجتمعوا عليه ، وانصرف النُعمْان وهَمّام ـ ويقال إنّ عبدالله بن عِضاه كان مع النُعمان ، وبعثُهُ بهمامٍ أثبتُ ـ فأعلما يزيد ما كان من ابن الزبير فغضب

واستشاط وأكّد يمينه في ترك قبول بيعته إلاّ وفي عنقه جامعة يُقدم به فيها ، فقال له عبدالله بن جعفر ومعاوية بن يزيد : يا أمير المؤمنين إنّ ابن الزبير رجل أبيٌّ لَجوج فدَعْه على أمره ولا تَهِجهُ لِما لا تحتاج إليه ؛ فأوفد اليه الحُصينَ بن نُمير السكوني ، ومسلم بن عُقْبة المُرّي ، وزُفَر بن الحارث الكِلابي ، وعبدالله بن عِضاه الأشعري ، ورَوْح بن زِنْباع الجُذامي ، ومالك بن هُبيرة السَكوني ، ومالك بن حَمْزَة الهَمْداني ، وأبا كَبْشَة السَكْسَكي ، وزَمْل بن عمرو العُذْري ، وعبدالله بن مَسْعَدة الفَزاري ، وناتل بن قيس الجُذامي ، والضَحّاك بن قيس ، وأمرهم أن يعلموه أنّه إنّما بعث بهم احتجاجاً عليه وإعذارا إليه ، وأن يحذّروه الفتنة ويُعرفوه ماله عنده من البّر والتكرمة إذا أبّر يمينه وأتاه في الجامعة التي بعث بها إليه معهم ، وكان قد دفع إليهم جامعة من فضّة ، فقال له ابن عِضاه : يا أبا بكر قد كان من أَثَرك في أمر الخليفة المظلوم ونصرتك إيّاه يوم الدار ما لا يُجّهل ، وقد غضب أمير المؤمنين بما كان من إبائك ممّا قدم عليك فيه النعْمان وهَمّام ، وحلف أن تأتيه في جامعة خفيفةٍ لِتحلَّ يمينه ، فألبس عليها برنساً فلا تُرى ، ثم أنت الأثير عند أمير المؤمنين الذي لا يُخالف في ولاية ولا مالٍ ، وقال له القوم مثل ذلك ، فقال : والله ما أنا بحامل نفسي على الذّلة ولا راضٍ بالخسْف ، وما يحلّ لي أن أفعل ما تدعوني إليه ، فليجعل يزيد يمينه هذه في أيْمانٍ قد حنث فيها ؛ وقال أيّوب بن زُهير بن أبي أميّة المَخزومي : ليست يمين يزيد في ابن الزبير بأوّل يمين حنث فيها ووجب عليه تكفيرها ولا آخِرها ، ثم بسط ابن الزبير لسانه في يزيد بن معاوية وتنقّصه وقال : لقد بلغني أنّه يُصبح سكران ويُمسي كذلك ، ثم تمثّل قول الشاعر :

ولا أَلينُ لِغيرِ الحَقِّ أُسْأَلُهُ حتى يَلينَ لضِرسْ الماضِغِ الحَجَرُ

يا بن عِضاه والله ما أصبحتُ أرَهب الناس ولا الباس ، وإنّي لعلى بيّنة من ربّي وبصيرة من ديني ، فإن أُقْتَل فهو خير لي ، وإنْ مُتّ حتف أنفي فالله يعلم إرادتي وكراهتي لأنْ يُعمل في أرضه بالمعاصي ، وأجاب الباقين بنحو من هذا القول .

وقال الواقدي والهيثم بن عديّ في روايتهما : قال ابن الزبير لابن عِضاه : إنّما أنا حمامة من حمام هذا المسجد ، أفكنتم قاتلي حمامةٍ من حمام المسجد ؟! فقال ابن عِضاه : يا غلام آتني بقَوْسي وأسهُمي ، فأتاه بذلك ، فأخذ سهماً فوضعه في كَبِد القوس ثم سدّده لحمامة من حمام المسجد وقال : يا حمامة أيشرب يزيد الخمر ؟ قُولي نعم ، فوالله لئن قلتِ لأقتلنّك ، يا حمامة أتَخلَعين أمير المؤمنين يزيد وتفارقين الجماعة وتقيمين بالحرم ليُستحلّ بك ؟ قولي نعم ، فوالله لئِن قلتِ لأقتلنّك . فقال ابن الزبير : ويحك يا بن عِضاه أوَ يتكّلم الطيْر؟ قال : لا ولكنّك أنت تتكّلم ، وأنا أُقسم بالله لتُبايعنّ طائِعاً أو كارهاً أو لتُقْتَلَن، ولئن أُمرنا بقتالك ثم دخلتَ الكعبة لنهْدمنّها أو لنحرقنها عليك ، أو كما قال ، فقال ابن الزبير : أوَ تُحِلّ الحرم والبيت ؟ قال : إنّما يُحِلّه من أُلحِد فيه .

وقال لوط بن يحيى أبو مخنَف : قدم الأشدق المدينة والياً عليها وحجّ في تلك السنة في جماعة من مواليه وهو خائف من ابن الزبير ، وكان يزيد قد ولّاه الموسم ، فأتاه ابن الزبير فسكن لذلك وأتى عمرو ابن عباس فشكا ابنَ الزبير فقال : عليكم بالرِفْق فإنّ له قرابة وحقاً ، ثم انصرف الأشدق إلى المدينة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن محمد بن الزبير الحَنْظلي حدثني زُريق مولى معاوية قال: لما هلك معاوية بعثني يزيد إلى الوليد بن عُتبة، ولم يكن بسيرته بأس، وكتب إليه بموت معاوية وأن يبعث إلى هؤلاء الرهط فيأخذهم بالبيعة، قال: فقدمتُ المدينة ليلاً فاستأذنت على الوليد، فلما قرأ كتاب يزيد بموت معاوية جزع جزعاً شديداً وجعل يقوم ويرمي بنفسه على فراشه ثم بعث إلى مروان فجاءه وعليه قميص أبيض ومُلاءة مورَّدة لبيسة، فنعى إليه معاوية وأعلمه أنّ يزيد بعث إليه بأخذ البيعة على هؤلاء الرهط، فترحّم مروان على معاوية ثم قال: ابعث إلى النفر الساعة فادْعُهم إلى البيعة، فإن بايعوا وإلا فاضرب أعناقهم، فقال الوليد: يا سبحان الله أأقتل الحسين وعبدالله بن الزبير؟! قال: هو ما قلتُ لك، فبعث إلى الحسين وابن الزبير وابن عمر وابن مُطيع، فجاء الحسين أوّلهم وعليه قميص قُوهّي وإزار مصبوغ بزعفران، وهو مُطلقٌ إزارَهُ، فسلم ثم جلس، ثم جاء عبدالله بن الزبير في ثوبين غليظين مشمّراً إلى نصف ساقه فسلّم وجلس، ثم جاء عبدالله بن مُطيع فإذا رجل ثائر الشعر أحمر العينين فسلّم ثم جلس، فحمد الوليد الله وأثنى عليه، ثم نعى معاوية ودعاهم إلى بيعة يزيد، فبدر ابن الزبير بالكلام وكأنّه خافَ أن يَهِنوا، ثم ترحمّ على معاوية ودعا له، ثم ذكر الوليد فجزّاه خيراً فقال: وليتنا فأحسنت ولايتنا ووصلت أرحامنا، وقد علمت الذي كان منّا في بيعة يزيد، وأنّه قد احتمل ذلك علينا، ومتى بايَعْنا والبابُ مُغلقٌ علينا تَخَوَّفْنا أن لا يُذهِب ذلك ما في قلبه، فإن رأيت أن تصل أرحَامنا وتُحسن فيما بيننا وبينك فتُخلّي سبيلنا ثم تأمر فُينادَى الصلاة جامعة وتصعد المنبر فنأتي فنبايع

على رؤوس الناس طائعين غير مُكْرَهين ، قال : وجعل مروان كلّما نظر إلى الوليد أشار إليه أن اضرب أعناقهم ، قال : فخلّى الوليد عنهم ، فخرجوا فقال مروان : والله لا يُصْبح وبها منهم أحد ، فلما أتى كلّ واحد منهم منزله دعا براحلته ثم رمى بها الطريق إلى مكة وأصبح الوليد فلم يجد منهم أحداً .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم ، وأبو خيثمة قالا : حدثنا وهب بن جرير عن ابن جُعْدُبة عن صالح بن كيسان قال : مات معاوية والوليد أمير على مكة والمدينة ، وكان على مكة من قبله لأمّه عبد الرحمن بن نبيه ، فكتب إليه يزيد يأمره أن يأخذ بيعة حسين بن عليّ وعبدالله بن الزبير ، فاستضعفه في ذلك فعزله ، وامّر عمرو بن سعيد الأشدق على المدينة ومكة ، وأمره أن يبعث إليه بابن الزبير في جامعة ولا يؤخّره ، وبعث في ذلك النُعمان بن بَشير ، وابن مَسْعدة الغِفاري ، وابن عِضاه الأشعري ، وبعث معهم بجامعة من فضة لتَبَرَّ يمينه ، فلما قدموا قال قائل وهو يسمع ابنَ الزبير ذلك :

خُـذْها فليستْ لِلْعزيزِ بِسُبَّةٍ فيها مَقالٌ لامْرىءٍ مُتَذلِّلِ

فأبى أن يخرج معهم وقال : قولوا ليزيد يجعلْ يمينه هذه من أيْمانه التي يجب عليه أن يكّفرها .

أمر عمرو بن الزبير بن العوام ومقتله :

قال الواقدي في روايته : لما قدمت رسل يزيد عليه وليس ابن الزبير معهم وأعلموه ما يقول ، كتب إلى عمرو بن سعيد الأشدق يأمره أن يوجّه إلى عبدالله بن الزبير جيشاً من أهل العطاء والديوان لمحاربته ويولّي أمرهم رجلاً حازماً مناصحاً ، وكان عمرو بن الزبير ـ وأمه أَمَة بنت خالد بن

سعيد بن العاص - على شرطة عمرو بن سعيد الأشدق ، فسأله تَوْجيهه على ذلك الجيش ، وكان مبايناً لأخيه عبدالله بن الزبير يظهر عيبه ويُكثر الطعن عليه ، وكان عمرو عظيم الكبر شديد العُجْب ظَلوماً وقد أساءَ السيرة وعسف الناس ، وأخذ من عرفه بموالاة عبدالله والمَيل إليه فضربهم بالسياط، وله يقال: عمرو لا يكلَّم، من يكلّمْه يندمْ، فكان ممّن ضرب : المنذر بن الزبير ، ومحمد بن المنذر ، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، وخُبيب بن عبدالله بن الزبير ، ومحمد بن عمّار بن ياسر ، وطلب قوماً من قريش يرون رأي أخيه فاستخْفَوا ثم لحقوا بمكة فأتى رافع بن خديج الأنصاري عمراً الأشدق فقال له : اتّق الله ولا تُغْزِ الجيوش مكة فإنّ الله حرَّمها ، فلم تحلّ لنبيّه إلاّ ساعة من نهار ثم عادت حرمتها ، فقال : وما أنت وهذا ؟ لقريشٍ علمٌ لا تَبْلغُهُ أنت ولا أصحابك ، فانصرف رافع .

وقال أبو مخنف في روايته : صار عمرو بن سعيد الأشدق إلى المدينة فجهّز جيشاً يريد به ابنَ الزبير بمكة ، فقال عمرو بن الزبير لعمرو بن سعيد : أمِّرْني على هذا الجيش فأنا أكفيك أخي ، فقد تعرف الذي بيني وبينه لاستخفافه بحقّي وقطيعته إيّاي، فولاه الجيش، وكان أكثر الجيش بُدَلاءَ من العطاء وجُلّهم يهْوَوْن ابن الزبير عبدالله ، فساروا حتى انتهوا الى مكة ، فأخرج إليهم عبد الله بن الزبير رجالاً من أهل الحجاز ذوي دين وفضل ورأي وثباتٍ وبصائر ، فلما التقوا لم يَنْشَب جند عمرو بن الزبير أن تفرّقوا وأُخذ عمرو بعد أن أجاره عُبيدة[1] وآمنه ، فلما أُتي به عبدالله قال :

---

١ - يعني عبيدة بن الزبير .

من كانت له قِبَل عمرو بن الزبير مَظْلَمة فليأخذها منه ، فكان عبدالله يخرجه إلى الناس فيُلطَم ويُوَجَأ ويضربه ضارب بعصاً ويشجّه آخر بحجر اقتصاصاً ثم يرد إلى السجن ثم يُخرج فيُفعل به بمثل ذلك ، وضُرب بالسياط اقتصاصاً للذّين ضربهم إلاّ مَنْ عفا عنه ، ثم إن رجلا من هُذيل بن مُدْركة يقال له جُنادة بن الأسود أتى عبدالله بن الزبير فقال : إنّ عمراً نطحني مرّة في وجهي نَطْحة لم ازل أُصَدَّع منها حيناً ، فأُذِنَ له في الاقتصاص منه ، فنطح جبينه نطحة خرّ منها مغْشياً عليه، وكان عبد الله إذا ضربه بالسياط اقتصاصاً لرجل ، تركه أيّاماً حتى يَبْرأ ، ثم يضربه لآخر فيوجد صَبوراً ، فكان ذلك قد نهكه وأضعفه ، فلما نطحه الهُذَلي لم يمكث إلاّ ليلةً حتى مات ؛ فقال عبدالله بن الزَّبير الأسدي في قصيدة قالها بعد حصار ابن الزبير الأوّل :

فَيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... كَبيرَ بَني العَوّام إنْ قيلَ مَنْ تَعْني

لَعَمْري لقد أرْدَى عُبَيْدةُ جارَهُ ... بِشَنْعاءِ غَدْرٍ لا تُوارَى عَلَى الدَفْنِ

قَتَلْتُم أخاكُمْ بالسياطِ سَفاهةً ... فَيا لَكَ من رأيٍ مُضل ومِنْ أفْنِ

فلَوْ أنَّكُمْ أجْهزتُمُ إذْ قَتَلْتُمُ ... ولكِنْ قَتَلْتُمْ بالسِياط وبالسِجْنِ

جَعَلْتُم لِضَرب الظَهرِ منه عُصِيَّكُمْ ... تُراوِحُهُ والأَصْبَحِّيَةَ[1] لِلْبطنِ

وتُخْبِرُ مَنْ لاقيتَ أنَّكَ عائذٌ ... وتُكْثِرُ قَتْلَى بين زَمزمَ والرُكنِ

وقال الواقدي في روايته : إنّ مروان بن الحكم أشار على عمرو بن سعيد ألاّ يُغْزي مكة جيشاً وقال: إنّكم إن تركتم ابن الزبير كُفِيْتم مُؤْنَتَهُ بالموت فأبى ، قال : وسار عمرو بن الزبير على جيش الأشدق وبين يديه لواء

---

١ ـ من أنواع السياط .

عقده له عمرو الأشدق ، وخرج في أربعمائة من الجند وقوم من موالي بني امية وقوم من غير أهل الديوان ، وتَحَلَّب الناس على ابن الزبير من نواحي الطائف يعاونونه ويدفعون عن الحرم ، وشَخَص المِسْوَر بن مَخْرَمة من المدينة إلى مكة فسأل عنه عمرو بن سعيد فأُخْبِر بشخوصه فقال : لا يزال حُبّ الفتنة بالمِسْوَر حتى يُرْديه ، فكان ابن الزبير يشاوره في أموره . وقدم أيضاً على ابن الزبير مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، وعُبيد بن عُمير ، وعبدالله بن صَفْوان بن أميّة بن خَلَف الجُمَحي ، وهو عبدالله الطويل ، فأوصى الأشدق عمرو بن الزبير بالصبر على القتال وأن يتبع الهاربَ ويُجهز على الجريح ، ولا يرضى إلاّ بأسر عبدالله بن الزبير أو بنزوله على حُكْم يزيد ولُبْس الجامعة ، فلما فصل عمرو من المدينة ندم وقال : قد فعلت بعبدالله وأصحابه ما لا يخرج من قلبه ، ووافى مكة ومع ابن الزبير بشر كثير في عُدّة وسلاح ، فقدّم عبّاد بن عبدالله ابنه ثم تلاحق الناس وراسل عمرو أخاه في بيعة يزيد وقال له : وما عليك في قبول ما دعاك أمير المؤمنين إليه من لُبْس الجامعة والمصير إليه فيها ثم يصير إلى مَحَبَّتك ؟ فقال : إنّي على طاعة يزيد وقد بايعتُ عاملَ مكة حين دخلها ؛ وكان عسكر عمرو بن الزبير بذي طُوىً ، وعليه أُنيس بن عمرو الأسلمي ـ ويقال كان بالحَجُون إلاّ أنّهم انكشفوا فقُتل من قُتل بذي طُوىً ـ فقال عبدالله بن صفوان بن أميّة لعبدالله بن الزبير : إنّ هذا أعدى عدوٍّ لك فناجِزْه ، قال : نعم ، فنهد إليه في جماعة من موالي ابن الزبير وهو وأصحابه غارّون ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل أُنيس بن عمرو الأسلميّ وأُسِر عمرو ، وقد قال له أخوه عُبيدة بن الزبير أنا أجيرك ، فعندها وضع يده

في أيديهم ، فأُتي به عبدالله بن الزبير وقد شُجّ في وجهه والدم يقطر على قدميه ، فقال عمرو متمّثلاً :

لسنا على الأَعقابِ تدْمى كُلومُنا ولكنْ على أَقْدامِنا تقْطُرُ الدّما

فوبّخه فقال : أي عدوّ الله استخففتَ بحرم الله ، وأمر به إلى الحبس ، فقال عُبيدة بن الزبير : إنّي قد أجرته ، فقال عبدالله : إنّ للناس عليه حقوقاً ولابدّ من أن أُقِصَّهم ، فضربه عبدالله بكلّ سوط ضربه أحداً بالمدينة سوطاً وأقصّ منه كلَّ من لطمه وتناوله حتى سقط ميتّاً ؛ وقيل انّ عمرو بن الزبير لم يزل محبوساً حتى بويع ابن الزبير وأقاد منه حتى مات ؛ وإنّ فَلّ عمرو قدموا المدينة فضربهم الأشدق فلامه يزيد على ذلك .

وقال الواقدي في رواية أُخرى : لما قُتل أُنَيس في المعركة وانفضَّ عن عمرو جُلّ من معه وجّه إليه عبدُ الله بن الزبير مصعب بن عبد الرحمن بن عوف فأسره ، فجاءه عُبيدةُ فقال : أنا أجيرك يا عمرو ، فلما أخبر أخاه بإجارته إياه قال : لابدّ من أن يقتصّ الناس منه ، وأمر به فحُبس ومعه غلام لمحمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي - ويقال إنّه مولى لبني زُهْرة واسمه زيد ولقبه عارم ، ويقال هو غلام مصعب بن عبد الرحمن بن عوف .

وقال أبو الحسن المدائني : أُسِر زَيْد - عارم - غلام مصعب بن عبد الرحمن بن عوف فبني له بِناء في ذراعين وأُقيم فيه ، وكان ذلك البِناء في السجن فقيل سجن عارم ، وصُيِّر عارم وعدّة معه في بناءٍ بُني لهم ضيق وأُطبق عليهم حتى ماتوا ؛ قال كُثيِّر يذكر ابن الحَنَفيّة ويهجو عبدالله .

تُخبِّرُ مَن لاقيتَ أنَّك عائذٌ بل العائذ المَحبوسُ في سِجنِ عارِمِ
فما وَرِقُ الدُّنْيا بباقٍ لأَهْلها ولا شدَّةُ البَلْوى بِضَربةِ لازِمِ[1]

وكان ابن الزبير يخطب فيقول : والله لا أريد إلاّ الإصلاح وإقامة الحقّ، ولا ألتمس جمع مال ولا ادِّخارَه ، وإنّما بطني شِبْر أو أقلّ ، يكفيني ما ملأه ؛ فلما قتل عمراً أخاه قال الضَحّاك بن فيروز بن الدَيْلَمي من أحرار اليمن :

تَقولُ لَنا أَنْ سَوْفَ تَكْفيكَ قَبْضَةٌ وبَطْنُكَ شِبْرٌ أَوْ أَقلُّ منَ الشِبْر
وأنت إذا ما نْلتَ شيئاً قَضِمْتَهُ كما قضمَتْ نارُ الغَضا حَطَبَ السِدْرِ
لَكُمْ سُنَّةُ الفاروقِ لا شَيْءَ غَيْرُها وسُنَّةُ صِدّيقِ النَّبِيِّ أَبي بَكْر
فلو ما اتَّقَيتَ الله لاشيْءَ غَيْرَهْ إذاً عَطفتكَ العاطفات على عَمْرِو

ويروى :

فلو كُنْت تَجْزي أَوْ تُثيبُ بِنِعمةٍ قريباً لردَّتك العُطوفُ على عَمْرِو

وقال أبو حُرَّة مولى بني مخزوم :

ما زالَ في سورَةِ الأَعْرافِ يَقْرأُها حَتَّى فُؤادِيَ مِثْلُ الخَزِّ في اللينِ
لو كانَ بَطْنُكَ شِبراً قد شَبِعْتَ وقد أَفْضَلْتَ فَضْلاً كثيراً لِلْمساكينِ
فإنْ تُصِبْ مِنَ الأَيّام جائحةٌ لا نَبْك مِنْكَ على دنيا ولا دينِ

وقال المدائني : لما تفرّق أصحابُ عمرو عنه قال بعض الشعراء :

كَرِهْتُ كَتيبَةَ الجُمَحيِّ لَمّا رأَيْتُ المَوْتَ سالَ به كَداءُ
فقُلْتُ أبا أُميَّة سوف تُلْقَى شَهيداً أَوْ يكونُ لك العَناءُ

يعني ابن صَفْوان .

---

١ - ديوان كثير- ط . الجزائر ١٩٣٠ ج ١ ص ٢٧٧ - ٢٨٠ .

وقال الهيثم بن عديّ : كان عمرو بن الزبير مائلاً إلى أخواله من ولد العاصي ، فوجَّههُ الأشدق إلى مكة لقتال أخيه ، فوجّه عبدُالله عبدَالله بن صَفْوان بن أميّة الجُمَحي فقاتله فهزمه وأسره . فلما رآه عبدالله قال : ويحك ما صنعت ؟ امّا حقّي فقد تركتُه للأخوّة ولابد من الأخذ بمظالم الناس ، فحبسه أشهراً يقفه كلّ يوم فيأتي الرجل فيقول : لكزني فيلكُزه ، ويقول الآخر : لطمني فيلطمه ، ويقول الآخر : نتف لحيتي فيقول : انتف لحيته ، حتى قدم سُهيل بن عبد الرحمن بن عوف فقال : جلدني مائة ولم أجْنِ ذنباً ، فأمر به فُجّرد وقال : اضربهْ مائةً ، فضربه مائة سوط فَنَغِل ظهره حتى مات ، فأمر به عبدالله فصُلب ، فكان ذلك أوَّلَ ما نقمه الناس عليه .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عديّ عن عبدالله بن عيّاش الهمداني قال ، حدثني محمد بن المُنْتَشِر قال : حضرتُ مكةَ أيّام ابن الزبير فما رأيت أحداً قطّ أبخل منه ولا أشدّ أفْناً ، أتته الخوارج فضلّلهم وعاب قولهم في عثمان حتى فارقه نافع بن الأزرق الحَنَفي وبنو ماحوز بن بُحْدُج ، فانصرفوا عنه وغلبوا على اليمامة ونواحيها الى حضرموت وعامّة أرض اليمن ، وأظهرَ سوء الرأي في بني هاشم ، وتَرَك ذكر النبي ﷺ من أجلهم ، وقال : إنّ له أُهَيل سُوءٍ فإنْ ذُكر مدّوا أعناقهم لذكره ، وحبسَ ابن الحنفّية في الشِعْب حتى شخص من أهل الكوفة مَن شخص وعليهم أبو عبدالله الجَدَلي ، فلم يقدر له على مَضرَّة ، ففارقته الشيعة بهذا السبب وأكفرته ، وكان المختار معه فلما رأى تفّننه وتخليطه تركه وانصرف إلى الكوفة ، وقال له الحُصين بن نُمير: صرْ معي إلى الشام أبايْعك والناسُ فأبى ، وجعل حُصين يكلّمه سراً وذلك حين ورد عليهم موت يزيد وهو يرفع صوته فقال له : ما عرفك من زعم أنّك

داهية ، أكلّمك سراً وترفع صوتك ، وزعم أنّه عائذ بالبيت ، دعا الناس إلى بيعته فبايعه من بايعه .

وقال الهَيْثم بن عَدي : وجاءه قوم من الأعراب لِينصروه فقال : إنّ سلاحكم لَرَثٌّ وإنّ حديثكم لَغَثٌّ ، وإنّكم لأعداء في الخِصْب ، عيال في الجَدْب . وأتاه أعرابيّ فقال له : افْرِضْ لي قال : أَثبتوه فأَثبتوه قال : أَعطِني ، قال : قاتِلْ أَوَّلاً فقال : بَأستِ هذا ، دمي نَقدٌ ودرهمك نسيئة ، هذا والله ما لا يكون . قال : وولّى الحارث بن الحُصين بن الحارث بن قيس الجُعْفي وادي القُرَى وبها تمر كثير من تمر الصدقة ، ففرَّقه فيمن معه ، وكان كتب إليه أن يحتفظ به ، فلما قدم عليه جعل يضربه بالدِرّة ويقول : أكلتَ تَمري وعصيت أمْري .

وقال أبو مخنف في روايته : رَفعَ الوليد بن عُتْبة وناس معه على عمرو بن سعيد الأشدق وقالوا : لو شاء أن يأخذ ابنَ الزبير لأخذه ، فسرّح يزيد عند ذلك الوليد والياً على الحجاز، وعزل عمرو بن سعيد، فشخص عمرو إلى الشام ، فعاتبه يزيد فقال : كنتُ أرفق به لآخُذَه ولو كان معي جند لناهضتُه ، على أنّي قد اجتهدتُ ، فقال يزيد : اشدّ ما أنكرتُ عليك أنّك لم تكتب إليّ تسألني أن أمدك بأهل الشام إذا لم يكن فيمن أنهضت معك إلى ابن الزبير كفاية غير أُولي عدد وعُدّة .

قالوا : ولما قُتل الحسين ثار نَجْدة بن عامر باليمامة فحجّ فيمن حجّ ، وكان الوليد بن عُتْبة يُفيض من عَرَفَةَ ويُفيض معه عامّة الناس، وابن الزبير واقف بأصحابه ، ونَجْدة واقف بأصحابه ، ثم يُفيض كلّ امرىء منهم بأصحابه على حِدَته .

قالوا : وكتب ابن الزبير إلى يزيد عن أهل مكة : إنّك بعثت إلينا رجلاً أخرق لا يَتَّجه لأمرِ رُشدٍ ولا يَرْعوي لعِظَة الحليم ، فلو بعثت إلينا رجلاً سهل الخليقة لينّ الكنف لرجونا أن يسهل من هذه الأمور ما استوعر ، وأن يجمع منها ما تفرّق ، فانظر في ذلك ، فإنّ فيه صلاحَ خواصّنا وعوّامنا . فلما ورد الكِتاب عليه عزل الوليد وولّى عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، فقدم عليهم فتىً حَدثٌ لم تحنكه الأمورُ ولم تُحكِمه التجارب ولم تجرّسه[1] الأيّام .

وقال المدائني : قدم عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب على يزيد فقال له : قد لجحتَ في أمر ابن عمّك ، فلو أُعطيتَهُ شيئاً يطمئنّ إليه ، فقال له : قد ولّيتك مكة فاعمل في أمره بما يطمئنّ به ، فمال الى ابن الزبير ميلاً شديداً وقال له : أنت أحبّ إليّ من اولاد الطُلَقاء ، فعزله يزيد وولّى عبدالله بن معين[2] بن عبد الأسد المَخْزومي .

قال : وقدم مروان على ابن الزبير فقال له : إنّ القوم لا يدَعون سلطانَهم حتى يَذُبّوا عنه ، وخوّفه أهلَ الشام ، فلم يجبه إلى شيء ممّا أشار به عليه .

وقال الهيثم : تحّصن سعد مولى عُتْبة بن أبي سفيان بالطائف في خمسين رجلاً فاستنزلهم ابن الزبير وضرب أعناقهم في الحرم ، فقال ابن عمر : يا سبحان الله ما أحمقَ هذا الرجل ، أما أنّه لم يقتل أحدٌ أحداً بالحرم إلاّ قُتل به ؛ وقال ابن عبّاس : لو لقيتُ قاتل أبي بالحرم ما قتلته .

---

١ ـ التجريس : التحكيم والتجربة . القاموس .

٢ ـ بهامش الأصل : سفيان .



خبر يوم الحرة :

قال الواقدي وغيره في روايتهم : لما قتل عبدالله بن الزبير أخاه عمرو بن الزبير خطب الناسَ فذكر يزيد بن معاوية فقال : يزيد الخُمور ، ويزيد الفجور ، ويزيد الفهود ، ويزيد القرود ، ويزيد الكلاب ، ويزيد النَشَوات ، ويزيد الفلوات ، ثم دعا الناس إلى إظهار خلعه وجهاده ، وكتب على أهل المدينة بذلك ، فاجتمع أهل الحجاز على أمر ابن الزبير وطاعته ، وأَخَذَ البيعة له على أهل المدينة عبدُالله بن مُطيع العَدَوي ، وقد كان ابن عِضاه وأصحابه الوافدون معه عرَّفوا يزيد ميلَ أهلِ المدينة على يزيد مع ابن الزبير ، وأتاه خبر عمرو بن الزبير وما أعلن عبدالله من الأمر بعد ذلك ، وأنّ أهل المدينة قد كاشفوا بعداوته ، فكتب يزيد إلى عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامله أن يّوجّه إليه وفداً ليستمع مقالتهم ويستميل قلوبهم ، فأوفد إليه المنذر بن الزبير بن العوام ، وعبدالله بن أبي عمرو بن حَفْص بن المغيرة المَخْزومي ، وعبدالله بن حنظلة الغَسيل ابن أبي عامر الأنصاري في آخَرين من الأشراف ، فلما قدموا عليه أكرمهم ووصل كلّ

واحدٍ منهم بخمسين الف درهم ، ووصل المنذر بمائة ألف درهم ، ثم انصرفوا من عنده ، فلما وردوا المدينة قالوا : قدمنا من عند رجل فاسق يشرب الخمور ويضرب الطنابير ، ويعزف عنده القيانُ ويلعب بالكلاب ، فعاقدهم الناس على خلعه ، وولّوا أمرهم عبدالله بن حنظلة الغَسيل ، وقدم المنذر بن الزبير البصرة من بين الوفد ، فأكرمه ابن زياد وبرّه وأمر له بمائة ألف درهم .

وقال عوانة : كان مِسْوَر بن مَخْرمة وفد إلى يزيد قبل ولاية عثمان بن محمد ، فلما قدم شهد عليه بالفسق وشرب الخمر ، فكُتب إلى يزيد بذلك ، فكتب إلى عامله يأمره أن يضرب مِسْوراً الحدّ ، فقال أبو حُرَّة :

أيشْرَبها صَهباءَ كَالمِسكِ ريحُها أَبو خالِدٍ ويُضْربُ الحَدَّ مِسْوَرُ

وقال هشام ابن الكلبي : أخبرني أبو مخنف قال : لما بلغ يزيد خَلعُ أهلِ المدينة وتوليتهم ابنَ الغَسيل أمْرَهم ، كتب إلى ابن زياد في حمل المنذر بن الزبير إليه ، فكره ابن زياد ذلك إذ كان ضيفه وصديق أبيه زياد ، فكتب إليه : إنّه انّما صار إليَّ متبرّئاً من أصحابه مخالفاً لقولهم وفعلهم ، ثم أمر منذراً أن يستأذنه على رُؤوس الناس في إتيان الحجاز ، وقد كتم ابن زياد أمر الكتاب ، فلما فعل أذن له في اللحاق بأهله ، فلما صار إلى الحجاز قال في يزيد مثل قول الوفد وقال : إنّ يزيد أجازني بمائة الف درهم ، وما يمنعني ذلك من أن أخبركم خبره ، والله إنّه ليسكر من الخمر حتى يدع الصلاة ، فيقال إنّ المنذر أقام فشهد الحرة ، ثم صار إلى مكة ، ويقال إنّه قدم مكة قبل الحرة .

وبعث يزيد إلى النُعْمان بن بشير فقال له : إنّ عدد الناس بالمدينة الأنصار وهم قومك ، فأْتِهم فآفْثأْهُمْ عمّا يريدون ، فصار النعمان إلى قومه فاستنهاهم من أنفسهم ، وحذّرهم جنود أهل الشام ، ورغّبهم في بيعة يزيد فقال له عبدالله بن مُطيع العَدَوي : يا نعمان قد جئتنا بأمر تريد به تفريق جماعتنا وإفساد ما قد أصلح الله من أمرنا ، فقال : النُعْمان : كأنّي بك على بغلتك تضرب جنبيها ثم تلحق بمكة ، وتتركُ هؤلاءَ المساكين من الأنصار يُقْتَلون في سكَكهم ومساجدهم ، فلم يلتفت إلى قوله ؛ وكان مع النعمان كتاب من يزيد نُسْخته : من عبدالله يزيد أمير المؤمنين إلى أهل المدينة أمّا بعد فقد أنظرتكم حتى لا نَظِرة ، ورفقتُ بكم حتى عُجِّزتُ عندكم ، وحملتكم على رأسي ثم على عيني ثم على نحري ، وأَيم الله لئنْ وضعتكم تحت قدمي لأَطَأَنكم وطأة أجعلكم بها أحاديث تُؤَثَر مع أحاديث عاد وثمود ، وتمثَّل بهذين البيتين :

أَظُنُّ الحِلمَ دلَّ عليَّ قَوْمي وقد يُسْتضعفُ الرَجُلُ الحَليمُ
ومارَسْتُ الرجالَ ومارَسوني فمُعوجٌّ عليَّ ومُسْتَقيمُ

ووثب أهل المدينة على عثمان بن محمد ومن بالمدينة من بني أميّة ومواليهم ومن عُرف بالميل إليهم من قريش ، وكانوا زُهاء ألف ، فأخرجوهم . فخرجت بنو أميّة حتى نزلوا بجماعتهم دار مروان ، فحاصرهم الناس في دار مروان وهو معهم وابنه عبد الملك حصاراً ضعيفاً ، وهتفوا بخلع يزيد ، فكتب مروان ومن معه بخبرهم إلى يزيد كتاباً مع حبيب بن كُرَّة ، فلما قدم حبيب على يزيد دفع الكتاب إليه ورجلاه في الماء لِنِقْرس عَرَض له ، فقال : يا حبيب ما كان بنو أميّة بالمدينة ألف رجل ؟ فقال : بلى

يا أمير المؤمنين ، قال : فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار ؟ وقرأ يزيد الكتاب على عمرو بن سعيد الأشدق وعرض عليه أن يصير إلى المدينة فقال : قد كنتُ ضبطت لك البلد وأحكمت الأمور وأردت أن ألطفُ للرجل فآخذه في رفق أو أقتله وحده بحِيلة ، فأمّا الآن فإنّي لا أحبّ هراقة دماء قريش ، فبعث بالكتاب إلى مسلم بن عقبة المُرّي ، فجاء حتى دخل على يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ما أعجبَ هذا ، أما قدروا وهم ألف رجل أن يقاتلوا عن أنفسهم ساعةً واحدة ؟ ثم أمره يزيد بالشخوص ونادى مناديه في الناس بالمسير إلى الحجاز على أن يُعطَوا أعطياتهم كمَلاً ويُعان كلّ امرىء منهم بمائة دينار ، وانْتدب اثنا عشر ألفاً وركب يزيدُ فرساً وتقلّد سيفاً وتنكّب قوساً وأقبل يتصفّح الخيل ويقول :

أَبلغْ أبا بَكرٍ إذا الجَيشُ انْبَرَى وأشْرَفَ القَومُ على وادي القُرَى

أَجَمْعَ سَكرانَ مِنَ الخَمْرِ تَرَى أَمْ جَمْعَ يَقظانَ إذا حَثَّ السُرَى

وا عَجَبا مِن مُلْحدٍ وا عَجَبا مُخادعٍ في الدينِ يَقْفو بِالفِرَى

ولما بلغ أهلَ المدينة خبرُ مَنْ أقبلَ عليهم حصروا بني أميّة في دار مروان حصاراً شديداً وضيّقوا عليهم وقالوا : لا نكفّ عنهم حتى يوثقوا لنا بالعهد أنّا إذا جليناهم من المدينة لم يبغونا غائلة ولم يدلّوا لنا على عَوْرة ولم يظاهروا علينا أحداً ، ففعلوا ذلك ، ثم أخرجوهم بأثقالهم وأموالهم فمضوا إلى الشام .

وقال يزيد لمسلم بن عُقبة : أنت أمير الجيش وإن حدث بك حدَثٌ فأمير الجيش الحُصين بن نُمير السَكوني ، فإذا وردت المدينة فادْعُ الناس ثلاثاً ، فإن أجابوك وإلاّ فقاتِلهم ، فإن ظهرتَ عليهم فأَبِحها ثلاثاً ، فما كان

بها من مال او رِثّة او سلاح او طعام فهو للجند ، فإذا مضت الثلاث فاكفُفْ عن الناس واسْتَوصِ بعليّ بن الحسين بن علي خيراً وأُدنِ مجلسَهُ فإنّه لم يدخل في شيء ممّا دخل الناس فيه ، واعلم أنّك تقدمُ على قوم ذوي جهالة واستطالة قد أفسدهم حلمُ أمير المؤمنين معاوية وظّنوا أنّ الأيْدي لا تنالهم ، فلا تَرُدَّنّ أهل الشام عمّا أرادوه بهم ، وكان عليّ بن الحسين آوى عائشة بنت عثمان بن عفان وهي أمُّ أبان بن مروان بن الحكم واعتزل في ضيعة بقرب المدينة كراهةً أن يشهد شيئاً من أمرهم .

ولقيت بنو أميّة مسلمَ بنَ عقبة بوادي القُرى فسلّموا عليه ، فدعا عمرو بن عثمان بن عفّان أوّل الناس فسأله عن الخبر فلم يخبره بشيء ليمينه التي حلفها لأهل المدينة ، فقال : لولا أنّك ابن عثمان لضربت عنقك ، والله لا أَقَلْتُها قُرشياً بعدك . وقدّم مروانُ ابنهَ عبد الملك ليُخبره خوفاً من الحِنْث ، فسأل مسلم عبد الملك فأخبره فقال : لله دَرُّك يا بن مروان لقد رأى بك أبوك خلفاً منه في حياته .

ويقال إنّ يزيد لما عرض جنده كتب إلى ابن الزبير رُقعة لطيفة أفرد بها رسولاً ، ويقال إنّه لم يكتب ولكّنه قال قولاً ظاهراً :

إسْتعدِ ربَّكَ في السَّماءَ فإنّني أَدْعُو إليكَ رجالَ عَكٍّ وأَشْعرِ
ورِجال كَلبٍ والسَكونِ ولَخْمِها وجُذامَ تَقْدُمُها كَتائِبُ حِمْيَر
كيف النَجاءُ أَبا خُبْيبٍ مِنهُمُ فاْحْتَل لنفسِكَ قَبلَ أَتْيِ العَسْكَرِ

والشاميّون يقولون إنّما قال :

اجْمَعْ رِجال الأَبْطحيْنَ فإنني أدْعُو إليكَ رِجالَ عَكٍّ وأَشْعرِ

قالوا : وارتحل مسلم فلما قدم المدينة مضى في الحَرّة حتى أتى المدنّيين فقدم من قبل المشرق ، وكان عبد الملك بن مروان أشار عليه بذلك ، ثم أجّلهم ثلاثاً وقال : إن دخلتم فيما دخل الناس فيه انصرفتُ عنكم وأتيت المُلْحِد الذي بمكة ، وإن أبيتم قاتلتكم بعد الإعذار إليكم ، وكان أهل المدينة قد اتّخذوا خندقاً ونزل بباب من أبوابه جمعٌ عظيم ، فكان عليهم عبد الرحمن بن أَزْهَر بن عوف الزُهْري وكانوا رُبعاً ، وكان عبدالله بن مُطيع على ربع آخر ممّايلي المدينة ، وكان مَعِقْل بن سِنان الأَشجَعي على ربع مثل ذلك ، وكان عبدالله بن حنظلة الغَسيل على ربع آخر ممّايلي الحَرّة ، وجعلوا إليه رئاستهم وترتيبهم . ويقال إنّ كلّ قوم خندقوا على ربعهم ، وكان ابن الغسيل وابن مُطيع في الأنصار ومَعِقْل في المهاجرين ، وكان على الموالي يزيد بن هُرْمُز ، فقال الشاعر وهو شَهَوات[1] مولى بني تَيْم وذلك الثبت ، وقوم يقولون مولى آل الزبير :

إنَّ في الخَنْدَقِ المُكَلَّلِ بالمَجْـ ـــد لضرباً يَسوءُ ذا النَشَواتِ
لَستَ منّا ولَيْسَ خالُكَ منّا يا مُضيعَ الصلاةِ لِلشَهَواتِ
بَرْقِعِ الدُبَّ وآحْمِلِ القِرْدَ وآنْزِلْ في بلادِ الوُحوشِ بالفَلَواتِ
فـإذا مـا غَلَبْتَنـا فَتَـنَّصرْ واتْرُكَنَّ الصلاةَ والجُمُعـاتِ

وقال ابن الكلبي : سُمّي شَهَوات لهذا البيت ، وقال غيره : سُمّي شَهَوات لأنّه كان يتشهّى على عبدالله بن جعفر الشهوات فيُطعمه إيّاها . وقال المدائني : يقال إنّ هذا الشعر لمحمد بن عبدالله بن سعيد بن زيد بن

---

١ - أي موسى شهوات .

عمرو بن نُفيل هجاه به حين عزل عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب عن مكة ، وسمعت من يذكر أن أهل المدينة كتبوا بهذا الشعر إلى يزيد ، فقال رجل من كلب :

أنتَ مِنّا وليس خُالك منّا يا مُجيبَ الصلاة لِلدَّعـوات

قالوا : ولما انقضت الأيّام الثلاثة التي ضربها مسلم بن عُقْبة لهم أجلاً قال لهم : يا قوم إنّ أمير المؤمنين يكره إراقة دمائكم ، ولقد استدامكم منذ زمان لأنّكم أصله ، فاتّقوا الله في أنفسكم ، فشتموه وشتموا يزيد وفجّروه ، وقالوا : بل نحارب ثم نحارب ، فأمر مسلم بفسطاط عظيم فضُرب له ثم زحف إلى أهل المدينة وصمد بمَنْ معه صَمْد ابن الغَسيل ، فحمل ابن الغسيل بالرجال حتى كشف الخيل ، فانتهت الخيل إلى فسطاط مسلم ، فصاح مسلم بالخيل فكرّها فقاتل طويلاً ، ثم إنّ الفضل بن العّباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب قال لابن الغسيل : مُرْ فُرْسانَك أن يصيروا إليّ ، فأمَرهم بالمصير اليه فقاتل بهم فكشف أصحابَ مسلم حتى لم يبق إلاّ في خمسين قد أشرعوا أسنّتهم وجَثْوا على رُكبهم فشدّوا عليه فقتلوه وقُتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف الزُهْري وابراهيم بن نُعيم بن عبدالله النحّام في رجال من أهل المدينة .

ويقال إنّ مسلماً كان مريضاً يوم القتال ، فأمر بسرير أو كرسيّ فوُضع له بين الصفَّين ، ثم حضَّ أهل الشام وحرّضهم على القتال فقاتلوا ، فقُتل الفضل بن العبّاس ومن كان معه بعد قتال شديد انثنت فيه السيوف وانقصفت الرماح ، فحمل الفضل في جماعة من وجوه الناس وفرسانهم يريد مسلماً وهو على سريره أو كرسيّه فقال : احملوني فحُمل فجُعل أمام

فسطاطه ، وكان الفضل رجلاً أحمر ، فصاح بهم : إنّ العبد الأحمر قاتلي فأين انتم يا بني الحرائر ، اشْجُروه برماحكم ، فطعنوه حتى سقط .

قالوا : ثم إنّ خيل ابن الغَسيل ورَجالته رجعوا إلى مسلم يريدونه ، فركب فرساً وجعل يقول : يا أهل الشام إنّكم لستم بخير العرب وإنّما رُزِقتم النصر بطاعتكم لأمرائكم وصبركم في لقاء عدوكم . ثم انتهى إلى مَصافِّهِ وأمر أن يحملوا على ابن الغَسيل وأصحابه ، فقاتلوهم أشدّ قتال ، ونزل حُصين بن نُمير في أهل حِمْصَ ثم مشى إليهم فقال ابن الغسيل حين رآهم يمشون تحت راياتهم : إنّ عدوَّكم قد أصاب جهة قتالكم ، ولن يلبثوا إلاّ ساعة من نهار حتى يحكم الله بينكم وبينهم ، ثم قدّم أمامه ولده حتى قُتلوا واحداً بعد واحد ، ودنا عبدالله بن عِضاه بن الكَرْكَر الأَشْعري وأصحابه فمشى في خمسمائة رامٍ فنضحوهم بالنبل ، فقال ابن الغسيل : علامَ تستهدفون للنبل ؟ مَن أراد التعجّل الى الجنّة فليلَزْم رايتي ، فتقدم إليه كلٌّ مستميت ، فنهض القومُ واقتتلوا أبْرحَ قتال وأشدّه ، وجعل ابن الغسيل يقول :

بُؤساً لِمَنْ شدَّ فَساداً وطَغى وجانَبَ القَصْدَ وأسْباب الهُدَى
لا يُبْعِد الرَحْمنُ إلاّ مَن عَصَى

ثم استقدم فجالد حتى قُتل وقُتل أخوه لأمّه محمد بن ثابت بن قيس بن شَمّاس الأنصاري ، ومحمد بن عمرو بن حَزْم النجّاري .

ومن رواية الواقدي : إنّ مروان والأمّويين رجعوا إلى المدينة مرّتهم الأولى ، فلمْ يعيبوا على أهل المدينة ، فكانوا بها حتى أمر ابن الزبير بإشخاصهم بعد موت يزيد .

قالوا : فقال مراون حين رأى ابن الغسيل : رحمك الله فلُربَّ سارِيةٍ رأيتك تُطيل الصلاة إلى جانبها .

قالوا : وخرج محمد بن سعد بن أبي وقّاص يَرُدّ الناس بسيفه حتى غلبْته الهزيمةُ ، فذهب فيمن ذهب من الناس ، وأباح مسلم المدينة ثلاثة أيّام يقتلون ويأخذون المتاع ويَعبَثون بالإماء ويفعلون ما لا يحبه الله ، وخرج أبو سعيد الخُدْري فاقتحم مَغارة فدخل عليه رجل بسيفه فانتضاه لُيْرعبه ، فلما أقبل عليه قال أبو سعيد ﴿لئن بسطتَ إليّ يَدَكَ لِتَقتلَني ما أنا بباسطٍ يديَ إليك لأقتَلك إنّي أخافُ الله ربَّ العالمين﴾[1] فقال له الشاميّ : مَن أنت لله أبوك ؟ قال : أبو سعيد الخُدْري ، قال : صاحب رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، فتركه وقال : استغفِرْ لي .

وقال عَوانة بن الحكم : دخلوا من قِبل بني حارثة إلى المدينة فلم يبق دار إلاّ انتُهبت ، إلاّ دارَ أُسامةَ بن زيد بن حارثة مولى ﷺ فإنّ كلباً حَمَتْها ، ودار امرأة من حِمْيَر فإنّ حمير حَمَتْها ، وكان أهل الشام يقاتلون أهل المدينة ويقولون يا يهود .

وقال الواقدي في بعض رواياته : ولّى الأنصارُ أمرهم ابنَ الغَسيل وتساند القوم ، فلما قرب مسلم من المدينة عسكروا بحَرّة وَاقمٍ وخندقوا ، وكان ابن الزبير أمر بإخراج بني أميّة ومواليهم من مكة والمدينة إلى الشام ، وفي ذلك يقول ابن قيس الرُقيَّات :

---

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٢٨ .

لِيَبْـكِ البَقيعُ ودورُ البَـلاطِ رَهْطَ ابْنِ عَفّـانَ والمَسْجـدُ
فمَـرْوةُ فــــالسُنْحُ يَبْكيهِمُ فَعُسفـانُ فالحَجَـرُ الأسـودُ[1]

فخرج منهم أربعة آلاف فيما يزعمون ، فلما صاروا بوادي القُرى أمرهم مسلم بالرجوع معه ، فنفذت من وجوههم إلى يزيد جماعةٌ ورجع سائرهم ، فلما قدم مسلم المدينة أكمن كميناً ممّايلي منازل بني حارثة ، فتناهض الجمعان ، وكان بمسلم النقرس فحمل في ترس ووضع أمام الصف ثم جلس عليه وقال : يا أهل الشام قاتلوا عن إمامكم أو دَعوا ، فنشبَت الحرب فصبر أهل المدينة وقاتلوا أشدّ قتال ، فلم يشعروا إلاّ بالكمين يضربهم في أدبارهم فانهزموا ، وقُتل عبدالله بن الغسيل وابن عمرو بن حَزْم الأنصاري ـ وكان قاضيهم ـ وفرّ ابن مُطيع فلحق بابن الزبير . ثم أنهب الناسَ المدينةَ ثلاثة أيّام .

فلما انقضت الثلاثة الأيام جلس للبيعة ودعاهم إليها ، فكان أوّل من اتاه يزيد بن عبدالله بن زَمْعة بن الأسود ، وأمّه بنت أبي سَلَمة ، وجدّته أمّ سَلَمة زوج رسول الله ﷺ ، فقال : بايعْ لأمير المؤمنين على أنّك عبد قِنّ يحكم في مالك ودمك ، قال : أبايعك له على كتاب الله وسُنّة نبيّه ، وعلى أنّي ابن عمّه فقدّمه فضرب عنقه وقال : والله لا تَشْهَد على أمير المؤمنين بشهادة بعدها ، وكان وفد إليه فأعطاه فقدم يفجّره ويشهد عليه بشرب الخمر ، ثم أُتي بمَعْقِل بن سِنان الأَشْجعي فقال له : مرحباً بأبي محمد ، فأخذ بيده فأقعده معه على طنفسته ، ودعا مَعْقِل بماء فقال مسلم : ائتوه بشربة عسل وخضوها له بثلج مما حُمل معنا ففعلوا ، فلما شربها قال : سقى

١ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

الله الأمير من شراب الجنّة فقال : والله لا شربتَ بعدها شراباً إلاّ من جهنّم حين تُسقى من حميمها ، فقال مَعْقِل : نشدتُك الله والإسلام ، قال : أتذكر حين مررتَ بطبريّة فقلت لك : من أين اقبلتَ ؟ فقلت : سرنا شهراً وأَحرثنا ظَهْرا ورجعنا صِفْرا ووجدناه يشرب خمراً ، نأتي والله المدينة فنخلع الفاسق بن الفاسق ونبايع رجلاً من أبناء المهاجرين ، فإنّي آليت تلك الليلة ألا أقدر عليك في موطن يُمكنني فيه قتلُك إلاّ قتلتُك ، وما أَشْجَعُ والخلافةَ والخَلْعَ ؟! قدماه فاضربا عنقه ، فضُربت عنقه ، فقال الشاعر :

ألا تِلْكُمُ الأنصارُ تَبْكي سراتَها وأَشْجَعُ تَبْكي مَعْقِلَ بْنَ سِنانِ

الهَيْثم بن عَديّ عن عَوانة قال : أتى محمد بن أبي الجَهْم فقال له : أبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّه ، فأمر فضُربت عنقه وقال : حباك أمير المؤمنين وأعطاك ثم تشهد عليه بشرب الخمر ؟! والله لا تشهد بعدها بشهادةِ زورٍ أبداً ؛ ودعا بعمرو بن عثمان بن عفّان وكان ممّن رجع وقد كان سأله عن خبر أهل المدينة فلم يخبره به فأغلظ له وقال : لولا أنّك ابن أمير المؤمنين لقتلتُك فإنّك الخبيث ابن الطيّب ، إذا ظهر أهلُ المدينة قلتَ : أنا رجل منكم وإذا ظهر أهل الشام قلت : أنا ابن أمير المؤمنين عثمان ، يا غلام انتِفْ لحيته ، فنُتفت حتى ما تُركت فيها طاقة ، ثم قال : إنّ أمّ هذا كانت ورهاء تحمل في شِدْقها الشيء ثم تقول لعثمان : حاجيتُك ما في شِدْقي ، وفيه ما يسوءها ، ويقال حملت مرّة خُنْفساء ، ويقال انّه ضربه بالسياط وقال : نحن نقاتل عن دولتكم وأنت تَكيدها . وتكلّم فيه مروان وقال : ابن عمّي فقال : ومَعْقِل ابن عمّي أيضاً . ويقال أنّه وهب له ضَرْبَهُ وخلّى سبيله ؛ وكانت أمّه من دَوْس يقال لها أمّ عمرو بنت جُنَيدبة ، وأتاه مروان وعبد الملك

بعليّ بن الحسين بن عليّ ليطلبا له الأمان وذلك أنّه استجار بهما ، فلما رآه أدناه وقرّبه وقال : لولا أنّ أمير المؤمنين أمرني ببرّه وإكرامه وعرفتُ براءته وسلامته ما شفّعتُكما فيه ، ثم أمره بالانصراف على بغله وجزاه الخير ، وبعث إلى عليّ بن عبدالله بن عبّاس ليدخل فيما دخلوا فيه من البيعة ليزيد على حكمه ، فرأى فسطاطاً فسأل عن صاحبه فقيل فسطاط حُصين بن نُمير بن ناتل السَكوني ، فأتاه فاستجار به فأجاره بالخُؤولة لأنّ أمّ عليّ بن عبدالله كنديّة ، وحال بينه وبين رسل مسلم ومنعهم أهل حمص منه تعصّباً لحُصين بن نُمير وأحالوا عليهم بالسياط حتى تركوه ، ثم أتى به الحصين مسلماً فبايعه ليزيد على السمع والطاعة .

وقال الهيثم بن عديّ : أُتي مسلم بعليّ بن عبدالله فأراد تناوله فكلّمه فيه حُصين وكان حاضراً . وقال عليّ بن عبدالله :

أَبي العَبّاسُ قَرْمُ بني لُؤَيٍّ وأَخوالي المُلوكُ بَنـو وَليعَـهْ
هُمُ مَنَعوا ذِماري يَوْمِ جاءَتْ كَتائِبُ مُسْرِفٍ وبَني اللَكيعَهْ
أَرادَ بِيَ التي لا عِزَّ فيها فحـالَتْ دونَـهُ أَيْـدٍ رَفيعَـهْ
هُمُ مَلَكـوا بَني أَسَدٍ وأُدّاً وقَيْسـاً والعَمائِـرَ من رَبيعَه
وكِنْدَةُ مَعْدِنٌ لِلْمُلكِ قـدماً يَزينُ فِعالَهُمْ عُظْمُ الدَسيعَهْ

وقال الهيثم بن عديّ : وجّه رسول الله ﷺ أسامة بن زيد إلى بني غَطَفَان فسَبى مسلمَ بن عُقْبة المُرّي فيمن سَبَى ، فاشترت مسلماً امرأة من الأنصار وأعتقته ، فلما كان يوم الحَرّةبعث الأنصار إلى مسلم احفَظْ بلاءَنا عندك فقال : ما أَحْفَظَني ولكنّكم قتلتم عثمان .

قالوا : ثم شخص مسلم بالجيش بعد أخذه البيعة على ما أراد وبعد

إنهابه المدينة وتفتيشه النساء وهو يريد عبدالله بن الزبير بمكة كما أمره يزيد ، وخلّف على المدينة رَوْح بن زِنباع الجُذامي ـ فلما صار إلى المُشَلَّل ـ ويقال عقبة هَرْشَى ـ اعتلّ علّة شديدة وكانت به دُبَيْلة أو علّة غيرها ، فلما حضره الموت قال : أَسندوني فأسندوه ، فرفع يديه ثم قال : اللهمّ إنّك تعلم إنّي لم أغُشّ خليفةً قطّ في سرّ ولا علانية ، وأنّ أزْكى عملٍ عملتُه قطّ في نفسي بعد شهادة أنّ لا اله الاّ الله قتلي أهل الحَرّة ، ولئن دخلتُ النار بعد قتلهم إنّي لشَقيّ ، ثم قال لحُصين بن نُمير بن ناتل بن لبيد بن جِعْثِنة السَكوني : يا بنَ برْذَعة الحمار لولا عَهْد أمير المؤمنين اليّ في توليتك أمرَ هذا الجيش إن حَدَث بي حدثُ لوليّت حُبَيْش بن دُلْجة ، فإذا قدمتَ مكة فناجز عدوَّك ، وإيّاك أن تمكّن قريشا من أذنيك ، فإنّهم قوم خُدُع ، وإذا لقيت عدوّك فالوِقافَ ثم الثقافَ ثم الانصراف ، ثم أَعْلَمَ الناس بأنّ واليهم الحُصين .

وقال المدائني عن عَوانة ويزيد بن عِياض قالا : قال مسلم لحُصين : إنّ أمير المؤمنين أمرني أن أولّيك أمر هذا الجيش وأكره خلافه عند الموت ، ولولا ذلك كان الوالي حُبَيْشُ بن دُلْجة فإنّه أولى بذلك منك ؛ ثم مات فدُفن على ظَهْر المُشَلَّل ، وسار حُصين بالجيش إلى مكة .

المدائني عن ابن جُعْدُبة : أنّ يزيد أَصحب مسلم بن عُقبة طبيباً فقال للطبيب : إليك عنّي إنّما كنتُ أحبّ أن أبقى حتى أشتفي من قَتَلَة عثمان ، وقد أدركتُ ما أردتُ ، فما شيء أحبّ إليّ من أن أموت على طهارتي قبل أن أُحدِث حدثا فإنّ الله قد طهّرني بقتل هؤلاء الأرجاس .

قالوا : وأقبلت أمّ ولد ليزيد بن عبدالله بن زَمْعة وكانت بُخاريّة في غِلْمة لها ، فلما انتهت إلى قبر مسلم قالت بالفارسيّة : يامُسرف خرّبتَ

البيوت وأحرقت القلوب ، ثم نبشْته وصلبته على نخلة ـ ويقال على جِذْع ـ ثم أحرقته . ويقال : إنَّ امرأة من قريش قَتَل ابنَيْن لها نبشته وأحرقته ، والأوَّل اثبت .

ويقال إنّ مسلم بن عُقبة قال للحُصين : احفظ عنّي ما أقول لك ، لا تطلبنّ المقام بمكة فإنّها أرضٌ مُحْتَدِمَة الحَرّ لا تصلح الدواب بها ، ولا تمنع أهل الشام الحملة ، ولا تمكّن قريشاً من أذنيك فإنّهم قوم خُدُع ، وعليك بالوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف ، ولئن دخلتُ النار بعد قتلي أهل الحَرّة إنّي لشقيّ .

وقال الواقدي : كانت وقعة الحَرّة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وستّين ، وكان مسير مسلم من المدينة للنصف من المحرّم سنة أربع وستّين ، ومات لسبع بقين من المحرّم سنة أربع وستّين ، وقال غيره : كان يوم الحَرّة يوم الأربعاء .

وكان ممن قتل بالحرة من الأشراف :

الفضل بن العبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المُطلب ، اسماعيل بن خالد بن عُقبة بن أبي مُعَيْط ، يحيى بن نافع بن عُجَيْر بن عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب بن عبد مَناف ، عُبيدالله بن عُتبة بن غَزْوان من بني مازن بن منصور ، المغيرة بن عبدالله بن السائب بن أبي حُبَيْش بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ ، عِياض بن حُمير بن عوف الزُهْري ، في خلق من قريش والأنصار .

وقال أبو مخنف : قُتل بالحَرّة من وجوه قريش سبعمائة رجل وكَسْرٌ

سوى مَن قُتل من الأنصار[1] ، فقال محمد بن أَسْلَم بن بَجْرَة الساعدي :

إنْ يَقْتُلونا يَوْمَ حَرَّةِ واقِمٍ فنحن على الإِسْلامِ أَوَّلُ مَنْ قَتَلْ
ونحن قَتَلْناكُمْ بِبَدْرٍ أَذِلَّةً وأُبْنا بأَسْيافٍ لنا منكُمُ نَفَلْ
فإنْ يَنْجُ منها عَائِذُ البيتِ سالِماً فما نالنا مِنْهُمْ وإنْ شَفَّنا جَلَلْ

وقال الهيثم بن عديّ : قُتل يوم الحَرّة من أخلاط الناس نحو من ستّة آلاف وخمسمائة وذلك في سنة اثنتين وستّين .

قالوا : وقال يزيد بن معاوية حين بلغه خبر وقعة الحَرّة :

لَيْتَ أَشْياخي بِبَدْرٍ شَهِدوا جَزَعَ الخَزْرَجِ من وَقْعِ الأَسَلْ[2]

وذكر القصيدة كاملة .

وحدثني أبو خيثمة زهير بن حرب وخلف بن سالم وأحمد بن إبراهيم الدورقي قالوا : حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن ابن جُعْدُبة عن صالح بن كَيْسان قال : لما أقبل مسرف بن عُقْبة من الشام مرّ بأسفل المدينة فقال : أنزلوني منزلاً إذا حارَبْتُ القومَ استدبرتْني الشمس واستقبلتْهم ، فنزل بِحَرَّةِ واقِم شرقيَّ المدينة ، وكان الذي يُقيم أمر أهل المدينة عبدالله بن مُطيع العَدوي وعبدالله بن الغَسيل الأنصاري ، وذلك قبل أن يستجمع أمر ابن الزبير ، فالتقوا بَحَرّة واقِمٍ بعد صلاة الصبح ، فلم ينشب أهل المدينة أن انهزموا ، وأُخرج جميع أهل المدينة حتى أربعمائة رجل من أهل البَحْرَيْنِ من أهل دارِينَ كانوا عَطّارين فقالوا : ما لنا وهذا إنّما نحن تُجّار ، فأبوا

---

١ ـ في تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيقي ـ ط . دمشق ١٩٦٧ ج ١ ص ٢٩٣ ـ ٣١٤ ، ثبت كامل بأسماء من قتل بالحرة من الأعيان .
٢ ـ شعر عبدالله بن الزبعرى ـ ط . بيروت ١٩٨١ ص ٤٠ ـ ٤٣ .

إلاّ إخراجَهم ، وعقدوا لهم لواء ، فكانوا أوّلَ من انهزم بالناس ، وكانوا عمدوا إلى لوائهم فجعلوا حوله الحجارة وعمدوه بها حتى تماسك ، ثم انصرفوا فجعل أهل البصائر يرون لواءهم منصوباً فيقاتلون عنده حتى كاد أهل الشام يفنون فكان مسرف يقول : ويلكم لِمَنْ هذا اللواء ؟ فيقال للداريّين العَطّارين ، فيقول : ما لي وللعطّارين ؛ فلما فرغ مسرف من أمر أهل الحَرّة ذكر أمرهم في كتابه إلى يزيد ، فكتب يزيد إلى عامله بالبحرين ، فأُغْرِم أهل دارِينَ أربعمائة ألف درهم ؛ قال : وقُتِل يومئذ ابن حنظلة الغسيل ، ومحمد بن عمرو بن حَزْم وعبدالله بن أبي عمرو بن حفص المَخزومي ، وعُبيدالله ، وسليمان ابنا عاصم بن عمر بن الخطّاب . وأباح مسرف المدينة ثلاثة أيّام حتى كانوا ينقضون صُوف الفُرُش ويأخذونها ، وشخص عن المدينة وبه السِلّ فمات ، ودُفن بالمُشَلَّل ، واستخلف على عسكره حُصين بن نُمير .

حدثنا خلف وأحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير عن جُوَيْرية عن أشياخ أهل المدينة أنّ معاوية قال ليزيد ابنه : إنّ لك من أهل المدينة يوماً فإن فعلوها فارمِهم بمسلم بن عُقبة فإنّه رجل قد عَرَفْنا نصيحته ، فلما ملك يزيد وفد إليه وفد أهل المدينة ، وكان فيهم عبدالله بن حنظلة غَسيل الملائكة ، وكان حنظلة استُشهد يوم أُحُد فغسلته الملائكة ، وكان عبدالله شريفاً عابداً ، ومعه ثمانية أولادٍ له ، فأعطاه مائة ألف وأعطى كلّ واحد من بنيه عشرة آلاف سوى كسوتهم وحُملانهم ، فلما رجع إلى المدينة سألوه عن يزيد فقال : جئتكم من عند رجل والله إنْ لو لم أَجِدْ غير بَنِيَّ هؤلاء لجاهدتُه بهم ، فقالوا : بلغنا أنّه أجازك وأعطاك ، فقال : ما قبلت ذلك منه إلّا لأَقْوى به

عليه ، فبايَعوه ، وبلغ ذلك يزيد فبعث إليهم مسلم بن عُقْبة ، وبعث أهلُ المدينة إلى كلّ ماءٍ بينهم وبين الشام فصُبَّ فيه زِقّ من قطران وغوّروه ، فتتابع المطر فلم يستقوا بدَلْوٍ حتى وردوا المدينة ، فخرج أهل المدينة بجموع كثيرة وأُهبة ، لم يُرَ مثلها ، فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ، ومسلم شديد الوَجع ، فأمر بسريره وهو عليه فقُدّم حتى جُعل بين الصَفّين ، ثم أمر مُناديه فنادى : قاتلوا عنّي أَوْ فدَعُوا ، فبينا الناس في قتالهم إذ أتاهم أهل الشام من قبل بني حارثة وهم في أجدّ ما كانوا فيه من القتال وهم لا يشعرون ، وقيل انّ بني حارثة أُقحموهم فسمعوا التكبير من ورائهم فانهزم الناس ، فكان من أُصيب في الخندق أكثر ممّن قُتل ، فدخلوا المدينة ، وكان عبدالله بن حنظلة مسنداً إلى أحد بنيه وهو مُعْيٍ[1] يغطّ نوماً فنبّهه ابنه ، فلما رأى ما صنع الناس قدّم أكبر بنيه فقُتل بين يديه ، ثم فعل ذلك بجميع بنيه واحداً بعد واحد حتى قتلوا بين يديه ، ثم كسر جَفْن سيفه وقاتل حتى قُتل ، ودخل مسرف المدينة ودعا الناس إلى البيعة على أنّهم خَوَل ليزيد يحكم بما شاء في دمائهم وأموالهم وأهليهم ، حتى أُتي بابن زَمْعة وكان صديقاً ليزيد فقال : أُبايع على أنّي ابن عمّ أمير المؤمنين يحكم في دمي ومالي ، فقدّمه فضرب عنقه .

وحدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عَديّ عن أبي زُهير عن أبي أَسماء السَكْسَكي قال : لما شارف مسلم بن عُقبة المدينة لقي طُوَيْساً المغنّي ، وهِبَة الله ، وسائِب خاثر في آخرين وهم يريدون الشخوص عن المدينة فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا : نحن قوم مغنّون فإن أحببتَ غنّيناك وكنّا

---

١ - أي هو عيان ، لا يهتدي لوجه مراده ، عجز عنه ولم يطق إحكامه . القاموس .

بين يديك فقال : وَيْش - وهي كلمة لأهل حِمْص - أَلِلغِنَاءِ واللَّهْو جئتنا ؟! اضربوا أعناقهم ، فقتلهم .

وحدثنا خلف بن سالم حدثنا وهب بن جرير عن أبي عقيل الدورقي قال سمعت أبا نضرة قال : دخل أبو سعيد الخُدْري يوم الحَرّة غاراً فجاء رجل من أهل الشام فدخل عليه وفي عنقه سيف ، فوضع أبو سعيد سيفه وقال أبو سعيد : بُؤْ بإثمي وإثمك وكن من أصحاب النار ، فقال : أنت أبو سعيد الخُدْري ؟ قال : نعم ، قال : استغفر لي غفر الله لك ، قال خلف قال وهب : فيقال إنّ الرجل الشامي يزيد بن شجرة الرهاوي نظر إليه فأثبته معرفةً .

وحدثنا خلف بن سالم وأحمد بن إبراهيم قالا: حدثنا وهب بن جرير عن جُوَيرية عن أشياخ أهل المدينة قالوا : لما سار مسرف بالناس نحو مكة وهو ثقيل في الموت فصدر عن الأَبْوَاءِ هلك ، فلما عرف الموتَ دعا حُصين بن نُمير الكندي فقال له : قد دعوتك وما تدري أستخلفك على جيش أم أقدّمك فأضرب عنقك ، فقال : أصلحك الله إنّما أنا سهمك فارْمِ بي حيث شئت ، فقال : إنّك أعرابيّ جِلْف جافٍ ، وإنّ هذا الحيّ من قريش قوم لم يمكّنْهم قطّ رجل من أذنيه إلّا غلبوه على رأيه ، فسِرْ بهذا الجيش فإذا لقيت القوم فلا يكوننّ إلّا الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف ولا تُمكّنهم من اذنيك ، فمضى الحُصين فلم يزل محاصراً عبدالله بن الزبير وأهل مكة حتى مات يزيد ، وكان خبره قد بلغ ابن الزبير قبل أن يبلغ ابن نُمير .

حدثنا أبو خيثمة حدثنا وهب بن جرير عن جويرية عن أشياخ أهل المدينة أنّ أمّ ولد لابن زَمْعة لما بلغها موتُ مسرف خرجت في عبيد لها حتى

أتت قبره فنبشته ، فلما رفع ما على لحده إذا أسْوَدُ مثل الجَمْرة[1] قد وضع فاه على فمه ، فهابه الغلام الذي رَفع عنه ، فاحتزمت وأخذت فأساً لتضرب بها الأسْود فانساب عن مسرف فاستخرجته فألقته على شجرة ثم انصرفت .

وقال المدائني : لما توجّه مسلم يريد مكة انشد :

خُذْها إِلَيْكَ أَبا خُبَيْبٍ إِنَّها حَرْبٌ كناصِيَةِ الجَوادِ الأَشْقَرِ

وسار بين يديه عامِر الخُضَريّ من خُضر مُحَارِب فقال : احْدُ بشعر نُصَيْب فإنّ فيه صفتي فقال :

تَرَى المُلوكَ حَوْلَهُ مُرِعْبَلَه[2] يقْتُلُ ذا الذَنْبِ ومَن لا ذَنْبَ لَهْ

فقال: أنا كذاك، وأعطاه شيئاً ضمِنه له.

وفي رواية المدائني قال: كان بمسلم النِقْرس فركب بقُدَيْد فرساً فسقط عنه فتوطّأه الفرس فثقل ومات، فقال الشاعر.

قَدْ خَرَّ مُنْجَدِلاً بِوَطأَة حافرٍ والمَـوْتُ يَغْشاهُ وَلاتَ أَوَانِ

وقال الحُصين قال مسلم حين احتُضر: اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لم أشاقّ خليفة ولم أفارق جماعة، فأغْفِر لي.

---

١ ـ بالأصل : الجزيرة ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه ، فالجمرة : الظلمة الشديدة .

٢ ـ بالأصل «مزعبلة» وهو تصحيف ، والرعبلة : التقطيع والتمزيق . القاموس . هذا ولم يرد هذا البيت في ديوان نصيب بن رباح المطبوع .



حصار ابن الزبير بمكة في أيام يزيد بن معاوية وهو الحصار الأول:

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف قال: خرج مسلم بن عُقبة المُرّي بالناس إلى مكة بعد الحَرّة وخلّف على المدينة رَوْح بن زِنْباع الجُذامي، فنزل به الموت بقفا المُشَلَّل، فقال لحُصين بن نُمير: يابَرْدَعَة الحمار أما والله أن لو كان إلي ماولّيتك هذا الجند، ولكنّ أمير المؤمنين أوصاني أن أوليك إيّاه، فأسْرِعْ وعَمِّ الأخبار وعجّل الوقاع، وكان موت مسلم لِسبع بقين من المحرّم، فسار حُصين فدخل مكة في آخر المحرّم سنة أربع وستّين.

وقال المدائني: نزل الموت بمسلم، فقال حين احتُضر: اللهمّ إنّك تعلم أنّي لم اشاقّ خليفة ولم أفارق جماعة ولم أَغشّ إماماً سرّاً ولاعلانية، ولم أعمل بعد الإيمان بالله ورسوله عملاً أحبّ إليّ ولاأرجى عندي من قتل أهل الحَرّة، فاغفِرْ لي ذنوبي وبارِكْ لي فيما أقدم عليه؛ ثم قال: ما أغلقت عليه فلانة امرأتي بابَها فهو لها، وداري بَحَوْران صدقةٌ على مهاجرة بني مُرّة، ثم دعا حُصين بن نُمير، وحُبَيْش بن دُلْجة القَيْني، وعبد الله بن مَسْعدة الفَزاري فقال: إنّ أمير المؤمنين عهد إليّ في أن أولّي أمركم حُصينَ بن نُمير وأكرهُ خلافه عند الموت، ثم قال لحُصين: إنّ حُبَيش بن دُلْجة أَوْلى بما ولّيتُك منك لكنه أمرُ أمير المؤمنين، فاحفظ عنّي ما أقول لك: لا تُطيلنّ المقامَ لمكة فإنّها أرضٍ

جَرَدِيَّة لا تحتمل الدوابّ ، ولا تَمَنْعْ أهلَ الشام من الحملة ، ولا تمكّن قريشاً من أُذنِكَ فإنّهم قومٌ خُدُع ، وليكن أمرك الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف ، أَفهمت يا حُصين؟ قال: نعم، قال: واعلم أنّك تقدم على قوم لا منعة لهم ولا عُدّة ولا سلاح، ولهم جبال مشرفة عليهم، فانُصب عليهم المجانيق فإن عاذوا بالبيت فارْمِه فما أَقْدَرَكَ على بِنائه . وأقام حُصين بمَرّ الظَهْرانِ ثلاثة أيّام .

وقال الواقدي: دخل الحُصين مكة لثلاثٍ بقين من المحرّم سنة أربع وستّين .

قالوا: وخطب ابن الزبير الناس وحرّضهم على قتال أهل الشام، ودعاهم إلى بيعته فبايعه أهل مكة على القتال، وأتاه فلُّ أهلِ الحَرّة فصار في بشر كثير، وقدم عليه نَجْدَةُ بن عامر الحنفي في ناسٍ من الخوارج وفيهم حسّان بن بُحْدُج الحنفي ليمنعوا البيت من أهل الشام، فقال عبد الله بن الزبير لأخيه المنذر بن الزبير: مايريد هؤلاء، يعني أهلَ الشام، إلا أنا وأنت - قال أبو مخنف: وكان المنذر شهد الحَرّة ثم لحق بأخيه، وقال غيره: لم يشهدها - فناهضهم المنذر ساعةً ثم دعاه رجل من أهل الشام إلى البراز فاختلفا ضربتين فسقط المنذر والشاميّ قتيلَيْنْ - وقال بعضهم: لم يُقْتَلِ المنذرُ في هذا الحصار ولكنّه قُتل في الحصار الثاني.

وقال لي مصعب بن عبد الله الزبيري: الرُواة تُدْخِل من خبر هذا الحصار في هذا وخبر هذا في هذا - قال: ودعا عبد الله لنفسه واجتُمع على خلافته بعد موت يزيد وكان قبل ذلك يدعو إلى الشورى.

وقال المدائني: أقبل الحُصين فنزل مُعَسْكره من الحَجونُ إلى بِئْر مَيْمون[1] فخرج إليه عبد الله بن صفوان فوعظه حُصين وخوّفه ثِقْلَ وطأة أهل الشام، فأغلظ لحُصين فقال: إنّما أباح حرمَ الله من قاد الخيل إليه قَبْلُ . ومَيْمون هو ابن شُعبة الحَضْرمي أَبو عَمّار.

وقال أبو مخنف: جثا ابنٌ لعبد الله بن الزبير[2] وقال لأصحابه: قاتِلوا، فقاتَلوا إلى المساء فقُتل المِسْوَر بن مَخْرَمَة، ويقال أصابه حجر فمات يوم أتاهم نعيّ يزيد وقاتل أهلُ الشام إلى أن انسلخ صَفَر، فلما مضت ثلاثة أيّام من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستّين نصبوا على البيت المجانيق فدقّوه بها، وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خَـطّارَةٌ مِثْلُ الفَنيقِ المُزَبِدِ نَرْمي بها عُوّاذَ هَذا المَسْجدِ

وكان صاحب الرمي الزبير بن خُزَيْمة الخَثْعَمي من أهل فلسطين، وهو أوّل من ارتجز بهذين البيتين، قالوا : وجعلوا يقولون :

كيف ترى صَنيعَ أُمِّ فَرْوَهْ نَأْخُذُهُمْ بين الصفا والمَرْوَهْ

وحدثني مصعب بن عبد الله الزّبيري قال: كان الشاميّون يرتجزون في الحصار الثاني بمثل مايرتجزون به في الحصار الأوّل مَعَما زادوا فيه.

وقال المدائني: نصب حضين منجنيقاً في الجبل الأحمر الذي يلي دار النَدْوة؛ قال: وكان المِسْوَر قد أعان ابنَ الزبير بمواليه وسلاحٍ كثير فاقتتلوا، وكان أوّل قتالهم يوم الأَحد لثلاث عشرة ليلة خلت من صَفَر، فقُتل في أوّل يوم ثلاثةٌ من أصحاب حُصين وأربعة من أصحاب ابن الزبير؛ وكان

---

١ ـ خارج مكة االمكرمة فيه مات المنصور ودفن.

٢ ـ في تاريخ الطبري ج٥ ص٤٩٧ الذي جثا هو عبد الله بن الزبير، وهو أقوم.

المختار بن أبي عبيد الثقفي قال لابن الزبير: انهض إلى القوم، وكان قد مكث أيّاماً لايقاتل، وقال له المختار أيضاً: إنّ الله يقول ﴿وَلا تُقَاتِلُوهمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَام حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهم﴾[1] فنهض ابن الزبير ومعه عُمير بن ضُبَيْعة في سبعين من الخوارج فقيل له أتقاتل بهذه المارقة؟ فقال: لو أعانتني الشياطين على أهل الشام لقاتلتهم بهم؛ وقال: ما أبالي إذا قاتل معي المختارُ مَن لقيتُ فإني لم أر أشجعَ منه قطّ؛ وأبلى غلام لابن الزبير يقال له سُلَيْم أو سُليمان فأعتقه؛ وقال بعض الشعراء:

وشَدَّ أبو بَكْرٍ لَدَى البابِ شَدَّةً ... أَبَتْ لِحُصَيْنٍ أَنْ يُحَيَّا ويُكْرَما
هُنالِكَ لا أَخْشَى حُصَيْنَ بن نَاتِلٍ ... ولا جِلْدَ أَير العَيْرِ نُعْمانَ خَثْعَما[2]

ونُعْمان قائد من قُوَاد أهل الشام.

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش والمُجالد عن الشَعْبي قال: نصب ابنُ نُمير المنجنيقَ على الكعبة فارتفعت سحابة فاستدارت على أبي قُبَيْس ثم رعدت وأصعقت فأحرقت المنجنيق ومَن تحتها فلم يعيدوا الرمي، فقال أَعْشَى همدان:

ورَمَى البَيْتَ بِالحِجارَةِ حَتَّى ... أَحْرَقَ الله مَنْجَنيقَ الزُبَيْر[3]

يعني الزُبير بن خزيمة الخَثْعَمي وكان صاحب الرمي مع حُصين بن نُمير، وكان ابن الزبير يَهْزِمهم فيتبعهم وحده وهو يقول:

إنّـا إذا عَضَّ الـثِـقـا ... فُ بِـرَأسِ صَعْدَتِنا أَبَيْنا

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية: ١٩١ .

٢ ـ البيتان للشاعر ذو العنق الجذامي، واسمه الملوح بن أبي عامر. معجم الشعراء للمرزباني ـ ط. دمشق، دار النوري ص٤٤٨ . وانظر أيضاً تاج العروس للزبيدي ج٧ ص٢٦ .

٣ ـ ليس في ديوانه المطبوع.

فقيل لابن نُمير: ألا ترى أنّ رجلًا واحداً يتبعنا على رجلَيْه فلا يعطف عليه أحد، فقال:

كُلُّ امْرِئٍ يُحاذِرُ البَلِيَّهْ   يَخافُ أنْ تُدْرِكَهُ المَنِيَّهْ

من يتعرّض لأسدٍ يحامي بجدّ وشجاعة عن مُلك يحاوله؟ وأرسل ابن الزبير إلى حُصين يدعوه إلى مبارزته، فقال: والله ما بي جُبن، ولكنّي أخاف أن أفعل فإن قتلَتني كنتُ قد ضيَّعتُ أصحابي، وإن قتلتُك فأنا على خطأ في التدبير وإضاعة للحزم. وقال المختار: يا بني الكرَّارين ياحُماة الحقائق قاتلوا، فقُتل من أهل الشام بشر كثير، فقال بعض الشعراء:

لَقَدْ ضَرَبَ المُخْتارُ ضَرْبَةَ حازِمٍ   أَزالَتْ يَزيدَ عن حشاياهُ ضارِطا

وَقَتل مصعَبُ بن عبد الرحمن بن عوف عدّة، وأجهزت عليهم امرأة من الخوارج يقال لها سَلْمَى، فقال رجل من الشاميّين:

إنّيَ لم أنْسَ إلا رَيْثَ أَذْكُرُهُ   أيّامَ تَطْرُدُنا سلمى وتَنْفِينا

وحَكَم ابنُ بُحْدُج فقتلوا جماعة من أهل الشام فقال رجل من قُضاعةً:

يا صاحِبَيَّ ارْتَحِلا وامَّلسا   لا تَحْبسا لَدَى حُصَيْنٍ مَحْبَسا
إنَّ لَدَى الأَرْكانِ بَأْساً أَبأسا   وبارِقاتٍ يَخْتَلِسْنَ الأَنْفُسا
إنَّ الفَتَى حَكَّمَ ثُمَّ كبَّسا

وجُرح عبد الله بن مَسْعَدة الفَزاري فلم يقاتل حتى جاءت وفاة يزيد، وكان الذي جرحه مصعب بن عبد الرحمن.

المدائني قال، قال عبد الله في بَعض أيّامه للمنذر: احمل عليهم، فقال: إنّي عليك لَهَيّنٌ، تعرضني لأنباط الشام، فحمل وهو على بغلة له وَرْدٍ فنفرت من قعقعة السلاح وَتوقّلت في الجبل، فقال عبد الله: انْجُ أبا عثمان،

ولحقه أهل الشام فقتلوه، فقال ابن مُفَرّغ:

لابْنُ الزُّبيْر غَداة يأمر مُنْذِراً أَوْلَى بغايَةِ كُلِّ يَوْمِ دِفاعِ
وأَحقُّ بِالصَّبْرِ الجَميلِ مِنِ امْرِئٍ كَـزٍ أنامِلُهُ قَصيرِ البـاعِ[1]

وقال المدائني: قُتل المنذر بن الزبير، وأبو بكر بن الزبير، وحُذافة بن عبد الرحمن بن العوّام، والمِقْداد بن الأسود بن العوّام، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف بعد أن قَتل خمسة من أهل الشام وانحنى سيفه فقال:

سَنورِدُ بيضاً ثُمَّ نُعْقِبُ حُمْرَةً وفيها انْحِناءٌ بَيْنٌ بَعْدَ تَقْويمِ

وقاتل مصعب بن عبد الرحمن يوماً حتى يَبِست يده، فدعا ابنُ الزبير بشاة فحُلبت على يده حتى لانت. وقال ابن الزبير: ماكنت أُبالي إذا كان المختار معي مَن فارَقني، فما رأيت قطّ أشدّ قتالاً منه.

قالوا: ووضع أهل مكة مجانيقَ أو خشباً حول الكعبة وجلّلوها بالجلود لتَرُدّ عن الكعبة.

وقال المدائني عن ابن أبي الزِناد عن هشام بن عروة: أرسل النجاشي جماعةً من الحبش للدَّفْعِ عن الكعبة وأعان ابنَ الزبير بهم، فضمّهم إلى أخيه مصعب بن الزبير فكانوا يقاتلون معه، فانكشفوا ذات يوم فاعتذروا وقالوا: نحن أصحاب مزاريق نرمي بها مَن انكشف.

وقال ابو مخنف في روايته: مكث أهلُ الشام يقاتلون ابن الزبير حتى إذا مضى من شهر ربيع الأوّل أربعةَ عشر يوماً مات يزيد، فمكثوا أربعين يوماً لايعلمون بموته، وبلغ ابنَ الزبير موتُه قبل أن يبلغَ الحُصين، وقد ضيّقوا على ابن الزبير مكةَ وحصروه حصاراً شديداً، فقال: ياأهل الشام لماذا تقاتلون

---

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع.

وقد هلك طاغِيتكم؟ فجعلوا لايصدّقون حتى قدم عليهم ثابت بن المُنْقَع النَخَعي ـ واسم المُنْقَع قيس ـ وهو من أهل الكوفة وكان صديقاً للحُصين، فأخبره بهلاك يزيد.

وقال المدائني: مات يزيد للنصف من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستّين، فبلغ أهلَ المدينة ذلك ولم يأتهم من يقوم بالأمر، فمنعوا عاملَ المدينة الصلاة وتراضوا بسَعْد القَرَظِ فصلّى بالناس، وكان مؤذّنهم؛ وجاء الخبر أهلَ مكة فخافهم حُصين فاستأمنهم وقال: يامعاشر قريش أنتم ولاة الأمر، وإنّما قاتلناكم في طاعة رجل منكم قد هلك، فأذَنوا لنا في الطواف، فقال عبد الله بن صفوان: لايحلّ لنا أن نمنعهم، وبعث إلى المِسْوَر يشاوره فوجده ثقيلاً، فقال: أرى أن تأذَن لهم وإن لم يكونوا لذلك أهلاً لقول الله عزّ وجلّ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[1]

وأُغميَ عليه، ووادعهم ابن الزبير ومنعهم من الطواف ثم أذن لهم فيه.

وقال عوانة: لما أذن ابن الزبير للحُصين وأصحابه في الطواف أراد الخوارج منعهم، ثم قالوا: نَدَعهم يطوفون ويذهبون إلى لعنة الله فلن يزيدهم الله بطوافهم إلا شرّاً.

قالوا: وبعث الحُصين إلى عبد الله بن الزبير حين مات يزيد وبلغه موتُ معاويةَ ابنه فواعده بالأَبْطَح ليلاً، فلما اجتمعا قال له الحُصين: إنّك أحقُّ الناس بهذا الأمر اليوم، فهَلُمَّ فلنبايعك ثم اخرج معنا إلى الشام فإنّي من أهله بمكانٍ قد علمتَه والجند الذين معي أشراف أهل الشام ووجوههم

١ ـ سورة البقرة ـ الآية: ١١٤ .

وفرسانُهم، فليس يختلف عليك منهم اثنان، والشام معدن الخلافة اليوم إذ نقله الله إليها؛ وجعل الحُصين يقول له هذا القولَ سِرّاً وابنُ الزبير يرفع صوته بإبائِه، فقال: لله أبوكَ ماعَرَفَ مَن نَسَبَكَ إلى الدّهاء، أنا أكلّمك بمثل هذا سرّا وتجيبني عليه علانيةً.

قالوا : وكان ابن الزبير يقول لأصحابه صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم .

قال المدائني : وكان عُبيد بن عُمير الليثي يُقصّ أيّام الموادعة فيقول له أهل الشام : أيّها الرجل الصالح آرجع إلى ما كنتَ فيه ، ولا تَنَقَّصْ خليفة الله في أرضه فإنّه أعظم حُرْمةً من البيت .

قال المدائني : وانصرف نافع بن الأزرق وقوم من الخوارج فالتقطهم عُبيدالله بن زياد فحبسهم مع من كان في حبسه من الخوارج .

قال المدائني : دعا حُصين عبدَالله بن عمر إلى مثل ما دعا إليه ابن الزبير فأباه وقال : لستُ من هذا الأمر في شيء .

قالوا : وحمل بعض أصحاب ابن الزبير ناراً فأطارتها الريح فاحترق ما جُعل حول الكعبة ليقيها ، واحترقت استارها وتصدَّعت فبناها بعد ، وقال الشاعر :

أَبْلِغْ أميرَ المُؤْمِنينَ مَنْ كانْ ابنُ الزُبَيْرِ عـائِذٌ بـالأَرْكانْ

وقال ابن قيس الرُقَيّات :

لَيس لله حُرْمَةٌ مِثْـلُ بَيْتٍ نحن جـيرانُـهُ عليـهِ المُـلاءُ
خَصَّـهُ الله بِالكَـرامَةِ فَـالبا دونَ والعـاكِفونَ فيـه سَواءُ
حَـرَّقْتهُ رِجـالُ كَلْبٍ وعَكٍّ حـينَ جاءُوا وحِمْـيرُ وصُداءُ

فَبَنَيْنَــاهُ بعــدمــا حَــرَّقــوهُ فاستوى السَّمكُ واسْتَقَلَّ البِناءُ[1]

وقال بعضهم :

ابْنُ الـزُّبير بِئْسَ مـا تَوَلَّى إِذْ حَـرَّقَ المَقـامَ والمُصـلَّى
قِبْلَةَ مَنْ حَجَّ مَعاً وَلَبَّى

وقال رجل من بني تميم :

أقولُ لأَهْلِ الله لَمَّا أَتاهُمُ مُحَرِّقُ بَيتِ الله هيجوا البَواكِيا
جَزى الله أَهلَ الشأْمِ فيهِ مَلامَةً وأَصلاهُمُ جَمْراً مِنَ النارِ حامِيا

وقال عمرو بن الوليد بن أبي مُعَيْط :

جَلَبْنا لَكمْ من غوطَةِ الشأْم خَيْلَنا إِلى أَرض بَيْتِ الله يا بُعْدَ مَجْلَبِ
تَلوذُ قُـريشٌ كُلُّهـا بِلِوائــهِ لأَمْحَضَ منها في قُريشٍ وأَطيبِ

وقال أبو حرَّة مولى خُزاعة :

يا ربِّ إِنَّ جُنودَ الشامِ قد كثروا وهَتَّكوا من حِجابِ البيتِ أَسْتارا
يا رَبِّ إِنّي ضعيفُ الرُّكْنِ مُضطَهدٌ فَابْعثْ إِليَّ جُنوداً منكَ أَنصارا

وقال أَعْشى همدان :

ورَمى البيتَ بالحِجارَةِ حَتَّى أَحْـرَقَ الله منجنيقَ الزبـيرِ

يعني الزبير بن خزيمة الخثعمي وكان رمى البيت فأحرقت الصاعقة منجنيقه .

وحدثني المدائني عن مَسْلمة بن عَلْقَمة عن خالد عن أبي قِلابة أنّ معاوية قال لعبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم : إنّ الشُّحَّ والحِرصْ لَنْ يَدَعاك حتى يُدْخلاك مُدخلاً ضيِّقاً ، فوددتُ أنّي حينئذ عندك فأستنقذك ،

١ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ـ ط . دار صادر بيروت ص ٩٥ ، مع فوارق .

فلما حُصر ابن الزبير قال : هذا ما قال لي معاوية ، ودِدتُ أنّه كان حيّاً .

وقال الواقدي : كان أصحاب ابن الزبير فيما حول المسجد إلى المروة ، وإلى ماوراء ذلك ، ونزل الحُصين بالحَجُون إلى بئر مَيْمون ، وصيّر عسكره هناك ، ونصب منجنيقاً فرمى بها فرُميت بصاعقة فأحرقتها ومن كان فيها ، فكفّ الحُصين عن الرمي .

قال : ولما قدم الحُصين مكة أمسك عن القتال حتى وقف عند دار عمر بن عبد العزيز فقال لأصحاب ابن الزبير : لو أنّ صاحبكم أبرَّ قَسم أمير المؤمنين لوجد عنده ما يحب من البّر والصلة ولردّه والياً على الحجاز ، فجعلوا يقولون : نحنَ عُواذ بالبيت وابن الزبير أحدنا إلاّ أنّه يصلّي بنا ، وكان ابن الزبير قد رتّب أصحابه في مواضع ، ومعه قوم من الخوارج أنكروا غَزْوا البيت وانتدبوا للذبّ عنه ، فهم في حَيِّز ابن الزبير ، فكانت كلّ مَسلحَة تذبّ الحُصين عن ناحيتها ، ثم إنّهم اقتتلوا يوم أحد وتراموا بالنبل وتشاولوا بالرماح في الليل ، ثم رجعوا إلى معسكرهم وقد قُتل من الشاميّين ثلاثة نفر وجُرح من أصحاب ابن الزبير عدّة وقُتل أربعة نفر ، فمكثوا على ذلك أيّاماً ؛ وأخرج المِسْوَر بن مَخْرمة سلاحاً فرّقه على مواليه وكان متسلّحاً يقف عند الحَذّائين، ويخرج ابن الزبير، وجُبير بن شَيْبَة، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، وعُبيد بن عُمير فيجتمعون إلى المِسْوَر فكانوا يردّون الشاميّين إلى الأَبْطَح ، وجاءهم نعيّ يزيد فكان القتال أربعة وستّين يوماً ، وكانت وفاة يزيد لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل ووصول الخبر إلى مكة في ستّة عشر يوماً ؛ وكان أهل الشام يشتمون ابن الزبير فيقولون : يا بن ذات النطاقيْن ، فيقول :

وعَيّرَها الواشونَ أنّي أُحِبُّها وتِلْكَ شَكاةٌ ظاهِرٌ عَنْكَ عارُها

وشتموه أيضاً في الحصار الثاني فتمثّل بهذا البيت .

وقال الواقدي : لما جاء نعيّ يزيد أرسل الحُصين الى ابن الزبير والمِسور وأصحابها يسألهم فتحَ أبوابِ المسجد ليطوفوا بالبيت ثم ينصرفوا إلى الشام ، فأبى ذلك ابن الزبير ثم اجابهم فطافوا وانصرفوا . وقال الحُصين لابن الزبير : صِرْ معي إلى الشام حتى أدعو لك ، فقد مَرِجَ أمْرُ الناسِ وما أجد أحقَّ بالأمر منك ، فقال ابن الزبير رافعاً صوته : أمّا دون أن أُقْتلَ بكلٍّ رجل من أهل الحَرّة عشرة من أهل الشام فلا ، فقال حُصين : يزعم هذا أنّه داهية أكلّمه سرّاً ويكلّمني علانية، وأدعوه إلى الخلافة ويتوعدني بالقتل ، فسيعلم ، ثم انصرف وأصحابه إلى الشام ، فلما صار بالمدينة بلغه أنّ أهلها يريدون محاربته ، فقام رَوْح بن زِنْباع على منبرها فقال : يا أهل المدينة ما هذا الذي بلغنا عنكم ؛ فاعتذَروا وكذّبوا عن أنفسهم ، ومضى الحُصين ومن معه إلى الشام[1] .

---

١ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

احتراق الكعبة وبناؤها

قال الواقدي : وصدع حجر المنجنيق الحجرَ الأسودَ فضبَّبه ابن الزبير بفضة .

قال : واحترقت الكعبة قبل أن يأتيَ خبرُ موتِ يزيدَ بسبعة وعشرين يوماً وكان إحراقها بعد الصاعقة التي أصابت المنجنيق ، وكان سبب احتراقها أنّ رجلاً من أصحاب ابن الزبير يقال له مُسلم أخذ ناراً في ليفة على رأس رمح في يوم ريح فطارت شرَرَة فتعلّقت بأستار الكعبة فأحرقتها ، وكانت لهم حول الكعبة بيوت من خَصَف ودُفوف .

قال : ويقال انّ جُرَذاً جَرّ فتيلة فيها نار فسقطت في متاع بعض مَن حول الكعبة فاحترق ، وهاجت ريح حملت الشرر إلى الأستار .

قال : فلما ارتحل ابن نُمير هدم ابنُ الزبير ما حول الكعبة حتى بدت وأمر بالمسجد فكُنس ممّا فيه من الحجارة ، وإذا الكعبة ترتجّ وإذا الركن قد أسودّ من النار ، فشاور في هدمها ، فأشار عليه جابر بن عبدالله الأنصاري وعبدالله بن عُمر بهدمها ، وكره ذلك ابن عبّاس وقال : أخاف أن يأتيَ مَن

بَعدك فيهدمها ، فجمع ابن الزبير الفَعَلة فهدمها إلى الأرض ثم بناها ، وقال ابن عبّاس : مازلنا نعلم أنّ الحِجْر من البيت ، فبُنيت وأُدخل الحِجر فيها ، وجَعلَ لها بابين بالأرض ، باباً يُدخل منه وباباً يُخرج منه ، وجعل الحَجَر الأسود في سَرَقة حرير في تابوت ، وجعل ما كان في البيت من شيء في تابوت ، وكان الناس يطوفون من وراء أساس البيت ويصلّون إلى اساسه حتى بُني ، ثم ستر الركنَ بثوب وردّ الحَجَر ووضعه هو وولده فغضب الحَجَبة من ذلك ؛ ويقال انّه تولّى وضعه هو وولده حمزة وقوم من الحَجَبة . وكان ابن الزبير روى عن عائشة عن النبيّ ﷺ أنّه قال : «لولا حَداثة عهْد قومِكِ بالشِرك لأَعدتُ فيها ما تُرك منها»[١] فعمل ابن الزبير على ذلك ، فلما فرغ من بنائها ردّ إليها جميع ما كان فيها وسترها بالديباج ، فلما هدمها الحجّاج ردّها إلى ما كانت عليه حين هدمها ابن الزبير وأخرج الحِجْرَ منها ورفع بابها .

وقال بعضهم : بعث ابن الزبير إلى اليمن في حَمْل الوَرْس إليه ليجعله كالقَصّة[٢] يُمْسك مَدَرها ، فقيل له انّه لا يثبت فبناها بالقَصّة .

وقال عبد الملك : لو بلغني حديثُ عائشة قبل بناء الحجّاج إيّاها لأمرته أن يبنيها على بناء ابن الزبير ولولّيته ما تولّى .

وقال الواقدي : أصابت المِسْور شَظيّةٌ من حجر في وجنته فتوفّي منها يوم جاء نعيّ يزيد في آخر النهار ، ومات مصعب بن عبد الرحمن في حصار ابن نُمير ، ويقال بل قُتل . قال : فلما مضى هذان الرجلان وكان الأمر بينهما وبين ابن الزبير شورى وشخص ابن نُمير ، بويع ابن الزبير بالخلافة بمكة ،

---

١ ـ انظره في كنز العمال الحديث ٣٨٠٧٥ .

٢ ـ القصة : الجصة . القاموس .

وكان عبدالله بن صفوان أسرعَ الناس إلى بيعته ، ثم عُبيد بن عُمير ، وعبدالله بن مُطيع العَدَوي ، والحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة ؛ فولّى المدينة فيما يقول بعضهم المنذرَ بن الزبير - ويقال ولّاها غيرَ المنذر لأنّ المنذر قُتل في هذا الحصار - وولّى الكوفة ابن مُطيع وولّى البصرة الحارث بن عبدالله المخزومي وولّى الشام الضحّاك بن قيس الفِهْري وكان مائلاً إليه .

حدثني بسّام الحمّال عن حمّاد بن سَلَمة عن عليّ بن زيد عن الحسن قال : كتب الضحّاك بن قيس حين مات يزيد بن معاوية إلى قيس بن الهَيثم : إنّ يزيد قد مات وأنتم إخواننا وأشقّاؤنا فلا تسبقونا بشيء حتى نختار لأنفسنا ، قال حمّاد : فاختار ابنَ الزبير ؛ قال : وولّى مِصْر ابن جَحْدم وفرّق عُمّاله .

وقال الواقدي : وكان ممّن قُتل في هذا الحصار - ويقال في الثاني - المنذر بن الزبير ، وأبو بكر بن المنذر بن الزبير ، والزبير بن المنذر ، وحُذافة بن عبد الرحمن بن العوّام ، والزبير بن المِقْداد بن الأسود بن العوّام ، وعامر بن عُروة بن الزبير ، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف - ويقال مات حَتْفَ أنفه في أيّام هذا الحصار - وزيد بن عبد الرحمن بن عوف ، والمِسْوَر ، أصابه حجر مات منه ، وأبو عمرو بن عبدالله بن أُبَيّ بن خَلَف الجُمَحي .

وقال المدائني : أرسل ابن نُمير إلى ابن الزبير يستأذنه في الطواف زُفَر بن الحارث الكِلابي وابن مَسْعدة الفَزاري .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن جُويرية بن أسماء قال: حدثني بُرد مولى آل الزبير أنّ حُصيناً بعث إلى ابن

الزبير إنّي أُحبّ لقاءك ؟ قال : فموعدك بعد العَتَمة بأعلى مكة ، فخرج ابن الزبير بعد أن صلّى بالناس إلى المكان الذي وعده فيه وليس عليه سلاح ، وأقبل ابن نُمير وعليه الدرع والسيف وقد لبس مِمْطَراً ، فلما أراد الجلوس بدت نعل السيف ، فقال له ابن الزبير : أَغَدْراً يا بن نُمير ؟ قال : لا ولكنّي خفتُ أصحابك ، ثم قال له : أبايعك غداً بين الركن والمقام أنا وجميع أصحابي على أن تنتقل إلى الشام فتسكنها ونقاتل عنك الناس ما بَقيتْ أرواحنا ، فقال : إنّ لي أُمراء لستُ أقطع أمراً دونهم ، فأناظرهم ثم يأتيك رأيي ، فرجع فأخبر ابن صفوان وذويه فقالوا : أَتخرج من بلدٍ نصرك الله به وتفارق حرم الله وأمَنه وتستعين بقوم رموا بيتَ الله لا خَلاقَ لهم ؟! فأرسل إلى الحُصين : إنّ أصحابي قد أبوا أن يتحوّلوا إلى الشام ، قال : فهل أنت مؤمّني وأصحابي حتى نطوفَ بالبيت ثم ننصرف عنك ؟ فآمنهم فطافوا ثم انصرفوا .

وحدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة حدثنا وهب بن جرير حدثنا جويرية عن نافع انّ ابن الزبير لم يُدْع له بالخلافة حتى مات يزيد ، وقال نافع : كنت تحت منبره يوم دعا إلى نفسه ، وكان قبل ذلك يدعو إلى الشورى .

وقال المدائني : جرح عبدالله بن مَسْعدة الفزاري فلم يقاتل حتى انفضّ أمرهم ، وكان الذي جرحه مصعب بن عبد الرحمن ، وقاتل مصعب بن عبد الرحمن يوماً حتى يَبِست يده فدعا ابن الزبير بشاة فحلبها عليها حتى لانت ؛ وأرسل النجاشي إلى ابن الزبير مائتي رجلٍ فضمّهم إلى أخيه مصعب ، فكانوا يقاتلون معه في ناحية .

قال جويرية وحدثني غير نافع أنّ ابا حُرّة مولى أَسْلَم ، كان شاعراً

شجاعاً فقال : يا بن الزبير ما أرانا سفكنا الدماء وقاتلنا الناس إلّا لتملك ، وأنشأ يقول :

إنَّ المَوالِيَ أَمْسَتْ وَهْيَ عاتِبَةٌ على الخَليفَةِ تَشْكو الجوعَ والحَرَبا

ماذا علَيْنا وماذا كانَ يَرْزَؤنا أيُّ المُلوكِ على ما حَوْلَنا غَلَبا

وقال أيضاً :

تُخَبِّرُ مَنْ لاقَيْتَ أنكَ عائِذٌ وتُكْثِرُ قَتلاً بينَ زَمزمَ والرُّكْنِ

قال جويرية : كان الخوارج يقاتلون مع ابن الزبير نصرةً للبيت وذباً عنه إذْ تعوّذ به ، فلما رماه أهلُ الشام ازدادوا عليهم حَنقاً ، قال : وقاتل المختار مع ابن الزبير ثم انصرف عنه فأتى العراق .

المدائني عن أشياخه قالوا : لما دعا ابن الزبير إلى نفسه بايعوه على كتاب الله وسنّة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين ، فبايعهُ عبيد الله بن عليّ بن أبي طالب وقبض ابن مُطيع يده ، وقام مصعب فبايع فقال الناس : بايع مصعب ولم يبايع ابن مطيع ، أمْرٌ فيه صُعوبة والتياث طاعة ؛ وبايعه عبدالله بن جعفر ، وأراد ابنَ الحنفيّة على البيعة فلم يبايع ، وأبى ابنُ عمر أن يبايع وقال : لا أُعطي صفقة يميني في فُرقة ولا أُمنعها في جماعة وأُلفة ، فقال له : آلزم المدينة ، قال أبو حُرّة مولى خزاعة : ألا صبرت حتى نختارك فنبايعك ؟

وقال :

أَبْلِغ أُمَيّة عنّي إنْ عَرضْتَ لها وابنَ الزُّبَيْرِ وأَبلغ ذلك العَرَبا

أَنَّ المَواليَ أَضْحَت وَهْيَ عاتِبَةٌ على الخَليفَةِ تَشْكو الجوعَ والحَرَبَا

إخوانُكُم إن بَلاءٌ حلَّ ساحَتَكُمْ ولا تَرَوْن لنا في غَيْرِهِ سبَبَا

نُعاهِدُ الله عَهْداً لا نَخيسُ بِهِ لن نقبلَ الدهرَ شورى بعْدَ مَنْ ذَهَبا

وأتت ابنَ الزبير بيعةُ أهل الآفاق : أتته بيعة أهل الشام ما خلا الأُردنّ ، ودعا له النُعْمان بن بشير بحمص ، وزُفَر بن الحارث الكِلابي بقنّسرين ، والضحّاك بن قيس الفِهْري بدمشق ، ودعا بالكوفة أهلها وتراضوا بعامر بن اسماعيل الجُمحي[1] ، ودعا له بالبصرة سَلَمة بن ذؤيب الرياحي وأخرجوا عبيد الله بن زياد ، ودعا له بخراسان عبدالله بن خازم السُلَمي ، وباليمن بَحير بن رَيْسان وكان قبلُ عاملاً ليزيد بن معاوية ، وولّى ابن الزبير المدينةَ جابر بن الأسود بن عوف الزُهْري .

المدائني قال : ولّى ابن الزبير المدينة رجلاً يكنى أبا قيس أو ولّاه بعض أعمالها فأساء السيرة فقال الناس : قد كان ليزيد بن معاوية أبو قيس لا يضرّ ولا ينفع ، ولابن الزبير أبو قيس يضرّ و[لا] ينفع .

وقال ابن الكلبي : ولّى ابن الزبير المدينة جابر بن الأسود بن عوف فقدم حُبَيش بن دُلْجة من الشام فخرج جابر عنها إلى مكة ، فبعث ابن الزبير مكانه عبيدة بن الزبير حين خرج حُبَيْش عن المدينة يريد الرَبَذَة ، فلقيه الحَنْتَف بن السِجْف فقتله ، ثم وجّه مصعبَ بن الزبير فقتل أُسراءَ أسرهم الحَنْتَف من أصحاب حُبَيْش ، ثم رجع إلى مكة ، وعزل ابن الزبير عبيدة وولّى ابن أبي ثور حليف بني عبد مناف ، فأصابت الناسَ في ولايته مجاعة وغلت أسعارُهم ، فكان يخطب فيقول : اتّقوا الله وتَأَسَّوا بنبيّكم وانزعوا عن المعاصي فإنّه أهلك قوم صالحٍ في ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فسمّي مُقوِّم الناقة ، وكان الناس يأكلون من ليل إلى ليل ما ينالون إلّا حُسىً من حنطة

---

١ ـ كذا بالأصول وهو وهم صوابه «ابن مسعود» انظر تاريخ خليفة ج ١ ص ٣٢٨ .

وعدس ؛ ثم عزله وولّى الحارث بن حاطب الجُمحي ثم عزله وولّى جابر بن الأسود ثم عزله وولّى جعفر بن الزبير ثم وَهْب بن أبي مُعَتّب مولى الزبير ثم أبا قيس ، وولّى صدقة المدينة عبد الرحمن بن محمد بن الأشْعث ، وولّى الكوفة عبدالله بن يزيد الخَطْمي ، وولّى إبراهيم بن طلحة الخراج بها ثم عزلهما وولّى عملهما عبدالله بن مُطيع العَدَوي فأخذ بيعتهم .

وقال الراعي عُبيد بن حُصين يمدحَ يزيد في شعر يقول فيه :

راحَتْ كَما راحَ أَوْ تَغْدُو كَغُدْوتِهِ عنسٌ وَخُودٌ عَلَيْها راكِبٌ يَفِدُ
تَنْتابُ آلَ أَبي سُفْيانَ وَاثِقَةً بِسَيْبِ أَبْلَجَ مِنْجازٍ لما يَعِدُ[1]

وقال المدائني : كان على شُرَط يزيد حُميد بن حُريث بن بَحدل وصاحب أمره سَرْجون بن منصور ، وقاضيه أبو إدريس الخَوْلاني ، ومات يزيد بُحّوارين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، ويقال : ابن تسع وثلاثين وأشهر وكانت ولايته ثلاث سنين ، ويقال وتسعة أشهر ، ويقال وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً ، وكان موته يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستّين ، وصلّى عليه معاوية ابنه .

وقال ابن الكلبي : ولي يزيد لهلال رجب سنة ستّين ، فولي ثلاث سنين وثمانية أشهر ، ومات لتسع عشرة ليلة خلت من صفر سنة أربع وستّين وهو ابن ستّ وثلاثين سنة .

وقال الواقدي : دُفن يزيد بدمشق في مقبرة[2] الباب الصغير ومات بحُوّارين فحُمل على أيدي الرجال إليها ، وفيها دُفن أبوه معاوية .

---

١ ـ ديوان الراعي ـ ط . بيروت ١٩٨٠ ص ٧٠ مع فوارق .

٢ ـ بالأصل «المقبرة» .

وقال الواقدي: قيل لأبي مسلم الخولاني يوم مات يزيد: ألا تصلّي على يزيد؟ فقال: يصلي عليه ظِباءُ حُوّارين؛ وقال غيره: دُفن بحُوّارين.

المدائني عن أبي أيّوب القرشي عن خالد بن يزيد، بن جابر قال: مات يزيد ابن تسع وثلاثين سنة، وكان عامله على مكة الحارث بن خالد بن العاص بن هشام، ويقال خالد بن العاص بن هشام.

وقال الأخطل يرثي يزيد:

لَعْمري لقد دَلَّى إلى القبرِ خَالدٌ ... جنازَةَ لا كابي الزِنادِ ولا غُمْرِ
مُقيم بحُوّارينَ ليس ببارحٍ ... سَقتهُ الغَوداي من ثَوِيٍّ ومِن قبرِ
يَضِجُّ المَوالي أنْ رأَوْا أُمَّ خالِدٍ ... مُشَنَّعةً بالريط والسَرَقِ الحُمرِ
إذا حَلَّ سِرْبٌ من نِساءٍ يَعُدْنها ... تعرَّيْنَ إلّا مِن جلابيبَ أَوْ خُمْرِ[1]

وقال ابن عَرادَة السعدي:

أَبني أُميَّةَ إنَّ آخِرَ مُلْكِكُمْ ... جَسدٌ بحُوّارينَ ثَمَّ مُقيمُ
طَرقَتْ مَنِيَّته وعندَ وسادِهِ ... كوبٌ وزِقٌ راعِفٌ مَرْثومُ
ومُرِنَّةٌ تَبْكي على نَشَواتِهِ ... بالصَّنْجِ تقعُدُ ساعةً وتقومُ

وقال رجل من عَنَزة يقال له أبو بكر بن حَنْظَلة:

يا أيُّها المَيْتُ بحُوّارينا ... أَصْبحتَ خَيْرَ الناسِ أجْمَعينا

ويروى:

يا أيُّها القبرُ بِحُوّارينا ... ضَمَمْتَ خيرَ الناس أجمعينا

وقال أبو اليقظان: ولي يزيد سنة ستّين وهلك بحُوّارين بعد ثلاث سنين وأشهر.

١ - ديوان الأخطل ص ١٤٥.

فولد يزيد بن معاوية :

معاوية ، وخالداً ، وعبدَالله الأكبر ، وأبا سفيان ، أمّهم أمّ خالد بنت [أبي] هاشم بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وكان اسمها فاختة وتُلقّب حَبّة ؛ وعبدالله الأصغر الذي يقال له الأُسْوار ، وعمرَ ، وعاتكةَ تزّوجها عبد الملك بن مروان فولدت له يزيد بن عبد الملك ، أمّهم أمّ كُلْثوم بنت عبدالله بن عامر بن كُرَيْز ؛ [وعبدَ الرحمن] ، وعبَدالله الذي يقال له أصغر الأصاغر ، وعثمانَ ، وعُتْبة الأعور ، ويزيد ، ومحمداً ، وأبا بكر ، وأمَّ يزيد ، لأمّهاتِ أولادٍ شَتّى ، وأمَّ عبد الرحمن ، ورَمْلةَ ؛ فتزوّج أمَّ يزيد الأصبغُ بن عبد العزيز بن مروان ، وأمّا رَمْلَة وأمّ عبد الرحمن فتزوّجها عبّاد بن زياد واحدة بعد أخرى ، وكان الذي زوّج عّباداً خالد بن يزيد ، فعّيره عبد الملك بذلك وقال : زوّجته وقد عرفتَ دِعْوته فقال خالد : أَما إنّه سِلْفُك وهو دَعيّي ، ولو كان دَعيَّ غيري ما زوجته .

وأما معاوية بن يزيد :

فولّاه أبوه يزيد عهده في صحّته ، ويقال بايع له حين احتُضر ، فلما مات يزيد بايع الناسُ معاويةَ وأتته بيعة الآفاق إلّا ما كان من ابن الزبير ، فولي ثلاثة أشهر ـ ويقال أربعين يوماً ، ويقال عشرين يوماً ـ ولم يزل في أيّامه مريضاً ، وكان الضحّاك بن قيس يصلّي بالناس ، فلما ثقل قيل له لو عهِدتَ عهداً فقال : والله ما نفعتني حيّاً أَفَأَتحملها ميّتاً ، والله لا يذهب بنو أمّية بحلاوتها القليلة وأتحمّل مَرارتها الطويلة ، وإذا مِتُّ فليصلِّ عليّ الوليد بن عُتْبة وليصلّ بالناس الضحّاك بن قيس حتى يختاروا لأنفسهم رجلاً مرضيّاً عندهم ، فلما صلّى عليه الوليد وقام مروان بن الحكم على قبره فقال : أتدرونَ من دفنتم ؟ قالوا : نعم معاوية بن يزيد ، قال : بل دفنتم أبا لَيْلَى ، يستضعفه ، وكانوا يكنون كلَّ ضعيف أبا لَيلى ، فقال بعض بني فزارة :

لا تُخْدعنَّ فإنَّ الأَمْرَ مُختلفٌ والمُلْكُ بعدَ أَبي ليلى لِمَنْ غلبا

وقام الضحّاك بأمر الناس بدمشق ، ولم يعزل معاويةُ بن يزيدَ أحداً من عمّال أبيه ولا حرّك شيئاً ولا أمر ولا نهى وكان موته سنة أربع وستّين وهو

ابن تسع عشرة سنة ، ويقال ابن عشرين ، ويقال ابن ثماني عشرة سنة ـ ويقال ابن احدى وعشرين سنة ـ ودُفن بدمشق .

وحُدِّثتُ عن ابن الكلبي أنّه قال : ولي أبو ليلى معاوية بن يزيد أربعين يوماً ، وتُوفّي وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وثمانية عشر يوماً .

حدثني هشام بن عمّار حدثنا صَدقَة بن خالد حدثني زيد بن واقد قال : مرض يزيد بن معاوية بعد ولايته الأمر بسنتين من كَبِده ، فلما برىء واستقل قال لحسّان بن مالك بن بحدل : إنّي أريد البيعةَ لمعاوية بن يزيد ، قال : فآفعل ، فدعاه يزيد فصافقة بولاية العهد ، وبايع له حسّان بن مالك والناس ، وكان معاوية ركيكاً ليّناً فكُني أبا ليلى ، وهي كنية كلّ ضعيف .

قال هشام بن عمّار ، وسمعت الوليد بن مسلم يقول : كانت أمّ معاوية بن يزيد ـ وهي أمّ هاشم بنت أبي هاشم بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ـ امرأةً بْرزة عاقلة فدعا يزيد يوماً بمعاوية بن يزيد وأمّه حاضرة فأمره بأمر ، فلما ولّى قالت له : لو ولّيت معاوية عهدك ، فقال : أَفْعلُ ، وناظر حسّان بن مالك بن بحدل الكلبي في أمره فشجّعه على البيعة له ، فأحضر الناس وأعلمهم أنّه قد ولّاه الخلافة بعده ، فبايع له ابن بحدل والناس ، فلما مات يزيد بحُوّارين بويع لمعاوية بالخلافة وهو كاره ؛ وكان سبب موت يزيد أنّه ركض فرساً فسقط عنه وأنّه أصابه قُطْع ، ويقال انّ عنقه اندقّت .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثني وهب بن جرير حدثنا أبي أنّ يزيد بن معاوية كان استخلف معاويةَ بن يزيد فولي شهرين أو اربعين ليلة ثم مات ، فلما حضرته الوفاة قيل له لو استخلفتَ فقال : كفيتُها حياتي

وأتضمنّها بعد موتي ؟ فأبى ؛ قال : وكان فتى لابأس به ، ومات وله تسع عشرة سنة .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : كان معاوية بن يزيد كارهاً للخلافة ، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن بكنية جدّه ، ومات ابن ثلاث وعشرين ، ودُفن في مقبرة باب الصغير بدمشق .

حدثني محمد بن يزيد الرفاعي حدثني عمّي كَثير بن محمد عن ابن عَيّاش الهمداني عن أبي أسماء السَكْسَكي قال: كان معاوية بن يزيد يُظهر التأله ، وكان ضعيفاً في أمر دنياه فكُني أبا ليلى ، فلما أفضى الأمر إليه قام خطيباً فقال : أيّها الناس إن يكنْ هذا الأمر خيراً فقد استكثر منه آل أبي سفيان ، وإن يكن شرّاً فما أولاهم بتركه ، والله ما أحبّ أن أذهبَ إلى الآخرة وأدع لهم الدنيا ، ألا فليصلِّ بكم حسّان بن مالك ، وتشاوروا في أمركم ، عَزَم الله لكم على الرشد والخيرة في قَضائه ؛ ثم نزل فأغلق بابه وتمارض فلم يَنظر في شيء حتى مات ، وصلّى حسّان بالناس وهم منكرون لأمرهم حتى ولّى ابن الزبير الضحّاك بن قيس فبايعوه له ، وأتى حسّان أوّلَ حَدِّ الأُردنّ فأقام هناك .

وحدثني هشام بن عمّار عن الوليد بن مسلم قال : دخل مروان بن الحكم على معاوية بن يزيد فقال له : لقد أعطيتَ من نفسك ما يُعطي الذليل المَهين ، ثم رفع صوته فقال : من أراد أن ينظر في خالفةِ آل حرب بن أميّة فلينظر إلى هذا ، فقال له معاوية : يا بن الزرقاء اخْرجْ عنّي لا قبل الله لك عُذراً يوم تلقاه .

وحدثني محمد بن مُصَفّى الحمصي قال : سمعت مشايخ من مشايخنا يقولون : إنّ معاوية بن يزيد بن معاوية قَبِلَ البيعة وهو لها كارهٌ ، فلما مات أبوه أُنْفذت كتب بيعته إلى الآفاق فلم يرجع الجواب حتى مات ، وكان فتىً صالحاً كثير الفكر في أمر مَعادِه .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال : ولّى يزيد بن معاوية معاوية بن يزيد ابنه الخلافة بعده وكان كارهاً لها ، فلما مات أبوه خطب الناس فقال : إن كانت الخلافة خيراً فقد استكثر آل أبي سفيان منه ، وإن كان شرّاً فلا حاجة لنا فيه ، فاختاروا لأنفسكم إماماً تبايعونه هو أحرص على هذا الأمر منّي واخلعوني فأنتم في حِلّ من بيعتي ، فقالت له أمّه أمّ هاشم : لوددتُ يا بُنَيَّ أنّك كنتَ نَسْياً مَنْسِياً وأنّك لم تَضْعف هذا الضَعْف ، فقال : وددتُ والله أني كنتُ نِسْياً مَنْسِياً ولم أسمع بذكر جهنّم ، فلما احُتضر قيل له : لو بايعت لأخيك خالد بن يزيد فإنّه أخوك لأبيك وأمّك ، فقال : يا سبحان الله كفيتها حياتي وأتقلّدها بعد موتي ؟! يا حسّان بن مالك اضبط ما قبلك وصلِّ بالناس إلى أن يرضى المسلمون بإمام يجتمعون عليه .

وحدثني هشام بن عمّار حدثني اسماعيل بن عَيّاش عن عبدالله بن دينار عن مولى لمعاوية بنحوه وزاد فيه : فلما مات معاوية مال أكثر الناس إلى ابن الزبير وقالوا : هو رجلٌ كاملُ السِنّ ، وقد نصر أمير المؤمنين عثمان ، وهو ابن حَواريّ رسول الله ﷺ ، وأمّه بنت أبي بكر بن أبي قُحافة ، وله فضل في نفسه ليس كغيره ؛ فما هو إلاّ أن ورد كتاب ابن الزبير بتولية الضحّاك بن قيس دمشقَ حتى سارعوا إلى طاعة ابن الزبير وبيعته ، فأخذها الضحّاك له

عليهم ، وانخزل ابن بحدل إلى فلسطين فأقام بها ينتظر ما يكون ، وهو في ذلك يدعو إلى خالد بن يزيد ويذكره ، وكانت فلسطين والأردنّ في يده من قبل يزيد بن معاوية ، ثم بقي عليهما وعُمّاله فيهما .

قال المدائني : كان اسم أمّ معاوية وخالد ابْنَي يزيد فاختة ، وكُنيت أمّ هاشم ثم كناها يزيد أمّ خالد بخالدٍ ابنها ولُقّبت حَبّةً .



وأما خالد بن يزيد بن معاوية :

ويُكنى أبا هاشم : فكان شاعراً ينظر في الكيمياء والنجوم وغيرهما من العلوم ، وكان طويل الصمت فقال مولى له : أرى الناس يخوضون فيما أنت أعلم به منهم وأنت ساكت ، فقال : ويحك إنّي عُنِيت بطلب الأحاديث والعلم وصَحّحتُ ذلك فأخاف إن نشرتُ ذلك أن يحفظوه ، فقال : جُعلتُ فداك يكفيكَهم الله بالبلغم . وتزوّج ابنةَ عبدالله بن جعفر فقال فيها :

مَنافِيَّةٌ غَرّاءُ جادتْ بِودِّها ... لِعَبْدِ منافيٍّ أغرَّ مُشَهَّرِ
مُطَهَّرةٌ بينَ النبيِّ مُحمَّدٍ ... وبينَ الشهيدِ ذي الجناحينْ جَعْفرِ

وقال عبد الله بن جعفر ما صنع في قوله «لعَبْد» شيئاً ، لو كان قال «لِقَرْمٍ مَنافيٍّ» .

وأنشدني بعض الحجازّيين لخالد في ابنة عبدالله بن جعفر :

أَتَتْنَا بها دُهْم البغالِ وشُهْبُها ... عَفيفةِ أَخلاقٍ كريمةِ عُنصرِ
مُقابَلَةٍ بينَ النَبيِّ مُحمَّدٍ ... وبينَ عليٍّ ذي الفَخار وجَعْفَر
مَنافِيَّةٍ جادَتْ بخالِصِ وُدِّها ... لِعَبْدِ مَنافيٍّ أغرَّ مُشَهَّرِ

وقد قيل: إنّه لم يتزوّجها وأنّ هذا الشعر معمول.

وتزوّج أيضاً رَمْلَة بنت الزبير بن العوّام فقال:

أُحبُّ بني العوّامِ طُرّاً لِحُبِّها ... ومِنْ حُبِّها أَحْببتُ أَخوالَها كَلْبا

ولا تُكْثِروا فيها الضِجاجَ فإنَّني ... تَنَخَّلتُها عَمْداً زُبَيْرِيَّةً قَلْبا

فإنْ تُسْلمي نُسْلِم وإنْ تتنصَّري ... يَخُطّ رِجالٌ بين أَعيُنِهِمْ صُلْبا

تَجولُ خَلاخيلُ النساءِ ولا أرى ... لِرِمْلَةَ خَلْخالاً يجولُ ولا قُلْبا

وحدثني عمر بن بُكير عن أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي عن عوانة قال: كان خالد بن يزيد بن معاوية قد حجّ في السنة التي قَتل فيها الحجّاجُ عبدَالله بن الزبير فخطب رملة بنت الزبير، فبلغ ذلك الحجّاجَ فأرسل إليه حاجبه وقال: قُلْ له ماكنت أَراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني، ولاكنت أراك تخطب إليهم وليسوا لك بأكفاءٍ وقد قاتلوا أباك على الخلافة ورموه بكلّ قبيح، فلما بلّغه الرسالة نظر إليه خالد طويلاً ثم قال: لو كانت الرسل تُعاقَب لقَطّعتُك آراباً ثم أَلْقيتك على باب صاحبك، قل له: ما كنت أظنّ أنّ الأمر بلغ بك إلى أن تؤهّل نفسك لأن أشاورك في مناكحة قريش، قلتَ ليس القوم لك بأكفاء، فقاتلك الله يابن أمّ الحجّاج تزوّج رسول الله ﷺ خديجة ابنة خُوَيْلِد، وتزوّج العوّام صَفيّة بنت عبد المطّلب ولاتراهم أكفاءً لآل أبي سفيان وبني أميّة؟ وأمّا قولك: قاتلوا أباك على الخلافة ورموه بكلّ قبيح، فهي قريش تقارع بعضُها بعضاً حتى إذا أَقَرّ الله الأمرَ مَقَرّه عادت إلى احلامها وفضلها، فرجع إليه رسوله فأدّى إليه قوله؛ فتزوّج خالد رملة وهي أخت مصعب بن الزبير لأبيه وأمه؛ أمّهما

الرَباب الكلبيّة، وهي ابنة أُنَيْف بن عُبيد بن مَصاد بن كعب بن عُليم بن جناب، وكانت قبله عند عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام.

قال أبو اليقظان: تزوّجها خالد بعد عثمان بن عبد الله بن حكيم وقال:

لمّا رَأَيتُ العِتْقَ فيها مُبيَّناً تَنَخَّلْتُهـا منهمْ زُبَيْرِيَّـةً قَلْبا

ويروى:

تَخَيَّرْتُها من سرِّ قَومٍ كريمَةً مُـوَسَّطَةً فيهمْ زُبَيْـرِيَّةً قلبـا

قالوا: وكانت معروفةً بالجزَالة والعقل والفضل. وقال شديد بن شَدّاد أحد بني عامر بن لُؤي:

لا يَسْتَوي الحَبْلانِ حَبْلٌ تَنقَّضَتْ قُواهُ وحبلٌ قد أُمِرَّ شديدُ

عليكَ أَميرَ المُؤمنينَ بخالـدٍ ففي خالدٍ عمّا تُريدُ صدودُ

إذا ما نظرنا في مناكِحِ خالِدٍ عَرَفْنا الذي يَهْوى وأَيْنَ يُريدُ[١]

قالوا: وقال الأُسوار بن يزيد لخالد: والله لقد هممتُ اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك، فقال له: بئس ماهممتَ به، ابنُ أمير المؤمنين ووليُّ عهد المسلمين، قال:إنّه لقي خيلاً لي فنفّرها وتلعّب بها، فأتى خالد عبدَ الملك فأخبره بما شكا إليه أخوه، فرفع رأسه وهو يضحك ثم قال: ﴿إنَّ المُلُوكَ إذا دَخلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُو أَعِزَّةَ أَهلِها أَذِلَّةً وكَذلِكَ يَفْعَلُون﴾[٢] فقال خالد ﴿وَإذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ

١ ـ بالأصل: «تريد».

٢ ـ سورة النمل ـ الآية: ٣٤ .

﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾[1] فقال عبد الملك: أَتكلّمني فيه وهو لحّان وقد أَعْياكم تقويم لسانه، فقال: أعيانا منه ماأعياك من الوليد، فقال عبد الملك: إن يكن لحّاناً فأخوه سليمان فصيح، قال خالد: وإن يكن عبد الله لحّاناً فأخوه خالد غير لحّان، فقال الوليد لخالد: أَتتكلّم ولستَ في عِيرٍ ولانَفيرٍ، فقال خالد: أَلا تسمع ياأمير المؤمنين مايقول؟ أنا والله ابنُ العِيرِ والنَّفيرِ، سيّد العِيرِ جدّي أبو سفيان، وسيد النفير جدّي عُتْبة بن ربيعة، ولكن لو ذكرتَ حُبَيْلاتٍ وغُنَيْماتٍ بالطائف لصدقتَ، فرحم الله عثمان. ثم نهى عبد الملك الوليدَ عن التعَبّث بعبد الله بن يزيد.

وقال المدائني: دخل الوليد حائطاً لعبد الله بن يزيد الأُسوار فشكا ذلك إلى أخيه وجرى هذا القول بسببه ولم يذكر خيلاً وقال: الذي قال لستَ في عِيرٍ ولانَفيرٍ رجلٌ من بني الحكم، قال ذلك لأبي القاسم بن أبي سفيان بن خالد بن يزيد في عسكر هشام، فأجابه أبو القاسم بجواب أغلظ له، فطرده هشام عن عسكره.

وقال خالد لبعض قريش: لقد رَضيتَ بالقليل لِدَناءتك، فقال: أَدْنى منّي من نِيكَتْ أُمُّه وسُلب خلافَته وفُرِّغ لعمل الكيمياء الذي لايُدْرِك منه شيئاً.

وكان خالد يتعصّب لأخوال ابيه من كلب ويُعينهم على قيس في حرب قيس وكلب، فقال شاعر قيس:

---

١ ـ سورة الإسراء ـ الآية: ١٦ .

ياخالِدَ بنَ أَبي سفيانَ قد قَرِحَتْ   منّا القلوبُ وضاق السهلُ والجَبَلُ
أَأَنْتَ تَأْمُرُ كَلْباً أَنْ تُقَتّلَنا   جَهْلاً وتَمْنَعُهُمْ منّا إذا قُتِلوا
ها إنَّ ذا لا يُقِرُّ الطَيْرَ ساكِنَةً   ولا تكفكف مِن نَكْرَائِهِ الإِبِلُ

وتزوَج مروان بن الحكم أمّ خالد بن يزيد، فدخل عليه يوماً فأراد أن يضَع منه فقال: يابن الرَطْبَة فقال: أمينٌ مُخْتَبِرٌ، لولا حُمْقها ماقلتَ لها هذا، فأتى أُمَّه فأخبرها، فَغَمّته وجواريها وهو نائم بمِرفَقة فمات، ويقال بل سقته شربةَ لبنٍ مسموم فقتلته.

وقال خالد بن يزيد:

أَرى زَمَنــاً ثَعـالِبُـــهُ قِيـــامٌ   على الأشْرافِ تَخْطِرُ كَالأسودِ
وكان الثعلبُ الضَبّاحُ يرضَى   بما يَرِثُ الكلابُ منَ الصيود

وقال خالد:

سَرَحْتُ سَفاهَتي وأَرَحْتُ حِلْمي   وفِيَّ عـلى تَحَلُّمِيَ اعـتِرَاضُ
على أَنّي أُجيبُ إذا دعتني   إلى حاجاتِها الحَدَقُ المِراضُ

وكان خالد على حمص فبنى مسجدَها، وكان له أربعمائة عبد يعملون في المسجد، فلما فرغوا من بنائه أعتقهم، وهو صلَّى على أخيه أبي ليلى، ويقال الوليد بن عتبة.

وحضر خالد مع عبد الملك بن مروان أَمْرَ زفر بن الحارث الكلابي بقرقيسيا[1].

١ ـ هي البصيرة (البوسرايا) في سورية حيث يلتقي الخابور بالفرات.

وكان خالد قصيراً فلما خطب رَمْلَة استقصروه فبلغه ذلك، فجمع قوماً قصاراً ومشى معهم ولبس قلنسوة فرضيت به.

ومات خالد في أيّام عبد الملك بن مروان.

قال المدائني: كان أبو بكر بن حنظلة العنزي منقطعاً إلى خالد بن يزيد فجفاه فقال:

بدا لِيَ ما لم أَخْشَ منكَ ورابني ... صُدودٌ وطَرْفٌ مِنْكَ دونِيَ خاشِعُ

وما ذاكَ مِنْ شيءٍ سوى أَنَّ أَلْسُناً ... عَلَيَّ فَرَتْ ذَنْباً وهُنَّ سَوابِعُ[1]

أَبا هاشِمٍ لا ضارِعٌ إنْ جَفَوْتَني ... ولا مُسْتَكِينٌ لِلَّذي أَنْتَ صانِعُ

ولكِنَّ إعراضاً جَميلاً وعِفَّةً ... وبَيْناً سَلِيباً عنكَ والبينُ فاجِعُ

قال: وفاخر معاوية [بن] مروان بن الحكم، وكان مائقاً، خالدَ بن يزيد، فقال سالم بن وابصة:

إذا افْتَخَرَتْ يوماً أُمَيَّةُ أَطْرَقَت ... قُرَيْشٌ وقالوا مَعْدِنُ الفَضْلِ والكَرَمْ

فإنْ قيلَ هاتوا خَيْرَكُم أَطْبَقوا مَعاً ... على أَنَّ خيرَ الناسِ كُلِّهِمُ الحَكَمْ

أَلَسْتُمْ بني مَرْوانَ غَيْثَ بلادِنا ... إذا السَنَةُ الشَهْباءُ سَدَّتْ على الكَظَمْ

وقال خالد بن يزيد:

دَعوا الحُكْمَ ليس الحُكْمُ فيكُمْ بني استِها ... ولكِنَّهُ في الغُرِّ مِنْ آلِ غالِبِ[2]

بني مُرَّةَ الأثرون كانت إليهمُ ... تُساقُ حُكوماتُ الكِرامِ المَناجِبِ

---

١ - بهامش الأصل: «ضوالع».

٢ - أي غالب بن فهر.

وكانت عند خالد بن يزيد آمنة بنت سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن اميّة فولدت له سعيداً.

وكان له ابن يقال له يزيد لأمّ ولد وكان سخيّاً وفيه يقول الشاعر وهو موسى شَهَوات، مولى بني سَهْم، ويقال مولى بني تَيْم، ويقال مولى بني عَديّ، ويقال غيره:

ثُمَّ صَوِّتْ إذا دَخَلْتَ دِمَشْقاً … يا يَزيدُ بنَ خالِدِ بن يزيدِ
يا يزيدُ بنَ خالدٍ إنْ تُجِبْني … يَلْقَني طائِري بِسَعْدِ السُعودِ
كُنْتُ أَرْجو نَداكَ والشامُ دُوني … كرجاءِ الأسيرِ فَكَّ القُيودِ
ثُمَّ لَمْ يُخْلِفِ الرجاءَ ولكِنْ … زاد فَوْقَ الرجَاءِ كُلَّ مَزيدِ

وليزيد هذا عقب بالشام.

وفي آمنة بنت سعيد، وأمّها أمّ عمرو بنت عثمان بن عفّان، وأمّها رملة بنت شَيْبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول خالد بن يزيد:

كعابٌ أبوها ذو العِمامَةِ وابْنُهُ … وعثمان ما أَكْفاؤُها بِكَثيرِ
فإنْ تَسْتَفِدْها والخِلافَةَ تَنْقَلِبْ … بِأَفْضَلِ عِلْقَيْ مِنْبَرٍ وسَريرِ

وفيها يقول وطلّقها:

وَلَّيْتُ آمِنَةَ الطلاقَ كريمَةً … عِنْدي ولم يَكْبُرْ عليَّ طَلاقُها
ولأَقْطَعَنَّ حبالَ أُخرى بَعْدَها … يَوْماً إذا لم تَسْتَقِم أَخْلاقُها

وقال المدائني: قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشام غازياً فدخل على عمّته آمنة امرأةِ خالد فقال خالد: مايقدم أحد من الحجاز إلا اختار المُقام عندنا على المدينة، فقال محمد: ومايمنعهم وقد قدموا من المدينة

على النواضح فنكحوا أمّك وسلبوك مُلكك وفرّغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب، وطلب ما لايُقْدَرُ عليه، يعني الكيمياء.

وكان لخالد أيضاً ابن يقال له حرب بن خالد وكان ذا قدر ونُبْل وله عقب بالشام، وأمّه أمّ ولد، ففيه يقول داود بن سَلْم ونزل به، فبدر غلمانه إلى راحلته فحطّوا عنها، وأكرمه وأجازه بجائزة سنيّة، ثم استأذنه في الانصراف فأذن له، وأمر له بألف دينار، ولم يقم غِلْمانه معه ولم يعاونوه حين أراد الرحيل كما فعلوا حين نزل، وقالوا: إنّا نُكرم مَن نزل بنا نُعينه ونخدمه سُروراً به، ولانفعل ذلك بمَن رحل عنّا، وفي حرب يقول داود:

وَلَمّا دَفَعْتُ لأبْوابهمْ ولاقَيْتُ حرباً لقيتُ النجاحا

وَجَدْناهُ يَحْمَدُهُ المُعْتَفونَ ويأبى على العُسْرِ إلا سماحا

فحدّث داودُ الغاضريَّ بالمدينة بحديثه وقولِ غلمانه وأنشده شعره، فقال: أنا لِزَنْيَةٍ إن لم يكن فعلُ غلمانه خيراً من شعرك فيه.

وأنشد حمّاد الراوية لخالد بن يزيد:

قَصْرُ الجديدِ بِلى وقَصْرُ العَيْش في الدُّنْيا انْقِطاعُهْ

مَن نال في الدُّنْيا مَتاعاً ثُمَّ طال بِهِ مَتاعُهْ؟

أَمْ أَيُّ مُنْتَفِعٍ بِشَيْءٍ ثُمَّ دامَ به انْتِفاعُهْ؟

أَمْ أَيُّ شَعْبٍ ذي الْتِئامٍ لم يُشَتِّتْهُ انْصِداعُهْ

والأوّلُ الماضي الذي حَقٌّ على الباقي اتِّباعُهْ

قد قال في أمثالِهِ: «يَكْفيكَ مِن شَرٍّ سَماعُهْ»

واما عبد الله الأُسوار بن يزيد بن معاوية :

فكان فارساً صاحب خيل ، فتزوّج أُمَّ عثمان بنت سعيد بن العاص ، فولدت له أبا سفيان وأبا عتبة ، وهي أمّ سعيد ورملة ابني خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، فقيل لسعيد بن خالد اخطُب أُمَّه أمَّ كلثوم بنت عبدالله بن عامر لتُذلّه كما أذلّك ، فخطبها وهي بادية في قبّة من نمور اشترت جلالها بألف دينار ، فقال لها وهو غلام : أحبّ أن تزوّجيني نفسك ، وكانت يومئذ عجوزاً كبيرة قد قيّدت أسنانها بالذهب فقالت : مرحباً بك يابن أخي لو كنتُ متزوّجة أحداً من قريش لتزوّجتُك ، إنّ أمّك امرأة شابّة وأنا عجوز مُسِنّة ، وأراهم قالوا لك : تزوّج أمّه كما تزوّج أُمَّك ، فانطلق يابنَ أخي في حِفْظ الله وستره ، فقام مثبوراً .

وقال مدرك بن حِصْن الأسدي يهجو عبد الله الأُسْوار :

قَبَحَ الإلهُ ولا أُقَبِّحُ غَيْرَهُ ... نَسَباً أمُتُّ به إلى الأُسْوارِ
المُوكِلي حَيّيْ فزارَةَ بَعْدَ ما ... أكَلَتْ فزارَةُ أيْرَ كُلِّ حِمارِ
إنّا لَنَعْلَمُ يا سَخينَةُ أنَّكُمْ ... بُطُنُ العَشيِّ مباشِمُ الأسْحارِ

وكان من ولد الأسْوار أبو محمد بن عبد الله السفياني الذي قُتل بالمدينة وكان مستخفيا بقُبَاء.

وأما عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية: فكان ناسكاً متألّهاً، أتاه رجلٌ ضرير بمكة ليسأله فقال لقَيّمه: أَعْطِهِ ما عندك، وكان عنده ثمانية آلاف درهم، فقال له القيّم: هذا يكتفي منك بأقلّ مما عندنا، أَفأُعطيه بعضه؟ فقال: إنّي أكره أن يفضُل قولي فعلي، فأعطاه ثمانية آلاف درهم.

وقال عبد الله بن المبارك، قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل من إخوانه كان يجالسه: أترضى حالك هذه للموت؟ قال: لا، قال: فهل أنت مُجْمع على الانتقال إلى حال ترضاها للموت؟ قال: ماسَخَتْ نفسي بذلك بَعْدُ، قال: ويحك، فهل بعد الموت دار فيها مُعْتَمَل؟ قال: لا، قال: فهل تأمن أن يأتيك الموت على حالك هذه؟ قال: لا، فقال: مارأيتُ مثل هذه الحال رضي بها عاقل، فاتّق الله ياأخي واعمل قبل أن تندم.

واما عمر بن يزيد: فحدثني ابو الحسن المدائني عن مَسْلَمة بن محارب أنّه أصابته صاعقة فهلك، ويقال رعدت السماء رعدة شديدة فمات خوفاً، فقال ابن همّام:

عُمَـرَ الخَيرِ يـا شَبيهَ أَبيـهِ ... أنت لو عِشْتَ قد خَلَفْتَ يزيدا
سُلِّطَ الحَتْفُ في الغَمامِ عليهِ ... فتلقَّى الغَمامُ روحاً سَعيدا
أيُّها الراكِبانِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ ... بَلِّغا الشامَ أَهْلَهـا والجُنودا
أنَّ خير الفِتْيانِ أَصْبَحَ في لَحْـ ... ـدٍ وأَمْسَى مِنَ الكرامِ فقيدا

وأما أبو بكر بن يزيد بن معاوية :

فإنّ خالد بن يزيد هجاه فقال :

سَمينُ البغلِ مِن مالِ اليَتامَى   رَخِيُّ البالِ مَهْزولُ الصديقِ

وقال خالد في أبي بكر :

فقَدِّمْ أبا بَكْرٍ لكُلِّ عظيمةٍ   وقَدِّم أبا جَهْلٍ لِلَقْمِ الثَرائِدِ

أبو جهل حرب بن عبدالله بن يزيد بن معاوية ، ويقال هو عبدالله بن سليمان بن يزيد بن معاوية ، والثْبت أنّه ابن سليمان بن عُتبة بن يزيد بن معاوية .

وأبو بكر الذي يقول :

وإذا العبدُ أغْلقَ البابَ دوني   لم يُحرِّم عليَّ مَتْنَ الطريقِ

وقال المدائني : كان أبو بكر بن يزيد ذا نيقة في الطعام وكان صاحب تنعُّم ، فمرّ بقرية لعبّاد بن زياد بن أبي سفيان بالشام ومعه رجل من تَيْم الله بن ثَعْلبة بن عُكابة ، وكانت القرية تُدْعى تَنْهَج[1] فلم يقْرُوهم فقال التيمي :

بِتَنْهَجَ لَيْلَةٌ طالَتْ علينا   وأَخْلَفَنا المَواعِدُ والعَشاءُ

نُناديهِمْ لِيَقْرونا فقالوا :   سَنَقْريكُمْ إذا خرجَ العَطاءُ

ودون عَطائِهِمْ شهرا رَبيعٍ   ونحن نَسيرُ إنْ مَتَعَ الضُحاءُ

أُنادي خالِداً والبابُ دوني   وكيف يُجيبُكَ البَرَمُ العَياءُ

---

١ ـ تنهج : قرية بها حصن من مشارف البلقاء من أرض دمشق . معجم البلدان .

ويقال : إنّ الأبيات لأبي بكر نَحَلَها التَّيْمي ، فأجاب خالد بن عبّاد على الشعر على أنّه للتَّيْميّ فقال :

وما عَلِمَ الكِرامُ بِجوعِ كلبٍ عَوَى والكَلبُ عادتُهُ العُواءُ
وتَيْمُ اللاتِ لا تُرْجَى لِخَيْرٍ وتَيْمُ اللاتِ تفْضُلُها النِساءُ

وأمّا عُتْبَة بن يزيد : فله عقب بالشام .

وكذلك يزيد بن يزيد وعقُبه بالبصرة .

وكانت عند عثمان بن يزيد كاملة بنت زياد الكلبيّة ، وبعضهم يقول : هي ابنة زياد بن أبي سفيان .

وولد محمد بن يزيد : محمد بن محمد لأمّ ولد .

ولد زياد بن أبي سفيان

ولد زيادٌ : عبدَ الرحمن ، والمغيرة وبه كان يكنى زيادٌ ، ومحمداً ، وأبا سفيان ، أمّهم معاذة عُقَيْليّةٌ من بني خَفاجة ؛ وسَلْم بن زياد ، لأمّ ولد ؛ وعثمانَ ، وعَبّاداً ، والربيع ، وأبا عُبَيْدة ، ويزيد ، لأمّهات أولاد شتّى ؛ وعَنْبسة ، وأمّ معاوية ، أمّهما بنت عثمان بن أبي العاص الثَقَفي ؛ وعمراً ، امّه بنت القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة ؛ والغُصن ، وعُتبة بن زياد ، وأبان بن زياد ، وجَعْفر بن زياد ، وإبراهيم ، وسعيداً ، لأمّهات أولاد ؛ وبناتٍ منهنّ أمّ حبيب ، أمّها خُزاعِيّةٌ ، ورَمْلَة ، ورَيْطة ، وصَخْرة ؛ وأم أبان ، أمّها لُبابة بنت أوفى الحَرَشي ؛ وجُويْرية ؛ وعبدالله ، وعبيدالله ، أمّهما مَرْجانة أمّ ولد .

فأمّا جوَيْرية فكانت عند عبد الرحمن بن عبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب ؛ وأمّا أمّ أبان فكانت عند عبيد الله بن عبيد الله بن مَعْمَر التيمي من قريش ؛ وأمّا صَخْرَة فكانت عند عبيد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ وأمّا رَمْلة فكانت عند اميّة بن عبدالله بن

خالد بن أُسيد ؛ وأمّا رَيْطة فكانت عند رَوّاد بن أبي بَكْرة ، وأمّا أمّ حَبيب فكانت عند أبي الصَهْباء بن عامر .

وأمّا عبد الرحمن بن زياد فكان يكنى أبا خالد ولّاه معاوية خراسان فأصاب مالاً فقال : أعيش مائة سنة وأُنفق كلّ يوم ألف درهم ، ثم قدم البصرة فأتلف ذلك المال قبل موته ، ومات بالبصرة وله عقب بها ، وكانت عنده فاختة بنت عُتْبة بن أبي سفيان .

وأمّا المغيرة بن زياد فلا عقب له ؛ وأمّا محمد فكانت عنده صَفيّة بنت معاوية ولا عقب له ؛ وأمّا أبو سفيان فكانت عنده بنت حكيم بن قيس بن عاصم فهرب من الطاعون الجارف إلى البادية ، فطُعن بالبادية فمات وله عقب بالبصرة .

وأمّا سَلْم فيكنّى أبا حرب وكان أجود بني زياد ، وولي خراسان ليزيد بن معاوية وفيه يقول زياد الأَعجم :

إلى سَلْمٍ أبي حَرْبِ ٱبنِ حَرْبٍ غَدَتْ سَفْواءُ مِنْ فُرْهِ البِغالِ
فما عَدَلَت يَمينَكَ مِنْ يَمينٍ ولا عَدَلَتْ شِمالَكَ من شِمالِ[1]

وفيه يقول ابن عَرادَة السَعْدي :

يَقولونَ ٱعْتَذر مِنْ حُبّ سَلْمٍ إذاً لا يَقْبَلُ الله ٱعتذاري
تَخَيـرتُ المُلوكَ فحَلَّ رَحْـلي إلى سَلْمٍ ولَمْ يُخبِ ٱختياري

ولم يزل بخراسان حتى مات يزيد فقدم البصرة ، ثم أتى ابنَ الزبير وقد ظهر بمكة فحبسه وأَغْرمه أربعة آلاف ألف درهم فاحتال لصاحب سجن ابن

---

١ - شعر زياد الأعجم - ط . دمشق ١٩٨٣ ص ١٦٠ .

الزبير حتى أخرجه أيّام قِدم الحجّاج مكة ، فلحق بعبد الملك بن مروان ، فكتب له عهده على خراسان فقدم البصرة فمات بها وله بها عقب .

وأمّا عبّاد بن زياد ، ويكنى أيضاً أبا حرب ، فولاّه معاوية سِجستان ، ويقال ولاّه إيّاها أخوه ، وكان منزله بالشام ، وكان صاحب خيل يسابق عليها ، فقال الراجز :

سَبَقَ عَبّـادٌ وصَـلّى وثَلَثْ بأَعْوَجِيّـاتٍ قَليلاتِ اللبَثْ[1]

وفيه يقول الأخطل :

وما أَرْضُ عَبّادٍ إذا ما أَتَيْتَها بِحَزْنٍ ولا أَعْطانُها بِجُدوبِ
رَبيعٌ لِهُلاّكِ البِلادِ إذا ارْتَمَتْ رياحُ الثُرَّيا من صبَاً وجَنوب
حباني بِطِرْفٍ أَعْوَجيٍّ وقَيْنةٍ مِنَ البَرْبريّات الحِسانِ لَعوبِ
إلَيْـهِ أشارَ النـاظِرونَ كـأَنَّهُ هِلالٌ بدا لِلناس بَعْدَ غُيوبِ
ولولا أَبو حَرْبٍ وفَيْضٌ بِحارِهِ علينا رَمانا دَهْرُنـا بِخُطوبِ
كريمُ مُناخِ القومِ لا عاتِمُ القِرَى ولا عند أَطْرافِ القنا بِهَيوبِ[2]

في أبيات ؛ وقال الأخطل أيضاً :

إلى فتىً لا تَخَطّاهُ الرفاقُ ولا جَذْبِ الخِوانِ إذا ما آسْتُحْسِنَ المَرَقُ
مُوطَّأُ البيتِ محمـودُ شَمائلُهُ عندَ الحَمالَةِ لا كَزُّ ولا عَوِقُ[3]

---

١ ـ الرجز ليزيد بن مفرغ الحميري ، ولم يرد في ديوانه المطبوع .
٢ ـ ديوان الأخطل ص ٤٧ ـ ٤٨ مع فوارق .
٣ ـ ديوان الأخطل ص ٢١٤ ـ ٢١٥ مع فوارق .

وله عقب بالشام والبصرة ، ومات سنة مائة بجَرُود[1] ، وكان صديقاً لعليّ بن عبدالله بن عبّاس ، وهو كلّم الوليد فيه حين ضربه وأقامه في الشمس .

وأمّا الربيع بن زياد فكان أعْرج وكانت عنده تاجة بنت القَعْقاع بن شَوْر الذُهْلي وله عقب بالبصرة قليل .

وأمّا أبو عُبَيْدة فولّاه سَلْم بن زياد كابُلَ وأُسر ففداه بسبعمائة ألف درهم ، وله عقب بالبصرة .

وأمّا يزيد بن زياد ، فإنّ سَلْماً ولّاه سجستان ، فقتله العدوّ ولا عقب له .

فأمّا الغُصن فمات وهو غلام لا عقب له .

وأمّا عمرو فهلك وهو غلام ، ولا عقب له .

أمّا عُتْبة فله عقب بالبصرة .

وأمّا أَبان فلا عقب له .

فأمّا جعفر فكان من أشدّ الناس ولا عقب له .

وأمّا إبراهيم بن زياد فقُتل مع ابن الأشعث ولا عقب له .

وأمّا سعيد بن زياد فله عقب .

وأمّا عبدالله فله عقب قليل بالبصرة .

---

١ - جرود : بلدة في القلمون تتبع منطقة القطيفة وتبعد عنها ٢٠ كم وهي من نواحي محافظة ريف دمشق ، وهي بلدة قديمة تعود إلى العصر الآرامي . المعجم الجغرافي للقطر السوري .

وأما عبيد الله بن زياد:

فكان يكنى أبا حفص، وكان جميلاً أُرقَط، ولّاه معاوية خراسان، ثم ولي بعد أبيه البصرة، وولّاه الكوفة بعد ابن أمّ الحَكَم، وهو قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، وقد كتبنا خبره وخبر الحسن في أخبار آل أبي طالب؛ وأخرجه أهل البصرة حين مات يزيد فصار إلى الشأم، ثم قُتل بالخازِرِ وهو نهر بالموصل بالقرب من الزاب، فقال فيه ابن مُفرّغ الحِميري:

إن الذي عاشَ خَتّاراً بِذمتِه ومات عَبْداً قَتيلُ الله بِالزابِ[1]

وكان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مُفَرّغ الحِميري صديقاً لسعيد بن عثمان بن عفّان فسأله أن يخرج معه إلى خراسان حين ولّاه إيّاها معاوية فلم يفعل، وصحب عَبّاد بن زياد، وقد ولي سِجِسْتان، فجفاه ولم يَرَ منه

---

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ٨١.

ما يحبّ فهجاه ، فأمر عَبّاد غُرماءَه أنْ يَسْتعدوا عليه ففعلوا فباع غلاماً له يقال له بُرْد كان ربّاه وجارية له يقال لها أراكة وقضى غرماءه ثمنها وقال :

لَهْفي على الأمرِ الذي كانَتْ عَواقِبُهُ نَدامَة
تَرْكي سَعيداً ذا النَدَى والبَيْتُ يُعْمدُ بالدعامَةْ
وصَحِبتُ عبدَ بَني عِلاجٍ تلكَ أشراطُ القِيامَةْ
وشريْتُ بُرْداً لَيْتَني مِن بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هامَهْ
[يا]هَامةً تَدعو الصَدَى بَيْنَ المُشقَّر واليَمامَةْ[1]

ثم هرب فكتب عَبّاد الى عبيدالله اخيه بهجاء ابن المُفرّغ ، فألفاه الكتاب وهو عند معاوية وافداً عليه ، فاستأذن معاويةَ في قتله فقال:لا ولكن ما دون القتل ، فأتى ابن مُفَرّغ البصرة ، فاستخفى عند المنذر بن الجارود العَبْدي ، وكانت ابنته عند عبيدالله بن زياد ، فلما قدم عبيدالله البصرة طلب يزيدَ بن المُفَرّغ وجعل يستدل عليه حتى قيل له هو عند المنذر ، فبعث إلى المنذر مَنْ أتاه به والمنذر لا يعلم، فكّلمه المنذر فيه فلم يُجِبْه ابن زياد، وأخذ ابن المُفَرّغ فقيَّده وحبسه ، ثم دعا به فحُمل على جمل عَوْد[2] ، ويقال : على حمار ، وقرَن به خِنْزيرة وسقاه مُسهِلا وأمر أن يطاف به في الأسواف والمحالّ وجعلت الخنزيرة تصيح من شدة وثاقها فيقول ابن المُفَرّغ :

ضَجَّتْ سُمَيَّةُ لَمّا مَسَّها القَرَنُ

---

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ٢٠٩ ـ ٢١٤ وأضيفت (يا) في مطلع البيت الأخير اعتماداً على ما أورده محقق الديوان في الحواشي .

٢ ـ العود : المسن من الإبل . القاموس .

وأقبل يسلَح في ثيابه ، ويقال : إنّه ضربه مع هذا بالسياط ، ورآه رجل من الفرس فقال ابن شبست؟ فقال ابن مُفَرّغ : آب است نبيذ است، عُصارات زبيب است ، سُمَيَّة روسبي است ، وفي ذلك يقول :

يَغْسِلُ الماءُ ما صَنَعْتَ وشِعْري راسِخٌ في العِظام مِنْكَ البَوالي[1]

وذكر بعضهم : أنّ شعرا قيل في معاوية نُسب إلى ابن مُفَرّغ فاحتمل عليه غيظاً وهو :

ألا أبْلِغ مُعاويةَ بنَ حَرْبٍ مُغَلْغلةً مِنَ الرَّجُلِ اليَماني
أتَغْضَبُ أنْ يُقالَ أبوكَ عَفٌّ وتَرْضَى أنْ يُقالَ أبوكَ زانِ
فأُقْسِمُ أنَّ رِحْمَكَ مِنْ زِيادٍ كَرِحْمِ الفيلِ مِنْ وَلَدِ الأَتانِ[2]

وبعضهم يقول أنّ الشعر لابن قَتّة .

ثم إن وجوه أهل الشام كلّموا معاويةَ في أمر ابن مفرغ ، لليمانية ، وقالوا : شاعرنا وقد تعدّى عليه ابن زياد وفضحه ، وخرج طلحة الطَّلَحات في أمره إلى معاوية ، فكتب معاوية بإطلاقه ، فأطلقه ابن زياد وعاتبه فقال له ابن مُفَرّغ : إنّي أُحبّ أن أنزل كِرْمان لئَلاّ تُبْلغ عنّي شيئاً ، فكتب له إلى عامله على كِرْمان بصلة ، وأمره ان يُقْطِعه بها قطيعةً ففعل ، ولم يزل بكرمان حتى هرب ابن زياد إلى الشام من البصرة فقدم البصرة .

وحدثني أبو عَدْنان الأعْور عن أبي زيد الأنصاري قال : كتب عَبّاد بن زياد إلى أخيه عبيدالله بشعر لابن مفرغ يقول فيه :

---

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ١٨٨ .
٢ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

إذا أَوْدَى مُعاويَةُ ابْنُ حَرْبٍ ... فَبَشِّرْ شَعْبَ قَعْبِكَ بِآنْصِداعِ
شَهِدتُ بأَنَّ أُمَّكَ لَمْ تُباشِرْ ... أَبا سُفْيانَ واضِعَةَ القِناعِ
ولكِنْ كانَ أمرٌ فيهِ لَبْسٌ ... على وَجَلٍ شديدٍ وَآرتِياعِ[1]

فأنشده عبيدالله معاوية وكان قد وفد إليه ، واستأذنه في قتل ابن مفرغ ، فقال : أمّا القتل فلا ولكن أدِّبْه .

وقدم ابن مُفَرِّغ البصرة هارباً من عَبّاد بن زياد ، فاستجار الأحنف فقال : إنّي لا أُجير على ابن سُمَيّة ، فإن شئتَ كفيتُك شعراء بني تميم فقال : ذلك مالا أُبالي ألّا أُكفاه ، فأتى خالد بن عبدالله بن خالد بن أَسيد ، فوعده أن يكلّم فيه ابنَ زياد ، ووعده عمرو بن عبيدالله بن مَعْمَر مثل ذلك ، ثم أتى المنذر بن الجارود فأجاره ، وكانت ابنته بَحْرِيَّة عند ابن زياد ، فلما قدم عبيدالله البصرة دسّ إليه من أتاه به ، فسقاه دَواءً سلّحه في ثيابه وهو على حمار يُطاف به فقال ابن مفرغ :

تَركْتُ قُرَيْشاً أنْ أُجاوِرَ فيهِمُ ... وجاوَرْتُ عَبْدَ القيسِ أهلَ المُشَقَّرِ
أُناساً أَجاروني فكان جوارُهُمْ ... أَعاصِيرَ مِنْ فَسْوِ العِراقِ المبَذَّرِ
فأَصبحَ جاري نائماً مُتَبَسِّطاً ... ولا يَمْنَعُ الجيرانَ غيرُ المُشَمِّرِ[2]

وقال أيضاً :

أَصْبَحْتُ لا مِنْ بَني بَكْرٍ فتَنْصُرَني ... بَكْرُ العِراقِ ولَمْ تَغْضَبْ لَنا مُضَرُ
ولَمْ تُكَلِّمْ قُرَيْشٌ في حَليفِهِمُ ... إذْ غابَ ناصِرُهُ بِالشّامِ واحْتَضَروا[3]

---

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .
٢ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص١٣٦ ـ ١٣٧ مع فوارق.
٣ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص١٢١ ـ ١٢٢ .

وكلّمت اليمانية معاويةَ في أمره فأرسل رسولاً إلى عبيد الله وأمره بحمل ابن مُفَرِّغ معه، وكان قد أشخصه إلى أخيه عبّاد وهو بِسجستان، فرُدّ وأُتي به معاوية فقال في طريقه:

فما إنْ لِعَبّادٍ عَلَيْـكِ إمارَةٌ ... نَجَوْتِ وهذا تَحْمِلينَ طَليقُ

لَعَمْري لقد نَجّاكِ مِن هُوَّةِ الردى ... إمـامٌ وَحَبْـلٌ لِـلأمـيرِ وَثيقُ

سَأَشْكُرُ ما أَوْلَيتَ مِن فَضْلِ نِعْمَةٍ ... ومِثْلي بِشُكْرِ المُنْعِمينَ حَقيقُ[1]

فلما دخل على معاوية بكى وقال: رُكِب مِنّي ما لم يُركب من مسلمٍ على غير حَدَث ولا جُرْم، فقال أَلستَ القائل:

أَلا أَبْلِغْ مُعاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ ... مُغَلْغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ اليَـماني

وأنشده أشعاراً بلغَتْه عنه، فحلف أنه لم يَقُلْها فقال: اذهبْ فقد عفوتُ عنك وانظر أيَّ بلد تحبّ أن تسكنه فاسْكنه، فنزل الموصل ثم ارتاح للبصرة فقدمها ودخل على عبيد الله بن زياد فآمنه.

قالوا: ولم يزل عبيد الله على البصرة حتى ماتْ معاوية فأقرّه يزيد بن معاوية على ما ولاه أبوه.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي عن موسى بن إسماعيل عن عبد الحميد بن عبد الله عن ثابت البُناني قال: كنت عند الحسن فقام سائلٌ ضرير البصر فقال: تصدّقوا على من لاقائدَ له يقوده ولابصرَ يهديه، فقال الحسن: ذاك صاحب هذه الدار - يعني عبيدالله بن زياد - ما كان له من حَشَمه قائد يقوده إلى خير ولا يشير به عليه ولا كان له بصر يبصر به فينفعه.

---

١ - ديوان يزيد بن مفرغ ص١٧٠ - ١٧٥ . مع فوارق كبيرة.

قالوا: وكان عبيد الله بن زياد أوّل من طلب المثالب وعُنِيَ بجمعها ليعارض الناس بمثل مايقولون فيه.

أبو الحسن المدائني، قال: كان ابن زياد يقول حبّذا الإمارة لولا قعقعة البريد والتشزّن[1] للخُطَب.

وقال الهَيْثَم بن عَديّ: قال عبيد الله للاحنف: أيّ الشراب أطيب؟ قال: الخمر، قال: كيف علمت ذلك؟ قال: إنّي رأيت مَن استحلّها لا يتعدّاها، وَمن حرمها يتناولها فعلمتُ أنها أطيبه، فضحك عبيد الله وقال: صدقت.

قال: وكان ابن زياد يُغري بين الشعراء فقال يوماً لحارثة بن بدْر الغُداني أهْجُ أَنَس بن زُنَيْم فقال أَعْفِني فلم يُعْفِه فقال:

وحُـدِّثْـتُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّـهُ قَـليـلُ الأمـانَـةِ خَـوّانُها
بَصيرٌ بِما ضَرَّ مِنْهُ الصَديقُ وشَرُّ الأخِـلاء عـورانُها

فقال أَنس:

أَتـتْني رِسـالَـةُ مُـسْتَـكْـرَهٍ فـكـانَ جَـوابِيَ غُـفْـرانُها

وقال المدائني عن مَسْلمة: ولّى ابن زياد جَزْء بن معاوية عمّ الأحنف الفُرات فاختان مائة ألف درهم، وعرف الأحنف ذلك فأخبر به ابن زياد فقال له عبيد الله: هات خاتمك فأخذه منه وبعث به إلى أهله مع رسل له: هذا خاتم جَزْء وابعثوا بالمال الذي قدم به، فبعثوا بالمائة الألف مع رسل ابن

١ - التشزن: التأهب والتهيؤ للشيء والاستعداد له، والمتشزن هو الذي يدع الطمأنينة في جلوسه، ويتعد مستوفزاً على جانب. النهاية لابن الأثير.

زياد، فقال جَزْءٌ للأحنف: لاجزاك الله عن الرحم خيراً، فقال الأحنف: وأنت فلا جزاك الله عن الأمانة خيراً، ويقال: إنّ زياداً فعل هذا.

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء عن أبي زُبيد عن أبي حصين قال: بلغ يزيد بن معاوية أنّ الحسين عليه السلام يريد الخروج إلى الكوفة فغمّه ذلك وساءه فأرسل إلى سَرْجون مولاهم وكان كاتبه وأنيسه فاستشاره فيمن يولّيه الكوفة فأشار بعبيد الله بن زياد، فقال: إنّه لاخير عنده، قال: أرأيتَ لو كان معاوية حيّا فأشار عليك به أكنت تولّيه؟ قال: نعم، قال: فهذا عهد معاوية إليه بخاتمه وقد كان وّلاه فلم يمنعني أن أُعلمك ذلك إلا معرفتي ببغضك له، فأنفذه إليه وعزل النُعْمان بن بَشير، وكتب إليه: أمّا بعد فإنّ الممدوح مسبوب يوماً، وإنّ المسبوب ممدوح يوماً، وقد سُمِيَ بك يوماً إلى غايةٍ أنت فيها كما قال الأوّلُ:

رُفِعْتَ فجاوَزْتَ السَحابَ وفَوْقَهُ ... فما لكَ إلا مَرْقَبَ الشَمْسِ مَقْعَدُ

حدثني عمر بن شَبَّة حدثنا موسى بن اسماعيل وحدثني يوسف بن موسى القَطّان قالا: حدثني حَكّام عن عمرو بن معروف عن لَيْث عن مُجاهد قال: قال عليّ عليه السلام وهو بالكوفة: كيف أنتم إذا أتاكم أهل بيت نبيّكم يحمل قوّيهم ضعيفهم؟ فقالوا: نفعل ونفعل، فحرّك رأسه ثم قال: تُورِدون، ثم تعرِّدون[1]، ثم تطلبون البراءة ولابراءة لكم.

وحدثني صديق لي عن يوسف بن موسى أنّ في حديثه: وتعينون عليه شرَّ أهلِ زمانه في نسبه وسيرته.

---

١ ـ عرد تعريدا: هرب، وترك الطريق، القاموس.

حدثنا عمر بن شَبّة حدثنا محمد بن حاتم حدثنا القاسم بن مالك حدثنا مِسْعَر بن كِدام عن مَعْبَد بن خالد قال: قال لنا مروان: صلّوا مع ابن زياد واجعلوا صلاتكم معه سُبْحَة.

حدثني يوسف بن موسى حدثنا جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال: أوّل من جهر بالمُعَوِّذَتَيْنِ في الصلاة عبيد الله ابن مَرْجانة.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي حدثنا أبو داود حدثنا المسعودي عن عليّ بن مُدْرِك قال: أُتي ابن زياد بابن مُكَعْبِر فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه، فقال علقمة سمعت ابن مسعود يقول: أعصى الناسِ قَتَلَهُ اهلِ الإيمان.

قالوا: وبنى ابن زياد مسجد الكوفة ووَهى بعض ما بنى فبناه يوسف بن عمر.

قالوا: وتزوّج عبيد الله بن زياد هِنْداً بنت أسماء بن خارجة الفَزاري، فعاب ذلك على أسماء محمد بن عُطارد، ومحمد بن الأشعث بن قيس، فتزوّج أمّ النعمان ابنة محمد بن الأشعث، وزوّج أخاه عثمان بن زياد ابنة محمد بن عُمير، وزوّج أخاه عبد الله بن زياد ابنة عمرو بن حُرَيْث المَخْزومي، فقال ابن الزَّبير الأسَدي:

لَقَد أنْكَحْتَ خَوْفَ الهَزْلِ عَبْداً وَصِهْرُ العَبْدِ أَدْنَى لِلهُـزالِ

ويقال إنّ عُقْبة الأسدَي تقلّد سيفا ليفتك بهند فلم يمكنه ذلك فقال:

أَرَدْتُ بها أَمْراً قضى الله غَيْرَهُ وليس لأمْرٍ حَمَّهُ الله مَدْفَعُ
وأُقْسِمُ لو عايَنْتُها لَكَسَوْتُها بَتوكاً إذا عَضّ الضَريبَةَ يقْطَعُ

وقال أيضاً:

جزاكَ الله يا أَسْماءُ خَيْراً كما أَرْضَيْتَ فَيْشَلَةَ[1] الأمير
بِفَرْجٍ قد يفوحُ المِسْكُ مِنْهُ عَظيمٍ مِثْلِ كِرْكِرَةِ البَعير
وذي حُبُكٍ كَأَنَّ الجَمْرَ فيه يُشَبَّهُ حَرُّهُ لَهَبَ السَعير

وقال الهيثم بن عديّ: أرسل ابنُ زياد مولى له إلى أسماء قبل ولاية ابن زياد الكوفة وهو بالبصرة يخطب عليه ابنته فزوّجه إيّاها، فقال له عمرو بن حُرَيْث: أَزَوّجتَه ولا سُلْطان له عليك؟ فلمّا قدم الكوفة زوّج أخاه ابنة عمرو بن حُرَيْث، قال: وقال عبيد الله بن زياد لجرير بن عبد الله البَجَلي زوّجني ابنتك قال: قد زوّجتُها مِنْ عمرو بن حُرَيث، قال: أكذاك ياعمرو؟ قال: نعم، فلما خرجا زوّجه إيّاها.

المدائني عن جرير بن حازم عن الحسن وعن هُشَيْم عن مغيرة عن إبراهيم، قالا: مارأينا أحداً شرّاً من ابن زياد:

وقال الأعمش: كان مملوءاً شرّاً ونَغَلا.

المدائني، قال: هجا عبدالله بن همّام عمرو بن نافع ـ مولى بني أميّة ـ وكان يتولى ديوان الكوفة لزياد ـ فلما ولي عبيدالله وشي به إليه فطلبه فهرب إلى يزيد بن معاوية، ومدح عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان واستجار به في شعر يقول فيه:

أَراكَ إذا أَجَرْتَ على أميرٍ وَثيقَ عُرَى الأمانةِ والجوار
فإنّي لا أُبَثُّكَ بَثَّ فَقْريً ولكنّي أُحاذِرُ مِنْ طَمارِ
أَعوذُ مِنَ العُقوبَةِ يا بنَ حَرْبٍ ومَعْقِدِ ما عَقَدْتُ مِنَ الإزارِ

١ ـ الفيشلة: الحشفة. القاموس.

وكان ابن زياد إذا غضب على رجل ألقاه من فوق قصر الكوفة، وطمار كلّ مرتفع.

حدثني العُمري عن الهَيْثَم بن عَديّ قال: اذن ابن زياد إذنا عامّا فدخل الناس عليه فزحم غسّان بن نُباتَة - أخو الأصْبَغ بن نُباتَة المُجاشعي - عمرو بن الزبير فلما استقرّ بهم المجلس، رفع عمرو يده فلطم لَبيد بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة، فغضبتْ له بنو تميم، وكلّم الناس لبيداً فقال: لا أطلبها أبدا، وبلغ الخبر أهل الكوفة فقال عبد الله بن الزَبير الأسَدي.

فلا يَصْرِمِ الله اليَمينَ التي عَلَتْ على البُغْضِ والشَحْناء أَنْفَ لَبيدِ
فَآبَ بَنو وَلْدِ أستِها بِمُضاعَفٍ مِنَ اللَطْمِ لايُحْصونَهُ بِعَديدِ
نَمَتْ بِكَ أَعْراقُ الزُبَيْرِ وهاشِمٍ وعِرْقٌ نَمى مِن خالِدِ بن سَعيدِ

أمّ عمرو أمّ خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص أبي أُحَيْحة، وأمّ الزُبَيْر صَفيّة بنت عبد المطّلب بن هاشم، فقال مِسْكين الدارمي وهو [ابن] عامر بن أُنَيف بن شُرَيْح بن عمرو بن عُدُس:

مَعاذَ الله أَنْ تُلفَى رِكابي سِراعاً إذْ وَرَدْنَ على ضُمَيْرِ
طِوالَ الدَّهْرِ أَوْ يَرْضَى لَبيدٌ وكانَ الضَيْفُ مَحْقوقاً بِخَيْرِ
سَتَلْطِمُ مُنْذِراً أَوْ وَجه عمروٍ ولو دَخَلا بِيَثْرِبَ في اسْتِ عَيْرِ
فإنْ تَكُ لَطْمَةٌ أَدْرَكْتُموها فلَمّا تُدْرِكوا بِدَمِ الزُبَيْرِ [1]

وكان المنذر وافدا على عبيد الله بن زياد حين ولي الكوفة، وكان صديقاً له فرصده رجال من بني تميم منهم نُعيم بن القَعْقاع بن مَعْبد بن زُرارة، ورجل من بني ظاعنة إخوة تميم، وهم حلفاء لبني عبد الله بن دارِم، وثالِثٌ معهم، وجاء المنذر يوم جمعة يريد المسجد فلطمه أحدهم، ثم الثاني، ثم

١ - ليست في ديوانه المطبوع.

الثالث، فدخل المنذر على عبيد الله فقال له: ماأتيتك حتى ظننت أنّ الجُذْران ستلطمني، فأرسل ابن زياد إلى محمد بن عُمير، ولم يكن فيمن لطمه، إلا أنّه قد أمرهم بذلك، فحبسه في السجن، وأخذ نُعيما وأصحابه فضربهم بالسياط، وقال بعضهم: إنّه قطع أيديهم.

وقال ابن الأعرابي قال المفضّل الضَبّي: لما قدم منذر بن الزبير على ابن زياد بعد لطم عمرو لبيداً، لطم محمد بن عُمير منذراً، فأخذه ابن زياد فضربه وجاءت بنو أسد بن خُزَيْمة فجعلت تلطم بني تميم، فيقال: إنّه لم يبق من بني تميم أحد يظهر إلا لُطم، فقال الشاعر:

ونَحْنُ لَطَمْنا مُنْذِراً يَوْمَ جُمْعَةٍ ... إذا نَهلَتْ مِنّا الأَكُفُّ نُعيدُها
لَطَمْناهُ حَتّى أَسْبَلَتْ بِدمائِها ... خَياشيمُ كانتْ مُسْتَكِنّاً فَصيدُها
رَأى مُنْذِرٌ دُفّاعَ مَوْجٍ عرَمْرَمٍ ... وكَثْرَةَ أَيْدٍ لم يَجِدْ مَن يَذودُها
فقُلْ لِبَنِي العَوّامِ يَنْهُوا سَفِيهَهُمْ ... عَنِ الجَهْلِ لا تُنْكَأُ بِلَطْمٍ خُدودُها

وقد روى بعضهم أنّ عمر بن سعد بن أبي وقّاص نازَع ابن أمّ الحَكَم عند معاوية، فأجابه لبيد عن ابن أمّ الحَكَم، وكان ابن أمّ الحَكَم مائلاً إلى بني حنظلة، فقام معاوية فدخل إلى أهله، فقال عمر بن سعد: يامعاشر قُريش أما أحد يكفيني هذا الكلب التميمي؟ فقال عمرو بن الزبير لغلام له: ائت صاحِبَ العِمامة الحمراء فاكسرْ أنفه، ففعل الغلام، فصاح لبيد: ياأمير المؤمنين أَيُفعل بي هذا في مجلسك؟ فخرج معاوية وأمر بضرب الغلام، فقال لبيد: مايُقنعني هذا، فقال: أيضربك الغلام وأضرب عمراً؟ لستُ بفاعل، وبلغ ذلك بني تميم ففعلوا بعد ذلك مافعلوا والله أعلم.

وقال المدائني: حبس ابن زياد عبدَ الله بن الحارث بن نوفل وأراد قتله لإحْنَة كانت في صدور آل زياد عليه، وبلغ خبره خالاتِه بنات أبي سفيان، لأنّ أمّه هند بنت أبي سفيان، فكلّمن يزيد فيه وقُلْن: إنّا لانأمن عليه، فوجّه يزيد رسولاً وكتب معه إلى ابن زياد بتَخْلية سبيله، وكتب للرسول منشوراً، فانطلق الرسولُ إلى عبيد الله فأخرجه، وكان مع المختار في محبس واحد حين حبس ابنُ زيادٍ المختارَ.

قالوا: وكان زياد يُطعم الناس بالغداة والعشيّ، إلا يوم الجمعة فإنّه كان يعشّي ولايغدّي، وكان لايُرَدّ عن طعامه أحد، وكان يتمجّع[1] عنده بالغداة اللبنَ مَن حَضَرَه، وكان لعبيد الله بن زياد طعام لخاصّته وحَرَسه ولم يكن له طعام للعامّة، وكان عبيد الله أكولاً يأكل في اليوم خمس أكلات آخِرُها جبنة بعسل توضع بين يديه بعد فراغه من الطعام، وكان يأكل جَدْياً أو عناقاً[2] يُتخيّر له في كلّ يوم فيأتي عليه، ومرّ بالطَفّ فقال له رجل من بني أَسَد: أتتغدّى أصلح الله الأمير؟ فأكل عنده عشر بَطّات وزَبيلاً من عنب، ثم عاد وأكل عشر بطّات أُخر وزبيلاً من عنب وجَدْياً.

وحدثنا المدائني عن عبد الله بن سَلْم وعن عامر بن فائد قالا: قال الحسن: قدم علينا عبيد الله بن زياد فقدم شابّاً مترفاً فاسقاً يأكل في اليوم خمس أكلات، وإن فاتته أكلة ظلّ لها صريعاً يتّكىء على شماله ويأكل بيمينه،

١ ـ تمجع: أكل التمر اليابس باللبن معاً. القاموس.
٢ ـ العناق: الأنثى من أولاد الماعز. القاموس.

حتى إذا غلبت عليه الكِظَّة[١] قال: أبغوني حاطوماً[٢]، ثكِلَتْك أمُّك إنّما تَحْطِم دينَكَ.

وقال ابن الكلبي وغيره: حلف ابن زياد لَيقتلنَّ المختار بن أبي عبيد، فسمع ذلك أسماءُ بن خارجة، وعُرْوة بن المغيرة، فدخلا عليه فأخبراه بذلك، وقالا: أَوصِنا في مالك واحفظ لسانك، فقال: كَذب والله ابن مَرْجانة الزانية، والله لأقتلّنه وَلأضَعنّ رجلي على خَدّه، فقال أسماء: يا أبا اسحاق قد كانت تبلغنا عنك أشياءُ فأمّا إذ سمعنا منك هذا القول فما فيك مُسْتَمْتَع، ثم نهضا متعجّبين من قوله مستحمقين له، وبَكَرا إلى ابن زياد فإذا زائدة بن قَدامة الثَقَفي قد دخل عليه بكتاب من يزيد بن معاوية يُعْلمه فيه أنّ عبد الله بن عمر كتب إليه فيه، ويعزم عليه أن يخلّي سبيله، فقال لزائدة: يابن جُمانة أيّ الرجلين: الكذّاب الذي في محبسي أم الخارج بغير إذني[٣]؟ ثم أمر به فُوجئت عنقه وقال: انطلقوا به إلى الحبس، فقام إليه مسلم بن عمرو الباهلي فطلب فيه حتى أخرجه من الحبس وقال للمختار: ياكذّاب قد أجَّلتُك ثلاثاً فلا تُساكِنّي، ففُكّت قيوده بالعُذَيْب.

وقال عُقَيْبة الأسَدي، وهو عقيبة بن هُبَيْرة بن فروة بن عمرو بن عبيد بن أسعد بن جَذيمة بن مالك بن نصر بن قُعَين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أَسَد:

---

١ ـ كظه الطعام: ملأه حتى لايطيق النفس. القاموس.

٢ ـ الحاطوم: الهاضوم. القاموس.

٣ ـ الخارج بغير اذنه هو زائده نفسه، انظر تاريخ الطبري ج٥ ص٥٧٠ ـ ٥٧١ .

لبس ابن زِيادٍ كِساءَ الخَزِّ مُنْكَرَةٌ لكِنْ كِساءُ زيادٍ كان مِن صوفِ
نِجارُ فِهرٍ مُبينٌ في تَوَسُّمِهِمْ لكِنْ نِجارُ زِيادٍ غَيْرُ مَعْروفِ
لَسْتُمْ قُرَيْشاً ولكِنْ أَنْتُمُ نَبَطٌ صُهْبُ اللِحَى والنواصي صُهْبَةُ الليفِ

فكان عبيد الله بن زياد يذكر هذا الشعر ثم يقول: كذب ابن الفاعلة.

حدثني الجِرْمازي قال: كان سعيد بن شَدّاد اليربوعي معلّماً، وكان ابن زياد يستملحه ويدعو به كثيراً، فَابطأت عليه صلته، وقال ابن زياد يوما: ماأحْوَجني إلى وُصَفاء، فعمد إلى صِبيْةٍ في كُتّابه فألبسهم الثياب وأتاه بهم وقال: هؤلاء وُصَفاءُ، فاشتراهم منه، فلمّا أمسوا جعلوا يبكون ويطلبون منازلهم، فأطلقهم ابن زياد وقال لسعيد: ماحملك على هذا؟ قال: إبطاءُ صلتي، فضحك وسوّغه أثمان الصبيان وزاده.

قالوا: ولم يزل ابن زياد على العِراقَيْن حتى مات يزيد بن معاوية، وهو يومئذ بالبصرة، وعلى الكوفة من قِبَله عمرو بن حُريث، ومات أبو لَيْلَى بعد أبيه بيسير، فأَخرج أهل الكوفة عمراً، وتراضوا بعامر بن مسعود الجُمَحي، وهو دُحُروجَة الجُعَل وكان قصيراً[1].

قالوا: ولما طلب ابن زياد الخوارج تضمّن عُبيد الله بن أبي بَكْرة بعُرْوة بن أُدَيّة فهرب، فقال له ابن زياد: ائْتني به وإلا قتلتُك، فطلبه أشدَّ الطلب وجعل فيه جعلاً، فُوجد في سَرَب في دار لبعض بني سفيان، فقرأ عبيد الله قصّته: «إنّا وجدنا عُرْوةَ يَشْرَب في دار» فضحك عبيد الله وقال:

---

١ ـ بهامش الأصل: «يتلوه: وحدثني يحيى بن معين قال: كان ابن زياد يوم قتل الحسين» وطبعا لم يرد أي شيء.

كذبتم ليته كان يشرب، فقال له بعض مَن حضره: انّما وُجد بِسَرَب. فلما أُدخل عُرْوة عليه قال: جهزّتَ عليَّ أخاك، فقال: والله لقد أردتُه على المُقام فأبى، ولقد كنتُ ضنيناً وبحياته كثيراً، قال: أفأنت على دينه؟ قال: كلّنا نعبد ربّاً واحداً، قال: فما قولك فيَّ؟قال: أوّلُك لِزنْيةٍ وآخِرُك لدِعْوَةٍ، قال: لأمَثِلَنّ بك، قال: اختر لنفسك من القِصاص ما أحببت، فأمر به فقطعوا يديه ورجليه، فقال: كيف ترى؟ قال: أراك أفسدتَ علي دُنْيايَ وأفسدتُ عليك آخِرتَك، وما أُحبّ أَنّ الذي نالني نال غيري، فأمر به أن يُصلبَ في داره، فسقط عن الجِذْع فقال: لا حُكْم إلا الله ﴿ولو كرِه المُشْرِكُون﴾[1]، فصُلب، وسأل ابن زياد رجلاً كان يخدم عُرْوة عنه فقال: لم أفْرُش له بلَيْلٍ مُذْ صَحِبْتُه ولم أُعِدَّ له طعاماً بنهار.

وتغيّب رجل من بني حنيفة فقتل ابن زياد كفيله.

وقال الرهين بن سَهْم المُرادي:

[يا] نَفْسِ قد طالَ في الدُّنْيا مُراوَغَتي | لا تَـأْمَني لِصُروفِ الدَهْرِ تَنْغيصا
فأسألُ الله بَيْعَ النَفْسِ مُحْتَسِباً | حَتّى أُلاقِيَ في الفِرْدَوْسِ حُرْقوصا
وَابْنَ المَنيحِ ومِرْداساً وإخْوَتَهُ | إذْ فارَقوا زَهْرَةَ الدُّنْيا مَخاميصا
تَخالُ صَفَّهُمُ في كُلِّ مُعْتَرَكٍ | لِلْمَوْتِ سُوراً مِنَ البُنْيانِ مَرْصوصا[2]

وحدثنا أبو خَيْثَمة وأحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن عيسى بن عاصم قال: خرج ابن زياد في رِهان له، فلما جلس ينتظر الخيل جمع الناس وفيهم عُرْوة بن أُدَيّة، فأقبل عُرْوة على ابن زياد

---

١ ـ سورة التوبة ـ الآية: ٣٣.
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص٧٦ ـ ٧٧.

فقال: خمسٌ كنّ في الأمَم قبلنا قد أصبحن فينا، قال الله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيةً تعْبثون * وَتَتخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَّلَكُمْ تَخْلُدُونَ وَإذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[1] وخَلَّتان أُخريان ذَكَرَهما لاأحفَظُهما، فظنّ ابن زياد أنّه لم يقل له هذا القول إلا وهو في جماعة من أصحابه، فقام فانصرف وترك رهانه، فقيل لعُرْوة: ماصنعتَ؟ والله ليقتلنّك، فتوارى عُرْوة وطلبه ابن زياد فخرج إلى الكوفة، فأخذه ابن أبي بكرة وكتب إلى ابن زياد: إنّي أخذت عُرْوة بن أُدَيّة بسَرَب فظنّ ابنُ زياد أنّه كتب: «وجدته يشرب» فلما أُتي به أمر فقُطعت يداه ورِجْلاه، ثم قال: كيف ترى؟ قال: أفسدتَ دُنْيايَ وأفسدتُ عليك آخرتكَ، ثم بعث برأسه إلى ابنته، فجاءت وجُثّته مطروحة بين يدي ابن زياد، فقال لها: أنتِ على دينه؟ قالت: وكيف لا أكون على دينه وما رأيت قطّ خيراً منه، فأمر بها فقتلت مع أبيها.

وأنشدني أبو الكُرْدي الإباضي لعِمْران بن حِطّان أو سعيد بن مسجوح:

لقد زادَ الحياةَ إليَّ بُغْضاً ... وحُبّاً لِلْخروجِ أَبو بِلالِ
وعُـرْوَةُ بَعْدَهُ سَقْياً ورعْياً ... لِعُرْوَةَ ذي الفَضائِلِ والمعالي
أَخافُ أَنْ أَموتَ على فِراشي ... وأَرْجو الفَتْكَ تَحْتَ ذُرَى العَوالي
ولَوْ أَنّي وَثِقْتُ بِأَنَّ حَتْفِي ... كَحَتْفِ أَبي بِلالٍ لَمْ أُبالِ[2]

---

١ - سورة الشعراء - الآيات: ٢٨ - ١٣٠ .
٢ - ديوان شعر الخوارج ص١٥٨ - ١٥٩ .

أمر مالك النميري: قالوا: أخذ ابن زياد رجلاً يقال له مالك بن نُمير فقال ابن زياد لنُمَيْلة بن مالك: أتعرفه؟ فقال: أبو عَزّة الشُرَطيُّ يعرفه لأنه من بني نُمير، فقال ابن زياد: قم يا أبا عَزّة فاقتله، فقال: دمي دون ديني، فقال ابن زياد: أراد أبو عزّة أن يتشبّه بعبد الله بن عمر، وأمر بحبس أبي عَزّة، فكلّمه فيه نُمَيْلة فخلّى سبيله، وأمر غيرَ أبي عَزّة فقتل مالكاً. وقال أبو عَزّة.

نُمَيْلَةُ إنَّ الله أعْظَمُ طاعَـةً ... على خَلْقِهِ مِن طاعَةِ ابنِ زِيادِ
دَمِي دونَ ديني ليس لِلقَتْلِ تَوْبَةٌ ... بِذاكَ يُنادي يا نُمَيْلَ مُنادي

أمر سُلَيم عبد اليشكري: قالوا: كان عبد لبعض بني يَشكُر يقال له سُليم يرى رأي الخوارج، ففسد على مولاه فحبسه وحال بينه وبين أصحابه من الخوارج، فجاء قوم من عَنَزَة إلى مولاه فسألوه أن يبيعهم إيّاه فأبى، ثم إنّم فقدوا العبد فعلموا أنّ مولاه قتله، فجاء نفر منهم إلى إبل اليَشْكُري ليلاً فعقروها، وقال شاعرهم:

نَحْنُ عَقَرْنا الإبلَ البَهازِرْ[1] ... بِسَيْفِ حُمْرانَ وسَيْفِ جابِـرْ
واليَشْكُرِيُّ ساءَ ما يُباكِرْ

فكان بين يَشْكُر وَعَنَزَة في امر الإبل كلام، فكادوا يقتتلون حتى غرمها حُمْران العَنَزي، فقال رجل من بني شَيْبان:

لقد دَرْبخوا بِالإبْلِ بَعْدَ نُفورِهِمْ ... كما دَرْبَخَتْ لِلمُؤكِفينَ[2] حَميرُها

---

١ ـ البهازر من النوق: العظام. القاموس.

٢ ـ دربخ: طأطأ رأسه، وبسط ظهره، والموكفون: الذين يضعون الاكاف ـ وهو القتب وماأشبهه ـ على ظهر الدابة.

أمر خالد بن عباد السدوسي في أيّام يزيد، ويقال: في أيّام معاوية، قالوا:

أخذ عبيد الله بن زياد في أيّام معاوية، أو أيّام يزيد خالد بن عَبّاد، ويقال عُباد، وكان من عُبّاد الخوارج ومجتهديهم، وهو من بني عمرو بن سدوس بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثَعْلبة فكُلّم فيه فخلّى سبيله، وقيل له إنّه قد كُذب عليه وليس من أهل هذا الرأي، وضمِنه صَهْرٌ له، فكان لاينام الليل لتعهّده أيّاه في بيته، ففقده ليلةً وأُخبر أنّه لم يبتْ في بيته فأَتى ابنَ زياد فأعلمه ذلك، فدعا ابن زياد خالداً فسأله اين بات، فقال: كنت مع إخوان لي نذكر الله ونقرأ القرآن، قال: فدُلّني عليهم، قال: لو دللتُك عليهم لقتلتَهم ولو فعلتَ لنالوا سعادةً وشهادةً، ولكنّي أكره أن أروّعهم، فقال ابن زياد: العَنْ أهل النهروان قال: إن كانوا أَعْداء الله فلعَنهم الله قال: فَتولَّ معاوية، أو قال يزيد بن معاوية، قال: إن كان مؤمناً وليّا لله فأنا وليّ له فلم يزدّه على هذا، فقال رجل ممّن حضر: أنا أكفيكه أيّها الأمير، فخلا به فقال: إنّك في تقيّة، لاتقيّه اليوم في الله، فقال ابن زياد: أَخرجوه إلى السوق فاقتلوه، وكان ضاوياً من العِبادة، فلم يُقدم احد على قتله وجعلوا يَتَفادَوْن منه، فمرّ به المُثَلَّم بن مَسْروح الباهِلي أحد بني وائل أو فَرّاص، وكان في الشُرَط، فشدّ عليه فقتله، فوضع الخوارج عليه عُيوناً فرأوه يسوم بِلِقْحَةٍ، فقال له رجل منهم: إنّ عندي لِقْحَة من حالها وحالها فانطلقْ معي لتراها وأنا أساهلك في ثمنها، فمضى معه يمشي بين يديه، والمُثَلَّم على فرسه، ثم دخل داراً ودخل المُثَلَّم معه، وفي الدار خوارج فوثبوا عليه فقتلوه، وكان الذي قتله حُريث بن حَجْل، ودفنوه في ناحية الدار وجعلوا دراهم كانت معه في بطنه، وحكّوا أثر

الدم، وخلّوا فرسه حين أَمسوا، وطُلب المُثَلَّم فلم يوجد، فاتّهموا به بني سَدوس واستَعْدوا عليهم ابنَ زياد، وخرج قوم من باهلة إلى معاوية، أو يزيد فحكم على بني سَدوس بالقَسامة، فحلفوا بالله ماقتلنا ولا علمنا له قاتلاً، فأخذ به ابن زياد أربع دِيات من أَعْطِيَة بني سدوس؛ وقال ابن زياد: ماأدري كيف أصنع ماأَقتلُ رجلا من هذه المارقة إلا قُتل قاتلُه، فقال أبو الأسود الديلي:

آلَيْتَ لا أَمْشي إلى رَبِّ لِقْحَةٍ   أُساوِمُهُ حتى يَؤوبَ المُثَلَّمُ
وقال له كَوْماءُ حَمْراءُ جَلْدَةٌ   وقارَبَهُ في السَّوْمِ والفَتْكَ يَكتمُ
فأَصْبَحَ قَدْ عُمِّي على الناسِ أَمْرُهُ   وقد بات يَجْري فَوقَ أَثْوابِهِ الدمُ[1]

وكان أبو الأَسْوَد يقول: ماقتل المُثَلَّمَ إلا الطمعُ.

أمر عقبة بن الورد الجاَويّ من باهلة: قالوا: رأى مسلم بن عمرو عند مسجد بني قُتَيْبَة عُقْبَةَ ومعه سيف، وكان خارجيًا مجتهداً، وأقبل حُجَيْر الجاَوي من عند عبيد الله بن زياد وقد قتل عبيد الله قوما من الخوارج فأصاب حُجَيْراً نَضْحٌ من دمائهم، فرآه عُقْبة مسرورا بذلك وهو يمضي إلى المسجد، فضربه بسيفه في المسجد فقتله، وضرب ربيعة بن عمرو، ومضى ليخرج، فألقى عليه رجل من أهل المسجد من بني أَوْد شَمْلَةً كانت عليه فصرعه، فقالت بنو جاَوة: ثأرنا، وقالت بنو أَوْد: ثأرنا، وجاَوة وأَوْد أَخَوان أبوهما مَعْن بن وَائِل من باهلة، وفرّاص أخوهما أيضاً، فضُرِبت عنقه وقُذف في بئر.

---

١ ـ ديوان أبي الأسود الدولي ص١٥١ ـ ١٥٣ .

أمر المثهات بن ثور السدوسي: قالوا: سعى بالمَثْهَات بن ثور ابن عمّ له إلى ابن زياد، فكلّمه فيه سُويد بن منجوف بن ثور وقال: إنّ عمّي بريءٌ ممّا قُرف به، فشتمه عبيد الله وقال: يابن البظراء فقال: لقد كَذَبَتْ نساءُ بني سَدوس إذاً، فاستحيا عبيد الله من سُويد ودعاً بالمَثْهَات فقال له شَقيق بن ثَوْر: إنّك لاتدع هذا الرأي فاخرج عن هذه البَلدة، فخرج إلى الطَفّ فمات هناك، وقال بعضهم: إن ابن زياد لما أخرج المَثْهَات غرّبه إلى أُدام، ويقال: أدم[1].

قالوا: وسُعي بأُمّ الفضل بنت شَقيق إلى ابن زياد فحبسها، ثم كُلّم فيها فأخرجها، وكان الذي سعى بها رجل من ولد مَجْزَأة بن ثَوْر يقال له فَدكي فقال لأيُ بن شقيق يهجو فَدكيّا في شعر يقول فيه:

لَنْ تَجدي في بُيوت الناس صالِحَةً إلا لها مِنْ بيوتِ السُّوءِ أَعْداءُ

في أبيات.

أمر أبي السليل: قالوا: خرج خارجي بالبصرة فحكّم في المسجد، وكان يُكنى أبا السَليل، فقام إليه عُقْبة بن وَسَّاج البُرْساني من الأزْد، وعليه بتّ[2] فألقاه عليه فصرعه، وأخذ سيف الخارجي فقتله به.

أمر جزعة وصاحبها: قالوا: خرج رجل وامرأة يقال لها جَزْعَةُ ومعهما سيفان فحكما في مسجد البصرة ثم أخذت المرأة نحو بني سُليم، وأخذ الرجل نحو رَحْبة بني تميم فرآها قد بعدت منه فناداها: ياجزعة أقربي منّي، فقالت:

---

١ ـ أدم: موضع قريب من ذي قار. معجم البلدان.

٢ ـ البت: الطيلسان من خز ونحوه. القاموس.

﴿إِنَّ أَوْلِياءَ الله لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] فقتلها الناس؛ ويقال: بل أُتي بها ابن زياد فأمر بقتلها، ويقال أنّه قتل الرجل وحبس المرأة.

وحدثنا المدائني قال: دخل رجل مسجد البصرة فحكّم فيه، فقام إليه رجل من بني تميم فقتله، وبلغ ابن زياد خبرُهُ فقال: من كان في المسجد؟ فقيل: كان فيه أبو حُمَيْلة مولى سَمُرَة بن جُنْدَب الفَزاري، فلامه ابن زياد وقال: لَمْ تقم إليه حتى قتله غيرُك، فقال: إنّي لو قمت إليه لاحتملته حتى أضربَ برأسه الحائط فأنثر دِماغَه، ولكنّي كرهت أن يقال قام اثنانِ إلى واحد.

أمر أبي الوازع الراسبي: قالوا: لما قُتل عُرْوة بن أُدَيّة ـ وهو عُرْوة بن حُدير بنَ عمرو أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ـ قال أبو الوازع لبني الماحوز: إنّي شار فاشرُوا ودَعوا المَضاجع فطال ما نمتم، وغفلتم عن أهل البَغْي حتى صيّرهم ذلك إلى تتبعكم يقتلونكم في مضاجعكم قَتْلَ الكلاب في مَرابِضها، وقال لنافع بن الأزْرق الحنفي صاحب الأزارقة: لقد أُعطِيتَ لساناً صارماً وقلباً كليلاً، فلَيْتَ كَلال قلبك لِلسانِك، وصلابة لسانك لقلبك، ولقد خفتُ أن يكون حبُّ هذه الدنيا الفانية قد غلب على قلبك، فملتَ إليها، وأظهرتَ بلسانك الزهد فيها، وذلك أنّه سمع نافعاً يصِف جَوْر السلطان ويعِظ أصحابه ويحضّهم على الجهاد، فقال له نافع: كلا ياأبا الوازِع، ولكنّي أطلب الفُرَص، فُرَوَيْدَكَ يجتمِعْ مَلأ

---

١ ـ سورة يونس ـ الآية: ٦٢ .

اصحابك، قال كلاّ إنّ في غُدُوِّ الموت ورَاوحِه ما يُعْجلني فأخاف معه فَوْتَ ما أُريد، وقال:

سَأَشْري ولا أَبْغي سِوَى الله صاحِباً وأَبْيَض كَالمِخْراقِ عَضْبِ المَضارِبِ
فقد ظهر الجَوْرُ المُبيرُ وأَجْمَعَتْ على ذاكَ أَقْوامٌ كَثيرُ التَكاذُبِ

في أبيات. ثم اشترى أبو الوازِع سيفاً، وأتى صَيْقلاًكان يشتم الخوارج ويَدلّ عليهم، فقال له: اشْحَذْ لي سيفي هذا، فشحذه، ثم أخذه فهَزّه وحكّم وقتل به الصَيْقل، فهرب الناس عنه، وأُخِذ في بني يشكر وهو يحكّم، فدفع عليه رجل حائطاً ابراسبج[1] فقتله، فأمر به ابن زياد فصُلب في بني يِشْكُر، فكرهوا ذلك وخافوا أن يتّخذ الخوارج مصلبه مُهاجَراً.

أمر ثابت بن وعلة الراسبي: قالوا: كان ثابت من مخابيت الخوارج، وكان عظيم الشأن فيهم، فبينا قوم من أصحابه يتحدّثون في بيته إذ أنشد الزبير بن عليّ مرثيةً للخوارج، فبكى وقال لأصحابه: عليكم السلام، لا والله لاأتأخر عن إخواني بعد يومي هذا إلا مُكْرَهاً، فخرج في يوم جمعة، فحكّم عند مسجد الحَروريّة بالبصرة وجعل يقول:

سَأَتْبَعُ إخْواني وأحسُو بِكَأسِهِمْ وفي الكَفِّ عَضْبُ الشَفْرَتَيْنِ مُهَنَّدُ

وقتل يومئذ مولى لبني الحارث بن كعب وآخرُ من بني نَهْد، وكانا قتلا ابنَ عمٍّ له بأمر عبيد الله بن زياد، ثم اعترض الناسَ فقُتل، ولم يُدرَ من قَتَله لكثرة الناس عليه، وصُلب.

---

١ - في الكامل للمبرد: ط. القاهرة ١٩٣٧ ج٣ ص١٠٢٢ «حائط السترة».

أمر عيسى الخَطّي: قالوا: أراد عيسى الخَطّي[1] ـ وهوعيسى بن حُدَيْر أحد بني وَديعة بن مالك بن تَيْم الله بن ثَعْلَبة بن عُكابة، ويقال هو عيسى بن عاتك ـ الخروج، وله بنات فتعلّقن به وبكَيْنَ وقلن: إلى من تَدَعُنا؟ فقال:

لقد زادَ الحَياةَ إليّ حُبّاً ... بَناتي أَنَّهُنَّ مِنَ الضِعافِ
مَخافَةَ أَنْ يَرَيْنَ البُؤْسَ بَعْدي ... وَأَنْ يَشْرَبْنَ كَدْراً بَعْدَ صافِ
وأَنْ يَعْرَيْنَ إنْ كُسِيَ الجَواري ... فَتَنْبُو العَيْنُ عَنْ حُرَمٍ عِجافِ
ولولا ذاكُمُ أَرْسَلتُ مُهْري ... وفي الرَّحْمنِ لِلضُعَفاءِ كافِ[2]

وكان عيسى يذمّ السلطان ويعيبهم، فعذله أصحابه وقالوا: أتّقِ الله في نفسك وفينا أن نُقْتَل بجريرتك، فقد ترى مايصنع عبيد الله بن زياد، فقال في قصيدة له:

أَخافُ عِقابَ الله إن مُتُّ راضِياً ... بِحُكْمِ عُبَيْدِ الله ذي الجَوْرِ والغَدْرِ
وأَحْذَرُ أَنْ أَلْقى إلهي ولم أَرُعْ ... ذوي البَغْيِ والإلْحادِ في جَحْفَلٍ مَجْرِ

وله شعر كثير.

أمر رجاء النمري[3]: قالوا: لما بلغ أهل اليمامة مسيرُ أهل الشام إلى المدينة لقتال أهلها، قال رجاءُ النَمَري لقوم من الشُراة: إنّ أهل الشام قد ساروا إلى المدينة ولا شكّ أنّهم يأتون مكة إن ظهروا وغلبوا على المدينة، فاخرجوا نمنعْ مكة ونقاتل عن حَرَم الله وكعبته إن أتوا مكة، فأجابه ثمانون

---

١ ـ بهامش الأصل: نسبة إلى خط باليمن.
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص٧١ ـ ٧٢ .
٣ ـ بهامش الأصل: نسبة إلى النمر بن قاسط.

منهم: نَجْدَة بن عامر، وبنو بخدج: حسّان وعبد الرحمن وأخ لهما ثالث، وحُجَيّة بن أَوْس العُطاردي من بني تميم، وأبو الأخنَسَ الهِزّاني، وأبو مالك، وأبو طالوت سالِم بن مَطَر من بني مازن، ويقال مولاهم، وعَطيّة الأسود، فلما خرجوا لحق أوس العُطاردي ابنَه حُجَيّة فقال له: إنّ الشَوْصَة[1] عرضتْ لأمّك بعد خروجك فَأتِها فانظر إليها ثم عُدْ إلى أصحابك. فلما أتى منزله أخذه فحبسه، فانتظره أصحابه ثلاثاً ثم مضوا وعليهم رَجاء، ويقال: كان عليهم حسّان بن بخدج؛ فقدموا مكة قبل أن يأتيها أهل الشام فقال الشاعر:

يا بْنَ الزُبَيْرِ أتَرْضى مَعْشَراً قَتَلوا ... أباك ظُلْمًا فما أبْقَوْا ولا تَركوا

ضَحَّوا بِعُثْمَانَ يَوْمَ النَحْرِ ضاحِيَةً ... ما أَعْظَمَ الحُرْمَةَ العُظْمَى التي انتهَكوا[2]

فقال: نعم لو أعانني الشيطان على أهل الشام لقَبِلْتُه، ولحق بهم عيسى الخَطّي وعُمير بن ضُبَيْعة الرَقاشي وخرجا من البصرة في ستّة عشر راكباً من الخوارج فكانوا مع ابن الزبير، فبعضهم يقول: بايَعوه، وبعضهم يقول: لم يبايعوه، وكانوا مُعْتزلين له، إلا أنّهم يقاتلون أهل الشام إذا قاتلوه؛ فلما انقضى الحصار الأوّل وجاء موت يزيد بن معاوية انصرفت طائفة من الخوارج إلى البصرة، وأقامت طائفة وقالوا: قد انصرف أهل الشام عن مكة، وإنّما قدمنا لهم، فينبغي أن نفتّش ابنَ الزبير عن قوله في عثمان وعليّ، فان كان لنا موافقاً أقمنا معه، وإن كان لنا مخالفاً انصرفنا عنه، فأتاه عيسى الخَطّي وأبو طالوت وعَطيّة ونجْدَة فسألوه عن رأيه في عثمان وعليّ رضي الله تعالى عنهما

---

١ ـ الشوصة: وجع في البطن، أو ريح تعتقب في الأضلاع، أو ورم في حجابها من داخل، واختلاج العرق. القاموس.

٢ ـ انظر الكامل للمبرد ج٣ ص١٠٢٩ مع فوارق.

فخالفهم، فولّوا أمرهم ابن بخدج وانصرفوا إلى البصرة ثم تفرّقوا، وذلك في سنة أربع وستّين، وأصيب في قتال أهل الشام رجاءٌ وناس من أصحابه فبكاهم حُجيّة بن أوْس فقال:

إذا ذكرت نَفْسي رَجاءً وَصَحْبَهُ أَكادُ على بَعْضِ الأمورِ أَلومُها
فِلّلهِ عَيْنا مَن رأى مِثْلَ عُصْبَةٍ أَقام بِضَبْعِ ابْنِ الزُبَيْرِ مُقيمُها
ترى عافِيات الطَيْرِ يحجلنَ حَوْلَهُمْ يُقَلِّبْنَ أَجساماً قَلْيلاً لُحومُها
فَوا حَرَبا ألا أَكونَ شَهِدْتُهُمْ بمَكَّةَ والخَيْلانِ تَدْمَى كُلومُها

وقال أيضاً:

نَدِمْتُ على تَرْكي رَجاءً وَصَحْبَهُ وتِلْكَ لَعَمْري هَفْوَةٌ لا أُقالُها[1]

وقال بعض أهل الشام يذكر حُصين بن نُمير السَكوني وكان على أهل الشام بمكة، وقد كتبنا خبره في خبر ابن الزبير:

يا صاحِبيَّ ارْتَحِلا وَامَّلِسا لا تَحْبِسا لَدَى حُصَيْنٍ مَحْبَسا
إنَّ لدى الأركانِ بَأساً أَبْأَسا وَبارِقاتٍ يَخْتَلِسْنَ الأَنْفُسا
إذا الفَتَى حَكَّمَ ثُمَّ كَبَّسا

١ - ديوان شعر الخوارج ص٨٣ .



المحتوى













